الدرايـة

الفريضة الـمصيرية الغائبة في التراث

الشفاعة أنموذجاً مفصلاً

عثمـان صالحيــة

رسالة هذا الكتاب

الدراية، عنوان هذا الكتاب، هي غير "علم مصطلح الحديث"، الذي كان، منذ نشأته الأولى مقتصراً، في جملته، على دراسة أحوال الرواة لجرحهم أو تعديلهم، جرياً على القاعدة الكلية المزعومة التي وضعها علماء الرواية، وهي أن ما صح سنده صح متنه، يعني أن ما صح رواية فقد صح دراية. مع العلم بأن العلاقة الفعلية بين السند والمتن، في أي رواية من الروايات، ليس حتماً مقضياً أن يدور فيها صدق المتن مع صدق السند حيث دار. فالافتراق بينهما في موضوع الخطأ والصواب، أو الحق والباطل، أو الصدق والكذب، أمر واقع شائع، لا مجال فيه للمغالطة أو المكابرة أو الإنكار.

ومن هذا المنطلق الخاطئ لم يتولد لدى علماء الجرح والتعديل أي شعور بالحاجة إلى معيار آخر لدراسة متون الروايات نفسها وتمحيصها للوصول إلى الحقيقة بشأنها، بغض النظر عن أحوال الرواة، سواء اعتُبِروا عدولاً أم مجروحين، وسواء اعتُبِرَت رواياتهم صحيحة أم حسنة أم ضعيفة، أم حتى متواترة كما قد يتوهم كثيرون.

وخلاصة الدراسة التي انتهى إليها هذا الكتاب تُري، بشكل قاطع لا لبس فيه ولا غموض، بأن الرواية وحدها لا تكفي معياراً

للتحقق من صحة المتون، كما تُري، فرضاً لازماً على المشتغلين بالتراث، أن تسير الدراية عندهم جنباً إلى جنب مع الرواية، حتى تعمل الدراية في الرواية عمل ورق عباد الشمس الذي يغمس في المحاليل الكيماوية فيكشف إن كان المحلول حامضياً أم قاعدياً.

فالدراية التي يتناولها هذا الكتاب ليست هي الدراية في معرفة أحوال الرواة، كما يجري التعامل معها في علم الجرح والتعديل، بل هي الدراية في معرفة صحة المحتوى الفكري أو الخبري الذي تنطوي عليه الأخبار والروايات.

غير أن الدراية، في هذه الحال، لا تعني قبول الروايات أو ردّها كيفما اتفق، انسياقاً وراء الهوى أو المصلحة أو التقليد الأعمى، أو أي اعتبار شخصي آخر، وإنما تعني إخضاع متونها للدرس والفحص والتمحيص، طبقاً لقواعد ضبط وربط صارمة مشروعة، لا تدع مجالاً للجرأة الجاهلة أو الجرأة الغاشمة، للعبث في دين الله، أو العبث بشرعه وأحكامه، وأصوله وفروعه. وذلك كأن كانت تلك المتون تخالف قطعي القرآن، أو يكذبها الواقع المدرك المحسوس، أو تناقض السنن الكونية أو القوانين الإلهية أو الطبيعة البشرية، أو تناقض أحاديث متواترة فعلاً، أو يناقض بعضها بعضاً، أو يناقض الحديث نفسه، إلى غير ذلك من المتناقضات القطعيات الواضحات.

والدراية، بمعنى امتحان المتون وفق قواعد قطعية في منهاج فكري متكامل، كانت غائبة غياباً كاد يكون عاماً شاملاً عن عملية تمحيص الأخبار والروايات، في مختلف جوانب التراث، من سنة وحديث، وتفسير وفقه، وسيرة وتاريخ. وهذا ما فسح المجال واسعاً لأعداء الإسلام، وللحمقى من أبنائه في ميدان الترغيب والترهيب، وللوضاعين في ميدان النزعات الفرقية والأهواء السياسية، نقول هذا ما فسح المجال لسائر هؤلاء أن يدسوا كثيراً من الروايات المختلقة، وأن يقدموها للأمة في سلاسل من الروايات الذهبية، كي يطمسوا بها على العقول والقلوب، وأن يجعلوا الميدان خالياً للباطل، يسرح فيه ويمرح، لا معقب له ولا كابح لسلطانه.

ولقد انطلت هذه العمليات الكبرى من الخداع على جماهير الأمة الإسلامية عبر العصور، علماء ومتعلمين ومقلدين، حتى صارت تلك الدسائس والأكاذيب والضلالات والخرافات والسخافات تشكل أجزاء محورية أساسية في تصور المسلمين للإسلام نفسه، أصولاً وفروعاً.

وكان ذلك حدثاً جللاً وطامة كبرى حلّت بالأجيال كلها، حتى ران على عقول الأمة غشاوات وظلمات بعضها فوق بعض، باتت لا تقوى معها على أن تميز في مرويات تراثها الحق من الباطل، والصدق من الكذب، والحقيقة من الأسطورة. فقد غاب من حياتها

أي باع لها أو ذراع في الدراية **تدفع به وهماً، أو تصحح به فهماً، أو تنشئ به حكماً**. فضاعت الحقيقة في جنباتها بين الجهلة، والمتطفلين، والمتخلفين، والمتقاعدين فكرياً وعقلياً، وبين أرباب الملل والنِحل الضالين المضلّين، وبين أرباب الأجندات الهدامة من حاقدين ومبغضين ومتآمرين. فانطفأت من حياة الأمة برمتها أنوار الحق المبين، متمثلة في كتاب الله وسنة رسوله الأمين.

ورسالة هذا الكتاب هي دعوة حارة لبعث منهاج الدراية الحقيقي الشامل المتكامل الفعال، بين ظهراني الأمة، حتى تتم عملية تطهير تراثها من الشوائب والأدران، والفواحش والموبقات التي علقت به أو اختلطت معه على مر العصور؛ كما أنها دعوة حارة كذلك لإجراء عملية تصويب لموازين الإدراك لديها، لكي تصبح في خاتمة المطاف صاحبة منهاج فكري مبدع خلاّق، مبني على مادة معرفية لا تشوبها شائبة، كفيل بأن ينقلها من حال الهبوط والتخلف والانحطاط إلى ذرى التقدم والإبداع والقوة الباهرة، ليس في ميدان واحد من ميادين المعرفة البشرية، بل وفي سائر الميادين والمجالات، إنسانية كانت أم علمية، وسيان كانت تنتمي للماضي أم للحاضر أم للمستقبل.

ولا يفوتنا في هذا المقام، أعني مقام التعريف برسالة هذا الكتاب، أن نؤكد مخلصين، بأن هذا الكتاب، مع ما فيه من حدة

فكرية، فإنه ليس من قبيل عرض العضلات للدخول في مبارزات فكرية مع أصحاب الدعوات والحركات. بل هو دعوة خالصة لشتى أصحاب الاتجاهات، أن نعيد النظر سوية في كثير من القواعد والأصول والمسلمات، كي يأتلف الجميع في ظل منظومة فكرية وحركية واحدة واعدة، ليس فيها غالب ولا مغلوب، تعيد بناء الأمة على أسس ومحاور جديدة، وطيدة الأركان، راسخة البنيان، نثوب بها إلى رشدنا، ونهتدي بها إلى الحق المبين كما أراده الله تعالى لنا في قرآنه الكريم، وفي سنة نبيه خاتم الأنبياء والمرسلين.

ولا ينبغي لأحد، عنده مسكة من عقل ودين، يرى ما تمرّ به أمته اليوم من أزمة فكرية وتفكيرية قاتلة، أن تأخذه العزة بالإثم، مردداً شعار السابقين الأولين من الكفار والمشركين: "**إنا وجدنا آباءنا على أمة، وإنا على آثارهم مهتدون**".

فلنرفع **غطاء العصمة** عن كافة العلماء والمتعلمين، أقزاماً كانوا أم عمالقة مرموقين، فليس من بشر معصوم في العالمين غير سيد المرسلين. ولنرفع **غطاء القداسة** عن سائر كتب الأولين والآخرين، فليس من كتاب مقدس غير قرآننا الكريم، لا كتاب قبله ولا كتاب بعده. وليكن الحَكَم بيذ هـ ـمعين: "**قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن**

كُنْتُمْ صَادِقِينَ". وليكن شعارنا دوماً هو: "**أننا نعرف الرجال بالحق، ولا نعرف الحق بالرجال**".

فالدراية أولاً، والدراية ثانياً، والدراية إلى ما لا نهاية، هي بحق لا مرية فيه، الفريضة المصيرية الغائبة في التراث. وما لم يحصل هذا التغيير النوعي في حياة الأمة العقلية، والفكرية، والنفسية فلن يستقيم لها دين، ولن يصلح لها حال، ولسوف تظل تتردى من هاوية إلى أخرى أشد فتكاً وأشنع مصيراً.

لا ريب أن من صح عقله، وصح منهاج تفكيره، واستقامت موازين إدراكه، وسلامة منطلقاته، فقد صح دينه، ولا كلام. **ومن غير ذلك كله فلسوف تظل خيام العزاء بالأمة منصوبة، ولكن بلا أجر أبداً ولا مثوبة!!**

تمهيد

تراث الأمم الفكري والثقافي والعلمي، في ماضيها الغابر أو في حاضرها الماثل، فيه الغثُّ والسمين، وفيه الخطأ والصواب، وفيه الحق والباطل. والأمة الإسلامية ليست بدعا في ذلك بين الأمم. فتراثها، كتراث غيرها من الشعوب والأمم التي كان لها باع طويل في ميادين الفكر والعلم والثقافة، فيه ما فيه من حسن ومن قبيح، من طيب ومن رديء، ومن حق ومن باطل.

وحين نتحدث عن التراث فإننا لا نعني الانتماء الحضاري إلى الماضي وحده من غير أن يكون له ارتباط، مباشر أو غير مباشر، بالحاضر والمستقبل. فالمجموع الفكري والثقافي- أعني الامتداد الحضاري- ليس أمراً مضى وانقضى، بل هو كذلك مادة للحاضر والمستقبل على حد سواء.

والأجيال المتعاقبة في الأمم الحية ليس من شأنها أن تقف حائرة **مغلولة العقل** أمام تراثها بعجره وبجره، تطوف حوله طواف المؤمنين حول كعبتهم، مرّددة قول من ضلوا السبيل من قبل: "إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ". بل عليهم أن يعتبروا أنفسهم امتدادا حضاريا وفكرياً وتاريخياً لآبائهم الأولين من أجيال صالح السلف. وبالتالي أن يعتبروا المسؤولية عن مجمل هذا التراث مسؤولية جماعية، تمتد من عصر إلى عصر، وتتواصل من

جيل إلى جيل، في خط بياني صاعد أو نازل، كما هي الحالة الفكرية والعقلية التي تسود الأمة وتعيشها الأجيال المتعاقبة.

والمسؤولية الجماعية هي تحدٍّ دائم لهذه الأجيال جميعها في كل زمان وفي كل مكان، ينهض بأعبائها **الصفوة المختارة** من أبناء الامة (Elite)، التي ينبغي أن تكون منظمة غاية التنظيم، ومسلحة بالمبدأ (Ideology) تسليحاً عميقاً مستنيراً، شاملاً منظومته العقائدية والتشريعية. فإن هي استجابت للتحديات، داخلية كانت أم خارجية، كما ينبغي لها أن تستجيب، فتسلحت بالعقل الخلاق، وبطرائق البحث والدراسة والتفكير المبدعة، وكان حافز مواجهة المشكلات لديها حاداً، وكانت همتها عالية، ونَفَسُها طويلا، كان خطُّها البياني صاعدا دوما. فهي في حركة تصحيحية للتراث دائمة، لا تعرف الكلل والملل، ولا تعرف الجمود والاجترار. وهي كذلك في حركة إبداعية إنشائية ارتقائية، متصلة الحلقات، واثقة الخطوات، معتصمة دوماً بقواعد مبدئها وأصوله وكافة ضوابطه، لا تحيد عنها في جميع الحالات.

وأما إن هي استنامت على الرضى بما قدمه السلف، واعتبرت أن السابقين لم يتركوا للاّحقين شيئاً يقدمونه بين أيديهم، فعطلوا بذلك عقولهم، وصار التقليد الأعمى رائدهم، وأصبحوا غرباء عن وقائع حياتهم المتجددة المتغيرة، كان خطّهم البياني نازلاً أبداً.

وقد عبرّ الأديب العربي الكبير عبدالله بن المقفع، الذي عاش في أواخر العصر الأموي وأوائل العصر العباسي، عن هذه الظاهرة – أعني **ظاهرة تقديس التراث**– أبلغ تعبير حين قال في كتابه "الأدب الكبير" ما يلي: فمنتهى علم عالِمِنا في هذا الزمان أن يأخذ من علمهم، وغاية إحسان مُحسنِنا أن يقتدي بسيرتهم. وأحسن ما يصيب من الحديث محدثنا أن ينظر في كتبهم، فيكون كأنه اياهم يحاور، ومنهم يستمع، وآثارهم يتبع، وعلى أفعالهم يحتذي، وبهم يقتدي. غير أن الذي نجد في كتبهم هو المنتخل من آرائهم، والمنتقى من أخبارهم. ولم نجدهم غادروا شيئاً، يجد واصف بليغ في صفة له غاية لم يسبقوه إليها..... فلم يبق في جليل الأمر ولا صغيره لقائل بعدهم مقال".

وهذا يعني أن تراث السلف كامل شامل، لم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها. وهو تراث معصوم لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. وهذه– كما نرى – دعوة مكشوفة إلى تقديس التراث، وتعطيل الاجتهاد، والتزام التقليد. وقد وظفوا حديث "أن شر الأمور مُحْدَثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار"، وظفوه توظيفاً في غير محله، وتسلحوا بشعار "أن السلامة في التسليم، والجماعةَ الجماعة، ومن شَذَّ شَذَّ إلى النار، وإنما يأكل الذئبُ من الغنم القاصية"، وشعار" لا تعترضوا فتنقرضوا"، "ومن تمنطق فقد تزندق" نقول: وظفوا ذلك كله لتأصيل التقليد، ومحاربة

التجديد، وإضفاء الشرعية على هذا الموقف المتحجر المقيت. فلا إبداع لجديد، ولا مراجعة لقديم. ولنقف خاشعين على أعتاب الرواية لا نتخطاها، ولنستدبر **الدراية، يعني دراسة المتون للوقوف على صدقها قبل مراجعة الروايات للوقوف على صحتها**. وهذا– لعمر الحق– هو الموت الزؤام، وسبيل الهلاك الموعود. فالعصمة هي لله ورسله، وكل ابن آدم خطّاء. وهذه هي سنة الله الماضية في الخلائق منذ آدم حتى يرث الله الأرض ومن عليها. وفي وصف هذه الظاهرة، أعني التقليد الأعمى وتقديس التراث، قال تعالى على لسان المقلدين: "إِنَّا وَجَدْنَا ابَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ"، وقال تعالى: "إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ"، وقال: "قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ابَاءَنَا". وفي الرد الحاسم على هؤلاء المقلدين والمقدسين للتراث بعجره وبجره قال تعالى: " وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ؟!" وقال تعالى: " وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ؟".

ورفض التقليد الأعمى وتقديس التراث لا يعني ان يتخذ ذلك ذريعة للتحلل من المرجعية الإسلامية في الضبط والربط الفكري لدى المسلمين عامة. فالإسلام، بإطاره القويم وثوابته القطعية، هو الأساس، وهو المرجع الذي لا يجوز أن يتقدم عليه أي مرجع آخر

لدى مراجعة أي جانب من جوانب التراث. والخروج عنه، بدعوى أن أسلافنا قد أخطأوا في بعض أصوله وفروعه، لا يدل إلا على نوايا خبيثة تبتغي دفع الناس الى التحلل من الإسلام نفسه.

ولا يقل عن هذا الموقف التقديسي خطورة على عقل الأمة وفكرها المواقف التبريرية والتأويلية التي تغالط وتكابر، وتتعسّف في لَيِّ أعناق النصوص القطعية، لتمرير سائر الأخطاء، والانحرافات، والأهواء الباطلة، والأفكار الهدامة، ليظهر التراث كله صفحات بيضاء نقية، مشرقة ناصعة، كما يتوهمون.

أخطاء التراث

أ. والأخطاء في جوانب التراث المختلفة – في جانب كبير منها – هي **أخطاء غير مقصودة**، مردها إلى أخطاء في المناهج تتعلق بطرائق البحث والدراسة والتفكير، أو إلى أخطاء في المعلومات السابقة التي يبني عليها الإنسان أفكاره وأحكامه، أو إلى أخطاء في الربط بين المعلومات السابقة الصحيحة والواقع الذي يراد الحكم عليه، أو إلى ضيق الأفق المعرفي في عصر من العصور، وعدم كفايته– عند هذا السقف المعرفي– في تزويد الإنسان بالمعلومات الصحيحة اللازمة لإنشاء أفكار أو أحكام جديدة، في موضوعات أو قضايا قديمة أو جديدة.

ب. والأخطاء التراثية المقصودة قد تكون . في جانب آخر . حصيلة **حملات عدائية حاقدة** لا تعدو أن تكون مغالطات ملفقة، أو مفتريات مخترعة، أو تأويلات باطلة، أو أفكارا هدامة، دسّها– في وقت من الأوقات– الأعداء الحاقدون أو المبغضون للإسلام، مثلما حصل في التراث الإسلامي على يد أصحاب الأجندات التخريبية الهدامة، ليكون ذلك– بالنسبة إليهم– بابا من أبواب الحرب الفكرية أو العقائدية، أو الهجمات المعاكسة، حتى تصاب منظومة الإسلام الفكرية، أو بناؤه الأيديولوجي، بالتناقض والاضطراب والتصدع والتآكل من الداخل. ويتم

بالتالي تفريغ الأمة من المحتوى الحقيقي الفاعل المؤثر لهذا الفكر في شخصيتها، وفي طريقتها في العيش، وفي منظومتها القيمية، وفي نظرتها إلى العالم من زاوية خاصة، كيما يتمكنوا بعد ذلك من إحداث ثورة فكرية سياسية ينقلب فيها الخَلَفُ على السَّلف، فيفكون ارتباطهم بماضيهم وتراثهم وتاريخهم وجغرافيتهم، كما فعل مصطفى كمال أتاتورك، ومن بعده من العلمانيين في تركيا، قبل إلغاء الخلافة العثمانية سنة ١٩٢٤م وبعدها.

ج. والأخطاء التراثية قد تكون كذلك **مغالطات أو تأويلات أو تبريرات متعمدة** من أرباب الفرق والمذاهب والحركات، الباعث عليها هو الهوى، أو التعصب المذهبي، أو الفرقي، أو الحزبي، أو أي نوع آخر من أنواع الولاءات الضيقة، أو المنحرفة ، للاستقواء بها في ترويج وجهات نظر خاصة، أو النيل من أطروحات او مقولات الآخرين، دون أن تكون الكفاءة سلاحهم، والنزاهة والإخلاص في طلب الحق غايتهم. حتى لقد ذهب أمثال هؤلاء إلى الكذب على رسول الله، زاعمين أنهم بعملهم هذا إنما يكذبون للرسول ولا يكذبون عليه، توهما منهم أن ذلك هو طريق الانتصار لدينهم، وسبيل التصدي لخصومهم.

والنهج البناء للشراكة في المسؤولية عن التراث بين أجيال الأمة من خلف ومن سلف يُحتم أن نكون **موضوعيين لا انتقائيين**، نتبنى

من التراث – بعد الدراسة العميقة المستنيرة، والتمحيص الدقيق، والمراجعة المستمرة الشاملة – **كل ما صحّ منه وما صَلُح**، ونتجاوز ما عداه. فنكون بذلك مع صالح السلف في خندق واحد ضد الخصوم، والأعداء، والجاهلين، والمارقين، وأصحاب الأهواء الضالة والولاءات الضيقة والمنحرفة. فنشكل معهم سلسلة متصلة الحلقات يكمل بعضها بعضا، ويشد بعضها أزر بعض. فتكون العلاقة بين الأجيال المتعاقبة علاقة تعاون وتكامل بنّاء، وليست علاقة تحامل وخصام وقطيعة ونقد هدّام. فلا نجعل الأهواء مركبنا، كما لا نجعل الاختلاف في المسائل الاجتهادية سببا في التكفير، أو في قطع وشائج المودة والاحترام المتبادل. فأخطاء الآباء ينبغي أن يتناولها الأبناء برفق، فيصححوها ويقوّموها دون أن يكون في مقارباتهم تلك أي مبرر لرجمهم والإساءة إليهم. فالكل خطّاء، وليست العصمة لأحد كان، غير الأنبياء والمرسلين، وليست القداسة لكتاب غير كتاب الله تعالى.

هذا هو النهج البناء في التواصل الفكري والثقافي والحضاري بين أجيال الأمة المتعاقبة. وهذا هو الفرق بين مدخل المخلصين الواعين إلى التراث وبين غيرهم ممن تكبل الأهواء عقولهم، ويطمس التقليد الأعمى على قلوبهم، ويجعل منهم فريسة سهلة للأعداء الحاقدين الهدامين، الذين لا يرقبون في مؤمن إلاًّ ولا ذمة. فلا ينبغي، والحالة هذه، أن يكون همُّنا البحث عن أخطاء الآخرين

بقصد تكفيرهم أو تحقيرهم، بل أن تكون رسالتنا هي تقويم الإعوجاج الفكري، وتصويب الأخطاء في فهم المنظومة الفكرية الإسلامية من حيث المحاور، والقواعد، والأصول القطعية، التي بنيت عليها، ثم من بعد ذلك الفروع والأحكام، حتى تستعيد الأمة الإسلامية عافيتها العقلية، متمثلة في وحدة فكرية حقيقية، راسخة الأركان، شامخة البنيان. فتعود كما أرادها الله خير أمة أخرجت للناس.

فصعيد القضية ينبغي أن يكون هو إعادة تقييم أداء الأجيال السالفة في مواجهة المشكلات والتحديات والمستجدات، فما كان صواباً أجزناه وقبلناه، وما كان خطأ رفضناه ورددناه، بغض النظر عن الاعتبارات الشخصية لمن جانبهم الصواب، أو لمن كان الحق إلى جانبهم. فالبقاء في تراثنا ينبغي أن يظل للصالح القويم، وليس للخاطئ الذميم.

إن الاختلاف بين المفكرين والعلماء والباحثين سُنَّة ماضية في حياة البشر، حتى لو كانوا صحابة أو حواريين. لكن هؤلاء جميعاً، إن كان همهم الأكبر هو الحفاظ على وحدة الدولة والأمة والمجتمع فإنهم، كما يفرض عليهم مبدأ الإسلام – حال الاختلاف في أي مسألة من المسائل أو قضية من القضايا– يستمسكون بالعروة الوثقى، وهي القواسم المشتركة في العقيدة، والأصول، والمحاور، والمرتكزات الفكرية القطعية، ثم ما يبنى عليها من ضبط وربط في الفروع. فإن هم استسلموا للتعصب الذميم، وأخذتهم العزة

بالإثم، وحوّلوا الخلاف، حتى في المسائل الفكرية الجزئية، إلى ثارات شخصية، **وتحالفوا مع الشيطان في سبيل قهر الخصم**، كان ذلك كله من دواعي الانحطاط والضياع، وإغراق الأمة والمجتمع في ظلمات التكفير والبغضاء والشحناء والتمزق القاتل. وليس لذلك كله من عاقبة إلا الضياع والهلكة والخسران المبين.

تصور أن العصبية الفكرية العمياء التي جانبها الصواب في هدى رب الأرباب، وهو الجدال بالتي هي أحسن، تصل بأحد كبار مريديها إلى أن يؤلف كتاباً بأم رأسه، يتوعد فيه مخالفيه، في مسألة شرعية حجة أشياخه فيها متهافتة داحضة، بالويل والثبور وعظائم الأمور، عنوانه: "**قدوم كتائب الجهاد، لغزو أهل الزندقة والإلحاد، القائلين بعدم الأخذ بحديث الآحاد، في مسائل الاعتقاد**".

وفي عصرنا الحاضر نشهد سيلا فاحشاً من الكتب والمؤلفات التي تتناول جوانب مختلفة من التراث، أو تتناول بعض القضايا والمشكلات المستجدة من منطلقات فكرية أو فقهية جديدة، لا أصالة فيها ولا إبداع. بل كل همِّ المؤلفين والكتاب فيها أن يملأوا صفحات ، ويقدموا مؤلفات، لا تسمن ولا تغني من جوع. ولئن كان كثير من السابقين قد اهتموا بالكمية على حساب النوعية، فأورثونا كمية هائلة من الكتب والمؤلفات، كثيرة الصفحات قليلة البركات، فما نرى أجيال اللاحقين اليوم إلا أنهم يترسّمون خطا أولئك الحشَوية السالفين، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع. فمركز التنبه لدى الكاتب أو المؤلف في

عصرنا الحاضر ما زال كما هو، ومحور الأداء ما زال هو هو: كمية الإنتاج من حيث عدد الكتب أو الرسائل التي ألفها، وليس نوعية الإنتاج من حيث قيمة الأفكار والأبحاث التي قدمها، وما فيها من تجديد وإبداع واستجابة للتحديات.

ومن النماذج المتواضعة على ما نحن بصدده، عند الكثير من السلف، من الإنبهار بالكمية، وجعلها سبيلاً قواماً لتعظيم الرجال، ما أورده نجم الدين النسفي في سيرةِ من وصفه بأنه **الإمام الحافظ العلامة أبو محمد الحسن السمرقندي (٤٠٩ – ٤٩١هـ)** حيث قال: "لم يكن في زمانه مثله في فَنِّه في الشرق والغرب. له كتاب "**بحر الأسانيد في صحاح المسانيد**" جمع فيه مئة ألف حديث، فرتب وهذب. لم يقع في الإسلام مثله **وهو ثمان مئة جزء**"!!!

ولكن ما هي الأسباب والدوافع وراء هذا الغثاء والهراء الذي نسميه كتباً ومؤلفات تغص بها أرصفة الشوارع وخزائن المكتبات ومواقع الإنترنت؟

إن **أهم الأسباب** لذلك يمكن تلخيصها فيما يلي:

١- **عدم وجود طريقة منتجة في التفكير** لغربلة الأخبار ومحاكمة الأفكار، ضمن سياق القرائن اللغوية والشرعية والعلمية والتاريخية، والوقائع المادية المدركة المحسوسة، وسنن الله الماضية في جميع مخلوقاته. وهذا ما يسمى

"بمنهاج الدراية" في مقابل "منهاج الرواية". ومداره دراسة المتون، يعني المضامين الفكرية أو العلمية للنصوص، دراسة نقدية على أسس قويمة ومسلمات ثابتة، وهو ما يعرف بالتفكير النقدي البنّاء(Constructive Critical Thinking). فبالدراية يُضيَّق الخناق على كثير من الأخبار والروايات والتفسيرات. فيساعد ذلك الكُتّاب والمؤلفين على التخلص والتحرر من هذه الزوائد والنفايات التي تغصّ بها كتبهم ومؤلفاتهم، ولا تزيد أبناء الأمة إلا فرقةً شنيعةً واختلافاً فتاكاً أليماً. فهذا البعد في تناول القضايا التراثية سيؤدي لا محالة إلى تقليص حجم المادة المكتوبة عنه إلى حد كبير جداً، وربما شطب بعض فصولها ومطولاتها شطباً كاملاً، وإهالة التراب عليها، طالما ثبت أنها غريبة عن جسم الإسلام وثوابته وأسسه ومحاوره.

٢- **غياب ما يسمى بالروح العلمية** غياباً كلياً أو جزئياً، في البحث والدراسة والتمحيص. والروح العلمية إنما تعني بذل الجهد الموصول للبحث عن الحقيقة أنى توجهت ركائبها، المرة بعد المرة، حتى يبلغ البحث غايته المرجوة، بكل نزاهة وموضوعية وإخلاص. فلا يحاول الباحث أن يختصر الطريق، أو يَلتفَّ على النتائج، فيقدم أبحاثاً مبتسرة، أو نتائج فجة، لا تسمن ولا تغني من جوع. وهذا قد يكون مرده

إلى فقدان الأهلية، أو أن يحاول الكاتب أن يُزَبِّب قبل أن يُحَصْرِم، أي يتعجل الثمرة قبل أن يحين نضجها وقطافها.

والروح العلمية تتمثل في استيعاب القضايا الفكرية أو العلمية وهضمها أولاً، ثم المضي قدماً في مراجعة المعطيات الفكرية أو العلمية التي بُنيت عليها، ثم مناقشتها مع المؤيدين والمعارضين لها ، ضمن أوساط أهل الأختصاص. كل ذلك من أجل تحديد هوية المسائل والقضايا والمشكلات التي ينبغي أن يتناولها البحث المتجدد، والدراسة الرائدة ، والتفكير الخلّاق.

أما الكتابة والتأليف في هذه السلسلة من العمليات فلا تأتي إلا في النهاية، لأنها مرحلة صياغة الأفكار التي انتهى إليها الباحث أو المفكر، أو لملمة النتائج وترتيب المعطيات التي انتهى إليها العالم الخبير. أما الذين يسارعون إلى تناول أقلامهم قبل أن يعبروا هذا الطريق، خطوة خطوة إلى نهايته، فهم ليسوا أكثر من طلاب شهرة متعجلين الثمرة قبل أوانها، أو أنهم لم يدركوا قدر أنفسهم رغم حسن نواياهم، فلم يعرفوا لهم حدا يقفون عنده. وقد تكون هذه الرغبة لديهم جامحة جموحاً يغريهم بالسطو على المنجزات العلمية والفكرية والأدبية التي أبدعها غيرهم، فينتحلونها انتحالاً كاملاً، دونما أية أشارة منهم إلى مصادرها، لا من قريب ولا من بعيد. **فأبو يعلى الفراء الحنبلي** ـ مثلاً ـ **حين انتحل كتاب "الأحكام السلطانية" للماوردي** سرعان ما افتضح أمره، وسقط

سقوطاً مخزياً بين الفقهاء والعلماء. فهو لم يقتبس اقتباساً صريحاً مشروعاً بعض ما عند الماوردي من آراء وأفكار واجتهادات خاصة، بل انتحل الكتاب انتحالاً كاد أن يكون كاملاً شاملاً، دونَما اعتبار لحلال أو حرام، لصدق أو كذب، لأمانة أو خيانة.

فالتأليف هو مرحلة نقل الأفكار، بعد أن تستوي على سوقها في الأذهان، إلى الكتابة والتأليف. فهو مسبوق بمرحلة تحصيل المعلومات، وبلورة الأفكار والآراء في مختلف ميادين المعرفة، كميةً ونوعية، تحصيلا يؤهل صاحبه تأهيلاً فعلياً لأن يصبح كاتباً أو مؤلفاً في هذا المجال أو ذاك. والروح العلمية هي، بعبارة أخرى، النزاهة والتجرد والموضوعية (Objective Approach) في طلب الحقيقة وحدها سائغة بعيدة عن الهوى، يدور معها طالب العلم أنّى توجهت رَكائبُها. وغيابها هو بحق أكبر مفسدة تحل بالتراث من الخائضين فيه. والسبيل القويم في ذلك هو أن يتحلى طلاب العلم بأخلاقيات البحث عن الحقيقة في ميادين المعرفة كافة، وبخاصة ما كان منها متعلقا بالإنسانيات والأيديولوجيات. لأن هذه القضايا تؤثر أو تتأثر بشكل مباشر بعقائد الناس وسلوكهم، وطرائقهم في العيش، ووجهة نظرهم في الحياة. فإلى جانب النزاهة والتجرد والموضوعية ينبغي أن يكونوا صادقين مع أنفسهم ومع الحقيقة التي يبحثون عنها، وأن يبتعدوا عن المغالطة والمكابرة والإصرار على الخطأ، ويكون مثلهم في ذلك كمَثَل أكابر فقهائنا الأولين حينما كانوا

يقولون: "**إذا صح الحديث فهو مذهبي، واضربوا بقولي عرض الحائط**". وينبغي لهم كذلك أن يوطِّنوا أنفسهم على العمل بروح الفريق الواحد حيثما كان ذلك ممكنا وضروريا، وأن يبتعدوا عن الفردية والأنانية الضيقة، والمناكفة والمخالفة، لا لشيء، إلا اتباعا **لقاعدة** "**خالف تعرف**". فلا يكون رائد أحدهم المخالفة من أجل المخالفة، أو الإغراب والشذوذ طلبا للجاه أو الشهرة الزائفة المتسرعة. وما ذلك منهم في الحقيقة، حين يمارسونه، غير شذوذ عقلي، وعُقَد نفسية، تعبر عن نفسها بهذا الشكل من أشكال النرجسية المرضية. كصاحب **كتاب** "**الإسلام والجنس**" الذي يتمحل ويتمايل في كتابه ذات اليمين وذات الشمال ، ويتجاوز كل الخطوط الحمر ليثبت ان من حق الرجل شرعاً أن يأتي امرأته من دبرها في دبرها، يعني إباحة اللواط بالزوجات. وكصاحب **كتاب** "**مسائل فقهية مختارة**" الذي لا يألو،هو الآخر، جهدا في اختراق الخطوط الحمر كافة، في العقائد والأصول، والدراية في علم الرواية، ليثبت أن أرواث الدواب وأبوالها طاهرة، بدعوى أنها طعام إخواننا الجن وشرابهم. يعني لا بأس على المسلم أن يتناولها طعاما أو شرابا، دون أن يتقزز أو يصاب بالغثيان، من هذا القرف الفظيع. وكصاحب **كتاب** "**الجامع لأحكام الصلاة**" الذي يدعو إلى عدم جواز التغوط في الجحور والشقوق، بدعوى أنها مساكن إخواننا الجن. وذلك خشية أن يتعرض الفاعل لأذاهم وانتقامهم.

وبالإضافة إلى ذلك كله فإن على طالب العلم- مهما كان عظيماً- أن يتحلى بالتواضع، وينأى بنفسه عن الغرور الذي يجعله عابدا لذاته، يتملكه العجب برأيه. فإن ذلك مهلكة للمرء أي مهلكة، حتى ولو كان ذلك الإنسان مفكراً ممتازاً، أو عالماً مبدعاً عملاقا. فإن الغرور يطمس على عقول أربابه رؤية الحق والصواب عند غيره، فيهدم لديه فضيلة الرجوع إلى الحق، ويزرع لديه الثقة الزائفة أو الزائدة التي تولد في النفوس أوراماً خبيثة . وقد يترتب على ذلك نتائج وخيمة، إن كان هذا المغرور صاحب قرار، أو صاحب أمر ونهي في حياة الناس. ولنا في الزمخشري المفسر المعتزلي المشهور، وصاحب **كتاب تفسير** "**الكشّاف**" أوضح مثال على ما نحن بصدده ممن استحوذ عليهم شيطان الغرور فأنساهم فضيلة التواضع، إذ يقول هو عن تفسيره:

إن التفاسير في الدنيا بلا عدد ... وليس فيها لعمري مثل كشّافي

إن كنت تبغي الهدى فالزم قراءته ... فالجهل كالداء والكشّاف كالشافي

٣- **وثالث هذه الأسباب هو المتاجرة بالحقيقة** لدى مرتزقة باعوا أنفسهم للشيطان، فجعلوا من أنفسهم سدنة للأنظمة الفاسدة والحكام الظلمة، يقلبون الحق باطلا، والباطل حقا. كمن يصدرون كتبا بأم رأسها – ممن زعموا أنهم سلفيون- تحرم الخروج على الحاكم الظالم الغاشم، بدعوى أن أي محاولة من

هذا القبيل سوف تكون– لا محالة – محفوفة بإراقة الدماء. وهذه فتنة، والله تعالى قد نهى عن الفتنة.

وكمن يؤلفون كتبا يحرمون فيها العمل الحزبي– ولو على أساس الإسلام – كطريق للتغيير الجذري الشامل، بدعوى أن الحزبية تقتضي التعدد، والله تعالى لم يصرح في هذا المجال بتعدد الأحزاب، لقوله تعالى: "أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ". ثم يمضي قدماً بتحريم الثورة على الحاكم الظالم الغاشم، بدعوى الفتنة في إراقة الدماء، إنسياقاً وراء أباطيل المتمسحين بأهداب السلف الصالح الذين يحلون لأنفسهم – وبكل أريحية ودونما إحساس بالمسؤولية – ان يفسقوا او يكفروا كل من خالف آراء مشايخهم حتى في أتفه الأمور وأقلها شأناً في معترك الحياة. دع عنك ما يتقربون به الى أسيادهم من الحكام الخونة المجرمين من فتاوى تنضح بالضلال والفساد والقول على الله ببدع قد تصل بهم إلى حد الكفر البواح أحياناً.

وكمن يصدر أبحاثاً يعتبر فيها أن العمل الجاد لإعادة الإسلام إلى الحياة هو ضرب من العبث، وإضاعة للوقت والجهد والمال والتضحيات الأخرى كافة، لأن المهدي المنتظر والمسيح الموعود هما وحدهما – حال ظهورهما على المسرح السياسي من جديد– المؤهلان القادران على إعادة الأمور إلى نصابها. فيطبقان شريعة الله، ويُخَلّصان البشرية، في أرجاء المعمورة كافة، من سائر

أنواع الكفر، والشرك، والفواحش، والفساد، والفقر، والتعاسة والشقاء، في زمن قياسي لا يتجاوز بضع سنين.

وكمن يؤلف كتابين سمى أحدهما "**آيات الرحمن في جهاد الأفغان**"، وسّمى الآخر "**عبر وبصائر**" حاول من خلالهما أن يستهوي الشباب البسطاء، فيمنيهم بالكرامات، والخوارق، والحور العين في الدنيا، حتى يتمكن من تجنيدهم في صفوف من كان يطلق عليهم في ثمانينات القرن العشرين "المجاهدون الأفغان"، كي يقذف بهم في أتون الصراع العسكري بين الاتحاد السوفياتي من جهة وأمريكا وبريطانيا وحلفائهما من جهة أخرى، على أرض أفغانستان. فملأ كتابيه بالحكايات والقصص الخرافية والكرامات المزعومة التي لا تصلح إلا للسخرية والتندر، وإعطاء أعداء الإسلام مادة خرافية منسوبة للإسلام زورا وبهتانا، تجعلهم يمعنون في الاستخفاف بالإسلام وأهله، وينالون منه – ظلما وعدوانا – ما شاء لهم أن ينالوا. خذ مثلاً على ذلك ما أورده المؤلف في كتابه "**عبر وبصائر**" قال: حدثني دير محمد من خوست قال: هجمت علينا طائرتان وخمسون دبابة ومصفحة، وكنا ثلاثة عشر شخصاً، استشهد اثنان، أحدهما محمد أمين وعمره ٣٥ سنة. ولقد احتلم بعد ٣ ساعات (من استشهاده)، ونزل منه المَنِيّ. يقسم دير محمد: "أني رأيت هذا بنفسي". وقد عنون صاحب الكتاب هذه القصة بالعنوان التالي: "لعله التقى بالحورية".

٤- **أما أعداء التراث والحاقدون عليه** فمنهم من يجاهر بعدائه، ويشن عليه الحرب متحديا سافرا، ومنهم من يجوس خلاله على رؤوس أصابعه، متخفيا، يحاول الهدم والتخريب من الداخل. وكلا الفريقين يعتمدون استراتيجيات فكرية واحدة تتلخص في:

أ- **افتراء الكذب**، أي يخترعونه من عند أنفسهم ، كأسلافهم ممن كانوا يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله.

ب- **تأويل النصوص والوقائع تأويلا فاسدا** يظهرون به الحسن قبيحا، والحق باطلا، والفضائل رذائل، كأسلافهم ممن كانوا يُحَرِّفون الكَلِمَ عن مواضعه. أي يعطونه دلالات لا تمت إليه بصلة، أو يتخذونه مشجبا يعلقون عليه تأويلاتهم الفاسدة أو استنتاجاتهم الباطلة. كما فعل الشيخ محمد عبده في كتاب "تحرير المرأة" الذي نشره باسم قاسم أمين للتغطية والتمويه على دوره الخبيث في ترويج الأفكار الغربية. وكما فعل طه حسين في كتابه "الإسلام وأصول الحكم" الذي نشره باسم علي عبد الرازق للتغطية والتمويه على دوره الخبيث، كذلك، في ترويج أفكار أساتذته المستشرقين الحاقدين، أعداء الدين.

ج- **العزف على أوتار التناقضات المزعومة** بغية إثارة البلبلة والشكوك لدى غير المتمكنين من دراسة التراث وفهمه. علماً بأن ما ثبت من الإسلام لا يمكن ان يكون متناقضاً طالما كان

مصدرهُ الوحي الإلهي المعصوم. ولا يعدو أن يكون التناقض في هذه الحال تناقضاً في عقول الدارسين أنفسهم، إما بسبب القصور في علمهم، وإما لغياب الدراية في أحكامهم، وإما لاجتماع السببين على صعيد واحد.

د- **محاولة هدم علماء التراث وما أنتجوه جملة وتفصيلاً** في الفقه والحديث والتفسير والتاريخ وسائر علوم الدين، بغية اسقاط دورهم في المحافظة على التراث والسير به قدماً في معارج التقدم والرقي، حتى لا يجد عامة الناس من يوثق به لأخذ العلوم الشرعية عنه. فهم يوهمون جمهرة الناس البسطاء أن عالم التراث ينبغي أن لا يكون خطّاء حتى يصح أن يشكل عنصراً من عناصر النخبة العلمية أو الفكرية أو الأدبية. فإن هو أخطأ في بعض المسائل، أو حتى في مسألة واحدة كان عندهم فاقد الصلاحية والأهلية. صحيح أن كل إنسان خطّاء حسب قولهم، ولكنهم قالوا كلمة حق يراد بها باطل، وهي إسقاط دور النخبة جملة وتفصيلاً، حتى يقع عامة الناس في حيرة وتيه وضياع، ما يمهد السبيل لترويج وتسويق الأفكار العلمانية لدى جماهير الأمة الإسلامية. فكتب مثل جناية البخاري على علم الحديث، وجناية الشافعي على علم الأصول، ما هي إلا أمثلة على ذلك.

هـ- محاولة تشويه التاريخ بأكمله، ومحاولة تسويد صفحاته البيضاء الناصعة، حتى يقطعوا صلة الأجيال الحاضرة بالأجيال السابقة، ويقطعوا حاضر الأمة بماضيها، ويجعلوا الخلف دوما ناقمين، ثائرين على تاريخهم، وماضيهم، وبناة أمجادهم، كما فعل السيوطي في كتابه "تاريخ الخلفاء".

و- التستر وراء شعار المحافظة على التراث بزعم تنقيته وتحريره من جميع الشوائب التي علقت به عبر التاريخ.

ولقد ساهمت مناهج ومتطلبات الجامعات والمعاهد العليا، في عصرنا هذا، بقسط وافر في تنشئة كوادر كثيرة من طلابها، خاصة في مراحل الماجستير والدكتوراه، على الغش والسرقة والتسول، وانتحال أفكار الآخرين، وكتاباتهم، وأبحاثهم، ودراساتهم. فصارت رسائل الماجستير والدكتوراه هي المتطلب الرئيس للحصول على الشهادات الأكاديمية العليا. ولقد ساهم أساتذة الجامعات، المشرفون على هذه الرسائل، مساهمة كبيرة في **إغراق أرصفة المجتمع بَحَملة الشهادات العليا، ممن لا سقف لهم ولا قاع في مواضيع اختصاصهم.** وما ذلك إلا انعكاساً_لسياسة تعليمية خرقاء مجرمة، يرتع في ظلها التافهون، والغشَّاشون، والمُزيِّفون، من أساتذة الجامعات العتيدة. فتجدهم يولون جلّ اهتمامهم لشكليات هذه الرسائل. فلا يهمهم مضمونها، طالما أن الطالب قد وثق المنقولات، وأشار إلى مصادرها ومراجعها، صدقا أوكذبا ،على قاعدة "من أسند

فقد بَرِئَ". يضاف إلى ذلك أن **سياسة "مَزِّق ولَزِّق"** (Cut & Paste) في تلفيق الرسائل الجامعية قد واكبها تقزيم وتحقير موضوعات هذه الرسائل، حتى غدت تلك الموضوعات ميكروسكوبية – خاصة في مجال الإنسانيات – غايتها تكريس الجهالات، وتزوير الكفاءات، ونشر الغرور الكاذب في مختلف المجالات. كمن يكتب رسالة دكتوراه في "تجليد الكتب في العصر الفاطمي" ليتأهل بذلك ويصبح بروفيسورا في التاريخ الإسلامي. وكمن يكتب رسالة ماجستير في حرف الجر "حتى"، علماً بأن حروف الجر عشرون، وهي، مجتمعة، لا تشكل واحداً في الألف من نحو اللغة العربية وصرفها ، ليصبح حامل هذه الشهادة، بعد ذلك، استاذاً مرموقاً من اساتذة اللغة العربية وآدابها.

وكان من آثار هذه **الرسائل الميكروسكوبية** أن جعلت السهل صعبا، كما جعلت المختصر المفيد، مطولا غير مفيد. وصار كاتبها في حاجة ماسة إلى مادة – أي مادة مما هبّ ودبّ– يحشو بها رسالته حتى تظهر للناس أنها رسالة نفيسة، بذل كاتبها فيها جهودا جبارة يشكر عليها. وهذا أدى بدوره إلى إحياء الدعاوى والأفكار والترّهات الموات التي عفا عليها الزمن. وقد بلغوا في ذلك، لا أقول، درجة الرداءة فحسب، بل بلغوا حد البذاءة بامتياز.

ورحم الله من لخص مأساة الرسائل والأبحاث الميكروسكوبية، خاصة في مجال العلوم الإنسانية، حين قال: إنها تحمل الطالب

على أن يتعلم الكثير الكثير، عن القليل القليل، حتى يصل إلى **مرحلة يعرف فيها كل شيء عن لا شيء.** "وكفى بذلك جهلا وتجهيلا". عظم الله أجركم، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وهذا كله يشكل ظاهرة فظيعة من ظواهر الانحطاط العقلي والفكري في الأمة، حتى لقد سكنت الأوهام والخديعة والغرور الكاذب أناساً كثيرين في مجتمعاتنا، لا لسبب إلا لأنهم حملة شهادات جامعية عالية. فباتوا يتوهمون أنهم عماد التقدم والاصلاح في مجتمعاتهم، وأنهم رواد النهضة وفرسانها. وما درى هؤلاء القوم **أن التقدم لا يكون بالشكل، بل يكون بالجوهر، ولا يكون بالمظهر، بل يكون بالمَخْبر، ولا يكون بالكلمة، بل يكون بالفكرة.**

ولا يفوتنا بهذا الصدد أن نضرب مثلاً بمجلة "روزاليوسف" المصرية فقد "زينت" غلاف عددها الصادر في ٢٠٠٨/٣/٨م بالعناوين التالية: "التعليم الفاشل: **أجيال لا تقرأ ولا تكتب**"، "**صناعة الجهل في مصر**"، "بالأرقام: **المليارات الضائعة على المدارس والطلبة**"، "**جماعة الأمر بالحجاب والنهي عن التعليم في دار العلوم**"، "**كليات تخريج العاطلين، ومعاهد تعليم التخلف**".

ومما زاد الطين بلة أن **ترقية أساتذة الجامعات** صارت هي الأخرى تتوقف على كثرة الرسائل والمؤلفات التي يتقدم بها الأساتذة بين يدي طلبات ترقيتهم، بغض النظر عن نوعية هذه المؤلفات والرسائل، من حيث حيوية الموضوعات التي تتناولها وأهميتها، ومن

حيث عمقها وشمولها، ومن حيث قيمة المعلومات التي بنيت عليها، ومن حيث صدق الاستنتاجات التي توصلت إليها، ومن حيث مناقشة القضايا الخلافية مناقشة نزيهة واعية عميقة مستنيرة، ومن حيث التصدي لوجهات النظر الضعيفة أو المغلوطة لبيان زيفها وعوارها، وتصحيح بعض المفاهيم والمعطيات الأساسية في الموضوع، واستدراك ما فات السابقين من أصول أو فروع في هذا الميدان أو ذاك، وإغناء البحث بالتفريعات، وتنزيل الأفكار على الوقائع، إلى غير ذلك.

ولا يفوتنا في هذا المقام كذلك أن نعرّج على من أضاعوا البوصلة وانحرفوا عن الهدف المنشود من الكتابة والتأليف، وهو تحديد الفئة التي يوجه إليها الخطاب. فصار مثلهم كمثل ذلك الفيلسوف الذي قسم إنتاجه الفكري في كتبه إلى أربعة أقسام: **قسم يفهمه الناس كافة، وقسم يفهمه الخاصة من الناس، وقسم لا يفهمه إلا هو، وقسم لا يفهمه لا هو ولا غيره.**

فهذه الطائفة من الكتاب يأتي في طليعتهم **جمهرة المفسرين** عندنا. فهؤلاء أرادوا أن يخدموا القرآن بتقريبه إلى أذهان الناس، بتفسيره تفسيرا يسهل على عامة أهل العربية أن يتعاملوا مع آياته تعاملاً مباشراً. لكنهم ما عتّموا أن أضاعوا البوصلة، فأغرقوا القاريء بالتفصيلات، والمطولات، والتفريعات، والخلافيات، من الأقوال الساقطة، والقصص الأسطورية الخرافية من المدسوسات

المبثوثة في الانجيل والتوراة، ومصادر التخريف والتحريف والتلفيق الأخرى. **فالخازن مثلاً**، وفي معرض تفسيره لسورة هود يقول: لما كثرت الأرواث في سفينة نوح أوحى الله إليه أن اغمز ذنب الفيل. فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيرة، ومسح على الخنزير فوقع منه الفأرة. فأقبلوا على الروث فأكلوه. فلما أفسد الفأر في السفينة وجعل يقرضها ويقطع حبالها أوحى الله إليه أن إضرب بين عيني الأسد، فضرب، فخرج من منخريه قط وقطة، فأقبلا على الفأر فأكلاه.

وبذلك عقّدوا الأمور ونشروا السخافات والساقط من المقولات، ولم ينجحوا إلا في إقامة جدار هائل بين القارىء وبين التعامل المباشر مع كتاب الله، بحيث صار المستجير بتفاسيرهم كالمستجير من الرمضاء بالنار. وأصبح النص الذي لا يحتاج تفسيره إلا إلى سطر واحد يوطئون له أكناف العشرات من الصفحات، التي لا يسع المستعين بها إلا أن يضيع في دهاليزها وتشعباتها المملة، وتفصيلاتها السمجة، ومسالكها الوعرة. وصار كمن يحاول أن يصل إلى زهرة في حقل عظيم من الشوك. فاستهلكوا بذلك طاقات الناس فيما لا طائل تحته، وأفقدوهم الثقة بأنفسهم في أن يصبح أحدهم، في يوم من الأيام، قادراً على التعامل المباشر مع كتاب الله، بعد أن حوّلوا الخطاب القرآني ألغازاً وأحاجي، لا يحلها إلا الفتاحون والعرّافون، ومن اختصهم الله بالفتوحات الربانية والعلوم اللَدنِّية المزعومة دون غيرهم من سائر البشر.

وقل مثل ذلك في **كتب التاريخ** التي حشوها بما هبّ ودبّ من الأقاويل والأخبار، والمتناقضات، والتفسيرات التاريخية المزعومة، التي ما أنزل الله بها من سلطان، وما شاكلها من أكاذيب وضلالات وإفتراءات مما لا يسيغها عقل، ولا دين، ولا منطق، ولا علم قويم.

صحيح **أن الغثاء والهراء مصيره إلى مزابل التاريخ**، خاصة حين تكون النخبة على رأس الأمة متماسكة متلاحمة على ثوابت مبدئها، لا تهز وحدتها الفكرية والكيانية والعملية، أية أهواء فرقية، أو اختلافات مذهبية، أو نزعات عصبية أو أية اختلالات عقلية من أي نوع كانت. إلا أن ذلك لا يكفي عقابا للجهلة والمتطفلين والمنحرفين، إذا كنا نريد لأمتنا أن تكون خير أمة أخرجت للناس، كما أرادها الله أن تكون. فكما أن شريعتنا الغراء، حفاظا على الأعراض والأنساب، لا تتهاون في جرائم الزنى والقذف، فكذلك لا ينبغي لنا – حفاظا على سلامة عقل الأمة، وسلامة فكرها، وطريقة تفكيرها الصحيحة – أن نتهاون في معاقبة الكتاب والمؤلفين على الهراء والغثاء، وإلقاء الكلام على عواهنه، مصداقا لقوله تعالى: "وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً". فلابد –والحالة هذه – من رسم حدود تُحفظ بها للمفكرين الصادقين، وأرباب الأهلية الحقة من كتّاب ومؤلفين، حقوقهم في التعبير عن أفكارهم واجتهاداتهم، وإبداعاتهم وأبحاثهم

ودراساتهم، وقطع الطريق على أعداء التراث، سواء كان ذلك منهم عن حسن نية أو سوء طوية.

ومأ أحرانا اليوم أن نعيد الأمور إلى نصابها في مختلف مناحي النشاط الفكري والعلمي والثقافي، فنجعل **النوعية في المقام الأول، والكمية في المقام الثاني**، حتى نقطع الطريق على كل جاهل أو متطفل أفّاك، أو دجال نصّاب، أو مغترب سفيه في هذا الميدان أو ذاك، أو طالب شهرة متسرع رخيص. فمرحبا بكل إنشاء فكري صادق جديد، أو نقض عميق مدروس لطرح فكري قديم، أو تعديل في رأي سابق جدير بالاعتبار، أو شرح بديع لأطروحات قيمة سابقة وتنزيلها على وقائع جديدة، أو استدراكات فاتت الأولين، يكمل الخلف بها مسيرة السلف؛ أو طرح قضايا قديمة أو جديدة تبعث على التفكير، وتكون حافزاً لأهل الذكر أن يبحثوا وينقبوا لها عن إجابات وحلول شافية وافية.

وإنا لنعلم علم اليقين أن تحقيق هذه الأهداف البناءة العظيمة لا يمكن إنجازه، طال طريق التغيير أم قصر، إلا من خلال مؤسسة سياسية مخلصة واعية، تتجسد فيها إرادة التغيير الجذري الشامل وإعادة البناء، على أسس صحيحة، في دولة عظيمة، لا مكان فيها للعملاء والخونة والأفاكين وكبار اللصوص.

أما هذه المساخر والمهازل فلم يعد المرء السوي بقادر على أن يتحملها. وليكن شعارنا في مواجهة هؤلاء جميعا: "اقطعوا دابرهم، إنهم سفهاء مخربون". فهم يستنزفون حياة الأمة في السخافات والترهات والتفاهات والاجترار والدس الرخيص. فحياة الأمة أغلى وأثمن من أن يستهلكها هؤلاء القوم فيما لا طائل تحته إلا التعاسة والشقاء والحصاد المر. فتلك مسؤولية كبيرة سوف تسأل الأمة عنها يوم القيامة.

إن هذا العبث المُزري يجب أن يوضع له حد. فلقد أغرق التافهون والسفهاء والدساسون والجهلة والمتخلفون، عقليا وعلميا، تراثنا بالمساخر. ونحن اليوم لسنا في حاجة إلى المزيد من هذه المساخر. إنا نريد أن تنهض هذه الأمة من سقوطها نهضة حقيقية. ولا نهضة إلا بالفكر، ولا فكر يعلو على الفكر الإسلامي العميق المستنير. فمن كان عنده شيء من ذلك فليتقدم به، وإلا فليسترح ويرح الناس من التلفيقات السمجة، ومن كل متهافت ساقط من الآراء والأقوال.

وهذه الرسالة في موضوع الدراية ضربنا فيها بالشفاعة مثلاً مفصلاً، لا باعتبارها محوراً أساسياً من محاور المنظومة الفكرية والعقائدية الإسلامية فحسب، بل باعتبارها مثالاً أو أنموذجاً في كيفية إعمال منهاج الدراية في مسألة محورية من مسائل العقيدة الإسلامية، أخطأ فيها أسلافنا من محدّثين، ومفسرين، وعلماء

توحيد، وأرباب فرق وجماعات، دونما تحيز إلى هذا الفريق أو ذاك. وشدّدنا على أن يكون الدليل المعتبر في مثل هذه المسائل هو وحده أساس الرفض والقبول.

كما أننا ألحقنا بها نماذج أخرى في الفقه والحديث والتاريخ، حتى تكتمل الصورة، وتستبين خطورة الموقف، وندرك جميعاً **أن غياب الدراية عن عالم التراث كان هو القضية المصيرية الأولى التي واجهت الأمة الإسلامية منذ بدأ فيها التراجع والتخلف والانحطاط.**

فنحن بذلك نريد أن تخرج الأمة، بجميع علمائها وعامتها، من متاهة الفرقية والمذهبية، حيث كوَّن كل فريق منها منظومة إسلامية مزعومة خاصة به، لا يكاد يجمعه، في إطارها وضمن نطاقها أي جامع مع الآخرين، لا في الأصول ولا في الفروع. فالحق عند كل واحد من هؤلاء الناس هو وحده ما تقوله جماعته، والباطل هو ما يقوله غيرهم. وما ذلك كله إلا لفقدان الانضباط العقلي والفكري والتشريعي لدى عامة أرباب الفرق والمذاهب والجماعات، الذين كان ينبغي أن يظل شعارهم الفعلي أنْ لا اجتهاد ولا اختلاف في المحاور والأصول، وأما في الفروع والأحكام **فرأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب، وأن الحق يعلو ولا يعلى عليه، ولا عصمة لأحد إلا لسيد المرسلين، ولا قداسة لكتاب غير قرآن رب العالمين.**

فينبغي والحالة هذه أن يعود الجميع إلى رشدهم، وإلى هدى ربهم، وإلى سنة نبيهم. **وذلك لن يكون إلا بجعل الدليل العقلي في العقائد، والدليل الشرعي المعتبر في الأحكام هما وحدهما أساس الرفض والقبول، في الأصول والفروع.** فلا قال فلان، ولا قال علان، بل ماذا قال ربك، وماذا ثبت عن نبيك. **فلا نقبل في الأصول والعقائد والمغيبات غير الأدلة القطعية التي لا يصح أن يُختلف فيها أو عليها. كما لا يصح أن نقبل في الأحكام الشرعية غير الأحاديث التي صحت رواية ودراية.**

هذا هو السبيل الأوحد لإعادة الوحدة الفكرية الحقيقية للأمة. وذلك حين تصبح القواسم المشتركة في الأصول والفروع واسعة النطاق، راسخة البنيان في عقل الأمة وقلبها، شاملة جوانب الحياة كافة. عند ذلك، نطوي صفحة الاختلافات الفتاكة، ونعود أمة إسلامية واحدة، شكلاً وموضوعاً، قائمة على منظومة فكرية واحدة، قوامة عليها، تسعد بها في دنياها وأخراها، وتحملها رسالة إلى الناس كافة، لتكون رحمة العالمين، في كل زمان ومكان.

مقدمة لموضوع الشفاعة

عشية ظهور الإسلام كان أهل الكتاب من يهود ونصارى، والمشركون في الجزيرة العربية، يدينون كلهم بفكرة الشفاعة، ويحلونها بين معتقداتهم مكانة عَليَّة، ويبوؤنها منزلة رفيعة. ولم يكن يختلف اليهود والنصارى والمشركون العرب في معتقدهم هذا عن أرباب الملل والنحل الوثنية القديمة، كاليونانيين وقدماء المصريين. فلقد كان هؤلاء كلهم جميعاً يقيسون أمور الآخرة على أمور الدنيا، **فيتوهمون أن الله سبحانه، شأنه شأن الحكام الفاسدين في هذه الدنيا، يمكن أن يُغَيّر رأيه، ويفسخ أحكامه نزولاً عند شفاعة المقربين إليه، وأصحاب الحظوة عنده.**

ويبدو أن اليهود كانوا من السباقين إلى تبني هذه الفكرة، فقد كانوا يقولون: "نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ"، ويقولون:" لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً". ومن اليهود انتقلت عدوى الشفاعة إلى المسيحيين، حيث بنى هؤلاء ديانتهم المسيحية بناء كاملا على فكرة الشفاعة، وسموها فداء. وجعلوا من عيسى عليه السلام فاديا ومخلصا لهم، بحيث لو أنهم تخلوا عن فكرة الفداء لما بقى من دينهم شيء. ومن اليهود والنصارى في الجزيرة العربية تسربت فكرة الشفاعة إلى المشركين من عرب الجاهلية، حتى بات هؤلاء يقولون عن أصنامهم: "هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ"، ويقولون: "مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ

لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى". وعن طريق بعض أحبار اليهود الذين أعلنوا إسلامهم أمثال كعب الأحبار، ووهب بن مُنَبّه، وعبد الله بن سلام، وعن طريق بعض قساوسة النصارى الذين كذلك أعلنوا إسلامهم أمثال تميم الداري، سُرِّبت الفكرة إلى المسلمين. فتلقفها بعض الكذابين الذين زعموا أنهم يكذبون للرسول ولا يكذبون عليه، فأغرقوا كتب الحديث بأحاديث موضوعة في الترغيب والترهيب وخاصة في موضوع الشفاعة. واتخذوا من ذلك مادة للمزايدة على اليهود والنصارى. كما تلقفها الزنادقة المغرضون، وراحوا يروّجون لها، لأنهم وجدوا فيها وسيلة ناجعة ، ومنزلقاً خطيراً لدفع المسلمين إلى الإباحية والتحلل من الالتزام بشرع الله، طالما كان المسلم– ببركة هذه الشفاعة– **يحمل بطاقة تأمين شامل ضد الحريق يوم القيامة، أو يحمل جوازاً دبلوماسياً يؤهله لدخول الجنة بلا حساب ولا عذاب.**

فهؤلاء الذين تظاهروا باعتناق الاسلام من كبار الحاقدين عليه، من يهود ونصارى، والموتورين من زنادقة وهدّامين، بالإضافة إلى الجهلة والمغفلين والكذابين المزايدين من أبناء المسلمين، كل أولئك – بحسن نية أو بسوء طوية – عاثوا في فهم الدين فسادا، وأعملوا فيه معاول الهدم والتخريب، بالأحاديث الموضوعة،

والتأويلات الباطلة، وبتأصيل المقولات التي تبطل التنزيل مرة، كما تبطل العقل والتنزيل مرة بعد مرة.

ولقد تصدى الاسلام لفكرة الشفاعة هذه فدحضها، وفنَّدها، وأبان زيفها وبطلانها. وذلك بالتوحيد الخالص، ومعادلة الجزاء والعمل، وأن الذي يشفع للانسان يوم القيامة أو يُرديه، بعد الإيمان الصادق المبني على الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة، إنما هو ما قدمت يداه من عمل صالح وأن ما يرديه كذلك إنما هو ما قدمت يداه من عمل غير صالح، ولا شيء غير ذلك.

ولكن، وعلى الرغم من ذلك، فقد فعلت تلك الدسائس والأهواء والأوهام والأحلام الوردية فعلها في عقول المسلمين وفي أفكارهم. فانزلقوا إلى مستنقع هذه المعتقدات الباطلة، حتى اختلط حابل الاسلام بنابل أعدائه، والتاثت عليهم الأمور، حتى باتوا في أمر الشفاعة في كل واد يهيمون، وفي سرابها يتخبطون.

ولقد تغلغلت فكرة الشفاعة هذه لدى المسلمين في تراثهم الديني، والفكري، والأدبي، وحلت لديهم – على اختلاف مذاهبهم وفرقهم وانتماءاتهم الفكرية والفلسفية – حلول البدهيات والمسلَّمات. حتى إنك لتجد أديبا كبيرا، وشاعرا مرموقاً، مثل أبي العلاء المعرّي، المدّعى بزندقته وكفره بالبعث والنشور، يقول في كتابه "رسالة الغفران": "إن ابن القارح يجتاز الصراط على ظهر فاطمة، ويدخل

الجنة. وأن الأعشى يستشفع الرسول يوم القيامة فيدخل الجنة". علماً بأن الأعشى هذا لم يدخل الإسلام أصلاً. وإنك لتجد كذلك أن كبار المفسرين المتشبعين بفكرة الشفاعة، يفسرون الآيات القطعية الدلالة في موضوع الشفاعة على غير معناها الواضح الصريح، وأحياناً يخصصون مدلولاتها العامة بلا مخصص، فيحمّلونها من المعاني ما لا تحتمل، لا لغة ولا شرعاً. وما ذلك منهم إلا محاولات غير مباشرة للدفاع عن فكرة الشفاعة، التي كانت تسكن شغاف قلوبهم، وتتمطى بين تلافيف أدمغتهم. **فالطبري الذي عاش في القرن الثالث الهجري**، صاحب التفسير المشهور مثلاً، ومن بعده القرطبي وآخرون، وفي معرض تفسير قوله تعالى "وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ" يقولون: "وقد أجمع المفسرون على أن المراد بها النفس الكافرة، لا كل نفس". فهذا منهم تعسف بالغ في التفسير، لأن إجماع المفسرين ليس حجة في دين الله، خاصة، ونحن نعلم، أن بعضهم ينقل عن بعض، من غير تدقيق، ولا تدبر، ولا تمحيص. كما نلاحظ أن الآية عممت بتنكير النفس والطبري وأتباعه يخصصونها في النفس الكافرة، بلا مخصص، لا من السباق، ولا من السياق.

وفي معرض تفسير قوله تعالى: "فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ" يقول الطبري أيضاً:"في هذه الآية دلالة واضحة على أن الله تعالى

ذِكْرُه مُشَفِّعٌ بعض خلقه في بعض". ولا غرو، فالطبري ليس بدعا من المفسرين، سُنِّيهم وشيعيِّهم، قديمهم وحديثهم، كبيرهم وصغيرهم، في شطحاتهم في موضوع الشفاعة. وهو ما اعتبره الطبري ومن تبعه إجماعاً بين المفسرين. وما ذلك إلا لأن هؤلاء المفسرين جميعاً مقلدون له، مسكونون بفكرة الشفاعة، فلا يملكون لأنفسهم منها فكاكاً. فباتوا لا يستطيعون أن يفهموا آيات الشفاعة، مهما كانت دلالاتها، إلا بهذه الخلفية، وهي أن الشفاعة مشاع بين الناس، سائبة لمن هبّ ودبّ. وهي تكريم اعتباطي خارج على قانون العدالة الالهية، يمنحه الله لجميع الناس مجانا بدون أي مقابل، وبدون أي استحقاق، سواء كان هؤلاء الناس شفعاء، أم كانوا مشفوعاً لهم، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

أضف إلى ذلك أن جمهرة المفسرين، وعلى رأسهم الطبري، صاحب التفسير المشهور "جامع البيان في تأويل القرآن" قد غصت كتبهم وموسوعاتهم التفسيرية بالإسرائيليات والإنجيليات وشتى ألوان الموضوعات من مختلف المصادر والانتماءات. وما كان ذلك منهم إلا لأن منهاجهم في تلقي الأخبار والمرويات كان كمنهاج المحدثين، حذو النعل بالنعل، غابت عنه الدراية غياباً كاد يكون تاماً شاملاً. فاعتبروا ان ما صح رواية فقد صح دراية. فوقعوا فيما وقع فيه أساتذتهم المحدثون، من أخطاء فاحشة، ومن إساءات بالغة

إلى كتاب ربهم، وصلت بهم أحياناً إلى تمرير الفواحش والموبقات والضلالات وسائر أنواع المنكرات، من حيث لا يشعرون، بل وهم يظنون أنهم يحسنون صنعاً. غفر الله لنا ولهم، ورزقنا، من بعدهم، السداد والرشاد، ويقظة العقل واستقامة التفكير.

الشفاعة والظن والسلطان والبرهان والعلم واليقين

الشفاعة التي نحن بصددها هي سؤال يتقدم به الشفيع من صاحب الأمر يوم القيامة، وهو الله تعالى، في حاجة يسألها لغيره، وهي أن يطلب منه أن يتجاوز عن الذنوب التي كان قد ارتكبها المشفوع له، بدون أي مقابل، وبدون أي استحقاق، وأن يدخله الجنة مع الصالحين والأبرار.

والشفاعة بهذا المعنى هي من الأفكار المتعلقة بالعقيدة الإسلامية، فينبغي- والحالة هذه- أن تكون يقينية، حيث أن الله سبحانه وتعالى قد حرّم علينا أن نَنْزِل في عقائدنا، وفي أمور الغيب المتصلة بعقائدنا - جملة وتفصيلا- على حكم الظن. والآيات القرآنية في هذا الأمر مستفيضة في كثرتها، قطعية في دلالتها، متعددة في تعبيراتها. فقد استعملت في هذا المجال مفردات العلم والبرهان واليقين والسلطان بمعنى الحجة القاطعة. كما استعملت كلمة الظن في عدد من الآيات لتقريع من يبنون عقائدهم على غير ما حجة قاطعة. وفيما يلي بعض التفصيلات التي تنير الطريق، وتهدي إلى الرشد، بعون الله وتوفيقه:-

I. الظن

كلمة "الظن" في اللغة العربية اسم من أسماء الاضداد، وهي الألفاظ التي يحمل الواحد منها معنيين متقابلين أو متضادين.

فالظن، والحالة هذه، يفيد اليقين ويفيد ما كان ضده. والقرينة وحدها هي التي تحدد أي المعنيين هو المقصود في سياق معين.

وقد وردت كلمة "الظن" في عدد من آيات القرآن الكريم بمعنى اليقين. مثال ذلك قوله تعالى: "إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاَقٍ حِسَابِيَهْ"، وقوله: "وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّواْ أَنَّهُمْ مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفاً"، وقوله: ".... وَظَنُّواْ أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ"، وقوله: "حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَاءَهُمْ نَصْرُنَا"، وقوله: ".... وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ"، وقوله: "كَلاَّ إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ * وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ * وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ"، وقوله: "وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ * تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ"، وقوله: "وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنُّواْ مَا لَهُمْ مِّن مَّحِيصٍ"، وقوله: " وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ * الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ". وقوله: "أَلا يَظُنُّ أُوْلَئِكَ أَنَّهُمْ مَّبْعُوثُونَ"، وقوله: "قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاَقُواْ اللّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةٍ

كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ"، وقوله: "فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُاْ كِتَابيَهْ * إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلاَقٍ حِسَابِيَهْ".

ففي هذه الآيات وآيات أخرى مثلها وردت كلمة "الظن" بمعنى اليقين. وموضوعها كلها هو العقائد وأخبار الغيب. وهي مجتمعة ومنفردة فيها الدليل القاطع على أن العقائد وما اتصل بها من المغيبات يجب أن تبنى على اليقين. فهذا هو المنهاج الذي رسمه الإسلام، وهذا هو طريق الإيمان المطلوب.

وإلى جانب هذه الآيات الكريمات، هناك آيات أخرى عديدة وردت فيها كلمة "الظن" بالمعنى الآخر المضاد لليقين. وموضوعها هو كذلك في العقائد وأخبار الغيب. وهي كلها تذم وتعيب وتُنَدِّد بكل أولئك الذين يبنون معتقداتهم على الظن، بكل ما تحتمله كلمة الظن من معانٍ، سواء كان معنى الظن هو التصديق غير الجازم، أم كان معناه الاحتمال، أو الشك والتخمين، أو الوهم، أو التخرص، أو الهوى. فالنتيجة واحدة بالنسبة لهذه المعاني التي تندرج تحت اسم الظن. فالمعتقدات المبنية على الظن – والحالة هذه – تفتقر افتقاراً تاماً إلى اليقين، لأنها غير مبنية على أي دليل يقيني أو حجة قاطعة. مثال ذلك:

١. قوله تعالى في حق الكفار والمشركين: "إِنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلاَئِكَةَ تَسْمِيَةَ الأُنْثَى * وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن

يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً". فهذا منهم تطاول على الغيب من غير أن يستندوا في عقيدتهم تلك إلى حجة قاطعة. فالآيات هنا قد نفت عنهم العلم، والعلم هو الحجة القاطعة، وهو عكس الظن في هذا السياق.

٢. وقوله تعالى: "وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً * بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ".

الآية هنا تتحدث عن مسألة صلب المسيح عليه السلام، كما يعتقد أتباعه. ورغم أن الصلب بحد ذاته كان حقيقة واقعة، وليس أمراً متوهما أو تخميناً أو شكاً أو تخرصا، إلا أن المصلوب لم يكن هو المسيح، بل شُبِّه لهم أنه هو المسيح. فالتبس عليهم الأمر، ولم يتأكدوا بالدليل القاطع من حقيقة الأمر، فأصبحت عقيدتهم بصلب المسيح ظناً منافياً لليقين، لا تقوم عليه حجة قاطعة، ولذلك قال تعالى: "وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً".

٣. وقوله تعالى: "أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى * أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنْثَى * تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى * إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنَزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَى".

وهنا تتحدث الآيات في سورة النجم عن تطاول المشركين على مسألة غيبية، من غير أن يستندوا في عقيدتهم تلك إلى سلطان من

الله، يعني حجة قاطعة تلقوها عن الله تعالى. وهم . في ذلك . إنما كانوا يتبعون الظن، وهو عكس السلطان الذي هو الحجة القاطعة، كما قال تعالى: "مَّا أَنَزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ". وظلوا مصرّين على الظن وما تهوى أنفسهم. وذلك ما أفقدهم النزاهة في طلب الحقيقة، كما افقدهم المنهاج الفكري السليم الموصل إلى الاعتقاد اليقيني الصادق.

٤. وقوله تعالى: " أَلا إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي السَّمَاوَات وَمَنْ فِي الأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ".

فهذه الآية تناولت مسألة اعتقادية تنفي وجود شركاء لله في الأرض أو في السماء، لا من حيث الخلق أو الإيجاد، ولا من حيث التدبير والتسيير. والذين اعتقدوا غير ذلك إنما كانوا متوهمين يتبعون الظن، وهو هنا الاعتقاد الكاذب الذي لا يقوم عليه دليل، ولا حتى شبهة دليل.

٥. قوله تعالى: "وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ".

فهذه الآية تقرر أن أكثر الناس إنما يتّبعون الظن في معتقداتهم. وهو ظن لا يستند إلى حجة قاطعة تحمي الإنسان من الزيغ والضلال. فهم . والحالة هذه . إنما يكذبون على أنفسهم وعلى

غيرهم، طالما أنهم لم يبنوا معتقداتهم على البراهين الساطعة والأدلة القاطعة.

٦. وقوله تعالى: "وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ".

وهذه دعوى متعلقة بمسألة من مسائل الغيب، وهي البعث والنشور. فهم قد أنكروا الحياة الأخرى بغير علم أو دليل، يعني لا يملكون أي دليل أو حجة قاطعة على صدق دعواهم، لأنهم يقولون بغير علم.

٧. وقوله تعالى: "سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم حَتَّى ذَاقُواْ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إَلاَّ تَخْرُصُونَ".

هذه الآية اشكلت على بعض الدارسين: فهي في نظرهم لا تقتصر على ذم المشركين لاتباعهم الظن في مجال العقيدة "لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا"، بل تتعدى ذلك إلى ذمهم لإتباعهم الظن في مجال الأحكام الشرعية "ولا حرّمنا من شيء". فصاروا يقولون إنه إذا صح أن يكون الظن مذموماً في معرض الاعتقاد فإنه كذلك مذموم في مجال أخذ الأحكام الشرعية التي يزعم كثير من المشتغلين بالعلوم الشرعية بأن أخذها بطريق الظن جائز، بل واجب.

والمدقق في هذه الآية يدرك إدراكاً لا لَبس فيه ولا غموض أن السياق فيها يشير إلى مبدأ التحريم والتحليل، وليس إلى تحريم شيء بعينه. والمؤمنون الذين لا يشركون بالله شيئاً يؤمنون كذلك بأن التحريم والتحليل إنما هو شأن رباني خالص، وليس متروكاً للإنسان يفصله كيف يشاء، إتباعاً للهوى والغرض والتخمين. وعند المؤمنين أن من ينصِّب نفسه مشرعاً من دون الله، يُحَرّم ويُحَلِّل كيفما طاب له، فقد فسدت عقيدته، وكفر بما أنزل على محمد.

فصعيد المسألة في هذه الآية ليس هو أخذ حكم معين حرام، أو ترك أمر معين واجب. وإنما **هو من قبيل حق التحريم والتحليل ابتداء**. وسياق الآيات من ١٣٥ – ١٥٣ من سورة الأنعام ترد على الكفار والمشركين بأنهم قد حرّموا واحلّوا حسب رغبتهم، وليس انصياعاً لأمر الله ونهيه. وبهذا الصدد يقول تعالى: "قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا"، يعني هاتوا شهداءكم الذين تقوم بهم الحجة الدامغة على صدق ما تزعمون. ثم عقّب تعالى على ذلك بقوله: "فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ، إنّ الله لا يَهدِي القَوْم الظَالِمين".

وبعد، فهذه آيات كثيرة تطرق قسم منها إلى "الظن"، بمعنى اليقين، للدلالة على أن أمور الاعتقاد وما اتصل بها من غيبيات يجب أن تبنى على أدلة قاطعة موصلة إلى اليقين، كما تطرق القسم الآخر

إلى الظن، بمعنى عدم اليقين، للتنديد بأولئك الذين يتبنون عقائد وغيبيات لا تستند إلى أدلة قاطعة موصلة إلى اليقين.

والعبرة في هذه الآيات أنه إذا كان الأخذ بالظن، الذي يفتقر إلى اليقين، في موضوع العقائد والغيبيات، أمراً مستقبحاً ومرذولا ومستنكراً في حق الكفار والمشركين ومن لفّ لفهم، فإنه . ولا ريب . لأعظم قبحاً، وأشد عاراً على اي مسلم لا يبني عقيدته وما اتصل بها من أمور الغيب على الأدلة القاطعة والحجج الساطعة التي توصله إلى اليقين والإيمان الراسخ، محاذراً أن يقع في حبائل الظن المضاد لليقين، سواء ورد الظن على معنى الوهم، أو التخمين، أو ترجيح أحد احتمالي الدلالة، بلا حجة بينة أو دليل قاطع.

II. السلطان

السلطان في لغة العرب هو الحجة والبرهان. قال تعالى: "فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ"، يعني دليلاً قاطعاً تقيمون به الحجة علينا. وقد وردت كلمة السلطان بهذا المعنى في العديد من آيات الكتاب:

قال تعالى: "أَتُجَادِلُونني فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ مَّا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ" وقال: "الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ايَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ امَنُواْ". وقال: "سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُواْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً"، وقال تعالى: "وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً"، وقال: "إِنْ عِندَكُمْ مِّن سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ"، وقال: "مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَابَاؤُكُمْ مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ"، وقال: " إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ايَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلاَّ كِبْرٌ"، وقال تعالى: "وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً".إلى غير ذلك من الآيات العديدة الأخرى التي تجعل من الاتباع في أمور العقيدة والغيب بدون سلطان، بمعنى الحجة القاطعة الفاصلة، أمراً معيباً مرذولاً.

III. البـرهان

قال تعالى: "وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَـهًا اخَرَ لاَ بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ"، وقال: " تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ"، وقال: " أَمِ اتَّخَذُواْ مِن دُونِهِ الِهَةً قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ"، وقال:"أَإِلَـهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ"، وقال: " وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً فَقُلْنَا هَاتُواْ بُرْهَانَكُمْ".

فهذه الآيات صريحة في ذم الإتِّبَاع بغير برهان. والبرهان هو الدليل القاطع الذي يوصل إلى اليقين، ويقتضي الصدق أبدا لا محالة، لأن الدليل الظني لا يكون برهانا، فلا تقوم به حجة في الموضوع الذي تناولته الآيات، وهو العقيدة والغيبيات.

IV. الـعلـم

في معرض تحدي الكفار والمشركين في مزاعمهم المتعلقة بالعقائد والغيبيات طلب الله منهم، في العديد من الآيات، أن يخرجوا ما لديهم من علم يبرهنون به على صدق أقوالهم، أو صحة مزاعمهم. والعلم في هذه المواضع إنمايعني الدليل القاطع أو البرهان الساطع، مثال ذلك:

١. قال تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلاَئِكَةَ تَسْمِيَةَ الأُنْثَى * وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ"، يعني لا يملكون حجة قاطعة يدللون بها على صدق مزاعمهم.

٢. وقال تعالى: "وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ"، يعني أن من يزعمون أن المسيح قد صلب، لا يملكون علماً، أي حجة قاطعة يدللون بها على صدق دعواهم، وإن هم إلا يظنون.

٣. وقال: "سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم حَتَّى ذَاقُواْ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا؟" يعني هل لديكم حجة دامغة تبرهنون بها على صدق مزاعمكم.

٧. اليقين

قال تعالى: "يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ"، وقال: "وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ"، وقال: "وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ"، وقال: "الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ"، وقال تعالى: "وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ"، وقال: "كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ".

فهذه الآيات البالغة الكثرة التي نهت عن الظن في أمور العقائد والغيبات، وشددت على طلب العلم والبرهان واليقين والسلطان في مجال أخذ العقائد والغيبيات، فيها الدليل القاطع، مجتمعة ومنفردة، على أن العقائد لا يصح فيها غير الأدلة القطعية. فهذه الكلمات، أعني اليقين والعلم والبرهان والسلطان والظن على أحد معنييها، لا تعني إلا الدليل القاطع، لأن الدليل في هذا الموضوع إن لم يكن قطعياً فلا تقوم به حجة أبدا. فإن كان لا يفيد غير الاحتمال . مهما كانت قوة الاحتمال كحديث الآحاد الصحيح . فإنه يخضع لقاعدة الاحتمال يسقط الاستدلال.

صفوة القول **إن اليقين في موضوع العقيدة الإسلامية هو بدهية عقلية وشرعية** لا مراء فيها، لأن العقيدة هي الأساس الذي يقوم عليه البنيان الفكري والتشريعي في الإسلام، باعتبار أن الإسلام هو منظومة فكرية شاملة متكاملة من حيث أصولها وفروعها. وبقدر ما يكون الأساس راسخاً مكيناً في وعي أصحابه وعقولهم يظل البناء شامخاً حصينا منيعا في وجه التحديات، والاختراقات، والهجمات المعاكسة.

واليقين في موضوع العقيدة الإسلامية لا يمكن بلوغه إلا من طريق الأدلة القطعية، بخلاف الأدلة الظنية، مثل أخبار الآحاد، فإنها ليست طريقا موصلا إلى اليقين. لأن أحاديث الآحاد الصحيحة ظنية

في ثبوتها حتى ولو كانت قطعية في دلالاتها. فهي وإن **صلحت ووجبت** أن تكون مصدراً لتشريع الأحكام من عبادات ومعاملات، وفلسفة حكم، وأنظمة اقتصاد، واجتماع، وعقوبات، وعلاقات دولية، فإنها لا تنهض لأن تكون حجة أو دليلاً في موضوع العقائد وأخبار الغيب المتصلة بالعقائد. فالأخبار الظنية لا يمكن أن تكون مصدراً لليقين، لأن اليقين لا يتولد إلا من رحم اليقين. **وفي أمور الغيب وسائر أمور العقيدة الإسلامية السمعية** – يعني تلك التي وردت في الأدلة النقلية وهي الكتاب والسنة، ولا يمكن إثباتها بالأدلة العقلية– **تنحصر الأدلة القطعية النقلية في مصدر واحد فقط لا ثاني له، وهو آيات القرآن الكريم القطعية الدلالة**، أي تلك التي لا تحتمل إلا وجهاً واحداً من وجوه الدلالة. لأنه لا يوجد في موضوع العقيدة وأخبار الغيب المتصلة بها أية أحاديث متواترة (قطعية الثبوت) حتى تصلح أن تكون أدلة في السمعيات، كما يدل على ذلك استقراء السنة في جميع مصادرها.

ولا يقال هنا إن كتب العلماء السابقين في العقيدة وأخبار الغيب، لا نكاد نجد كتاباً واحداً منها اقتصر على الآيات القرآنية وحدها، بل كلها غاصة بأحاديث الآحاد، لا يقال ذلك لأن الحجة الشرعية ليست في أقوال العلماء، قلّوا أم كثروا، بل هي في الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة التي اعتمدوها لإقامة الحجة على صحة

أقوالهم. فالأكثرية والأقلية ليستا هما معيار الحق والصدق والصواب، قال تعالى: "وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ"، وقال: "وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ". فجمهرة العلماء، مثلاً، مجمعون على اعتبار الشفاعة عقيدة إسلامية لا جدال فيها، ونحن نقول إنها عقيدة إسرائيلية إنجيلية هدامة، لا تمت إلى الإسلام بصلة، لا من قريب ولا من بعيد. فالخطأ، مثلما هو جائز في حق الفرد، فكذلك هو جائز في حق الجماعة، ومثلما هو جائز في حق الأقلية فهو كذلك جائز في حق الأكثرية. فليس من أحد في هذه الدنيا بمعصوم من الخطأ غير الأنبياء والمرسلين، كل ضمن حدود الوحي الذي أنزل عليه.

الآثار الفتاكة الناجمة عن عدم تحري اليقين في العقائد والغيبيات

كان لعدم تحري القطع واليقين في موضوع العقائد والغيبيات لدى الأمة الإسلامية، عبر العصور، عواقب وخيمة، وآثار هدامة، سددت ضربات باطشة للأسس والمحاور التي بنيت عليها المنظومة الفكرية الإسلامية. فكان ذلك سبباً رئيساً في اختلافهم وتفرقهم وتنازعهم، في أصول الدين ومحاوره، التي ما كان يجوز لهم أن يختلفوا فيها، أو عليها. وهذا أدى بدوره إلى ظهور الفرق المتنابذة المتناحرة المتقاتلة على أمور بدهية مفروغ منها، بعضها ينتمي إلى عالم الشهادة، وبعضها الآخر ينتمي إلى عالم الغيب.

وقد لعبت هذه الفرق، التي كانت تزعم كل واحدة منها أنها هي وحدها الفرقة الناجية، دوراً رهيباً في ضرب الوحدة الفكرية لدى الأمة الإسلامية، وفي إضاعة البوصلة الفكرية لدى النخبة المتعلمة التي كان واجبها، على مر العصور، أن تكون قوّامة على الفكرة الإسلامية، تحرسها من عبث العابثين، ومن تطفل الجاهلين، ومن دسائس المغرضين. وقد نتج عن ذلك أن أصيبت الأمة في مجملها، وعلى رأسها الطلائع المتعلمة، بإعاقة فكرية بعيدة المدى، إذ حوّلت عقلية الأمة، بجميع فرقها وطوائفها، وعلى مر عصورها، إلى عقلية خرافية،

تتقبل كل مقولة عقائدية أو غيبية أو حتى دنيوية، لا يقبلها العقل السليم، ولا تجوز في النقل القويم. كما زعزعت القدرة لديها على التمييز بين ما هو صواب وما هو خطأ، وبين ما هو حق وبين ما هو باطل، وبين ما هو حقيقي وما هو أسطوري. فأضحت، على وجه العموم، محرومة من الإحساس المرهف، لا تحس بالشذوذ العقلي والتناقض الفكري بين الثوابت القطعية، ونقائضها من الأطروحات الباطلة المزعومة.

وقد نجم عن ذلك كله أن **فتحوا أبواباً واسعة للتعسف في التأويل،** من أجل تمرير تلك الأباطيل والأساطير والأحاديث البعيدة كل البعد عن الحق والصدق والصواب. وصاروا يمتطون قوارب الظن والأوهام ليقطعوا دابر الحق واليقين، ويغرقوا سفينة كتاب رب العالمين. فصار الواحد يمر مثلاً بحديث أورده البخاري ومسلم في صحيحيهما يزعم أن اليهودي لبيد بن أعصم قد **سحر الرسول** حتى بات الرسول يقول الشيء ولا يدري أنه قاله، ويفعل الشيء ولا يدري أنه فعله، ولا يدرك أن هذا الحديث قد صمم لضرب مصداقية الرسول في تبليغ الوحي، مع أن القرآن الكريم يقول: "يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ". فلا يستطيع يهودي، ولا سائر يهود العالم أن يسحروا الرسول، أو يَخْرقوا عصمته، أو يُضَيِّعوا عقله ووعيه.

وصار المسلم يخوض الحروب باردة وساخنة من أجل **قرشية الإمام**، سواء كان هذا الإمام قرشياً هاشمياً، أم قرشياً علوياً، أم قرشياً أموياً، أم قرشياً عباسياً، أم قرشياً فاطمياً، مع أن كتاب ربه يقول: "إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عَندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ"، وسنة نبيه تقول: "**لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى**"، و"**إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وفخرها بالآباء، كلكم لآدم وآدم من تراب**". **فالقرشي لا يولد وعلى رأسه ريشة حتى يكون صاحب حق إلهي في حكم البشر.**

وصار يؤمن برجعة المسيح لإصلاح العالم، مع أن كتاب ربه يقول: "مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ"، فلا نبي بعد محمد، فهو خاتم الأنبياء والمرسلين، ولا شريعة بعد شريعته، فهي خاتمة الشرائع ومهيمنة عليها. فعيسى عليه السلام لن يرجع، لا بشريعة محمد، ولا بشريعة أخرى، فقد انتهى دوره بعد رسالة محمد، وطويت صفحته وصفحات سائر الأنبياء والمرسلين إلى يوم القيامة. "تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ".

وصار يؤمن بظهور المهدي الذي يملك عصا سحرية تُمكُنه من القضاء على الكفر والشرك والفساد والفقر والبؤس في شتى أرجاء المعمورة، في سنوات لا تتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة. علماً بأن هذا المهدي المزعوم ليس نبياً أو رسولاً حتى يبعثه الله برسالة سماوية، بعد محمد صلى الله عليه وسلم، يتفوق فيها على سائر أنبياء الله

ورسله، منذ آدم وحتى محمد، مجتمعين ومنفردين. هذا علماً بأن حكاية المهدي، من أولها إلى آخرها، لا تعدو أن تكون من الأكاذيب الإسرائيلية الكبرى التي لا يجوز أن تنطلي على من صح عقله وصح دينه.

وصار يؤمن بظهور الأعور الدجال، وأن هذا الدجال يملك من كبريات المعجزات ما لم يكن يملكه أحد من الأنبياء والمرسلين من قبل، حتى إنه ليتفوق على عيسى عليه السلام في معجزة إحياء الموتى: فعيسى دعا ميتاً فقام له، وأما الأعور الدجال فيدعو رجلاً ممتلئاً شباباً وحيوية فيضربه بالسيف فيقطعه نصفين، ثم يدعوه فيقبل عليه ويتهلل وجهه ويضحك. فهو بذلك قد أمات وأحيا متخطياً بذلك عيسى الذي أحيا ميتاً ولم يُمته. ثم إن هذا الدجال كان يأمر السماء أن تمطر على الذين يؤمنون به فتمطر، كما يأمر الأرض أن تنبت لهم فتنبت. وأما الذين لا يؤمنون به فيصبحون مُمْحِلين، ليس بأيديهم من أموالهم شيء. ثم إن هذا الدجال كان يمر بالخربة فيأمرها أن تخرج كنوزها فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل.

فهل ـ يا ترى ـ كان الله يزود رسله وأنبياءه بالمعجزات ليقطع بها دابر الشك في صدق نبواتهم، ويقيم الحجة بها على منكري رسالات ربهم، لحملهم على اختيار طريق الهدى والرشاد، كي يظفروا برحمة الله للعالمين، أم كان يزود بها الدجالين والمشعوذين لتضليل عباده،

وفتنتهم عن هدايته ورحمته؟! فالدجال بهذه المواصفات المزعومة قد تخطى المعجزات، وحلّ محل الله سبحانه وتعالى في التحكم بأرزاق العباد وأقواتهم، وفي التحكم بقوانين الطبيعة والسنن الكونية، فينزل الغيث على من يشاء ويحرم منه من يشاء.

لا ريب أن الإنسان، أي إنسان، **يحتاج إلى عقل متقاعد من جميع وظائفه** حتى يصدق بهذه الأكاذيب والضلالات والخزعبلات، فكيف بالمؤمنين برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، والمهتدين بهديه، والمعتصمين بحبله المتين، وثوابته في الحق واليقين.

وصار طلاب العلم يقرؤون في كتاب "**مناقب الإمام أحمد**" **لابن الجوزي** أن النبي إلياس، والملَك الموكل بجزائر البحار، يبعثان له السلام مع البحارة، وأن نظرة من الإمام أحمد تعدل عبادة سنة، وأنه يرى الشيطان ويكلمه، وأنه يأمر النمل بالخروج من داره فيخرج، وأن النخلة تحمل حين يضع قلمه فيها، وأنه رأى الله في منامه، إلى غير ذلك مما تقشعر له العقول والأبدان، نقول: صار طلاب العلم يقرؤون ذلك فما يزيدهم إلا إكبارا وتعظيماً لإمامهم أحمد بن حنبل، ولمن أحاطه بهذه الهالة من السخافات والخرافات والمعجزات التي فاق بها سائر الأنبياء والمرسلين.

وصار يؤمن بالشفاعة ويعتبرها من المسلمات، دون أن يحس بأن الإيمان بالشفاعة يعني، بكل بساطة، أن الالتزام بأحكام الإسلام

أمر لا لزوم له، طالما أن الفسقة الفجرة المجرمين سوف يدخلون الجنة مع النبيين والصديقين والشهداء والأبرار، دون عقاب أو عذاب، ودون أن يحس بأن أحاديث "شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي" سوف تجعل الدين سُلَّما للفجور، ومطية للرذائل. فأهل الضلال سوف يتسابقون لنيل حظهم الأوفى من الفواحش والموبقات حتى يظفروا بشفاعة المصطفى عليه السلام، وأن تكون شفاعته مجزية تتناسب مع هول الجرائم والسيئات التي ارتكبوها.

وهذا **الضياع الفكري**، مَرَّده في الأصل إلى سيطرة مناهج الرواية على عقلية المشتغلين بالتراث، وغياب منهاج الدراية في التفكير غياباً كاد يكون تاماً. هذا بالإضافة إلى غياب النخبة والدولة عن أداء دورهما في حراسة المبدأ، والقوامة عليه، غياباً كاد يكون تاماً كذلك. فقد أخذ التقليد منهم كل مأخذ، حتى صار الواحد منهم يستمد مصداقية أطروحاته من قال فلان، وقال علاّن، واتفق العلماء، وتلقت الأمة ذلك بالقبول والتسليم، إلى غير ذلك من المعزوفات الجوفاء التي لا يقبلها عقل، ولا يجيزها نقل. **وذلك كما فعلوا مع صحيح البخاري مثلاً حين زعموا أنه أصح كتاب بعد كتاب الله، وأن الأمة قد تلقته بالقبول والتسليم، فلا مأخذ عليه، ولا مطعن فيه. فهو مبرّأ من عيوب الرواية، بل وربما الدراية، وليس فيه حديث واحد غير صحيح.**

كتب الصحاح

والحقيقة أن **صحيح البخاري أو صحيح مسلم** أو غيرهما من كتب الحديث وسننه ومسانيده ليست أكثر من جهود بشرية بذلت في جمع الأحاديث وتمحيصها، وفق قواعد الرواية التي وضعوها هم، وأطلقوا عليها اسم "**علم مصطلح الحديث**"، دونما أي اعتبار لمنهاج الدراية الذي يقوم على محاكمة المتون، وردها إلى القطعيات القرآنية، والسنن الكونية، والواقع المدرك المحسوس، والحقائق العلمية القطعية، والوقائع التاريخية القطعية، وفطرة الله التي فطر الله الناس عليها أفراداً وجماعات ومجتمعات. ووضعوا قواعد تبرر لهم هذا الخلل الفادح، وهذا النقص الفاحش في منهاج الرواية وحده، مثل: "**من أسند فقد سَلِمَ، وما صح سنده صح متنه**". وكان عليهم أن يعتمدوا منهاج الدراية حاكماً على منهاج الرواية ومهيمناً عليه، حتى تستقيم الأمور، ويستتب الأمن في ربوع عالم الحديث. فلا يعلق أحد أوسمة في غير محلها على هذا الكتاب أو ذاك من كتب المُحَدِّثين. **علماً بأن أحداً من أصحاب تلك الكتب نفسها لم يزعم أبداً بأن كتابه هو أصح كتاب بعد كتاب الله.** فتلك كانت مؤامرة كبرى على دين الله، أو جهلاً وتعصبا ذميماً، كما **ورد عن ابن الصلاح** قوله: إن ما أخرجه الشيخان، أو أحدهما، فهو مقطوع بصحته، لأن الأمة، حيث تلقتهما بالقبول، فكأن هذا إجماع على صحتهما، وأن كل ما فيهما صحيح

سنداً ومتناً. وشبيه بذلك **موقف ابن حجر العسقلاني وابن حزم** وأضرابهم. فهولاء المروجون قد زعموا أن جهود البشر المتمثلة في بعض كتب الحديث، معصومة عصمة القرآن نفسه، وأنها وحدها تمثل النسخة المعتمدة للسنة النبوية، علماً بأن هذه الكتب والمسانيد قد جمعت ووضعت في القرنين الثاني والثالث الهجري، وأن الأمة الإسلامية في مختلف مناحي حياتها الإسلامية قد عاشت بدونها عقوداً طويلة. فليس مجرد ورود أي حديث فيها هو دليل على أن هذا الحديث قد حصل على شهادة ميلاد تثبت له صحة النسب. فالغث لا يمكن أن يصبح سميناً بكثرته، ولا الزبد كذلك، ماء جارياً سائغاً للشاربين بكثرته....

فالبخاري مثلاً لم يرتكب جناية حتى تصدر في حقه مؤلفات مثل كتاب "جناية البخاري: إنقاذ الدين من إمام المحدثين"، وإنما الذي ارتكب الجناية هو من علّق على كتاب "صحيح البخاري" وسام استحقاق من الدرجة الأولى، واعتبره أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى، وزعم أن الأمة بجميع علمائها وفصائلها وفرقها قد تلقته بالقبول والتسليم، وأنه ليس فيه حديث واحد ضعيف. علماً بأن البخاري كغيره من المحدثين، أصحاب كتب الحديث المعتبرة، أصابوا وأخطأوا، ولم يَدَّع أحد منهم العصمة في تصحيح الأحاديث، أو تضعيفها، أو القول بأنها موضوعة، يستوي في ذلك البخاري ومسلم، وسائر أصحاب

السنن والمسانيد، والموطأ وغيرهم. فلو جاز لنا أن نعتبر أخطاء البخاري – مثلاً – في موضوع التعامل مع الأحاديث والمرويات جناية من الجنايات فإن ذلك سوف ينطبق على موطأ مالك، ربما أكثر بكثير مما ينطبق على صحيح البخاري. فموطأ مالك، مثلاً، كان هو المصدر الرئيس للبخاري في معظم الأحاديث الموضوعة، الساقطة دراية، في العقائد والغيبيات، وحتى في بعض أحاديث الأحكام الواردة في صحيحه. فعامة المحدثين، والحالة هذه، لو صح الاتهام، هم في الجناية سواء، لا فرق بين مشهورهم ومغمورهم، أو بين كبيرهم وصغيرهم، أو بين عربيّهم وأعجميّهم.

غير أن المحدثين، حين اعتمدوا في مناهجهم اعتماداً كان يكون كلياً شاملاً، على ظاهر أحوال الرواة، لتزكيتهم وتعديلهم، أو لتجريحهم وإسقاط عدالتهم، فقد وقعوا في أخطاء كثيرة، كبيرة وصغيرة، يسيرة وخطيرة.

وذلك لأن إثبات عدالة الرواي أو توهينها وإسقاطها، هو أمر نسبي بين الناس غاية النسبية، يكاد يتعذر فيه اليقين والموضوعية. فالجرح والتعديل، في هذه الحال، إنما يستند إلى موازين بشرية، وعلم محدود، وليس إلى علم إلهي بالغيب غير محدود.

وهذه القواعد أو الموازين أو المعايير قد تصيب أحياناً، ولكنها تخطئ في أحيان أخرى كثيرة، لأنها تعتمد على ظاهر حال الراوي. أما ما ينطوي عليه الباطن، تصديقاً للظاهر أو تكذيباً له، فلا يحيط بعلمه إنسان، كائناً من كان. فإيمان الراوي أو كفره، وصدقه أو كذبه، وإخلاصه أو اندساسه، لا يعلم حقيقة أمر ذلك كله إلا الله وحده، سبحانه وتعالى.

ولذلك كان احتمال الخطأ في تقييم أحوال الرواة أمراً حتمياً لا مفر منه. **إذ لا يمكن أن يبلغ التقييم أو الشهادة في عدالة الراوي درجة القطع واليقين،** لأن أحوال الباطن تشكل بعداً خطيراً، غائباً غياباً تاماً في عملية التقييم.

ولا عصمة لأحد في هذا المضمار، بالغة ما بلغت مؤهلاته وتجاربه ومحاولاته. فما تخفيه صدور الناس، وما ينطوي عليه باطنهم، وما يمارسونه في الخفاء بعيداً عن أعين الآخرين، أمور لا يعلم سرّها إلا الله تعالى وحده، لا شريك له فيها. وكثير ممن ظاهرهم غير باطنهم، يتمتعون بقدرات فائقة في التمثيل، وفي ممارسة ازدواجيه في الشخصية، تخفى حتى على أقرب الناس إليهم، وأكثرهم التصاقاً بهم. فالسر والعلانية ظاهرة واضحة شائعة في حياة البشر، مهما كات انتماءاتهم أو معتقداتهم، وآثارها ماثلة للعيان، في كل زمان ومكان.

وهنا يقع طلاب الحقيقة في مطبات الجرح والتعديل، وفي منزلقات أخذ الرواة على ظاهر صلاحهم وتقواهم، التزاماً بقاعدة "**الأصل براءة الذمة**" وقاعدة "**نحن لنا الظاهر والله يتولى السرائر**".

فعلى الرغم من أن أصحاب الصحاح والسنن والمسانيد من المحدثين قد وقفوا حياتهم على رسالة خدمة السنة والحديث، وبذلوا في سبيل ذلك كل غالٍ ونفيس، وأخلصوا في أمرهم هذا إخلاصاً لا يرتاب فيه منصف، وذلك كيما يقدموا لأمتهم سنة نبيهم وأحاديثه وسيرته، طاهرة نقية، لا تشوبها شائبة، على أطباق من ذهب، نقول إنهم على الرغم من ذلك كله، ومن كل النوايا الحسنة التي كانت تعمر قلوبهم، فإنهم قد وقعوا في أخطاء كبيرة وخطيرة، **لا منجي لنا منها اليوم، ولا منقذ لنا من ضلالها، غير الدراية أولاً، والدراية ثانياً، والدراية أخيراً.**

والوقوع في الخطأ بالنسبة لكل من انتهج **سبيل الرواية بلا دراية** في فحص متون الروايات وتمحيصها، لم يكن أبداً وقفاً على جهود المحدثين الأولين وحدهم. بل هو ظاهرة دائمة لا تتخلف لدى كل باحث عن الحقيقة، قديماً أو حديثاً، يقف عند حدود الرواية ويغفل الدراية، فلا يقيم لها وزناً، أولا يلقي لها بالاً.

ولذلك كان حتماً مقضياً على الباحثين عن الحقيقة في التراث، **أن يعتصموا بحبل الدراية جنباً إلى جنب مع حبل الرواية**، حتى يسير

علم مصطلح الحديث على رِجْلين، بعد أن كان، عبر العصور المتطاولة، أعرج لا يستطيع أن يمشي إلا على رجل واحدة.

من هنا فإن الخطأ الوبيل الذي تجاوز حدود المحدثين، ومن دار في فلكهم، هو عدم قيام ثلة من أولي البصائر والألباب، عبر العصور، للكشف عن الأسباب المحورية الفاصلة التي كانت وراء هذا التخبط، والاضطراب، والتخليط، والتناقض في المنقولات الخبرية التي تردّى في حمأتها جمهور المحدثين، والمفسرين، والمؤرخين، وكتاب السيرة، وحتى الفقهاء. ثم من بعد معرفة الأسباب ومواطن الخلل يوضع منهاج شامل لمراجعة المعطيات الحديثية كافة، ومراجعة غيرها من جوانب التراث اللازمة المهمة، على أساس الدراية جنباً الى جنب مع الرواية.

وعليه، فإن قضيتنا الكبرى، في الأمس واليوم، ليست هي تجريم او تكفير الخاطئين، ممن هم بيننا او من بين أسلافنا الأولين. فذلك لا يفيدنا، ولا يقدم لنا شيئاً على طريق تمحيص التراث وتطهيره. ولا يفيدنا كذلك في عملية تحرير عقلية الأمة من الخطأ والانحراف، والسخافة والخرافة، وإعادة بنائها على محاور الإسلام وثوابته القطعية. بل لعله يشغل بال المصلحين عن قضيتهم الكبرى، ويردهم ثانية الى متاهة تكفير الآخرين وتجريمهم. وهذا لن يؤدي إلا الى المزيد من

الفرقة والاختلاف، والمكابرة والمغالطة، والتمترس وراء الباطل والضلال المبين.

إن قضية الأمة الكبرى اليوم، وكما كانت بالأمس، **هي إيقاظ العقل وتحريره، وتصحيح موازين الفكر والإدراك لدى النخبة خاصة، وجمهور الأمة عامة**. وليس من سبيل الى ذلك إلا بالعودة الى منهاج الدراية في التفكير، لتصحيح محاور الدين وأصوله وقواعده وجُلِّ أحكامه لدى عامة المسلمين، عالمهم قبل جاهلهم، ومتعلمهم قبل أميّهم. فالكل في غفلة مذهلة عن الحق والصواب واليقين في منظومتهم الفكرية الإسلامية.

وإلى جانب عملية تصحيح مفاهيم الناس، وتقويم أفكارهم، هنالك **عملية تصحيح وتطهير مصادر تلك المفاهيم والأفكار**، نعني بها مجمل تراثنا من الحديث والتفسير والسيرة والتاريخ.

وانطلاقاً من مصادر التراث الصحيحة، ومن خلال منهاج الدراية القويم نستطيع ان نوجد الإيمان الصادق، والوعي العميق المستنير، على قواعد الإسلام وأركانه، ومرتكزاته الفكرية، ومحاوره القطعية. ثم من بعد ذلك منظومته الأخلاقية والتشريعية. فهذا هو السبيل الأوحد لتطهير أدمغة الأمة وقلوبها من التلوث الذي أصابها، عبر العصور، في فكرها وفي طريقة تفكيرها. وذلك حين استطاع أعداؤها الدساسون الحاقدون على الإسلام وأهله، والمارقون من الدين،

والجهلة، والمتطفلون، والمتخلفون عقلياً وعلمياً، والأغبياء المتعصبون لدينهم، ان يجعل كل هؤلاء من أنفسهم مرجعيات دينية، لا نقول إنها مرجعيات في فهم النصوص الشرعية والمرويات التراثية فحسب، بل مرجعيات في تأليف نصوص شرعية مزورة، او مرجعيات في قبول أو رفض المرويات والنصوص الشرعية، حسب ما تمليه عليهم أهواؤهم وأغراضهم الهدّامة، وذلك دون أن يستندوا في ذلك القبول أو الرفض إلى الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة في العقائد والغيبيات وأصول الدين وأركانه ومحاوره. فشرعوا من الدين ما لم يأذن به الله، وعاثوا في دين الله وفي تراث الأمة فساداً وإفساداً، حتى غدا إسلام الواحد منهم غير إسلام الآخر، ودين هذه الفرقة غير دين الأخرى.

وحتى يعود الوعي الحقيقي لدى المؤمنين كافة بأن الإسلام، كما أنزله الله تعالى على رسوله، هو دين واحد، وليس قصاصات، استحوذ كل فريق منها على قصاصة، جعل منها له دينا وشرعة ومنهاجاً، بل وحتى قرآناً خاصاً به، على إحدى القراءات السبع أو العشر المزعومات، نقول ينبغي أن يتوحدوا جميعاً على القواسم الأساسية المشتركة القطعية التي بنيت عليها المنظومة الفكرية الإسلامية. فهذا هو وحده السبيل القوام الذي يجمع شمل الأمة، ويجمع شتات العلماء والمفكرين والمثقفين والكتّاب، على فكر أساسي واحد، ووجهة نظر واحدة، ومواقف عملية وسلوكية واحدة. كما يمنحهم

أساساً قويماً متيناً تنطلق منه الاجتهادات في ميادين الحياة العملية المختلفة، ويعطيهم موازين ومقاييس ثابتة قطعية يحاكمون على أساسها سائر المقولات او الأطروحات الفكرية. وبذلك يصبح الإسلام وحده، خالصاً من المغالطات والدسائس والشوائب واللوثات، هو القاعدة الفكرية، ومقياس الأعمال، وبوصلة الحياة لدى المسلمين كافة في كل عصر ومصر. كما أن الأمة، والحال هذه، سوف تستعيد مناعتها العقائدية والفكرية والأخلاقية والتشريعية من خلال هذا النبع الصافي، ومن خلال هذه الرسالة السماوية، التي لا عوج فيها ولا أمت. وهذا هو وحده طريق إيجاد ثورة فكرية عارمة تعيد الأمة، مرة ثانية، لتصبح خير أمة أخرجت للناس، قائمة على الهدى، وقوامة على الدعوة اليه، في أرجاء المعمورة كافة، الى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ونحن حين نعتبر الدراية ضرورة مصيرية في هذا السبيل، وخاصة في موضوع السنن والأحاديث، فإننا لا نعني أبداً أن نسقط الرواية من علم مصطلح الحديث، بل نعني أن نعزز الرواية بالدراية، حتى نضمن أن يستمر علم مصطلح الحديث في السير على رجلين بعد أن كان يمشي على رجل واحدة، في غالب أحواله.

فمثلما أن علم مصطلح الحديث كان في جملته مقتصراً على دراسة أحوال الرواة لجرحهم أو تعديلهم، فكذلك هو شأن **علم مصطلح**

الدراية، إن صح التعبير، في دراسة متون الروايات، وفق قواعد وأصول قطعية ثابتة، لقبولها أو ردها، بغض النظر عن أحوال رواتها، سواء اعتبرهم المحدثون عدولاً أم مجروحين، وسواء اعتبروا رواياتهم صحيحة أم حسنة أم ضعيفة، أو حتى متواترة. فما ينطوي عليه المتن من معان أو مقولات أو أطروحات هو ميدان الدراية الذي نحن بصدده في هذا الكتاب.

ولا نعني بعملية تصحيح التراث وتطهيره، وخاصة في مجال السنن والأحاديث النبوية، رد الروايات كيفما اتفق، إنسياقا وراء الهوى أو المزاج أو المصلحة، أو مسايرة للزمن على حد زعمهم. بل نعني ضرورة وجود قواعد ضبط وربط صارمة في موضوع الدراية تحول دون العبث بشرع الله. كما تعني كذلك أن من يتخذ من الدراية ذريعة لإسقاط السنة إجمالاً أوتفصيلاً ما هو إلا مارق من الدين، مخرب هدام. **فالسنة هي جزء لا يتجزأ من هذا الدين، سواء كانت سنة عملية متواترة قطعية، أم كانت أخبار آحاد ظنية.**

القرآنيون

ومن يزعمون أنهم قرآنيون ولا يعترفون بالسنة بدعوى أن الظن في موضوع أخبار الآحاد في الأحكام لا تقوم به، بسبب ظنيته، حجة، كما هي حاله في العقائد والغيبيات، نقول إن من يزعمون ذلك ما هم في الحقيقة إلا أبعد الناس عن القرآن نفسه. فطلب اليقين في

كافة شؤون الحياة والعلاقات بين الناس أمر مستحيل. فلو أننا أسقطنا الظن إسقاطاً كاملاً من جميع المرويات والأخبار التي يتناقلها البشر في حياتهم الخاصة والعامة، وانتظرنا اليقين في كل خبر صغير او كبير، يسير أو خطير، لتعذرت الحياة على ظهر هذه البسيطة، ولوجب أن تبحث البشرية لها عن مقابر جماعية تريحها، وتحل مشكلتها في الظن واليقين.

وحسبنا في هذا المقام أن نلفت نظر القرآنيين، الذين هم بدورهم، قد غابت الدراية عن أحكامهم ومواقفهم من أحاديث الآحاد الظنية التي صحت رواية ولم تسقط دراية، إلى أن الرسول صلعم نفسه قد جعل غلبة الظن في أحكام قضائه التي يقرر فيها حقوق الله وحقوق العباد أمراً مشروعاً، رغم ما فيها من احتمال أن يَصْدُق الكذوب أو يكذب الصَّدُوق. فليس هنالك من أحد يُعتبر معصوماً في ادعائه، أو في إفادته، أو في شهادته حتى تكون أخباره أو رواياته قطعية يقينية. ومع ذلك، ومع أن الرسول صلعم لم يكن يعلم الغيب ولا ما تنطوي عليه صدور الرجال من خفايا وخبايا تنأى بهم أحياناً عن الحق والصواب، فإنه كان يقبل ادعاء الواحد منهم أو إفادته أو شهادته دون أن يكلف أحداً من المتخاصمين بأن يعزز دعواه بشهود آخرين يبلغون درجة التواتر، أي درجة القطع واليقين. أورد مسلم في صحيحه عن أم سلمة أن الرسول صلعم قال: "إنكم تختصمون إليّ، ولعل بعضكم أن

يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي له على نحو ما أسمع. فمن قطعت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من النار"، وفي رواية أخرى لمسلم عن هشام بن عروة أن الرسول صلعم قال: "إنما أنا بشر، وإنه يأتيني الخصم، فلعل بعضهم أن يكون أبلغ من بعض، **فأحسب أنه صادق**، فأقضي له بحق مسلم. فإنما هي قطعة من النار، فلْيَحْمِلها أو يَذَرها".

وهذا الموقف الواضح الصريح في سيرة الرسول صلعم من حيث مبدأ الأخذ بخبر الواحد ليس تشريعاً خاصاً بالإسلام وأهله، بل هو سنة من سنن الله الماضية في جميع الخلائق منذ آدم وحتى يرث الله الأرض ومن عليها. فعجلة الحياة، في جميع أحوال الصادقين والكاذبين في عالم البشر، لا يمكن أن تتوقف، وإلا تفاقمت الخصومات واستفحلت الصراعات، بلا حد ولا قيد، حتى تأكل الأخضر واليابس، وتهلك الحرث والنسل، وتستأصل شأفة الحياة برمتها، جملةً وتفصيلاً.

فسنة الله الماضية في خلقه، منذ آدم حتى يرث الله الأرض ومن عليها، أن حياة البشر، في علاقاتهم العامة والخاصة، ومهما كانت المنظومات الفكرية والتشريعية التي تحكم تلك العلاقات، لا تستند إلى اليقين في مروياتهم الخبرية إلا في القليل من جوانبها، بينما هي تستند إلى غلبة الظن في شتى جوانبها وسائر نواحيها.

بيد أن الشارع الحكيم، ومن أجل تغليب الحق على الباطل، فقد أمرنا الله أن **نتواصى بالحق**، يعني أن نحاصر الباطل ونضيق الخناق عليه، وأن نقدم التضحيات، ونصبر على المشقات في سبيل الوصول إلى الحق والدفاع عنه. وذلك هو **التواصي بالصبر**.

وليس ذلك من أجل استئصال شأفة الباطل استئصالاً كاملاً شاملاً من الحياة، فذلك أمر مستحيل. والمعادلة العملية الواقعية السوية، لدى العقلاء والصالحين في هذا العالم، هي المحاولات الدؤوب لتغليب الحق على الباطل ما وسعتهم الحيلة إلى ذلك، كما قال تعالى: "وَالْعَصْرِ، إِنَّ الإنسَانَ لَفِى خُسْرٍ"، إلا الَّذِينَ امَنُواْ، وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ، وَتَوَاصَوْاْ بِالْحَقِّ، وَتَوَاصَوْاْ بِالصَّبْرِ".

فبلوغ الإنسان درجة اليقين في كافة أخباره ومروياته أمر مستحيل غاية الاستحالة. وهو غير مطلوب شرعاً إلا فيما لا يصح فيه إلا اليقين، وذلكم هو العقائد، وأمور الغيب، والأصول والمحاور التي تشكل أساس البنيان في المنظومة الفكرية والتشريعية الإسلامية. وأما ما عدا ذلك، فالشرع لم يطلب فيه أكثر من غلبة الظن. قال تعالى: "**يأَيُّهَا الَّذِينَ امَنُواْ إِن جَاءَكُمْ فَاسِقُ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُواْ**". يعني أنه لا يحرم علينا **ابتداء** أن نتلقى الأخبار حتى من الفاسقين، ولكن علينا، والحالة هذه، أن نتبين.

غير أن الاستبانة، مهما أحاط بها من تدقيق وتمحيص، رواية ودراية، فإنها ليست كفيلة بأن تقطع دابر الخطأ والكذب والتدليس في الأخبار والروايات، بل رغم كل ذلك، فإن القصور فيها يظل وارداً، واحتمال الخطأ في الرد أو في القبول يظل قائماً. فهذا هو سياق الطبيعة البشرية حيث لا فطرة فيها تعصمها من الخطأ، ولا قدرة لديها تفتح بها أبواب الغيب، وكما قال الرسول صلى الله عليه وسلم في حق نفسه: "إنما أنا بشر، وإنه يأتيني الخصم، فلعل بعضهم أن يكون أبلغ من بعض، **فأحسب أنه صادق**، فأقضي له بحق أخيه". وعليه، فإن من طلب اليقين، في كل أمر من أمور الحياة، تافه أو رزين، فقد طلب المستحيل، وحلت بدياره الهلكة، من غير إبطاء ولا تأخير.

الخلفية التاريخية والفرقية لفكرة الشفاعة

وردت في موضوع الشفاعة آيات كثيرة في كتاب الله، كما وردت أحاديث كثيرة وطويلة في كتب الحديث تناولت موضوع الشفاعة بشكل مسهب مستفيض. ومن هذه الآيات والأحاديث خرج المفسرون، والمحدثون، وشراح الحديث، وعلماء أصول الدين، والفقهاء، وأرباب الفرق الإسلامية، بآراء متباينة في هذه المسألة، كانت بعيدة كل البعد عن التدقيق والتمحيص والاستنارة في البحث، على أساس منهاج الدراية الذي يَنْصَبُّ على دراسة متون الروايات، جنباً إلى جنب مع منهاج الرواية الذي يخضعها لقواعد الجرح والتعديل، بالنسبة لأحوال الرواة من حيث الضبط والصدق في رواياتهم.

فكل هؤلاء قالوا بشفاعة الرسول الكريم من حيث المبدأ، ولكنهم أشركوا بها شفاعة غيره من الملائكة، والأنبياء، والصالحين، والأولياء، والشهداء، والعلماء، والمؤمنين، والأطفال، والشيوخ، والفقراء، والمساكين. فمن يطلقون على أنفسهم "**أهل السنة والجماعة**" قالوا بشفاعة الرسول للبشر كافة، من مسلمين وكافرين، في أرض المحشر. وزعموا أن هذه هي **الشفاعة العظمى** التي بها يريح الرسول الكريم الخلائق كافة، من مسلمين وكافرين، من أهوال أرض المحشر. وقالوا بشفاعته لعامة المسلمين، وعلى الأخص أصحاب الكبائر منهم،

بعد ذلك. **والمعتزلة** قالوا بأن شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم لا تكون إلا للطائعين من المؤمنين، لزيادة ثوابهم، ورفع درجاتهم يوم القيامة. وليست هي لأصحاب الكبائر، لأن هؤلاء إذا خرجوا من الدنيا من غير توبة نصوح خلدوا في النار. **والشيعة** قالوا كلاماً شبيهاً بكلام "أهل السنة والجماعة" ، وزادوا عليهم بأن جعلوا من أئمتهم . الذين زعموا لهم العصمة . شفعاء لهم يوم القيامة. بل لقد جعلوا من فاطمة- رضي الله عنها- شفيعاً كبيراً لهم في الدار الآخرة. حتى لقد ذهب أحمد أمين النجفي في كتاب "التكامل في الإسلام" إلى أن يشطح قائلاً: "يوم القيامة يعطي الله تعالى جزءاً من شفاعته للأنبياء وللأوصياء، ويعطي للحسين تسعة وتسعين جزءاً". **والصوفيون** كذلك أوغلوا في هذه المسألة أيما إيغال، وشطحوا فيها ما طاب لهم أن يشطحوا . حتى إن المؤرخ الصوفي فريد الدين العطار في كتابه "تذكرة الأولياء" زعم أن والد **رابعة العدوية**، بُعَيد ولادة ابنته رابعة مباشرة، أخذته سِنةٌ من نوم ، فرأى الرسول صلى الله عليه وسلم في المنام يقول له: "لا تحزن يا هذا! إن وليدتك هذه سيدة جليلة القدر، وإن سبعين ألفاً من أمتي ليرجون شفاعتها".

ولقد كان الجدال بين الفرق الإسلامية في بعض فروع الشفاعة كالمقام المحمود - مع الأسف الشديد- يتجاوز أحياناً حدود الحوار الفكري القائم على الحجة والبرهان إلى العنف والاقتتال، كما حصل

بين الحنابلة وغيرهم في بغداد سنة ٣١٧هـ أيام خلافة المقتدر بالله العباسي، حين حصلت في عهده فتنة عظيمة بسبب الجدال حول مفهوم المقام المحمود إن كان يعني الشفاعة أم لا يعنيها.

فالحنابلة في ذلك الوقت كانوا يقولون إن المقام المحمود هو أن يجلس الله تعالى يوم القيامة على العرش، ويجلس محمد صلى الله عليه وسلم إلى جانبه. وكان الطبري– صاحب التفسير المشهور– من ضحايا الغوغائية الحنبلية ، لأنه لم يقبل تفسيرهم للمقام المحمود، وكان يردد قائلاً:

سبحان من ليس له أنيسُ ولا له في عرشه جليسُ

فاتهموه بالتشيع، وهَيجّوا عليه العامة، ثم قذفوا داره بالحجارة، ومنعوا طلابه من الدخول عليه. ما اضطر نازوك صاحب الشرطة، إلى أن يخرج في أعداد كبيرة من الشرطة، قيل أنها بلغت الآلاف، ليمنعوا الطبري من عدوان العامة عليه، ويحموه من اعتداء غوغاء الحنابلة.

وفي عصرنا هذا، وتحديداً في ١٩٩٩م قامت ضجة كبيرة حول موضوع الشفاعة حين نشر أحد الكتاب في مصر سلسلة مقالات شكك فيها بشفاعة الرسول للعصاة من أمته. فتلقف الموضوع كاتب آخر، ولكن بخفة ورعونة. فانبرى له عدد من مشايخ الأزهر، واتهمه بعضهم بالكفر. ومما قاله شيخ الجامع الأزهر في تلك الحملة:" من

وجهة نظري لا يجوز لمسلم أن ينكر شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم، لأنها ثابتة ثبوتا لا يصح التشكيك فيه". وأدلى رئيس جامعة الأزهر بدلوه في هذه المعركة بقوله: "إنها دعوة خطيرة تلك التي ترفض أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى، وهو كتاب صحيح البخاري، الذي تلقته الأمة بالقبول، وليس فيه حديث واحد ضعيف".

وإزاء هذه الهجمات الشرسة على الكاتب في موضوع الشفاعة لم يَسَع هذا الكاتب إلا أن يتراجع ويقول:" أنا أشعر بالدهشة، إذ أنني أعلم تماماً ماذا كتبت وماذا قلت. وأعلم يقينا أنني لم أنكر الشفاعة، ولم أنكر السَّنة في أي صفحة من كتابي". ويضيف قائلاً:" أنا ما أنكرت الشفاعة، وإنما آمنت بها وبحقها وبشروطها، لأن القرآن الكريم يؤكد أن الشفاعة مشروطة، وليست نهباً لأي طامع".

والشفاعة في مفهوم عامة المسلمين، الأقدمين منهم والمحدثين، وحسب الصورة التي رسمتها جملة الأحاديث الواردة في باب الشفاعة التي سنتناولها بالتفصيل فيما بعد، لا تكاد تختلف عن جوهر عقيدة الخلاص (SALVATION) عند المسيحيين. تلكم العقيدة التي جعلت من المسيح عليه السلام فادياً ومخلّصاً لأتباعه الخاطئين في هذا العالم، بصَلبه وإراقة دمه على خشبة، ما أهّله أن يكون هو الشفيع الأوحد لهؤلاء العصاة والخاطئين (SINNERS) لدى (الإله الأب)، حسب ما يعتقدون، يوم القيامة. ومن الأقوال المسيحية المأثورة

المزعومة على لسان السيد المسيح بهذا الصدد: "**من آمن بي وإن مات فسيحيا**". أي أن مجرد الإيمان بالمسيح الرب، أو ابن الرب يسوع، سوف يكون مجلبة للسعادة الأبدية في دار الخلود والنعيم المقيم، مهما كانت أفعال المؤمنين به قبيحة مرذولة أو فاسدة شريرة، لأن شفاعته للمؤمنين به كفيلة بأن تنجيهم من عذاب يوم القيامة، جملة وتفصيلاً.

فالإنسان عند المسيحيين، على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم، خاطئ بالفطرة منذ ولادته، لأنه ورث خطيئة آدم– أبو البشر– حين عصى ربه فطرد من الجنة. وقد جاء المسيح– حسب زعمهم– حتى يُكفّر عن المؤمنين به خطاياهم، ويخلصهم من أوزار الخطيئة الموروثة التي يولد الإنسان متلبسا بها ، كما عبر عنها الشاعر أبو الطيب المتنبي حين قال:

أبوكم آدم سنّ المعاصي وعلّمكم مفارقةَ الجِنان

ومفهوم الشفاعة لدى عامة المسلمين كذلك، لا يكاد يختلف عن مزاعم اليهود في أنهم أبناء الله وأحباؤه، وأن هذه العلاقة الخاصة، بينهم وبين الله، سوف تشفع لهم يوم القيامة، وتجعل الله سبحانه وتعالى يتجاوز عن شرورهم وآثامهم كافة. وأنهم تبعاً لذلك سوف يكونون بمفازة من عذاب اليوم الآخر، طالماً كانوا من عشيرة الرب

ومحاسيبه، كما كانوا يزعمون "نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ"، "لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً".

عود على بدء – أنواع آيات الشفاعة

باستقراء الآيات القرآنية الواردة في موضوع الشفاعة نجد:

أولاً: أن قسماً كبيراً منها قد نفى وجود الشفاعة يوم القيامة، بلفظ الشفاعة، نفياً صريحاً مطلقاً قاطعاً، سواء بالنسبة للمسلمين أم بالنسبة للكفار، والمشركين، وعبدة الأوثان.

ثانياً: أن آيات أخرى كثيرة جداً تنفي الشفاعة بالمفهوم، وليس بالمنطوق، أي بالمعنى، وليس باللفظ.

ثالثاً: أن قسماً منها يبدو لمن تناولها من غير تدقيق، أنه مما يثبت الشفاعة، لمن أذن الله له بطلبها، ورضي له قولاً. مع أن المدقق فيها جميعاً يجد أن موضوع الشفاعة والشفعاء فيها هو غير موضوعها في الآيات التي تنفيها منطوقاً أو مفهوماً. فموضوعها في هذه الآيات هو الملائكة، وما تلعبه من أدوار في عالم الغيب وعالم الشهادة، حصراً وتحديداً، ولا تعلق لها بأي كائن أو مخلوق آخر.

الشفاعة الحسنة والشفاعة السيئة

أما قوله تعالى: "مَّن يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَّهُ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَّهُ كِفْلٌ مَّنْهَا" فموضوعها في الحياة الدنيا وليس الآخرة. وهي تعني أن من انضم إلى غيره وعاونه وصار شفعاً

له أو شفيعاً في فعل الخير، فقد شفع شفاعة حسنة. وأما من انضم إلى غيره وعاونه وصار شفعا له أو شفيعاً في فعل الشر، فقد شفع شفاعة سيئة، ولكلٍّ نصيب مما عمل. فصاحب الشفاعة الحسنة يكون له ثوابها، وصاحب الشفاعة السيئة يكون عليه وزرها. ولا علاقة لهذه الشفاعة بما نحن بصدده، وهو الشفاعة في اليوم الآخر.

وللوقوف على صدق استقراء الآيات الواردة في موضوع الشفاعة وصحته فإننا سوف نستعرض:

أولاً: الآيات التي تنفي الشفاعة منطوقاً.

وثانياً: الآيات التي تنفي الشفاعة مفهوماً.

وثالثاً: الآيات التي تتحدث عن شفاعة الملائكة.

وذلك كيما يلمس المرء انطباق الأدلة الشرعية على واقع المسألة، انطباقاً لا لبس فيه ولا غموض.

أولاً: آيات قرآنية تنفي الشفاعة منطوقاً

١- "وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنْصَرُونَ".

صحيح أن هذه الآية قد وردت في سياق آيات فيها الخطاب موجه إلى بني إسرائيل، إلا أن العبرة في فهم هذا الخطاب وأمثاله هي بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، كما هو معروف بداهة لدى الفقهاء والأصوليين والمفسرين وسائر العلماء. فالآية هنا عمّمت بلفظ " نفس" مرتين دون تخصيص في كون النفس مؤمنة أو كافرة. فالعام يبقى على عمومه ما لم يرد دليل يخصصه.

٢- "وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ".

هذه الآية لا تختلف في فحوى الدلالة عن سابقتها في شيء، إلا أن الآية الأولى نفت قبول الشفاعة ابتداء من أي مصدر كانت، وهذه الآية نفت أي نفع لها من أي مصدر كان، من رسول أو من غيره، والمحصلة واحدة.

ولا يفوتنا هنا أن نلاحظ أن كلتا الآيتين قد اختتمتا بقوله تعالى: "وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ". وهذا توكيد على أن أحداً لن يجد له أي نصير يوم القيامة. ولو جاز أن يكون هنالك نصير، لكان في ذلك أبلغ

دلالة على وجود الشفيع ، لأن الشفيع في ذلك الموقف هو أعظم نصير. وما أروع الإمام الرازي في تفسير قوله تعالى: "وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ" حين قال: "لو كان الرسول صلى الله عليه وسلم يشفع للفساق من أمته لوصفوا بأنهم منصورون، لأنهم إذا تخلصوا، بسبب شفاعة الرسول، عن العذاب، فقد بلغ الرسول النهاية في نصرتهم.

٣- "يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنْفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ".

ورداً على المغالطين المتمحّلين الذين يزعمون أن الآيات التي تنفي الشفاعة هي خاصة بالشفاعة الشركية (الوثنية) نقول: إن الخطاب في هذه الآية موجه للمؤمنين فقط، وهو واضح وصريح وقطعي الدلالة في نفي الشفاعة- بجميع أشكالها وألوانها- نفياً مطلقاً يوم القيامة. وليس هو خطاباً عاماً للمؤمنين وغيرهم من الكفار والمشركين واليهود النصارى، كما توهم أو غالط من زعموا بأن النفي في هذه الآية مُنَصبٌّ على الشفاعة الوثنية، فذلك تخصيص بلا مخصص، وتقييد بلا مقيد. ولو لم يكن في كتاب الله تعالى غير هذه الآية وحدها لكفانا بها حجة دامغة على بطلان فكرة الشفاعة.

٤- "وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُواْ إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ".

وهنا نلاحظ أيضاً أن الخطاب في هذه الآية الكريمة موجه للمؤمنين، فهم الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم، فيحسبون لذلك كل حساب. وهم الذين ينبغي أن يعلموا أنه، يومئذ، لا ولي لهم ينصرهم في ذلك المقام، ولا شفيع يلجأون إليه ليغفر لهم خطاياهم، ويتجاوز عن ذنوبهم وسيئاتهم، غير الله تعالى. فلا ملجأ من الله إلا إليه: فلا أحد يومئذ ينفع، ولا مخلوق هنالك يشفع.

٥- "وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ".

وهنا، وإن كان الخطاب يتناول الكفار الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً، وشغلوا بالحياة الدنيا عن الآخرة، إلا أن الخطاب جاء عاماً فيهم وفي غيرهم. فالآية تطلب التذكير بالقرآن، والتذكير بالقرآن لا يصرف إلا للمؤمنين به، كيلا تكون عاقبة من لا يتذكر منهم أن يبسل، أي يحبس في النار حبساً لا فكاك منه، ويسلم للهلكة والعذاب، جزاء بما قدمت يداه. وفي ذلك المقام ليس، له ولي يلجأ إليه. والولي هو الذي ينصرك إن كنت في مأزق. والمأزق هنا هو مأزق الآخرة، الذي ما بعده مأزق، إنه عذاب جهنم. وفي ذلك المقام أيضاً، لن يجد من يشفع له عند من يملك نصرة الواقعين فيه، وهو الله تعالى.

٦- "اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ شَفِيعٍ أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ".

نفي الولي والشفيع يوم القيامة في هذه الآية هو توكيد لما ورد في الآيات الأخرى التي تنفي وجود الشفاعة أصلاً وفصلاً.

٧- "وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الأَزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلاَ شَفِيعٍ يُطَاعُ".

تتحدث هذه الآية الكريمة عن الظالمين حديثاً عاماً ، فهي تنفي نفياً قاطعاً وجود أي صديق حميم ينفعهم، أو أي شفيع يشفع لهم في اليوم الآخر. "ويطاع" يعني يستجاب له.

٨- "يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْداً *وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْداً *لاَّ يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَنِ عَهْدا".

الضمير في فعل "يملكون" في الآية يعود على الأقرب في الجملة وهو "المجرمون". والمعنى أن المجرمين لا يملكون الشفاعة، بمعنى أنهم لم يقدموا لأنفسهم من خير كي يجدوه عند الله لهم شفيعا. فهم لم يتخذوا عند الرحمن عهدا، أي أنهم لم يستظهروا بالإيمان والعمل الصالح- الذي هو العهد بين الله وبين عباده- كي يكون لهم شفيعاً يوم القيامة.

٩- "مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ * وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ * وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ * وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ * حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ * فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ".

هذه الآيات تحكي قصة الكفار والمشركين المنكرين ليوم القيامة، حيث لا ينفعهم يومئذ شفاعة أحد من الأوثان التي توهموها قادرة على تخليصهم من أي مصيبة قد تحيق بهم، ولكن هيهات هيهات، فالخلاص قد فات!!.

١٠- "وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ".

الخطاب في هذه الآية موجّه للكفار المشركين المستكبرين عن آيات الله، والذين يقولون على الله غير الحق. تُعرِّض الآية بمعتقداتهم الوثنية الشركية وتسفهها، حيث أن من اتخذوهم آلهة من دون الله قد تقطعت بهم الأسباب ، فلا شفاعة لديهم ولا شفيع، بعد أن كانوا يتبجحون ويزعمون أنهم شركاؤهم في المصير. فهذه الآية مدارها نفي وجود أي شفيع توهم الكفار أو زعموه مخلّصاً لهم من عذاب الله يوم القيامة.

١١- "وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ".

الخطاب هنا موجه للكفار الذين عبدوا من دون الله أوثانا لا تضر ولا تنفع، وذهبوا في الضلال أكثر من عبادة الأوثان، فزعموا أن هذه الأوثان هي التي ستشفع لهم عند الله. وهذا تطاول منهم على الذات الإلهية ، فكأنهم يريدون أن يعرّفوا الله بما قد غاب عن علمه، سبحانه وتعالى عما يشركون.

١٢- "وَلاَ يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ".

يعني أن الآلهة المزعومة من أصنام وأوثان وما شاكلها من المعبودات، التي كان الكفار والمشركون يدعونها من دون الله، لا تملك لهم أي شفاعة، بمعنى أي قدرة على العفو والمغفرة، إن كانوا يعلقون عليها آمالهم، أو يربطون بها مصائرهم.

أما قوله "إِلاَّ مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ" فهو استثناء منقطع في اللغة العربية. وهو يعني أن من شهد بالحق على بصيرة وعلم فهؤلاء هم الذين يشفع لهم إيمانهم وعملهم الصالح عند الله تعالى. لأن هذا النوع من الاستثناء ليس استثناء مما سبقه، بل هو تقرير لأمر مختلف تماماً عن المستثنى منه. ولو لم يكن كذلك لكان معناه أن

بعض الأوثان والمعبودات التي يلوذ بها بعض الناس طلباً للشفاعة تملك الشفاعة فعلاً، إذا شهدت بالحق على علم. وهذا مستحيل في حق الأوثان أو الأرباب والآلهة المزعومة. والذي يشهد بالحق على علم إنما هو الإنسان الذي يكون إيمانه وعمله الصالح شفيعاً له عند الله يوم القيامة.

١٣- "وَمَا لِيَ لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ * أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لاَّ تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلاَ يُنقِذُونَ".

تتحدث هذه الآية هنا عن الأصنام الموهومة والآلهة المزعومة، فهي لا تنفع ولا تضر، ولا تستطيع أن تنقذ أربابها من الهلاك وسوء العاقبة. فشفاعتها، والحالة هذه، ضرب من التخريف والتجديف.

١٤- "وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُواْ أَنْفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ".

الآية واضحة الدلالة في بيان مصير أولئك الذين نسوا كتاب ربهم وجعلوه وراء ظهورهم، وأنه حين يأتي موعد الاستحقاق، وتقديم الحساب، فلن يجدوا من يشفع لهم عند الله، ولن ينفعهم الاعتراف بالخطأ، ولن يعطوا فرصة ثانية في الحياة الدنيا ليغيروا مسار حياتهم الأولى، فيستدركوا ما فات، وذلك هو الخسران المبين.

فهذه الآيات المستفيضة جميعها تنفي مبدأ الشفاعة في اليوم الآخر، بلفظ الشفاعة نفياً صريحاً قاطعاً، سواء كانت شفاعة للمؤمنين، أم شفاعة للكافرين والمشركين وعبدة الأوثان، على اختلاف أشكالها وألوانها.

ثانياً: آيات قرآنية تنفي الشفاعة مفهوماً

آيات كثيرة جداً في كتاب الله تنفي مبدأ الشفاعة نفياً قاطعاً بالمفهوم أو بالمعنى، وليس بلفظ الشفاعة نفسه، منها على سبيل المثال لا الحصر الآيات التالية:

١ - "كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ"، "كُلُّ امْرِىءٍ بِمَا كَسَبَ رَهَينٌ".

الخطاب في هاتين الآيتين عام في كل نفس بشرية، وهو يعني على نحو قطعي الدلالة، أن مصير الإنسان، كل إنسان، يوم القيامة إنما هو رهن بما كسب، أي بما عمل من خير أو شر، وليس بوجود من يشفع له، لأي سبب من الأسباب، بدون أي مقابل أو بدون أي استحقاق.

٢ - "يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِّيُرَوْاْ أَعْمَالَهُمْ * فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ".

أي أن أعمال الإنسان، كثيرها وقليلها، من خير ومن شر، هي التي يراها يوم الحساب، وهي وحدها التي توزن له أو عليه، وهي التي تقرر مصيره في الدار الآخرة، فلا يشفع له عند الله شيء غير أعماله الصالحات. فالناس يومئذ يصدرون أشتاتاً ليروا أعمالهم ، وليس ليروا شفعاءهم.

٣- "فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌ".

أي أن الذي يقرر مصير الإنسان يوم القيامة، إلى الجنة أم إلى النار، إنما هو أعماله من حسنات وسيئات، ولا شيء وراء ذلك، فمن رجحت كفة حسناته دخل الجنة، ومن رجحت كفة سيئاته دخل النار.

٤- "وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى * ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَى".

أي أن الإنسان لا يملك يوم القيامة إلا عمله. فهو الذي سوف يراه، ويجزى به الجزاء العادل، إن خيراً فخير وإن شراً فشر. وليس للإنسان أن يطمع فيما وراء ذلك من محسوبية عند الله، أو شفاعة، أو استحقاق بدون مقابل. و"إلا" هنا هي أداة حصر، بمعنى أن جزاء الإنسان في اليوم الآخر، إنما هو رهن بسعيه في الحياة الدنيا.

٥- "ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ".

أي أن الإنسان إنما يدخل الجنة بعمله، وليس بشفاعة غيره.

٦- "وَنُودُواْ أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ".

معنى الآية توكيد للمعنى الوارد في الآيات التي قبلها.

٧- "إِنَّ الَّذِينَ امَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً".

أي أن جنات الفردوس هي النُّزُل الذي أعده الله لمن يستحقونها، وهم المؤمنون الذين عملوا الصالحات من أجل الظفر بها في اليوم الآخر.

٨- "يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ".

وهذا عام في كل إنسان، مسلماً كان أم كافراً. فما قدم من إيمان وما قدم من عمل . صالح أو غير صالح . في الحياة الدنيا هو الذي يقرر مصيره في الدار الآخرة.

٩- "هَلْ تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ".

يعني أنه لا يُدْخل دائرة الجزاء- ثواباً أو عقاباً- إلا العمل وحده، ولا شيء غيره من شفاعة أو شفيع، فلا ثواب بلا مقابل، ولا جزاء من غير استحقاق. والاستفهام في هذه الآية الكريمة يفيد النفي، بمعنى أنكم لا تجزون في الآخرة إلا بما كنتم تعملون في الدنيا.

١٠- "يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ".

يعنى، حسبُ كل نفس يوم القيامة أن تجادل عن نفسها، فلا يتسع المقام هناك لأي نفس أن تجادل عن غيرها، مصداقاً لقوله تعالى "يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً". فلا شفاعة لأحد في أحد، إذ ستوفى كل نفس، بذاتها وحدها، جزاء ما عملت هي من خير أو شر، لا أكثر ولا أقل.

١١- "يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهُ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِىءٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ".

أي أنه لا همّ للإنسان يوم القيامة إلا أن ينجو بنفسه. فهو يذهل عن كل شيء، ولا يستطيع أن يلتفت إلى أحد ، مهما كانت درجة حُبه له أو قرابته منه. فالنجاة بنفسه يومئذ هي الشأن الذي يملك عليه كل همه واهتمامه، ويغلق عليه كل منافذ التفكير في مصير غيره. ولو كانت هنالك شفاعة لما كان هذا هو موقف المرء في ذلك اليوم العصيب.

١٢- "الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لاَ ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ".

قاعدة الجزاء والعمل مطّردة، فكل نفس إنما تُجزى بما كسبت، أي بعملها، وليس بشفاعة غيرها . وهذا هو ميزان العدالة الإلهية، لا يتخلف ، ولا يتغير ، ولا يتبدل.

١٣- "ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئاً وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ".

طالما أن نفساً لا تملك لنفس شيئاً, فهي إذن لا تملك لها الشفاعة. وهذا عام في كل نفس مؤمنة أو كافرة. وهو ينطبق على الأنبياء والمرسلين، كما ينطبق على سائر البشر أجمعين.

١٤- "يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ * إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ".

واضح أنه في يوم القيامة لا مال ينفع ولا ولد يشفع.

١٥- "وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلاَّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ".

المعنى يتأكد في العديد من الآيات: الإيمان والعمل الصالح مقترنان هما اللذان يشفعان، وبهما وحدهما ينال الإنسان الحظوة عند بارئه، فلا الأموال هناك تنفع، ولا الأولاد تشفع.

١٦- "يأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَاخْشَوْاْ يَوْماً لاَّ يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلاَ مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئاً إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ".

الآية واضحة صريحة في أن الوالد ليس بقادر على أن يسدّد الحساب عن ابنه عند ربه، ولا الابن بقادر كذلك على أن يسدد الاستحقاق عن والده عند ربه في اليوم الآخر ، فكل إنسان يأتي ربه يوم القيامة فرداً، تقواه هي رصيد حسابه. "وَكُلُّهُمْ اتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْداً".

١٧- "أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ".

معنى الآية هو توكيد لما ورد في آيات أخرى كثيرة. وهو واضح وصريح في الدلالة القطعية على أن الجنة إنما تنال بالعمل، وليس بالشفاعة المزعومة.

١٨- "فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلاَ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَاءَلُونَ * فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ"، "لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ".

لا ينفع يوم القيامة نسب، ولا يسأل قريب عن قريبه، فمن ثَقُلت موازينه فقد أفلح وربح، ومن خفت موازينه فقد خاب وخسر. فهذه هي قاعدة الجزاء والعمل التي لا تتخلف في حق أي مكلف من عباد الله الصالحين والطالحين.

١٩- "يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً".

العمل وحده هو طوق النجاة في اليوم الآخر، ولا شيء غيره ينفع أو يشفع.

٢٠- "قُلْ إِنِّي لاَ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلاَ رَشَداً".

لو لم يكن في كتاب الله غير هذه الآية لكانت كافية، في الدلالة القطعية، على أنه حتى الرسول صلى الله عليه وسلم، لا يملك لأحد عند الله ضراً ولا نفعا. يعني أنه لا يملك الشفاعة لأحد من العالمين. فالخطاب في هذه الآية موجّه إلى الرسول وحده، لا شريك له فيه، فهو حجة قاطعة في نفي شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم.

٢١– "مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً".

من عمل السيئات لن يفلت من عذاب الله يوم القيامة، لأنه لن يجد– غير الله– ولياً يلوذ به، ولا نصيراً يشفع له.

٢٢– "وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ".

حسبنا أن نعيد مقالة الرازي في تفسير هذه الآية حيث يقول: لو كان الرسول صلى الله عليه وسلم يشفع للفساق من أمته لوصفوا بأنهم منصورون، لأنهم إذا تخلصوا، بسبب شفاعة الرسول، عن العذاب فقد بلغ الرسول النهاية في نصرتهم.

٢٣- "اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً".

هذا الكتاب هو السجل المفصل للحسنات التي قدمها المرء، وللسيئات التي اقترفها في حياته الدنيا. وهذا الكتاب هو الذي على أساسه يتقرر مصير الإنسان في الدار الآخرة، ولا يدخل على خط الحساب هذا أي شيء آخر مرسوم، أو مزعوم كالشفاعة.

٢٤- "أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ".

الخطاب في هذه الآية الكريمة موجه للرسول صلى الله عليه وسلم توجها مباشرا في صيغة استفهام استنكاري يفيد النفي. وهو يعني بشكل واضح وصريح أن من حَقَّ عليه العذاب فلا ينفعه الرسول حيث لا يستطيع أن ينقذه من عذاب جهنم. وهذا دليل قاطع على نفي شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم.

٢٥- "لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً".

وهنا، في هذه الآية، تأكيد على قاعدة الجزاء والعمل ، فهذا وحده هو الذي يحدد مصير الإنسان في اليوم الآخر، فما نيل المطالب بالتمني يا معشر المسلمين، ويا معشر الكتابيين، ولكن تؤخذ الأخرى غِلابا. (يعني بغلبة الحسنات على السيئات).

٢٦- "لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ".

الخطاب في هذه الآية موجه للرسول صلى الله عليه وسلم وحده، فليس له من أمر الناس إذا تابوا شيء، وليس له من أمر الناس- إذا أصروا على ظلمهم- شيء يوم القيامة. وهذا دليل على نفي أي دور للرسول يوم القيامة. فعواقب الأمور ومصائر الناس بيد الله وحده. فاصبر على هؤلاء الناس لعلهم يسلمون، فيتوب الله عليهم في هذه الدنيا، أو يركبون رؤوسهم فيعذبهم يوم القيامة بظلمهم، يعني بكفرهم.

٢٧- "فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلاَ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَاءَلُونَ".

يعني إذا قامت القيامة فلا ينفع الإنسان قرابة ولا نسب، ولا يسأل قريب عن قريب ولا نسيب عن نسيب.

٢٨- "يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ".

٢٩- " وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحاً يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً".

٣٠- "وَلاَ يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيماً".

٣١- "إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلاَلٍ وَعُيُونٍ * وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ * كُلُواْ وَاشْرَبُواْ هَنِيئاً بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ".

٣٢- "إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً * حَدَائِقَ وَأَعْنَاباً * وَكَوَاعِبَ أَتْرَاباً * وَكَأْساً دِهَاقاً * لاَّ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلاَ كِذَّاباً * جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَاباً".

٣٣- "فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى * يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ مَا سَعَى".

٣٤- "فَأَمَّا مَن طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى".

٣٥- "وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ * وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ * عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ".

٣٦- "إِنَّ الَّذِينَ امَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْـهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ".

٣٧- "وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ * تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً * تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ * لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ * لاَّ يُسْمِنُ وَلاَ يُغْنِي مِن جُوعٍ * وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ * لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ".

٣٨- "كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكّاً دَكّاً * وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً * وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى * يَقُولُ يا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي".

٣٩- "يأَيُّهَا الَّذِينَ امَنُواْ هَلْ أَدُلُّكمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ".

٤٠- "إِنَّ الَّذِينَ امَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ * جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رِّضِىَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ".

٤١- "وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِى خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ امَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْاْ بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِالصَّبْرِ". يعني أن طوق النجاة الوحيد للإنسان يوم القيامة إنما هو الإيمان والعمل الصالح، وإلا فهو من الخاسرين.

٤٢- "فَالْيَوْمَ لاَ تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَلاَ تُجْزَوْنَ إِلاَّ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ".

٤٣- "وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِّنَ الْجَنَّةِ غُرَفَاً تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ".

٤٤- "وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ * فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ".

٤٥- "مَّنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ".

٤٦- "وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ".

٤٧- "فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ".

٤٨- "وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ".

٤٩- "وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ".

٥٠- "الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ امَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * وَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ".

٥١- "مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ".

٥٢- "فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدَا".

٥٣- "تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً".

٥٤- "وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً".

٥٥- إن **طلب التقوى** الذي تكرر عشرات المرات في القرآن الكريم إنما يعني طلب العمل الصالح المبني على الإيمان الصادق. فالتقوى، والحالة هذه، هي طاعة يثاب عليها المؤمن، وعدمها هو معصيةٌ يعاقب عليها. فلو كانت هنالك شفاعة تغني عنها، وتقفز فوق القانون الإلهي في الجزاء والعمل، لما كان لطلب التقوى المتكرر أي معنى، ولا أي لزوم.

فهذه الآيات البالغة الكثرة، والمستفيضة التركيز، قد جاءت جميعها تنفي نفياً مطلقاً قاطعاً وجود الشفاعة بشكل مباشر، منطوقا بلفظ الشفاعة، أو بشكل غير مباشر، مفهوما بمعنى الشفاعة أيضاً.

ودلالة الآيات كلها في هذا المقام هي دلالة قطعية، وموضوعها هو شفاعة البشر للبشر، أو شفاعة الأصنام والأوثان للبشر، أو شفاعة الآلهة المزعومة للبشر.

ومؤادها جميعها أن لا شفاعة لبشر في بشر، ولا شفاعة لأوثان في عبدتها، ولا شفاعة لآلهة مزعومة في عُبّادها، وأن دخول الجنة أو دخول النار يوم القيامة، إنما هو رهن بعمل الانسان، صالحاً كان عمله أم طالحا. فهذا هو قانون العدالة الإلهية في

الجزاء والعمل، لا شيء قبله ولا شيء بعده. فلا وجود ولا اعتبار لأي عامل آخر في هذه المعادلة الكريمة. فلا شفاعة ولا شفيع، بل إيمان وعمل صالح ليس غير.

ثالثاً: الآيات التي يظن أنها تثبت الشفاعة هي خاصة بالملائكة ووردت بمعانٍ خاصة

أما الآيات التي جاءت تثبت الشفاعة لمن أذن الله له بطلبها، ورضي له قولاً، فموضوعها هو شفاعة الملائكة حصراً وتحديداً، ولا تعلق لها بشفاعة أحد من العالمين. فلا حجة فيها لمن يتوهمون أو يحلمون بوجود الشفاعة للرسول، أو لغيره في اليوم الآخر. **وشفاعة الملائكة في هذه الآيات جميعها لا تعني سوى:**

أ- الدعاء والاستغفار وطلب الرحمة للمؤمنين.

ب- وطلب الهداية لسائر البشر.

ج- والقيام بأدوار في إدارة الكون والإنسان والحياة، امتثالاً لأمر الله وتدبيره.

أما الدعاء والاستغفار وطلب الرحمة للمؤمنين فهو ما ورد في قوله تعالى، على لسان الملائكة، في سورة غافر: "فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَاتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ".

وهذا الدعاء والاستغفار من الملائكة للمؤمنين، مكانه وزمانه، في الحياة الدنيا، وليس الآخرة، كما هو واضح من سياق الآيات التي تطلب فيها الملائكة من الله تعالى أن يقي المؤمنين من عمل السيئات، وأن يدخلهم الجنة، وأن يَقِيَهم من عذاب النار.

وأما طلب الهداية لسائر البشر فهو ما ورد في قوله تعالى: "وَالْمَلاَئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الأَرْضِ". وعبارة "**من في الأرض**" عامة تشمل المؤمنين والكافرين. ولما كان استغفار الملائكة للكفار، بمعنى التجاوز عن ذنوبهم وسيئاتهم، غير جائز في حق الملائكة، الذين لا يعصون الله ما أمرهم، تعَّين أن يصرف معنى الاستغفار إلى طلب الهداية لمن في الأرض جميعاً من مؤمنين لتثبيتهم على الحق، ومن كافرين ليختاروا طريق الخير والرشاد.

وهذا الدعاء من الملائكة للمؤمنين أو للكافرين، مكانُهُ وزمانُهُ، في الحياة الدنيا، وليس الآخرة، لأن الذنوب، والهدى والضلال، لا تكون إلا في هذه الحياة الدنيا. فهذه الدار هي دار عمل وابتلاء، والآخرة هي دار حساب وجزاء. فهنالك تكون قد رفعت الأقلام وجفَّت الصحف، حيث لا ينفع يومئذ حميم ولا شفيع.

وأما القيام بأدوار في إدارة الكون والإنسان والحياة فإن الله سبحانه وتعالى قد شاءت إرادته أن يسند للملاكة أدواراً كثيرة وكبيرة في الدنيا وفي الآخرة، وتصريف أمور عديدة من شؤون الكون

والإنسان والحياة. فمنهم من ينزل بالوحي، وهو جبريل، ومنهم ملك الموت الموكل بقبض الأرواح، ومنهم من ينفخ في الصور إيذاناً بالبعث والنشور، ومنهم ميكال، ومنهم كل رقيب عتيد يسجل على الإنسان أعماله، ومنهم من يسوق الإنسان للحساب يوم القيامة. ومنهم ملائكة الجنة الموكلون بتنعيم أهلها، ومنهم خزنة النار المكلفون بتعذيب أهلها. وغيرهم الكثير ممن يتولون تدبير أمور كثيرة في هذا الكون، ويتصرفون في جوانب عديدة من ملكوت الله ممن وصفهم الله تعالى بالمدبرات والمقسمات والناشطات والنازعات.

وليس ذلك بإرادة منفردة أو بسلطان ذاتي يتمتعون به. فما هم إلا مخلوقات من خلق الله، لا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم نفعاً ولا ضَرّا، إلا أن يأذن الله لهم بذلك، ويمنحهم القدرات الخارقة لتحقيق ما يكلفون به من مهمات، أو يلعبونه من أدوار. قال تعالى: "قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ"، وقال: "مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ"، وقال بالنسبة للمؤمنين يوم القيامة: "وَالمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِّن كُلِّ بَابٍ"، وبالنسبة للنار يقول تعالى: "عَلَيْهَا مَلاَئِكَةٌ غِلاَظٌ شِدَادٌ لاَّ يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ". وهكذا آيات كثيرة تتحدث عن الملائكة وأدوارهم في الدنيا وفي الآخرة.

هذه هي الأمور الثلاثة التي تنحصر فيها شفاعة الملائكة. أما شفاعتهم بمعنى أن يتوسطوا لدى الله سبحانه وتعالى لتخليص طائفة

من الناس من عذاب النار، أو لإدخالهم الجنة مع الأبرار، بدون أي مقابل أو استحقاق، فذلك لا يصح أن يصدر من الملائكة، لأنهم لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون. فليس من شأنهم، والحالة هذه، أن يطلبوا من الله سبحانه أن يغير سنته وقوانينه في هذا العالم، أو يغير المعادلات التي أنشأ عليها نظام الكون والإنسان والحياة، فذلك شأنه وحده لا شريك له فيه.

وللوقوف على مصداقية هذه الفكرة، أعني شفاعة الملائكة في إطار الأدوار الثلاثة السابقة، فإننا سوف نمضي قدماً في استعراض جميع الآيات التي توهم المتوهمون أنها تثبت شفاعة الملائكة لتخليص المجرمين من عذاب يوم القيامة:-

قال تعالى: "يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لاَ عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلاَ تَسْمَعُ إِلاَّ هَمْساً * **يَوْمَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً** * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً * وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً * وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلاَ يَخَافُ ظُلْماً وَلاَ هَضْماً".

وقال تعالى: "وَقَالُواْ اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ **وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى** وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ".

من سياق هذه الآيات يظهر بوضوح أنها تتحدث عن الملائكة، وعن دورهم في ذلك اليوم، من حيث الشفاعة ومن حيث العلم. فهم في ذلك المقام– مقام الحشر– لا يعلمون ما بين أيديهم وما خلفهم، حتى إنهم لا يملكون من العلم ما يحيطون به من أخبار ذلك اليوم– يوم الحشر.

وأما من حيث الشفاعة فإن الملائكة في ذلك اليوم، أيضاً، ليس لهم شفاعة أبداً. فقوله تعالى: "يَوْمَئِذٍ لاَّ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ **إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً**" هو نفي جامع مانع قاطع للشفاعة بجميع صورها وأشكالها. فالاستثناء في قوله تعالى: "إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً"، هو أسلوب معروف في لغة العرب لتوكيد النفي. فيصبح معنى الآية في هذه الحال هو: يومئذ لا تنفع الشفاعة أبداً. وذلك نظير قوله تعالى: "**سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنسَى، إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ**"، يعني سنقرئك فلا تنسى أبداً، ونظير قوله تعالى: "خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ"، يعني خالد فيها أبداً، ونظير قوله تعالى في حق الملائكة أيضاً: "يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى"، يعني لا يشفعون لأحد أبداً.

وحمل الاستثناء في آيات شفاعة الملائكة على النفي المطلق لشفاعتهم في اليوم الآخر، كما هو معروف ومألوف لغة في لسان العرب أمر حتمي، لا يصح ولا يجوز غيره. لأننا لو حملناه على

الحقيقة لترتب على ذلك أن نضرب آيات القرآن المتعددة، في نفس الموضوع، بعضها ببعض، أو أن نضرب الآية الواحدة كذلك بعضها ببعض. فمثلاً لو أننا حملنا على الحقيقة الاستثناء في قوله تعالى: "سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنسَى، إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ"، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يعود بالإقراء معصوماً من النسيان. فهو، الحالة هذه، سوف ينسى ما شاء الله له أن ينسى. وحينئذ يصبح لا معنى لقوله تعالى: "سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنسَى"، لأن النسيان بالاستثناء واقع لا محالة. وحينئذ تصبح الآية نفسها متناقضة يضرب آخرها أولها. فهي في أولها تقرر أن الإقراء هو من أجل عصمة الرسول من النسيان، وهي بعد ذلك، بالاستثناء الحقيقي، تنقض تلك العصمة وتجعل الرسول عرضة لنسيان ما شاء الله له أن ينسى.

ومثلاً، لو أننا حملنا على الحقيقة الاستثناء في قوله تعالى: "خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ **إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ**"، فإننا نكون قد فككنا ارتباط الخلود بدوام السموات والأرض. وضربنا أول الآية بآخرها.

ومثلاً لو أننا حملنا على الحقيقة الاستثناء في قوله تعالى: "يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى"، لضربنا هذه الآية بعشرات الآيات التي تنفي الشفاعة منطوقاً ومفهوماً، وتحصر تقرير مصير الإنسان في اليوم الآخر بما قدمت يداه من

عمل صالح أو غير صالح، وتنفي نفياً قاطعاً، لا استثناء له، أي سبيل آخر للنجاة في ذلك اليوم، كما قال تعالى: **يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً، ولا تجزي نفس عن نفس شيئاً، وكل نفس بما كسبت رهينة، وأن ليس للإنسان إلا ما سعى، ومن يعمل سوءاً يُجْز به، وما للظالمين من أنصار، واقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا، فاليوم لا تظلم نفس شيئاً، ولا تجزون إلا ما كنتم تعملون، وقالوا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، ويوم تجد كل نفس ما عملت من خيرٍ محضرا، وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيدا.** فالاستثناء، والحالة هذه، لو حمل على الحقيقة فإنه سوف يخرج القرآن عن مداره، ويهدم قانون الجزاء والعمل ويأتي بنيانه من القواعد.

أضف إلى ذلك أننا لو أمعنا النظر في الآية الأولى في صدر هذا البحث التي يتوهمها البعض مثبتة لشفاعة الملائكة، لوجدناها تقول: "وقد خاب من حمل ظلماً". فلو كان هنالك شفاعة، للملائكة أو غيرهم، لما خاب من حمل ظلماً، لأن من خفت موازينه في هذا المقام سوف ينجو بالشفاعة مهما حمل من ظلم. كما أنه لو كان هنالك شفاعة لانتفت الحاجة كذلك لتطمين أرباب الصالحات من أن ظلماً أو هضماً لحقوقهم لن يلحق بهم. فهم سيوفون أجورهم كاملة بفضل إيمانهم وأعمالهم الصالحات، وليس لأي سبب آخر كالشفاعة

المزعومة، والآية الكريمة تمضي قائلة: "وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلاَ يَخَافُ ظُلْماً وَلاَ هَضْماً".

فالشفاعة، والحالة هذه، لو حاولها الملائكة فلسوف تكون تجاوزا منهم على عدل الله وسنته في الجزاء والعمل. وتلك معصية لا يقدم عليها الملائكة أبداً، ولا يستطيعون، حتى لو أرادوا، أن يغيروا شيئاً من قوانين الله وسننه في مخلوقاته.

أما قوله تعالى: "إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الأَمْرَ **مَا مِن شَفِيعٍ إِلاَّ مِن بَعْدِ إِذْنِهِ**"، وقوله: "اللَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ **مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ** يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ"، وقوله: "وَكَمْ مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ **لاَ تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلاَّ مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى**".

فإن كلمة **يشفع** في هذه الآيات قد وردت على معنى آخر من المعاني التي تحملها كلمة الشفاعة في لسان العرب. فمما ورد في كتاب "**المفردات في غريب القرآن**" **للراغب الأصبهاني** أن الشفيع هو من انضم إلى غيره وعاونه حتى صار شفعاً له أو شفيعاً. وهذا مفاده أن **عبارة يشفع عنده إنما تعني من يدبر أو يصّرف الأمر معه**. غير

أن هذا الدور الذي تقوم به الملائكة في تصريف بعض شؤون الكون لا يعني أنهم يملكون قدرات ذاتية خارقة تمنحهم القوة على التصرف في كثير من شؤونه، بإرادة منفردة وتدبير مستقل عن سلطان الله وتفرده في ملكوته. فالله تعالى هو الذي يأذن لهم، وهو الذي يزودهم بالعلم اللازم، وهو الذي يمنحهم القدرات الخارقة. فهم آلية من الآليات التي خلقها الله لضبط حركة الكون، فهم لا يختلفون ولا يخرجون في ذلك عن سائر سنن الله وقوانينه التي تضبط حركة هذا الكون وسيرته وعلاقاته، مثل قوانين الجاذبية والضغط والحرارة والإنارة والوزن والتغير والسرعة والتكاثر، والبقاء والفناء.

ومن سياق هذه الآيات علينا أن ندرك أن الله تعالى هو الذي يدبر أمر الكون وحده، لا ثاني له في فصل الأمر، إلا أن يأذن هو للمدبرات والمقسمات والناشطات والنازعات وغيرها من الملائكة، فيفعلون ما شاء الله لهم أن يفعلوا، من بعد إذنه تعالى لهم.

وبعبارة أخرى فإنه لا يوجد من يتصرف في أي أمر من أمور هذا الكون إلا بإذنه تعالى، وليس بإرادة وقدرة ذاتية مستقلة يكون بها شريكاً لله في تدبير أمور الكون والإنسان والحياة. فالله تعالى مهيمن على ملكوته في الأرض والسماء هيمنة مطلقة، وعلمه محيط بكل شيء إحاطة تامة. فلا يعجزه علم ولا قدرة للسيطرة على هذا الكون. والملائكة لا يعلمون شيئاً إلا بالقدر الذي يأذن لهم به الله، ولا

يتصرفون بشيء من أمور هذا الكون إلا بإذن الله وحده. ولو اعتقد أحد بخلاف ذلك لوقع في الشرك والكفر العظيم.

نخلص من ذلك كله إلى أن الآيات التي تتحدث عن شفاعة الملائكة قسم منها ورد في صيغة استثناء، وهذه قاطعة في نفي الشفاعة، كما يدل على ذلك لسان العرب، وقسم منها ورد على معنى المعاونة، كناية عن الأدوار التي تمارسها الملائكة في تصريف وإدارة وتسيير بعض شؤون الكون والإنسان والحياة، ضمن دائرة التدبير الإلهي لسائر المخلوقات.

فالملائكة، والحال هذه، شأنهم شأن غيرهم أو من يقابلهم من الإنس، ليس لأحد منهم شفاعة في اليوم الآخر. فطوبى لمن طلقوا دعوى الشفاعة، بجميع أشكالها وألوانها، طلاقاً بائناً بينونة كبرى، لا رجعة فيه، وظلوا متمسكين بعروة الله الوثقى وسنته في الجزاء والعمل، كما قال: "كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ"، "فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ".

عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً

وأما آية "عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً" التي ذهب المفسرون والمحدثون وعلماء أصول الدين إلى أن " المقام المحمود" هو الشفاعة، وكذلك ما ذهبوا إليه من أن آية "وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى" تعني الشفاعة أيضاً، فإنه تحكم وتعسف في فهم النصوص، وتحميل للآيات ما لا تحتمل، لا منطوقاً ولا مفهوماً. فالمقام المحمود هو المنزلة الرفيعة الشأن في أعلى عليين في الجنة يوم القيامة.

أما وعد الله بأنه سوف يعطي نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم حتى يرضى، فواضح من سياق الآيات في سورة الضحى أن معناها هو اتصال الوحي بعد انقطاع، ونصر محمد عليه السلام على الكفار والمشركين في خاتمة المطاف، والظفر بنوال رضوان الله في الدنيا والآخرة، ورعاية الله الدائمة له، وذلك كله عطاء إلهي غير مجذوذ. ولا يوجد في هاتين الآيتين ما يدل، من قريب أو من بعيد، على موضوع الشفاعة. وإلصاق مفهوم الشفاعة بهاتين الآيتين ليس أكثر من اتخاذهما مشجباً يعلقون عليه دعوى لا تمت إليهما بسبب.

وأما الأحاديث التي وردت في تحديد المقام المحمود بأنه الشفاعة فهي أخبار آحاد ظنية لا تقوم بها حجة في العقيدة، لأن العقائد لا تبنى على الظن، بل على القطع واليقين. ومن الأحاديث الواردة في تفسير المقام المحمود ما أخرجه الطبراني عن ابن عباس،

"أن الله يجلس نبيه محمداً على العرش فيما بينه وبين جبريل ويشفع لأمته"[١]. وما أخرجه ابن جرير عن مجاهد:" أن الله يجلس محمداً صلى الله عليه وسلم بجانبه على العرش".

ويجدر بنا في هذا المقام أن نلاحظ أن هذه الفكرة – أعني فكرة إجلاس محمد صلى الله عليه وسلم على عرش الرحمن بجانبه – هي من أفكار الشرك المسيحية واليهودية. فقد روى اليهود أن الله يجلس موسى وداود إلى جانبه على العرش يوم القيامة. كما روى المسيحيون كذلك أن الرب الأب يجلس ابنه اليسوع على العرش إلى جانبه.

فهؤلاء البسطاء من المسلمين لما وجدوا المسيح وموسى وداود يحتلون عند أتباعهم المهاويس، الذين تعطلت عندهم المحاكمة العقلية، هذه المكانة الوثنية الخرافية، هرولوا يضعون الأحاديث التي تفرد لنبيهم، بجوار الله، مكانة وثنية خرافية، تضاهي مكانة المسيح وموسى وداود، بل تزيد عليها. وحينما كان يسأل هؤلاء الوضاعون لكثير من الأحاديث في الترغيب والترهيب كيف جوّزوا لأنفسهم الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون:" نحن ما كذبنا عليه وإنما كذبنا له". كبرت كلمة تخرج من أفواههم، عليهم اللعنة، ولهم سوء الحساب.

---

(١) أورده كذلك ابن تيمية في "مجموع الفتاوي" والشوكاني في "فتح القدير"، والديلمي في "فردوس الأخبار"، والبيهقي في "دلائل النبوة"، والسيوطي في "الدر المنثور".

فمثل هذه الصورة الطفولية عن الله، وكيف يجلس محمداً على العرش بينه وبين جبريل، أو يجلس معه وحده على العرش، تجعل من هذه الأحاديث وأمثالها مادة للتندر والسخرية، وليس مصدراً تؤخذ منه العقائد وأخبار الغيب.

لله الشفاعة جميعاً

هذه الآية: "أَمِ اتَّخَذُواْ مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لاَ يَمْلِكُونَ شَيْئاً وَلاَ يَعْقِلُونَ * قُل لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ"، وأمثالها كآية: "وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُواْ إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ"، وآية: " وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ"، نقول: إن هذه الآيات وأمثالها ترد على الكافرين دعواهم بأن لهم شفعاء يشفعون لهم يوم القيامة. كما تذكر المؤمنين بأن مصير العباد في ذلك المقام هو بيد الله وحده، فلا أحد هناك ينفع، ولا مخلوق هنالك يشفع. فكيف إذا كان الشفعاء المزعومون أوثاناً لا تملك شيئاً، ولا تقدر على فعل شيء؟!. والآيات هنا تعني أن الله، مالك الملك، هو وحده الذي يقبل الشفاعة ممن يستحقونها. وهؤلاء . كما تفيد آيات آخرى . هم من سبق أن قدموا لأنفسهم من الأعمال الصالحات، في الدنيا، ما يكفي لأن تشفع لهم عند الله في الآخرة. وهذا هو ما أشارت إليه بعض الأحاديث التي تتنزل على نفس المعنى الوارد في هذه الآيات مثل حديث: "إن القرآن يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلف ظهره ساقه إلى النار". [صحيح مسلم]

مزيد من الاستنارة في بطلان الشفاعة

١. التوبة

وردت آيات كثيرة في كتاب الله تعالى طلبت من المسلم أن يتوب إلى الله توبة نصوحاً في الحياة الدنيا، وهو قادر عليها قبل الموت، كما قال تعالى: "إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَئِكَ يَتُوبُ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً * وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً"، وقوله تعالى: "فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ"، وقوله تعالى: "إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ"، وقوله تعالى: "أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ"، وقوله تعالى: "وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى"، وقوله "إِلاَّ مَن تَابَ وَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ شَيْئاً"، وقوله تعالى: "فَأَمَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَعَسَى أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ"، وقوله تعالى: "وَالَّذِينَ عَمِلُواْ السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِن بَعْدِهَا وَآمَنُواْ إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ".

فهذه الآيات واضحة وصريحة وقاطعة في لزوم التوبة، مع الإيمان والإصلاح، لمن يعملون السيئات. والإصلاح هو العمل الصالح الذي يدل دلالة قاطعة على أن التوبة كانت نصوحا. وهي علاوة على أن الله تعالى قد طلبها طلباً جازماً في الحياة الدنيا فإنه لا يقبلها إلا من المؤمنين الذين يعملون السوء بجهالة، ثم يتوبون من قريب، أي في الحياة الدنيا وهم قادرون على معاودة السيئات، فلا يداومون على فعل المعاصي، ولا يستهترون بأوامر الله ونواهيه، ولا يبارزون الله بالمعاصي حتى يغرغروا.

فلو كانت هنالك شفاعة في اليوم الآخر لأجزأت الإنسان، ولما كان للتوبة في هذه الحياة الدنيا أي معنى أو ضرورة. فلا يمكن أن يكون هنالك توبة، وأن يكون هنالك شفاعة، في آن واحد. فإذا كانت التوبة من شأنها أن تمحو الخطايا والذنوب والآثام، بحيث يخرج منها الإنسان كيوم ولدته أمه، فما حاجته إلى الشفاعة بعد ذلك؟ وإن كانت الشفاعة هي الطريق الذي يوصل الإنسان إلى عفو الله ومغفرته في الدار الآخرة فلم فرضت عليه التوبة في الحياة الدنيا، بلا تأخير ولا إبطاء؟

إن طلب الشارع التوبة طلباً جازماً إنما هو قرينة قاطعة على أنه لا توجد هنالك شفاعة تقوم مقامها وتغني الإنسان عن فعلها. فالله تعالى حين جعل التوبة والاستغفار، مع الإيمان والعمل الصالح، طريقاً

لرجحان الحسنات على السيئات، فإنه لا يبقى للشفاعة مكان، نظراً للتعارض الكلي بينهما. **فالمعادلة بكل بساطة هي: إما توبة وإما شفاعة**، ولا منزلة بين المنزلتين.

٢. معادلة الجزاء والعمل

إن **الشفاعة هي إسقاط لناموس العدالة الإلهية** من ناحيتين:

أ- اقتضى ناموس العدالة الإلهية أن لا يدخل الجنة إلا كل مستحق لها ممن ثقلت موازينه، وأوتي كتابه بيمينه، مصداقاً لقوله تعالى: "فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ". وقوله: "فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ".

فإن تدخلت الشفاعة وغيرت المعادلات، ودخل الجنة بوساطتها أناس ممن خفت موازينهم، وأوتوا كتبهم بشمائلهم، أو من وراء ظهورهم، يعني بغير حق، فتساووا في ذلك مع أولئك الذين ثقلت موازينهم، وأوتوا كتبهم بأيمانهم، ودخلوا الجنة بحق، فماذا ستكون فائدة الإيمان والعمل الصالح في الدنيا، ما دام يستطيع الظفر بالجنة أناس لا يستحقونها أبدا؟ ولماذا إذاً قال تعالى: "الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً" ولم يقل: ليبلوكم أيكم أحسن واسطة، أو أيكم أحسن محسوبية؟!!

وماذا سيكون ميزان الثواب والعقاب في اليوم الآخر إن لم يكن العمل، بخيره وشره، هو مقياس الجزاء؟ وكيف سيرى الأخيار والأشرار ما قدمت أيديهم، وكيف سينالون عليها أجرهم جزاء وفاقاً لقوله تعالى: "مَّنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ"؟ وهل يستقيم أمر العدالة الإلهية إذا تساوى الأخيار والأشرار في العاقبة والمصير، والله تعالى يقول: "لاَ يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ، أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ؟".

ب – اقتضى ناموس العدالة الإلهية أن لا يدخل النار إلا كل مستحق لها ممن خفت موازينه، وأوتي كتابه بشماله، مصداقا لقوله تعالى: "وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ"، وقوله: "وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ" وقوله: "لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُواْ بِمَا عَمِلُواْ". فإن تدخلت الشفاعة وغيرت المعادلات، وأخرج من النار أناس لم ينالوا قسطهم من العذاب الذي ترتب على سيئات أعمالهم، يعني بغير حق، وظل في النار أقوام آخرون يعذبون فيها بحق، فماذا سيكون مصير العدالة الإلهية سوى أنها ذبحت ذبح النعاج في أحد مسالخ المحسوبية؟! ولكن هيهات هيهات! فالله سبحانه ليس بظلام للعبيد، وهو القائل: "لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيِجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِالْحُسْنَى".

٣. الوعد والوعيد

لمّا كان الله تعالى صادقاً في وعده "وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ"، وصادقاً في وعيده "مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَاْ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ"، فإن الشفاعة تسقط وعده بأن ليس للإنسان إلا ما سعى، وأنه إنما يدخل الجنة بعمله، حيث تؤدي الشفاعة حينئذ إلى تغيير المعادلات، فيظفر بالجنة والرضوان أقوام بلا سعي ولا عمل. كما تسقط الشفاعة وعيده للعصاة والمجرمين، ومرتكبي الإثم والفواحش، مثل قاتل النفس، وعاق الوالدين، والساكت عن الحق وعن الحاكم الظالم، والساكت عن الفساد والمفسدين في الأرض، والساكت عن العملاء والخونة وكبار اللصوص، والساكت عمّن يبيعون مقدرات أمتهم لأعدائها الكافرين، والذين يستبيحون أموال الناس ودماءهم وأعراضهم، ويدوسون عزة الأمة وكرامتها، والقاعد عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومعطل الجهاد، ومن يتخذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين، وآكل مال اليتيم، ومن يكذب على رسول الله متعمداً، وغير ذلك من الجرائم التي توعد الله عليها بالعذاب الشديد أو الخلود في نار جهنم.

ورغم أن من بدهيات الإسلام، التي لا يمتري فيها مسلم عنده ذرة من عقل أو مسحة من دين، أن الله تعالى صادق في وعده وصادق في وعيده، فإننا نجد أن بعض مشايخ السلف، مثل ابن القيم الجوزية، قد ركب متن الشطط، وزعم في كتابه "مدارج السالكين": "أن

الله يجوز عليه اختلاف الوعيد، ولا يجوز عليه خلف الوعد"، يعني، بكل بساطة، أنه **يجوز على الله، عند ابن القيم، أن يكون مناوراً غير جاد ولا صادق في وعيده.** سبحانه تعالى عما يصفون.

وما ذلك من ابن القيم إلا محاولة بائسة لتمرير أسطورة الشفاعة، لأنها تتناقض تناقضاً كلياً مع وعيد الله للعصاة والمجرمين بإدخالهم النار يوم القيامة. وقد فعل ذلك على متن شطحة من شطحات التقليد الأعمى الأليم، وغيبوبة العقل والفكر السليم. فلقد هان على شيخنا الفاضل أن يرد جملة من آيات القرآن الكريم الواضحة القاطعة الساطعة بدل أن يرد هذه الضلالة الإنجيلية الإسرائيلية التخريبية الهدامة التي زعمتها أحاديث الشفاعة الكاذبة جملة وتفصيلاً.

حسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم!!.

٤. هدم الفضائل

الشفاعة فكرة هدامة لكل فضيلة، إذ أنها تجعل الإنسان يركن إليها، ما دام يعرف النتيجة سلفاً. فيترك السعي الحثيث، والفكر والتدبير، والعمل الدؤوب، طالما أن أمامه طريقاً سهلاً مختصراً لبلوغ الجنة والتقلب في نعيمها المقيم، ذلكم هو الشفاعة التي لا تكلفه شيئاً، وتعفيه من الكد والتعب والكدح وعمل الصالحات في الدنيا. وبذلك يفقد الدين

الهدف الذي من أجله كان، وذلكم هو تغليب الصالحات على السيئات، وتغليب الحق على الباطل، وتغليب العدل على الظلم، وتغليب الفضائل على الرذائل في حياة الناس، حتى تتحقق من تطبيقه الغاية من وجوده وهي "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ".

على حين أن التوبة في الدنيا تحقق الغاية منها وهي إحداث تغيير نوعي في سلوك الإنسان وحياته، وهي تشكل حافزاً حاداً لدى الإنسان لإنقاذ نفسه بنفسه، بجهده الذاتي وبفعله المتجدد، لتدارك أخطائه، وتصحيح مسار حياته. فالإنسان إذا أيقن أنه لا يستطيع أن يستدرك بعد الموت ما فرط فيه في الدنيا، حيث لا توبة هناك ولا شفاعة، ولا نصرة ولا فدية،علم أنه لا خلاص له في اليوم الآخر إلا بالطاعة والتوبة النصوح في الحياة الدنيا.

٥. الطعن في حكم الله وحكمته

الشفاعة تعني فسخ الحكم الصادر بحق المشفوع لهم. وهذا يتصور في حالتين:

أ- أن يدرك الله سبحانه أن حكمه بحق المشفوع لهم كان خاطئاً، فعرف الصواب ورجع إليه، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ب- أن تتغلب المحسوبية وحظوة الشافع عند الله على ناموس العدالة الإلهية، وصدق وعده ووعيده، سبحانه وتعالى عما يصفون.

وكلا الأمرين مستحيل على الله تعالى، لأن حكمه وقضاءه لا يَعْتَوِرُهما التغيير أو التبديل، مصداقاً لقوله تعالى: "مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَاْ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ".

٦. لا يوجد في القرآن إشارة لشفاعة الرسول لا تلميحاً ولا تصريحاً

لو استعرضنا كتاب الله تعالى آيةً آية، فإننا لن نجد فيه آيةٍ واحدة فيها إشارة، مباشرة أو غير مباشرة، إلى شفاعة الرسول الكريم يوم القيامة. فمسألة بهذا الحجم، وهذه الأهمية، وهذه الخطورة، في جملة العقائد الإسلامية كما يزعمون، ولا تجد لها أدنى إشارة في كتاب الله تعالى، لا تعني إلا شيئاً واحداً، وهو أنه لا وجود لمثل هذه الشفاعة المزعومة، لا بالنسبة للنبي، ولا لغيره.

هذا، بينما نلاحظ ان الآيات التي تدعو إلى التوبة إلى الله تعالى وطلب المغفرة منه هي آيات بالغة الكثرة، وهي مبثوثة في كل منعطف في كتاب الله تعالى، مما يدل، بشكل واضح وقطعي، على أن التوبة والاستغفار، إلى جانب عمل الصالحات، هما الطريق الأوحد أمام المذنبين والعصاة لتصفية حساباتهم، والنجاة من عذاب الله يوم القيامة. وليس لهم إلى شفاعة أحد من العالمين من سبيل.

بطلان مقولة النبهاني نصدق ولا نعتقد بأحاديث الآحاد في العقائد والمغيبات

وردت أحاديث آحاد كثيرة وطويلة في كتب الحديث تناولت موضوع الشفاعة بشكل مسهب مستفيض. ولقد بلغت هذه الأحاديث من الكثرة والتكرار، في تعدد رواتها ورواياتها، حداً جعل المحدثين والمفسرين وعلماء أصول الدين والفقهاء، في الماضي والحاضر، يتوهمونها متواترة، يصل منكرها إلى حد الكفر.

ولو أننا استعرضنا أحاديث الآحاد، هذه، التي صحّت عند جمهرة المحدثين في مسألة الشفاعة ، ودرسناها دراسة كاملة شاملة، عميقة مستنيرة، لوجدناها قد انطوت على تناقضات أساسية، ومفارقات عجيبة، يكفي الوعي عليها لتبديد أوهام المحدثين، ومن سار على منهاجهم، بأنها متواترة، أو حتى صحيحة. كما يكفي الوعي عليها لردها جملة وتفصيلا، لأنها ساقطة سقوطا شنيعا من حيث الدراية، أعني سلامة المتون، كما هي ساقطة سقوطاً فاحشاً من حيث الرواية، لتناقضها تناقضاً مزرياً، وتسيبها تسيباً مريعاً.

ومثل هذا النوع من الأحاديث– أعني أحاديث الشفاعة– يوجد الكثير منه في تراثنا. لذلك ينبغي أن تدرس متونها أولاً قبل أن نلتفت إلى أسانيدها (رواياتها). فإن تبين أنها ساقطة من حيث متنها رُدّت

دراية. ولا حاجة حينئذ لإضاعة الوقت والجهد في البحث عن رواتها ورواياتها وآراء المحدثين فيها. لأن سقوطها من حيث المتن يعني أنها انطوت على معنى أو معانٍ تكذب قطعي القرآن أو غيره من الثوابت والقطعيات. فقبولها . والحالة هذه . يعتبر من أعظم الفواحش الفكرية والكبائر العقلية. فلو افترضنا أن مليون حديث توفرت على تكذيب نص قرآني واحد، قطعي الدلالة، فلا ينبغي لمسلم .كائناً من كان . أن يقف أمام مثل هذه الأحاديث المزعومة حيران مُتردّدا، وإلا كانت موازين الإدراك لديه معطلة.

وأما إذا كانت أحاديث الآحاد متعلقة بالعقيدة وأخبار الغيب، وكانت صحيحة من حيث الرواية، وغير ساقطة من حيث الدراية، فإنها، رغم ذلك، لا تفيد العلم بمعنى القطع واليقين. ولذلك يجب التوقف عندها، **فلا نصدقها ولا نكذبها. وذلك لأن الشارع الحكيم قد جعل نصاب الدليل في العقائد قطعياً**. فإن لم يبلغ الدليل النصاب، بأن كان ظنياً، وجب التوقف عنده وعدم الأخذ به، لا لأنه خطأ أو صواب، صادق أو كاذب، بل لأنه لا يشكل بينة شرعية كافية للإثبات. ومثل هذا كثير في ديننا. فالشارع الحكيم قد نصب للأنواع المختلفة من الجرائم أنصبة مختلفة من الشهادة. فقد جعل نصاب الشهادة في الأموال شاهدين، وفي القتل والسرقة شاهدين، وفي الزنى وقذف المحصنات أربعة شهود، وهكذا دواليك. فإن لم يستطع المدعي

أن يقدم بينته الشرعية، وهي كامل نصاب الشهادة في القضية المطروحة أمام القضاء، **رُدَّت دعواه لعدم كفاية الدليل، وليس لصدق الدعوى أو كذبها**. حتى لقد ذهب الشرع الشريف- حفاظاً على الأعراض- إلى معاقبة المدعي في قضايا الزنى والقذف، إن لم يستطع أن يقدم أربعة شهود لإثبات دعواه، بالرغم من أن الادعاء قد يكون صحيحاً، والشهود الذين قدمهم صادقين. إلا أن النقص في بينة الإثبات في مثل هذه القضايا ، لم يكن موجباً لردها فحسب، بل وموجبا كذلك لمعاقبة المدعي، واعتباره فاسقا يقام عليه حد القذف، وهو ثمانون جلدة. كما تسقط عدالته، فلا تقبل له شهادة حتى يتوب إلى الله توبة نصوحا.

ولا تختلف الروايات التي يراد بها إثبات حقيقة شرعية عن الروايات التي يراد بها إثبات دعوى قضائية، **فكلاهما بينة إثبات يجري التعامل معها وفق نصاب الشهادة، أو نصاب الدليل الذي حدده الشرع**. فإن لم يكتمل النصاب اعتبرت البينة غير كافية لإثبات الواقعة، ما يترتب عليه رد الدعوى- لعدم كفاية الدليل. بل من حقنا أن نقول إن إثبات حقيقة شرعية واحدة أهم وأخطر بكثير من إثبات مليون واقعة زنى أو قتل أو سرقة أو غيرها.

وصعيد المسألة في هذه الحال هو كفاية الأدلة أو بينات الإثبات أو عدم كفايتها، حسب المعايير الشرعية القطعية، وليس هو

صدق تلك الأدلة والبينات أو عدم صدقها. فشاهد واحد أو شاهدان أو ثلاثة قد يكونون عدولا صادقين في دعوى قذف أو زنى. غير أنه لما كان الشارع الحكيم قد وضع للإدانة نصابا من أربعة شهود ردت الدعوى إذا عجز المُدَّعي عن توفير نصاب الشهادة كاملاً، وأقيم عليه . أعني المدعي وحده وليس على الشهود . حد القذف، كما قال تعالى: " وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً".

وما دام الشارع الحكيم قد جعل نصاب البينة في العقيدة هو الدليل القطعي الذي يوصل إلى اليقين كانت النتيجة الطبيعية أن الدليل الذي لا يبلغ النصاب في العقيدة وأخبار الغيب المطلق والغيب النسبي يجب عدم الأخذ به، لا لصدقه أو كذبه، بل لعدم كفايته كبينة شرعية في الإثبات.

ولا نريد أن نذهب بعيداً في هذه المسألة وندفع الأمور إلى نهايتها، كما هي الحال في دعاوى الردة، فنطلب استتابة كل راوٍ، ولو لحديث آحاد واحد صحيح، ينطوي على الكفر أو إباحة الفسق والفجور، أو يناقض قطعي القرآن في أيّة آية من آياته. لأن قذف المحصنات ليس بأخطر من قذف الشريعة الغرّاء، في محاورها وأصولها وثوابتها، بمقولات باطلة، أو لا تقوم بها حجة، حسب معايير الاثبات التي وضعها الشارع الحكيم.

وصفوة القول ، إن أحاديث الآحاد– جملة وتفصيلا– لا يجوز أن نقبلها في العقائد وأمور الغيب، بل لا نأخذ بها بلا تردد، مهما بلغت صحتها من حيث الرواية، ومهما كانت منزلة رواتها عند المحدثين، ومهما كان متنها بعيداً عن معارضة القطعيات القرآنية واليقينيات الكونية والعلمية والواقعية. **وعدم الأخذ بها لا يعني بالضرورة تكذيبها، بل يعني عدم الأخذ بها، باعتبارها أدلة غير كافية، لا تقوم بها حجة في موضوعها.** كما يجب كذلك عدم إعمالها مطلقاً في مجال العقائد والغيبيات: فلا نخصص بها عاما، ولا نقيد بها مطلقا، ولا نفصّل بها مجملاً، لأن التخصيص والتقييد والتفصيل، في هذه الحال، هي أمور من صلب العقيدة ، فلا يصلح فيها من الأدلة إلا ما كان قطعياً، سواء بسواء، لأن الفرع يأخذ حكم الأصل.

ولسائل هنا أن يسأل: إذا كان واجبا علينا أن لا نقبل سائر أحاديث الآحاد الصحيحة التي لا يوجد في متونها بأس، لسبب واحد هو أنها أدلة ظنية في موضوع العقيدة والغيبيات، فكيف سنتعامل مع الآيات القرآنية، في الموضوع نفسه، إذا كانت حمالة أوجه، يعني ظنية الدلالة؟.

والجواب على ذلك هو أنه لا يوجد في كتاب الله تعالى، أية آية في موضوع العقيدة والغيب، الذي كلفنا الله تعالى بالإيمان به، حمالة أوجه، بمعنى أنها ظنية الدلالة. فكلها قطعية الدلالة وليست حمالة

أوجه، مثل قوله تعالى: "آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ". وقوله تعالى: " لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ...".

أما الذين تفرقوا واختلفوا فيها من بعد ما جاءتهم الآيات بينة واضحة قاطعة فذاك شأنهم. فالذين تقصر مداركهم عن فهم النصوص الواضحات، أو الذين يتعسفون في فهمها، أو الذين يتخذونها مشجبا يعلقون عليه مزاعم لا تمت إليها بسبب، أو الذين لا يتحالفون مع الدلالات اللغوية والقرائن الشرعية، أو الذين يلوون أعناق النصوص لياًّ تعسفياً ليظلوا متمترسين وراء مقولات ليس من شأنها إلا **أن تبطل العقل، أو تبطل التنزيل، أو تبطل العقل والتنزيل معاً**، كل أولئك لا يصح أن نعتبرهم من أهل الاجتهاد الذين إن أصاب أحدهم فله أجران، وإن أخطأ فله أجر واحد. فهؤلاء منحرفون فاقدون للأهلية، وليسوا مجتهدين. فهم لا يملكون آليات سوية للفهم السليم، ولا طريقة قويمة للتفكير السديد.

وحجتنا في ذلك أن الله تعالى طالما فرض علينا أن يكون إيماننا يقينياً– يعني مبنياً على الأدلة القطعية– فإنه لا يعقل أن يكلفنا أن نؤمن بعقائد وغيبيات لم تقم عليها أدلة قاطعة، لأن من شأن ذلك أن يكون تكليفاً بما لا يطاق. والله تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها. فإذا

كان النص (الدليل) حمّال أوجه فإنه يتعذر علينا أن نعرف . على وجه القطع واليقين– أي وجه من أوجه الدلالة هو المطلوب منا الإيمان به. وهذا ظلم، تعالى الله تعالى عنه علواً كبيراً.

أما إن كانت أحاديث الآحاد صحيحة سنداً وغير ساقطة متناً، وكانت متعلقة بالأحكام الشرعية، وهي خطاب الشارع المتعلق بأفعال العباد وليس بمعتقداتهم، فلا خلاف في وجوب العمل بها، لأن قسماً من الأحكام الشرعية مبني على غلبة الظن، من حيث الثبوت، أو من حيث الدلالة، أو منهما معاً. فطالما أقر الشرع الاجتهاد في مجال الأحكام الشرعية، وطالما كان الاجتهاد فيها يحتمل الخطأ والصواب، لذلك كله كانت غلبة الظن في موضوعها كافية وأمراً مشروعاً، شريطة أن يكون الاستنباط منضبطاً بالقواعد والدلالات اللغوية، ومنضبطاً كذلك بالأصول والقرائن الشرعية.

صفوة القول إن أحاديث الآحاد الصحيحة سنداً ومتناً، إن وجب أن نصدق بها ولا نعتقد في مجال الأحكام الشرعية، فإنه لا يجوز لنا، بحال من الأحوال، أن نصدق بها ولا نعتقد في مجال العقائد والغيبيات.

بطلان الأحاديث المثبتة للشفاعة رواية ودراية، جملة وتفصيلاً

وإذا عدنا إلى أحاديث الشفاعة فإننا يجب أن نردها بلا هوادة أو تردُّد، جملة وتفصيلا، بالغة ما بلغت كثرتها، مجتمعة ومنفردة، لثلاثة أسباب:-

أولها: أنها تكذب آيات القرآن التي تنفي الشفاعة بشكل قاطع فاصل. فهي، والحالة هذه، مردودة دراية، حتى ولو كانت سلاسل رواتها كلها ذهبية.

وثانيها: أنها على فرض صحتها من حيث الرواية، وعدم بطلانها من حيث الدراية، فإنها أحاديث آحاد، لا تفيد إلا الظن. فهي، والحالة هذه، لا تشكل مصدراً لليقين في مسائل العقيدة والغيب، فلا تقوم بها حجة في موضوعها، لا مجتمعة ولا منفردة.

وثالثها: أنها يناقض بعضها بعضاً في موضوع إخباري، وليس في موضوع تكليفي. فهي والحالة هذه ساقطة رواية ودراية. وسقوطها واضح وضوحاً صارخاً من وجوه عديدة:-

١ – فقسم منها ينفي الشفاعة في حق الرسول نفياً صريحاً قاطعاً.

٢- وقسم يثبت الشفاعة للرسول وحده، ويجعلها من خصوصياته التي فضله الله بها على الأنبياء والمرسلين كافة، وبالتالي على سائر الناس أجمعين.

٣- قسم ينسف خصوصية الشفاعة بالنسبة للرسول نسفاً، ويثبتها له في جملة شفعاء آخرين، من ملائكة، وأنبياء، وشهداء، وعلماء، وشيوخ، وأطفال، وأناس عاديين.

٤- قسم يغطي فيه الشفعاء الآخرون ساحة الشفاعة تغطية كاملة، حتى ما يبقى لأحد من العصاة والمجرمين من أمة محمد أية حاجة في شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم.

٥- قسم يغطي فيه الرسول صلى الله عليه وسلم وحده ساحة الشفاعة تغطية كاملة، حتى ما يبقى لشركائه في الشفاعة نصيب.

٦- قسم يحصر شفاعة الرسول في أهل الكبائر عامة.

٧- قسم ينقض الشفاعة في بعض أهل الكبائر.

٨- وقسم يوسع شفاعة الرسول حتى تشمل جميع الخلائق في أرض المحشر، سواء أكانوا من المسلمين أم من الكافرين، كما يوسعها حتى تشمل بعض المتهمين بالشرك كعمه أبي طالب.

٩- وقسم يترخص في نيلها ترخصاً مذهلاً، حتى إن أعداداً غفيرة هائلة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم سوف ينالون شفاعته بأتفه الأعمال، وأبخس الأثمان، وأحياناً أخرى بدون أي مقابل أبدا.

I- أحاديث تنفي الشفاعة في حق الرسول نفياً مطلقاً

١-ورد في صحيحي البخاري ومسلم، عن أبي موسى، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا أُلفيَنَّ أحدكم يأتي يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء، أو شاة لها يَعار، أو رقاع تخفق، فيقول: أغثني، أغثني! فأقول:" قد أبلغتك، لا أملك لك من الله من شيء".

٢-وفي رواية أخرى عن أبي هريرة، أخرجها البخاري ومسلم، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:" لا أُلْفينَّ أحدكم يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء يقول: يا رسول الله أغثني! فأقول:_لا أملك لك من الله شيئاً، قد بلّغتك".

٣-وروى مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة، أن النبي صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه: "وأنذر عشيرتك الأقربين" قال:" يا معشر قريش! اشتروا أنفسكم من الله، لا أغني عنكم من الله شيئاً. يا بني عبد المطلب! لا أغني عنكم من الله شيئاً. يا عباس بن عبد المطلب! لا أغني عنك من الله شيئاً. يا صفية عمة رسول الله! لا أغني عنك من الله شيئا. يا فاطمة بنت رسول الله! سليني بما شئت، لا أغني عنك من الله شيئاً". لاحظ أن عمر فاطمة في ذلك الوقت كان في حدود ٦ – ٧ سنوات.

٤-وفي حديث آخر شامل، لمسلم في صحيحه، عن أبي هريرة، قال: "قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، فذكر الغلول فعظّمه وعظّم أمره. ثم قال: "لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء، فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك. لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة، فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك. لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح، فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك. لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك. لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت، فيقول: يا رسول الله أغثني، فاقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك".

فهذه الأحاديث واضحة وصريحة وقاطعة في دلالتها بأنه لا شفاعة للرسول صلى الله عليه وسلم يوم القيامة. فهو قد بلّغ الرسالة، وأدى الأمانة في الدنيا، وليس له من أمر الخلائق في الآخرة شيء. فأمرهم يومئذ لله وحده، لا شريك له فيه. فليس عنده واسطة، ولا محسوبية، ولا قرابة، ولا نسب.

II- أحاديث تجعل الشفاعة للرسول وحده لا شريك له فيها

١-أخرج ابن حبان، وأبو داود، والمنذري في كتاب "الترغيب والترهيب"، وابن كثير في تفسيره، والبزار، كل أولئك أخرجوا عن أبن عمر، وأبي ذر، وعوف بن مالك، وعمرو بن شعيب، بصيغ مختلفة، أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال:"أعطيت خمسا ما أعطيهن نبي قبلي: أما أنا فأرسلت إلى الناس عامة وكان من قبلي إنما يرسل إلى قومه خاصة، ونصرت بالرعب مسيرة شهر، وأُحلّت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهورا، وأوتيت الشفاعة".

٢- أورد الترمذي في سننه، وابن ماجه في سننه كذلك، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم، وصاحب شفاعتهم، غير فخر".

٣- وأخرج مسلم في صحيحه، عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" أعطيت خمساً لم يُعْطَهن أحد قبلي: كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى كل أحمر وأسود، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وجعلت لي الأرض طيبة طهورا ومسجدا ، فأيما رجل أدركته الصلاة صلّى حيث كان، ونصرت بالرعب مسيرة شهر، وأعطيت الشفاعة".

٤- وأخرج البخاري في صحيحه، عن جابر بن عبد الله أيضاً، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:" أعطيت خمسا لم يُعْطَهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصلّ، وأحلت لي الغنائم، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة، وأعطيت الشفاعة".

٥-وأخرج النسائي في سننه، عن جابر بن عبد الله أيضاً، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:" أعطيت خمساً لم يُعْطَهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهورا، فأينما أدرك الرجل من أمتي الصلاة يصلي، وأعطيت الشفاعة ولم يعطها نبي قبلي، وبعثت إلى الناس كافة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة".

٦-وأخرج أحمد بن حنبل في مسنده، عن ابن عباس، أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "أعطيت خمساً لم يعطهن نبي قبلي، ولا أقولهن فخراً: بعثت إلى الناس كافة: الأحمر والأسود، ونصرت بالرعب مسيرة شهر، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأعطيت الشفاعة فأخرتها لأمتي، فهي لمن لا يشرك بالله شيئاً".

٧-وأخرج البخاري في صحيحه، عن ابن عمر، أنه كان يقول: إن الناس يصيرون يوم القيامة جثا[١]، كل أمة تتبع نبيها، يقولون: يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود.

٨-وأخرج البخاري في صحيحه عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:" كل نبي سأل سُؤلاً، أو قال: "لكل نبي دعوة قد دعا بها فاستجيب، فَجَعْلتُ دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة". وفي رواية أخرى له في صحيحه، عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" لكل نبي دعوة، فأريد، إن شاء الله، أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة".

٩-وأخرج مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:" لكل نبي دعوة مستجابة، يدعو بها فيستجاب له، فيؤتاها، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة".

١٠-وفي موطأ مالك، وسنن ابن ماجة، ومسند أحمد بن حنبل، وسنن الترمذي، وسنن الدّارمي، أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال:" لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجّل كل نبي دعوته،

(١) جالسين على رُكَبهم.

وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي. وهي نائلة من مات منهم ولم يشرك بالله شيئاً".

١١-وأخرج ابن ماجة في سننه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:" خُيِّرت بين الشفاعة وبين أن يدخل نصف أمتي الجنة، فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى. أترونها للمتقين؟ لا، لكنها للمذنبين الخاطئين المتلوثين".

١٢- وأخرج أحمد في مسنده، والترمذي في سننه، أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال في معرض تفسير قوله تعالى" عسى أن يبعثك ربك مقاما محموداً، قال: هو المقام الذي أشفع فيه لأمتي".

١٣-وفي مسند أحمد، أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال:" أريتُ ما تلقى أمتي بعدي- أي من الذنوب- فسألت الله أن يولِّيني شفاعة يوم القيامة فيهم، ففعل".

١٤- في صحيح البخاري، عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من قال حين يسمع النداء : اللهم ربَّ هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آتِ محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة".

فهذه الأحاديث وأمثالها، مما لا يكاد يخلو منه كتاب من كتب الحديث، اعتبرها المحدثون صحيحة، جريا على قاعدتهم بأن ما صح سنده صح متنه، مع أنها ليست كذلك. إلا أنها مع ذلك صريحة وواضحة في تقريرها بأن الشفاعة يوم القيامة هي من خصوصيات الرسول، لا يشاركه فيها أحد، لا من الأنبياء، ولا من سائر الناس. فكان ينبغي أن يتوقف عندها المحدثون الذين لا يجادلون في صحتها، ويعتبرونها مسلّمة من المسلمات. فإما أن يعتمدوا أطروحتها، وهي خصوصية الشفاعة، ويردوا كل حديث يناقضها، أو أن يردوها هي ويقبلوا كل حديث صح عندهم يعارضها. **أما أن ينام النقيضان عندهم في فراش واحد فذلك مما لا يمكن قبوله، لا عقلاً ولا ديناً**، لأنه يجعل فكرة الشفاعة برمتها، مهزلة من المهازل، وألعوبة من ألاعيب الجاهلين والعابثين بدين الله.

III- أحاديث تنسف خصوصية شفاعة الرسول وتجعلها مشاعا لمن هبّ ودبّ

١-" يشفع النبيون، والملائكة، والمؤمنون، فيقول الجبار:" بقيت شفاعتي". [صحيح البخاري ومسند أحمد].

٢-" يشفع يوم القيامة الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء". [سنن ابن ماجة].

٣-" فإذا فرغ الله عز وجل من القضاء بين خلقه، وأخرج من النار من يريد أن يخرج، أمر الله الملائكة والرسل أن تشفع، فيعرفون بعلاماتهم: أن النار تأكل كل شيء من ابن آدم إلا موضع السجود". [سنن النسائي].

٤-أخرج أبو نعيم، في أخبار أصبهان، عن جابر بن عبد الله، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" إذا كان عشية يوم عرفة أشرف الرب عز وجل من عرشه على عباده فيقول: يا ملائكتي! انظروا إلى عبادي شُعثا غُبرا، قد أقبلوا يضربون إليّ من كل فج عميق، فيقول:" أشهدكم أني قد شفّعت محسنهم في مسيئهم".يعني أن الملايين تشفع في الملايين، وفي رواية أخرى عن عمرو بن الضحاك: "إن الله نظر إلى

هذا الجمع فقبل من محسنهم، وشفّع محسنهم في مسيئهم. فتجاوز عنهم جميعا".

٥-أخرج أبو أحمد بن عبد الله بن شفيق، قال: جلست إلى رهط، أنا رابعهم، بإيلياء. فقال أحدهم: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من بني تميم". قلنا: سواك يا رسول الله؟ قال: "سواي". قلت: أنت سمعته؟ قال: نعم؟ "فلما قام قلت من هذا؟ قالوا:" ابن أبي الجدعاء"! ولا يسعنا في هذا المقام إلا أن نقول: فليخسأ ابن أبي جدعاء، إن صحت هذه الرواية عنه. وليخسأ من نسب هذه المهزلة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وليتبوأ مقعده من النار. **فهذه المهازل تحتاج إلى أناس قد جُدعت عقولهم حتى يصدقوها، ويتناقلوها جيلاً بعد جيل.**

٦- في الدر المنثور للسيوطي، أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين، ثم أمر مناديا ينادي: ألا ليقم أهل المعروف في الدنيا. فيقومون حتى يقفوا بين يدي الله. فيقول الله: انتم أهل المعروف في الدنيا؟ فيقولون: نعم. فيقول: وأنتم أهل المعروف في الآخرة. فقوموا مع الأنبياء والرسل فاشفعوا لمن أحببتم، فأدخلوه

الجنة، حتى تدخلوا عليهم المعروف في الآخرة كما أدخلتم عليهم المعروف في الدنيا".

٧-"إذا مُيِّز أهل الجنة، ودخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار قامت الرسل وشفعوا". [مسند أحمد]

٨-"يشفع الشهيد في سبعين إنسانا من أهل بيته". [سنن أبي داود، ومسند أحمد، والترمذي، والبيهقي]

وكأن المسألة عصبية قبلية، أو عشائرية، أو عائلية، هكذا بدون أي مقابل أو استحقاق.

٩-" إذا بلغ الرجل التسعين غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وسمي أسير الله في الأرض، وشفع في أهله". [مسند أحمد]. [انظر التعليق على حديث رقم ١٥ الذي سيتبع].

١٠-" إن من أمتي لمن يشفع لأكثر من ربيعة ومضر". [مسند أحمد]

١١-" ليدخلن الجنة بشفاعة رجل ليس بنبي مثل الحيَّيْن، أو مثل أحد الحيين ربيعة ومضر". [مسند أحمد].

ونحن هنا نتساءل: من هو هذا الرجل الذي فاق النبيين، يا ترى؟ وكيف حصل له هذا التكريم الإلهي المجاني العظيم؟

١٢–" إن الرجل من أمتي ليشفع للفئام (يعني الجماعة) من الناس، فيدخلون الجنة، وأن الرجل ليشفع للقبيلة، وأن الرجل ليشفع للعصبة، وأن الرجل ليشفع للثلاثة، وللرجلين، وللرجل حتى يدخل الجنة" . [مسند أحمد و سنن الترمذي].

من هم هؤلاء الرجال الذين أعطوا وسام التكريم الإلهي حتى فاقوا النبيين، ونالوا ما لم يظفر به المرسلون؟

١٣–"يُصَفُّ الناس– أهل الجنة– صفوفا، فيمر الرجل من أهل النار على الرجل من أهل الجنة فيقول: يا فلان! أما تذكر يوم استقيتَ فسقيتُكَ شربة؟ قال: فيشفع له. ويمر الرجل فيقول: أما تذكر يوم ناولتك طهورا، فيشفع له". [ابن ماجة في سننه]

ما هذا الترخّص، وما هذا الإسفاف المريع، وما هذه الولدنة في ترويج مثل هذه الشفاعات المزعومة؟!!

١٤–" إن أدنى المؤمنين شفاعة ليشفع في أربعين من إخوانه، كل قد استوجب النار". [مجمع البيان للطبرسي]

يعني في المحصلة لا حاجة لهؤلاء في شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم.

١٥- أخرج الطبراني، كما في تفسير ابن كثير، عن أبي سعيد الأنماري، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" إن ربي وعدني أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً بغير حساب، ويشفع كل ألف بسبعين ألفاً. ثم يُحثي ربي ثلاث حَثَيات بكفيه، وذلك إن شاء الله يستوعب مهاجري أمتي، ويوفي الله بقيته من أعرابنا".

تسيب، وتحطيم لنواميس العدالة وقاعدة الجزاء والعمل، واستغناء تام عن شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم.

١٦- واخرج أبو نعيم في أخبار أصبهان، عن انس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" صاحب الأربعين يصرف عنه أنواع البلاء والأمراض والجذام والبرص وما أشبهه، وصاحب الخمسين يرزق الإنابة، وصاحب الستين يخفف عنه الحساب، وصاحب السبعين يحبه الله والملائكة في السماء، وصاحب الثمانين تكتب حسناته ولا تكتب سيئاته، وصاحب التسعين أسير الله في الأرض، يشفع في نفسه، وفي أهل بيته" .

ونحن نقول: هل لمجرد من طال عمره، ومهما كان عمله، فضل يؤهله للشفاعة في نفسه وفي غيره، حتى ولو رُدْ إلى أرذل العمر، وأصابه الخرف والزهايمر، وأصبح لا يدرك أمراً ولا يعقل شيئاً؟!

١٧- وأخرج الترمذي عن علي بن أبي طالب، أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: من قرأ القرآن فاستظهره، فأحل حلاله، وحرّم حرامه، أدخله الله به الجنة، وشفّعه في عشرة من أهل بيته، كلهم قد وجبت له النار". يعني أن المسألة هي بكل بساطة مسألة عائلية، يتحطم على صخرتها ناموس العدالة الإلهية.

١٨- وأخرج مسلم عن عائشة، أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال:" ما من ميّت يصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مئة، كلهم يشفعون له، إلا شُفِّعوا فيه".

ألا ترى- يا رعاك الله- أن الطغاة المتجبرين المستكبرين المجرمين من الحكام، في كل زمان ومكان، يصلي عليهم الآلآف من المسلمين، فهل نقول لهم طوبى لكم وحسن مآب ؟

١٩- وأخرج مسلم عن ابن عباس، أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال:" ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً، لا يشركون بالله شيئاً إلا شفعّهم فيه". عتاة الظلمة والجبابرة يجتمع على جنازاتهم الآلاف، فهنيئاً لهم، إذن، في مقعد صدق عند مليك مقتدر !!

٢٠- وأخرج البخاري في صحيحه عن أبي الأسود، عن عمر بن الخطاب، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "أيما مسلم

شهد له أربعة بخير أدخله الله الجنة. فقلنا: وثلاثة؟ قال: وثلاثة. فقلنا: وأثنان؟ قال: وأثنان. ثم لم نسأله عن الواحد".

لا ريب أن الذي يبحث عن الشفاعة بعد هذا الحديث مغفل بامتياز، فلقد كفّى ووفىّ!!

وقد أجمل أبو حامد الغزالي في كتاب "إحياء علوم الدين" هذا التسيب، وهذا الانفلات في موضوع الشفاعة، الذي كان هو أحد ضحاياه الكبار، بما يلي:

"إعلم إذا حق دخول النار على طوائف من المؤمنين، فإن الله تعالى، بفضله، يقبل فيهم شفاعة الأنبياء والصديقين، بل شفاعة العلماء والصالحين. وكل من له عند الله تعالى جاه وحسن معاملة فإن له شفاعة من أهله وقرابته وأصدقائه ومعارفه. فكن حريصاً على أن تكتسب لنفسك عندهم رتبة الشفاعة، وذلك بأن لا تُحَقِّر آدمياً أصلاً، فإن الله تعالى خَبَّأ ولايته في عباده، فلعل الذي تزدريه عينك هو ولي الله".

ولا يسعنا في هذا المقام إلا أن نقول للإمام أبو حامد الغزالي، في هذه الشطحة الصوفية المخزية، إن الذين تزدريهم عيون الإنسان العادي – كما يفهم من كلام الغزالي – ما هم إلا الدراويش أو المهابيل الذين يبلل بصاقهم لحاهم. فإن كان هؤلاء هم أولياء الله

حقاً فما هو موقع الراشدين المؤمنين، من أصحاب العقول السليمة، والأفكار السديدة، في منظومة علاقتهم بالله تعالى؟!.

IV– أحاديث تسقط الحاجة لشفاعة الرسول أصلاً وفصلاً

١– أخرج مسلم في صحيحه، أن الله يجمع الناس في أرض المحشر يوم القيامة. وعندما يضرب الصراط، الذي هو أدق من الشعرة وأحدّ من السيف، على ظَهْري جهنم، يمر المؤمنون كالبرق الخاطف، فمنهم من يَسْلَم وينجو، ومنهم من يخدش ولكنه يخلص، ومنهم من يسقط في النار.

وهنا يلتمس الناجحون في هذه اللعبة البهلوانية– لعبة المشي على الحبل المشدود– من الله العفو عمن رسب في امتحان اجتياز الصراط وسقط في النار. فيقولون:" ربنا كانوا يصومون معنا، ويصلون، ويحجون. فيقول الله لهم: أخرِجوا من عرفتم. فيُخرِجون خلقاً كثيراً قد أخذت النار إلى نصف ساقيه، وإلى ركبتيه. ثم يقولون: ربنا! ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا به. فيقول: إرجعوا، فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه. فيخرجون خلقاً كثيراً. ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا. فيقول: إرجعوا، فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه،_فيخرجون خلقاً كثيراً. ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها خيراً (يعني أحداً فيه أدنى ذرة من خير). فيقول عز وجل: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين".

لاحظ هنا أن الراوي قد أقحم شفاعة الأنبياء والملائكة في هذه اللعبة البهلوانية إقحاما. لأن الذين تولوا الشفاعة وإخراج الناس من النار . كما يزعم الحديث . هم المؤمنون الذين نجحوا في اجتياز الصراط. وهم بشفاعتهم المتوالية لدى رب العالمين قد غطوا ساحة الشفاعة تغطية كاملة. فهم لم يتركوا في النار أحداً ممن في قلبه أدنى من مثقال ذرة من خير. فلم يعد هنالك مجال لشفاعة غيرهم من الملائكة والنبيين، ولا لشفاعة سيد المرسلين، حتى ولا لشفاعة رب العالمين.

ثم تمضى الرواية إلى نهايتها فتقول: " فتبقى قبضة من النار، فيخرج الله منها قوما لم يعملوا خيراً قط، كأنهم اللؤلؤ، في رقابهم الخواتم، يعرفهم أهل الجنة بأنهم **عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه، ولا خير قدموه**".

لاحظ هنا أيضاً أن الله سبحانه وتعالى- حسب زعمهم- قد دخل أخيراً على خط الشفاعة فأخرج البقية الباقية من النار، بدون أي مقابل، وبدون أي استحقاق، خارقاً بذلك قواعد العدل الإلهي. فهو بذلك يكون قد حرم الرسول الأكرم من أي فرصة لممارسة حقه في الشفاعة المزعومة، ويكون هو نفسه قد حطم قواعد العدل الإلهي، وضرب بها عرض الحائط، وكان مجانباً للصدق في وعده ووعيده، سبحانه وتعالى عما يصفون.

٢- روى أحمد والنسائي والبيهقي، بصيغ مختلفة، أنه " يقال للولدان يوم القيامة: أدخلوا الجنة. فيقولون: حتى يدخل آباؤنا وأمهاتنا. فيأتون الله عز وجل فيقول: مالي أراهم مُحَنْبِطين؟[١] أدخلوا الجنة. فيقولون: يا رب آباؤنا وأمهاتنا! فيقول الله عز وجل: أُدخلوا الجنة أنتم وآباؤكم".

معنى الحديث أن الأولاد قد اعتصموا في باب الجنة احتجاجا على عدم دخول آبائهم وأمهاتهم الجنة. وبكل هذه البساطة والسذاجة والهبل، ينزل الله تعالى عند رغبتهم فيدخل الأولاد وأهليهم الجنة. وهذا ليس تكذيباً صريحا للقرآن فحسب، حيث يقول تعالى: "يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ * إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ"، بل هو إسقاط لحاجة هؤلاء العصاة والمجرمين لشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم، كما يزعم الزاعمون.

٣- وأخرج البخاري في صحيحه، عن أبي ذر الغفاري، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:" أتاني آتٍ من ربي فأخبرني، أو قال: بشّرني أنه من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة. قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق"، يعني حتى بدون أن يشهد أن محمداً رسول الله!!

(١) يعني مُحرنين

وفي رواية أخرى له في صحيحه، وللبيهقي في السنن الكبرى، ولمسلم في صحيحه، أن "من شهد أنه لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله حرم الله عليه النار". وفي رواية أخرى له عنده، عن أبي ذر أيضاً، عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: ما من عبد قال لا إله إلا الله، ثم مات على ذلك، إلا دخل الجنة. قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق. قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق؟ قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق، على رغم أنف أبي ذر". وفي رواية آخرى زاد: "وإن شرب الخمر". منتهى الإجرام في التشجيع على الدعارة والفساد والإنحلال الأخلاقي.

٤- وفي صحيح البخاري ومسلم، عن طريق أنس بن مالك، عن معاذ بن جبل، ان الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، صدقاً من قلبه، إلا حرّمه الله على النار". قال معاذ: يا رسول الله: أفلا أخبر الناس فيستبشرون؟ قال: إذن يتكلوا. وأخبر بها معاذ عند موته تأثماً".

يعني أن الإيمان بالله وحده كفيل بأن يعصم جميع الأشرار من المجرمين ومرتكبي الكبائر والفواحش من دخول النار أصلاً، ولو لفترة محدودة، وأن يضمن لهم الجنة بدون أي مقابل، وبدون أي

استحقاق. وذلك خلافاً للحديث الوارد في صحيح مسلم الذي يزعم بأنه أثناء **امتحان اجتياز الصراط** يوم القيامة يسقط قسم من المؤمنين في النار، ثم بعد ذلك تبدأ عملية شفاعة المؤمنين بعضهم في بعض. وهذا يعني أيضاً أنه لا حاجة لمرتكبي الكبائر في الشفاعة، طالما كان إقرارهم بالشهادة وحده كافيا للفوز بالجنة، التي ما أعدها الله إلا للمتقين، وليس للعصاة والمجرمين والأفاكين والمفسدين في الأرض، والذين يكذبون على رسول الله أشكالاً وألواناً. أضف إلى ذلك أن هذا الحديث قد انطوى على اتهامين خطيرين:

أولهما: أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد كتم شيئاً من الوحي الذي أنزل عليه وأسَّر إلى معاذ أن لا يبلغه للناس مخافة أن يتكلوا، فكأن محمد صلى الله عليه وسلم كان قد بعث لمعاذ خاصة، ولم يكن كافة للناس بشيراً ونذيرا.

وثانيهما: أن معاذ قد خان الأمانة وأفشى السر مخافة أن يقع في الأثم لكتمانه شيئاً من أخبار الوحي، بينما الرسول صلى الله عليه وسلم لم يشعر بالإثم على خيانته لرسالة الإسلام بكتمانه بعض ما أوحي إليه من ربه!!

٥- وأخرج كثير من المحدثين مثل ابن أبي حاتم في كتاب العلل، والبزار في كتاب البحر الزخار، وابن عدي في كتاب الكامل في الضعفاء، وأحمد بن حنبل في المسند، والهيثمي في مجمع

الزوائد، وابن تيمية في مجموع الفتاوى، وابن عساكر في معجم الشيوخ، وابن القيسراني في تذكرة الحفاظ، وأبو نعيم في حلية الأولياء، وابن عبد البر في الاستذكار، أخرج هؤلاء، عن عثمان بن عفان، وعن عمر بن الخطاب، وعن عبد الله بن مسعود، وعن جابر بن عبد الله الأنصاري، وعن معاذ بن جبل، وعن أنس بن مالك، وعن أبي الدرداء، وعن أبي سعيد الخدري، وعن أبي هريرة، أخرج هؤلاء جميعهم، بروايات مختلفة، عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال:" **من شهد أن لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة**" ، وأنه قال:" **من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**" ، وأنه قال:" **من قال لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، دخل الجنة**"، وأنه قال:" الموجبتان من لقي الله عز وجل لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به دخل النار"، وأنه قال:" سيد الاستغفار أن يقول العبد: اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، وأبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي، فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت". من قالها إذا أصبح، موقناً بها، فمات من يومه ذاك، دخل الجنة. ومن قالها إذا أمسى موقنا بها، فمات من ليلته، دخل الجنة". وأنه من قال:" اشهد أن لا إله إلا الله وحده لا

شريك له وأني رسول الله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة".

مدار هذا الحديث أيضاً، برواياته المختلفة المتعددة، أن الإيمان وحده كفيل بأن يدخل صاحبه الجنة من غير أن يكون في حاجة إلى عمل صالح، أو شفاعة أو شفيع. فهو يسقط الحاجة لشفاعة الرسول أصلاً وفصلاً، طالما كان النطق بالشهادتين عن إيمان صادق أو حتى بشهادة واحدة فحسب طريقاً ممهداً موصلا وحده إلى الجنة مع الأبرار.

٧- أحاديث تسقط الحاجة لشركاء مع الرسول في الشفاعة

أخرج البخاري في صحيحه، عن أنس بن مالك، عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال:" إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض. فيأتون آدم فيقولون: اشفع لنا إلى ربك، فيقول: لست لها، ولكن عليكم بإبراهيم فإنه خليل الرحمن. فيأتون إبراهيم فيقول: لست لها، ولكن عليكم بموسى فإنه كليم الله. فيأتون موسى فيقول: لست لها، ولكن عليكم بعيسى فإنه روح الله وكلمته. فيأتون عيسى فيقول: لست لها، ولكن عليكم بمحمد صلى الله عليه وسلم. فيأتوني فأقول: أنا لها. "فأستأذن على ربي فيؤذن لي(١). ويلهمني محامد أحمده بها، لا تحضرني الآن(٢). فأحمده بتلك المحامد، وأخرّ له ساجدا، فيقال: يا محمد! ارفع رأسك، وقل يُسْمع لك، وسَل تُعْطَ، واشفع تُشَفَّع. فأقول : يا رب: أمتي، أمتي. فيقال: انطلق فأخرج من كان في قلبه مثقال شعيرة من إيمان. فأنطلق فأفعل، ثم أعود فأحمده بتلك المحامد، ثم أخرّ له ساجدا. فيقال: يا محمد! ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعط، واشفع تشفع. فأقول: يا رب! أمتي، أمتي. فيقال: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من إيمان. فأنطلق فأفعل، ثم أعوذ فأحمده بتلك المحامد، ثم أخرّ له

---

(١) وكأن الله سبحانه وتعالى يجلس في غرفة مكتب يدق عليه بابها طلباً للدخول.

(٢) كيف يجوز ذلك في حق الرسول فلا تسعفه الذاكرة وهو معصوم بالوحي؟

ساجدا. فيقال: يا محمد! ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعط، واشفع تشفع. فأقول: يا رب! أمتي، أمتي. فيقول: انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة خردل من إيمان، فأخرجه من النار، فأنطلق فأفعل. ثم أعود الرابعة فأحمده بتلك المحامد، ثم أَخِرُّ له ساجدا، فيقال: يا محمد إرفع رأسك، وقل يسمع، وسل تعط، واشفع تشفع. فأقول: يا رب إئذن لي فيمن قال لا إله إلا الله. فيقول: وعزتي وجلالي، وكبريائي وعظمتي، لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله". [يعني حتى بدون محمد رسول الله]

نلاحظ هنا أن رواية البخاري هذه تتناقض تناقضا كليا مع رواية مسلم في نفس الأمر. فعند مسلم نجد أن الشفعاء هم وحدهم المؤمنون الذين نجحوا في اجتياز الصراط. فهؤلاء لم يتركوا مجالا لشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم، ولا لشفاعة غيره. أما عند البخاري – في روايته هذه– فنجد أن الشفيع هو محمد صلى الله عليه وسلم وحده. فهو بشفاعته الشاملة لم يترك مجالا لغيره من الشفعاء الذين لا يحصيهم عدد ممن بشّرت بشفاعاتهم عشرات الأحاديث، كالأنبياء والصديقين والشهداء والعلماء وأئمة آل البيت والصالحين والشيوخ والأطفال إلى غير ذلك ممن تضيق بأشكالهم وألوانهم عقول البشر.

أضف إلى ذلك أن هذه الأحاديث وأمثالها تعني أن طائفة كبيرة من أهل الإيمان . مهما كانت درجته . قد سقطوا في النار فانصبت الشفاعة على إخراجهم منها، بينما الأحاديث الأخرى تحرم على المؤمنين دخول النار أصلاً. فهذه الأحاديث برمتها، وباختلاف رواياتها ومصادرها، يكذب بعضها بعضاً في نفس الأمر.

VI- أحاديث تحصر شفاعة الرسول في أهل الكبائر عامة

١-" شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي". سنن الترمذي، والحاكم، وابن خزيمة، والبزار، والآجري، والطبراني، وأبو داود.

٢-" إن شفاعتي يوم القيامة لأهل الكبائر من أمتي". سنن ابن ماجه، مسند أحمد بن حنبل.

٣-"إذا قمت المقام المحمود تشفعت في أصحاب الكبائر من أمتي، فيُشَفِّعُني الله فيهم". [بحار الأنوار للمجلسي]

فكيف بالله . والحالة هذه . نستطيع أن نوفق بين مجموعة الأحاديث التي تحصر الشفاعة في أهل الكبائر وبين سلسلة الأحاديث التي تجعلها مشاعاً فيمن هب ودب، سواء في ذلك شفاعة الرسول أو شفاعة غيره من البشر؟!

VII- أحاديث تنقض الشفاعة في بعض أهل الكبائر

١- عن معاذ بن جبل، أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "من طلب العلم ليباهي به العلماء، أو يماري به السفهاء في المجالس، لم ير رائحة الجنة". [مجمع الزوائد]

٢- عن أبي هريرة، أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "لا يدخل الجنة من لا يأمن جارُه بوائَقه". [صحيح مسلم]

٣- عن معقل بن يسار، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "ما من عبد استرعاه الله رعية فلم يحطها بنصحة إلا لم يجد رائحة الجنة". [صحيح البخاري]

٤- "من ولّى ذا قرابة وهو يجد خيراً منه لم يجد رائحة الجنة". [كنز العمال]

٥- "لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر". [صحيح مسلم]

٦- عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم: "الذي يطعن نفسه إنما يطعنها في النار، والذي يتقحم فيها يتقحم فيها النار، والذي يخنق نفسه يخنقها في النار". [مسند أحمد]

٧- من حديث أبي موسى، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ثلاثة لا يدخلون الجنة مدمن الخمر، وقاطع رحم، ومصدق بالسحر". [مسند أحمد وصحيح ابن حبان]

٨- "ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة: مدمن خمر، والعاق، والديّوث الذي يقر في أهله الخبث". [مسند أحمد]

٩- "لا يدخل الجنة قتّات[١]". [صحيح مسلم]

١٠- عن أبي بكر الصديق، عن النبي صلى الله عليه وسلم: "لا يدخل الجنة خِبٌّ، ولا بخيل، ولا منّان". [سنن الترمذي]

١١- عن نافع، مولى رسول الله، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا يدخل الجنة مسكين مستكبر، ولا شيخ زان، ولا منّان على الله تعالى بعمله". [مجمع الزوائد، والطبراني]

فهذه الأحاديث، ومثلها كثير، جاءت صريحة في أن المذكورين فيها محرم عليهم دخول الجنة أصلاً، رغم أنهم من أصحاب الكبائر التي وردت أحاديث كثيرة تمنحهم الشفاعة، وتجعلهم في مصافّ الناجين من النار والداخلين إلى الجنة، طالما كانوا من الموحدين الذين يشهدون أن لا إله إلا الله، حتى من غير أن تكون تلك الشهادة مقترنة بشهادة أن محمداً رسول الله**!!**

---

(١) يعني نَمّام

VIII- شفاعة الرسول للكفار . أبو طالب وأهل المحشر

١- روى البخاري عن خبّاب بن أبي سعيد الخدري، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم، وقد ذكر عنده عمه أبو طالب، فقال: "**لعلّه تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من النار، يبلغ كعبيه، يغلي منه دماغه**". والضحضاح هو القليل أو اليسير.

وروى مسلم في صحيحه، عن العباس بن عبد المطلب، أنه قال:" يا رسول الله! هل نَفَعْتَ أبا طالب بشيء، فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: نعم، هو في ضَحْضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار".

وروى مسلم أيضاً في صحيحه، عن عبد الله بن الحارث، قال: "سمعت العباس يقول: قلت: يا رسول الله! إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك، فهل نفعه ذلك؟ قال: نعم. وجدته في غمرات من النار فأخرجته إلى ضَحْضاح".

وروى مسلم أيضاً في صحيحه، عن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرعنده عمه أبو طالب فقال:" لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة، فيجعل في ضحضاح من نار، يبلغ كعبيه، يغلي منه دماغه".

فهذا الحديث برواياته المختلفة يعني أن الرسول الكريم سوف يشفع في عمه أبي طالب، الذي زعموه توفي على الكفر، فيخفف عنه العذاب. مع أن المعلوم من الدين بالضرورة أن الكفار لا تنفعهم يوم القيامة أية أعمال صالحات قاموا بها في الحياة الدنيا، لأن من شروط قبولها والانتفاع بها الإيمان الصادق. وذلك مصداق لقوله تعالى: " مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَّ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلاَلُ الْبَعِيدُ"، وقال تعالى: "وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ". فهذه الآيات واضح فيها أن الكفار حسناتُهم في الدنيا لا تشفع لهم في الآخرة، طالما لم تكن في أصلها طاعة لله ولرسوله، أي كانت عارية عن الإيمان.

أضف إلى ذلك أن الله تعالى قال في موضع آخر: "مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُواْ أُوْلِي قُرْبَى مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ". فإذا كان لا يجوز للنبي صلى الله عليه وسلم أن يستغفر للكافرين والمشركين في الدنيا، حتى ولو كانوا من ذوي قرباه، فكيف يجوز له أن يشفع لهم في الآخرة؟

ولا ينبغي أن يفوتنا في هذا المقام أن ندرك **أن أبا طالب، رضي الله عنه، كان هو المسلم رقم واحد بعد الرسول صلى الله**

عليه وسلم، وأن سيرته الفعلية في حمل الدعوة الإسلامية والتضحية في سبيلها، في العهد المكي حتى وفاته، هي شاهد صارخ على ذلك. ولقد كان من سياسة الرسول صلى الله عليه وسلم في حمل الدعوة، ومواجهة معسكر الشرك أن يجعل بعض المؤمنين به من ذوي المؤهلات الخاصة يخفون إسلامهم كي يتمكنوا من أن يلعبوا أدوارا خفية لصالح المسلمين داخل معسكر المشركين. فكان أبو طالب . رضي الله عنه . يوهم كفار قريش بأنه ما زال مشركا مثلهم، كي يتمكن من أن يلعب احياناً دور الوسيط بينهم وبين محمد صلى الله عليه وسلم، أو يشكل في أحيان أخرى جسراً للتفاهم والتواصل بين الفريقين. **كذلك كان شأن العباس بن عبد المطلب**، كي يلعب هو الأخر دوراً مماثلاً مع كفار قريش، حتى لقد وصفه أحد المحققين من المستشرقين: **بأنه كان رئيس قلم استخبارات محمد بين المشركين في مكة**. ولو لم يكن الأمر كذلك لما اصطحبه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أخطر اجتماع سري في حياته، وذلكم هو اجتماع بيعة العقبة الثانية.

ومثل أبي طالب والعباس نجد أشخاصاً آخرين يلعبون أدواراً سرية لصالح الدعوة الإسلامية مثل: **هشام بن عمرو، وأبو البختري ابن هشام، وزمعة بن الأسود، وزهير بن أبي أمية** [ابن عاتكة بنت عبد المطلب]، **والمطعم بن عدي**.

ففي مرحلة من مراحل الدعوة في مكة اتفقت كلمة قريش على مقاطعة المسلمين مقاطعة تامة في البيع والشراء، وفي الزواج، وفي الحماية القبلية والعشائرية، وما شاكل ذلك. **وكتبوا في ذلك صحيفة علقوها في جوف الكعبة** توكيداً لنصوصها.

غير أن هؤلاء الرجال الخمسة قد نجحوا في إثارة الشارع القرشي ضد هذه الصحيفة، ونحجوا في شق الصحيفة، حتى قال أبو جهل: "**هذا أمر دُبِّر بليل**".

ومثل ذلك **الدور الذي لعبه المطعم بن عدي** حين قفل الرسول صلى الله عليه وسلم عائداً من الطائف، بعد أن رده أهلها رداً سيئاً. فبدل أن يستجيب أهلها بنو ثقيف إلى دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم، راحوا يوجهون إليه كل إهانة وتحقير وصدود. وإذ ذاك فقد خشي الرسول صلى الله عليه وسلم، إن هو عاد إلى مكة من غير حماية مُجير، أن تمنعه قريش من العودة إليها كي تصرفه عنها، ويظل هائماً على وجهه في البراري والقفار والجبال.

فأوعز صلى الله عليه وسلم إلى المطعم بن عدي، وكان ذا قوة ومنعة في قريش، أن يجيره علانية من قريش. فما كان من المطعم إلا أن حمّل أبناءه السلاح ووقف معهم عند أركان البيت ونادى قائلاً: "**يا معشر قريش! إنني قد أَجَرْتُ محمداً، فلا يَهْجُه منكم أحد**".

فعاد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى بيته تحت حراسة أبناء المطعم. غير أن أبا جهل قد ساوره الشك في الأمر، فسأل المطعم قائلاً: "**أمجيرٌ أنت أم مُتابع؟**" يعني مسلم. فقال المطعم، إخفاء لهويته الإسلامية، بل أنا مجير.

ومثل ذلك، **الدور الذي لعبه نعيم بن مسعود** في المدينة أيام غزوة الخندق، حين أخفى إسلامه، واستغل علاقته الخاصة بيهود بني قريظة، وبقريش، وبعشيرته غطفان حلفاء قريش. فاستطاع أن يحدث في صفوف معسكر هؤلاء الأعداء فتنة كبيرة أوقعت بينهم اختلافاً شديداً، فرّق شملهم، وجعل قريشاً وغطفان، كل منهما ينسحب إلى بلده. وتخلوا عن بني قريظة، وتركوهم وحدهم يواجهون مصيرهم الأسود، بلا رديف ولا حليف.

وأما حكاية سيدنا إبراهيم مع أبيه فلا تزيد الأمر إلا وضوحاً. قال تعالى: "وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لأَبِيهِ إِلاَّ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ للَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لأَوَّاهٌ حَلِيمٌ".

٢- أخرج مسلم في صحيحه: "أن الله يجمع الناس يوم القيامة (في أرض المحشر)، فيهتمون لذلك (يعني ينصبّ همهم واهتمامهم على زوال الكرب الذي هم فيه) فيقولون: لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا **(يعني يخلصهم من هول المحشر)**. فيأتون آدم يلتمسون منه أن يشفع لهم عند الله

فيعتذر، ثم إلى إبراهيم فيعتذر، ثم إلى موسى فيعتذر، فيذهبون إلى عيسى فيعتذر. وأخيراً يذهبون إلى محمد صلى الله عليه وسلم فيستأذن على ربه[١]. **فحينما يؤذن له، ويرى الله، يخر ساجداً حتى يقول له الله: ارفع رأسك، وسل تعط، واشفع تشفع**".

فشفاعة الرسول في سائر الخلائق لتخليصهم من أهوال المحشر تعني أن شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم قد امتدت إليهم فنالوا حظا منها. وهذا مما يخالف قطعي القرآن الذي يقرر في العديد من آياته أن الكافرين لا تنفعهم شفاعة الشافعين. مع أن أدعياء الشفاعة قد اعتبروا هذه الشفاعة هي الشفاعة العظمى التي اختص الله بها رسوله الكريم، من دون الملائكة وسائر الأنبياء والمرسلين. أضف إلى ذلك أن جواز الشفاعة في الكفار يناقض الأحاديث الكثيرة التي زعموها تحصرها في أهل الكبائر من المسلمين فقط لا تتعداهم، وفيمن مات يشهد أن لا إله إلا الله ولا يشرك به شيئاً.

ومن طريف ما قرأت بهذا الصدد **ما قاله ابن تيمية** في كتاب مجموع الفتاوى: "**فإذا كان في الكفار من خَفّ كفره** بسبب

---

(١) كما أسلفنا من قبل، وكأن الله سبحانه وتعالى يجلس في غرفة مكتب يدق عليه بابها طلباً للدخول وعرض المطالب.

نصرته ومعونته **فانه تنفعه شفاعته صلى الله عليه وسلم في تخفيف العذاب عنه، لا في إسقاط العذاب بالكلية**".

IX – أحاديث تترخص ترخصاً مذهلاً في نيل الشفاعة

١. أخرج الحكيم الترمذي، والبزار، وابن خزيمة ، وابن عدي، والدارقطني، والبيهقي، عن ابن عمر، أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "من زار قبري وجبت له شفاعتي". [السيوطي في الدار المنثور].

٢. عن علي بن أبي طالب قال: "من سأل لرسول الله صلى الله عليه وسلم الدرجة والوسيلة حلت له شفاعته يوم القيامة". [كتاب مختصر تاريخ دمشق].

٣. من قال حين يسمع النداء: "اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه اللهم مقاماً محموداً الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة". [صحيح البخاري]

٤. عن أبي هريرة، أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "إن لله تسعة وتسعين اسماً، مئة إلا واحد، من أحصاها دخل الجنة". [صحيح البخاري]

يعني أن الفاعل هنا ليس في حاجة إلى توبة في الدنيا ولا لشفاعة أحد في اليوم الآخر!

٥. في "فردوس الأخبار"، عن أبي الدرداء: "من قرأ آية في كل يوم شفع في سبع قبور حول قبره، وخفف الله عن والديه، وإن كانا مشركين". [يعني صار هو الشفيع!]

٦. عن ابن عباس: من قرأ سورة الأعراف جعل الله بينه وبين إبليس سترا. وكان آدم شفيعاً له يوم القيامة. [فردوس الأخبار].

شفاعة آدم مهزلة جديدة تضاف إلى جملة المهازل السابقة.

٧. عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: لكل نبي دعوة يدعو بها، فأريد أن اختبئ دعوتي، شفاعة لأمتي يوم القيامة".

يعني أن أمته صلى الله عليه وسلم سوف ينالون شفاعته، مهما عظمت ذنوبهم، بلا عمل ولا ثمن، بل بمجرد الانتماء لمحمد صلى الله عليه وسلم.

لهذا كله يجب رد الأحاديث المثبتة للشفاعة كافة، جملة وتفصيلاً، بالغة ما بلغت كثرتها للأسباب الثلاثة الواردة في مطلع هذا البحث، مجتمعة ومنفردة، وهي: تكذيبها لقطعي القرآن، وتكذيب بعضها لبعض، وتكذيب الحديث الواحد نفسه بنفسه أحياناً، وكونها أخبار آحاد لا تقوم بها حجة في العقائد وأخبار الغيب، حتى ولو كانت صحيحة من حيث الرواية ولا غبار عليها عند رواة الحديث كافة.

أحاديث الآحاد لا تقوم بها حجة في العقائد والمغيبات . لا مجتمعة ولا منفردة

إن مما لا شك فيه أن من شأن أحاديث الشفاعة هذه، جملةً وتفصيلاً، بما فيها من متناقضات فاحشة، ومزاعم باطلة، وعصبيات مقيتة، وسخافات ومهازل شنيعة، وترخص مذهل، في محور أساسي وحساس من محاور العقيدة الإسلامية، نقول إن من شأنها أن تحقق للجناة الوضاعين أهدافاً غاية في الهدم والتخريب:

أولاً: أن توجد في الأمة إعاقة عقلية حين يحمل العقل على التصديق بالشيء وبنقيضه التام في وقت واحد. فأنت مثلاً مطلوب منك أن تؤمن – حسب ما جرت به كثير من الأحاديث – بأن الشفاعة هي من خصوصيات الرسول صلعم وحده، لا يشاركه فيها أحد من العالمين، لا نبي مرسل، ولا ملك مقرب. وفي الوقت نفسه عليك أن تؤمن – حسب ما جرت به أحاديث أخرى كثيرة– بأن الشفاعة ليست من خصوصيات الرسول، بل هي مشاع لمن هب ودب من أنبياء ومرسلين، وشهداء، وشيوخ وأطفال، وأقارب، وأباعد، وجيران، وأصدقاء.

ثانياً: أن تضرب اليقين في محور من محاور العقيدة الإسلامية التي لا يعتريها تناقض ولا احتمال ولا قيل ولا قال.

فالتناقض في أحاديث الشفاعة من شأنه أن يثير لدى العقلاء الشك والبلبلة والحيرة في أمر اعتقادي قطعي مفروغ منه، لا يحتاج إلى اجتهاد أو تأويل.

وثالثاً: أن تهدم قاعدة الجزاء والعمل التي على أساسها قامت الشرائع والأديان، فكل نفس بما كسبت رهينة، فأما من ثقلت موازينه فهو من أهل الجنة مع الأبرار، وأما من خفت موازينه فهو في النار مع الأشرار.

ورابعاً: أن توهن حافز الالتزام بشرع الله وأحكام دينه لدى كل مؤمن بالشفاعة، طالما كان مصير الأخيار والأشرار، يوم القيامة، واحداً. فالكل يحمل بطاقة تأمين شامل تضمن له جنات النعيم، ببركة شافع من الشافعين.

ولو أن الدارسين والباحثين في هذه المسألة أمعنوا النظر في هذه الأحاديث لانتهوا – من غير ما تمحّل، ولا تكلف، ولا تعسف في تحميل النصوص ما لا تحتمل– إلى ما انتهينا إليه، من أنها لا تقوم بها في موضوع الشفاعة حجة، لا مجتمعة ولا منفردة. علاوة على أنها، حتى ولو كانت كلها صحيحة، فإنها لا تصلح دليلا في العقيدة وأمور الغيب. وما زعمه كثير من المحدثين، على مر العصور، بأن أحاديث الآحاد – حتى ولو كانت ضعيفة – فإنه يشد بعضها أزر بعض، ما هو إلا سراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء،

حتى إذا أتاه لم يجده شيئاً، ووجد أن صفراً زائد مليون صفر لا تساوي إلا صفراً مُجسَّما!

أما ما ذهب إليه كثير من المحدثين والمشتغلين بالدراسات الحديثية، قديماً وحديثاً، من أن أحاديث الآحاد التي صحّت عند المحدثين، وخاصة منها ما اتفق عليه البخاري ومسلم، هي حجة قائمة بذاتها في العقائد وأمور الغيب، وأنها تفيد القطع واليقين، فهو مغالطة كبرى، والتفاف على المرجعية القرآنية.

ولقد استدلّوا على ما ذهبوا إليه بأدلة، هي في حقيقة أمرها، غير منطبقة على الواقع، لكنهم ظنوها قاطعة في موضوعها. وقد بنوا على رأيهم هذا موقفاً حاداً تجاه من يخالفهم، فاعتبروا أن من لا يقول بقولهم في هذه المسألة كافراً، وإن أرادوا أن يخففوا من عيار الاتهام والإدانة اعتبروه فاسقاً. مبتدعاً منساقاً وراء المتكلمين وغيرهم من جماعات الضالين.

وحسبنا في هذا المقام أن نبين، من وجوه فاصلة، الأخطاء المحورية التي تردّوا فيها، فضلّوا وأضلّوا، وهم يظنون أنهم يحسنون صنعاً:-

أولها: أن كل إنسان مفطور على الخطأ والنسيان طيلة حياته. كما أنه يجوز عليه التحريف والتأليف فيما يرويه من أحاديث سمعها أو وقائع شاهدها، اتباعاً للهوى أو للمصلحة

الشخصية. فالراوي . والحالة هذه . بحسن نية أو بسوء طوية عرضة للخطأ من مختلف زوايا الضعف البشري. وهذه ظاهرة مدركة محسوسة في عالم البشر، لا مجال لإنكارها، أو المكابرة في شأنها. فلا عصمة فيها إلا للأنبياء والمرسلين، لتبليغ رسالات ربهم، بلا تحريف ولا تأليف.

وعليه، فإن الذي سمع حديثاً سماعاً مباشراً من الرسول صلى الله عليه وسلم، أو الذي شاهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) مشاهدة مباشرة يفعل فعلاً، يكون ثبوت ذلك كله في حقه يقينياً. أما الثاني الذي تلقى منه ذاك الحديث أو تلك الرواية فلا يمكن أن يكون على يقين بأن الراوي الأول كان معصوماً من الخطأ، مهما كان ذلك الراوي عدلاً ثقة ضابطاً لما يسمع، أو واعياً لما يرى ويشاهد.

وعلى ذلك فإن خبر الآحاد لا يمكن أن يكون يقينياً لاحتمال وقوع الخطأ المقصود أو غير المقصود لدى راويه. وبالتالي فهو لا يصلح أن يكون حجة قاطعة في العقائد وأمور الغيب التي فرض الله تعالى في آيات كثيرة من كتابه العزيز أن تكون يقينية، تستند إلى البرهان الساطع والدليل القاطع.

ثانيها: أنهم اعتبروا أن تبليغ الإسلام للكفار، كلياً أو جزئياً، إنما كان يتم في غالب الأحيان من خلال الرسول وحده، أو من

خلال آحاد الصحابة. فلو لم يكن خبر الآحاد كافياً لإقامة الحجة على الناس لما اكتفى به الرسول، ولكان له في أمر التبليغ شأن آخر.

والجواب على ذلك **أن الحجة على الناس ليست في التبليغ، بل هي في المعجزة التي تصاحب التبليغ، وفي التحدي بالمعجزة** تحدياً لا يترك ذريعة لمعاند أو مكابر. فالقرآن لم يقف عند حدود تبليغ الناس بأنه وحي من عند الله، بل شفع الإدعاء بالمعجزة القرآنية حين تحدى المخاطبين بأن يأتوا بقرآن مثله، ثم تحداهم بأن يأتوا بعشر سور مثله، ثم أخيراً تحداهم بأن يأتوا بسورة واحدة مثله، حتى تقوم الحجة على الناس، ويصدق عليهم قوله تعالى: "وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً".

ثالثها: أن الآيات القرآنية التي تناولت موضوع العقيدة وأخبار الغيب قد غطّت الساحة تغطية كاملة من حيث ما يلزم البشر معرفته والإيمان به، ولم يعد هنالك من زيادات أو تفصيلات حديثية يتوقف عليها الفهم السليم، والتصور القويم، والإيمان الصادق بشيء وراء ذلك.

ولو أننا استقصينا جملة الأحاديث المتعلقة بالعقيدة وأخبار الغيب، استقصاءاً كاملاً في المصادر الحديثية كافة، ثم أسقطنا منها جملة الأحاديث التي لا تصح دراية، وتوقفنا عند الأحاديث

التي صحت رواية ولم تسقط دراية، بالغة ما بلغت كثرتها، فإننا واجدون، بلا أدنى شك، أنها **علم لا ينفع وجهل لا يضر**. فغيابها عن الساحة الحديثية غياباً تاماً لا يقدم ولا يؤخر، في قليل أو كثير، من عقائد الإسلام وغيبياته. فنحن في غنى تام عن تلك الأحاديث جملة وتفصيلاً، دون أن يخل ذلك بالمنظومة الفكرية الإسلامية مثقال ذرة. فالاشتغال بها، والحالة هذه، هو اشتغال بما لا يلزم، وإضاعة للوقت والجهد فيما لا طائل تحته، وعامل فرقة واختلاف بين أفراد الأمة، والخصام فيها، أو الصراع على وجوب أخذها أو ردِّها، أمور ليس لها أية قيمة عملية أو أية فائدة ترتجى في واقع حياة البشر.

وذلك مثل: "في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مئة عام لا يقطعها" ومثل: "لما أسري بي إلى السماء، رأيت في السماء الثالثة ملكاً قاعداً، رجل له في المشرق ورجل له في المغرب، وبيده لوح ينظر فيه، ويحرك رأسه. فقلت: يا جبريل من هذا؟ قال: هذا ملك الموت".

ونكرر هنا ما قلناه سابقاً في ثنايا هذا البحث من أن هذا الرأي لا ينطبق إلا على الأحاديث المتعلقة بالعقائد واخبار الغيب. **أما ما كان متعلقاً بالأحكام فيجب الأخذ بها إذا صحت رواية**

وكانت غير ساقطة دراية، حتى ولو كانت ظنية، لأن الشارع الحكيم قد فرض ذلك طالما أجاز الاجتهاد فيها.

نقول هذا، علماً بأن جميع الأحكام الشرعية التي تنظم علاقة الإنسان بربه وبنفسه وبغيره، من عبادات وأخلاق، ومعاملات وعقوبات، وحكم وعلاقات دولية، وحمل دعوة وجهاد، وعلاقات اجتماعية وغير ذلك، قد وردت مجملة او مفصلة في كتاب الله وسنة رسوله. وقد عاش المسلمون، ومجتمعهم، ودولتهم، على تلك الأحكام عيشاً عملياً عشر سنوات في ظل دولة الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة، كما عاشوها أكثر من ثلاثين سنة أخرى في ظل خلافة إسلامية راشدة، بلا تحريف ولا تأليف. **فكان على المحدثين ان ينقلوا السَّنةَ كما طبقت في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة أولاً، ثم في عهد الخلافة الراشدة ثانياً، نقلاً متواتراً، تواتراً عملياً، من جيل إلى جيل، وليس باعتبارها أخبار آحاد يتناقلها الرواة واحداً عن واحد. علماً بأن الأمة ما زالت تتناقل معظم السنن التي تحمل أحكاماً شرعية نقلاً متواتراً عملياً من جيل إلى جيل.**

فالمحدثون، والحالة هذه، قد حولوا المتواتر الى أخبار آحاد. وهذا ما فتح الباب واسعاً للدساسين والحاقدين والكذابين أن يعيثوا في مرويات السنة والحديث فساداً. وكنا في غنىً عن ذلك كله، لأن

التواتر العملي الحقيقي لا يترك للعابثين والكذابين سبيلاً. رحم الله المحدثين وغفر لهم، ورزقنا من بعدهم السداد والرشاد، والقوة على ملاحقة المجرمين في هذا الميدان، وكشفهم وإبطال مفعولهم، وتطهير السنة من مفترياتهم.

رابعها: لدى مراجعة كثير من أحاديث الآحاد المتعلقة بالعقيدة وأخبار الغيب المتفق على صحتها لدى جمهرة المحدثين، وبخاصة أحاديث البخاري ومسلم في صحيحيهما، يستطيع الباحث المدقق في متونها أن يرى أنها ساقطة من حيث الدراية، إما لمخالفتها لقطعي القرآن، أو لمخالفتها لسنة كونية، أو لمخالفتها لواقع مدرك محسوس، أو لمخالفتها لحقيقة تاريخية ثابتة، أو لمخالفتها لحقيقة علمية قطعية، أو لمخالفتها لطبيعة الأشياء، أو مخالفتها للطبيعة البشرية، أو لمخالفتها لبدهية من البدهيات، أو لمناقضة بعضها بعضاً. فإذا صح ذلك ـ كما سنبرهن عليه لاحقاً ـ فكيف يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل، فصارت أحاديث الآحاد الباطلة حجة قاطعة بنفسها في العقائد وأمور الغيب، يكفر منكرها، ويصلى نار جهنم خالداً فيها؟!

وفيما يلي عينة من مجموعة أحاديث، لا خلاف بين جمهرة المحدثين على صحتها، وخاصة البخاري ومسلم، فيها الدليل

القاطع والبرهان الساطع على أن أخبار الآحاد في العقائد وأمور الغيب لا تشكل أي حجة في دين الله، بل هي تتجاوز، في كثير من الأحيان، مرحلة الخطأ والصواب إلى مرحلة الهدم والتخريب في دين الله، دون أن يشعر أصحاب كتب الحديث، رحمهم الله، بالمطبات الخطيرة التي وقعوا فيها، وورطوا فيها جماهير المسلمين، فنالوا نيلاً فاحشاً من عقيدتهم، ومن سلامة عقولهم.

حديث رقم (١): عن ابن عباس قال: لما اشتد بالنبي وجعه قال: **إئتوني بكتاب اكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده.** فقال عمر: إن النبي صلى الله عليه وسلم غلبه الوجع، وعندنا كتاب الله، حسبنا. فاختلفوا وكثر اللغط. فقال صلى الله عليه وسلم: قوموا عني، ولا ينبغي عندي التنازع". [صحيح البخاري وصحيح مسلم]

يعني أن أمراً في غاية الخطورة والأهمية، يتوقف عليه هدى الأمة وضلالها، قبض الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يُبلِّغْه. أما وأنه قد فاته أن يُبلِّغ أمراً على هذه الدرجة من الخطورة، فهو، والحالة هذه، لم يكمل رسالته، فوصل إلينا الدين ناقصاً. وهذا طعن فاحش في دين الله، حيث يقول الله تعالى: "الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الأِسْلاَمَ دِيناً"، وتكذيب لصريح

القرآن الكريم حيث يقول تعالى: "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ".

حديث رقم (٢): عن عائشة قالت: سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً يقرأ في المسجد فقال: يرحمه الله! **لقد أذكرني كذا وكذا آية، اسْقَطْتُهنّ من سورة كذا**". وفي رواية أخرى عن عائشة أيضاً: كنت أُنْسِيتُها من سورة كذا وكذا". [صحيح البخاري وصحيح مسلم]

وهذا يعني . بصريح العبارة . أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن أميناً ولا معصوماً في حفظ القرآن، بل لولا قارئ المسجد هذا لضاع شيء من القرآن كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد نسيه. ولا يقف الطعن في هذا الحديث عند حدود الرسول صلى الله عليه وسلم، بل يمتد إلى الطعن في الله لذي أنساه بعضاً من آيات الكتاب. فكأن الله نفسه كان من العابثين في دينه ورسالاته!! نعوذ بالله من هذا الضلال البعيد.

حديث رقم (٣): حديث عن زر قال: قال لي أُبَيّ بن كعب: **كم تعدون سورة الأحزاب؟** قلت: ثلاثاً وسبعين آية. قال: فوالذي يحلف به أُبَيّ بن كعب أن كانت لتعدل سورة البقرة أو أطول. ولقد قرأنا منها آية الرجم، وهي: "الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموها البتة، نكالاً من الله، والله عزيز حكيم". [المعجم

الأوسط للطبراني، والنسائي، وابن حبان، والحاكم في المستدرك، ومسند أحمد بن حنبل، والكشاف للزمخشري].

فإذا كانت سورة الأحزاب التي هي الآن لا تزيد عن ثلاث وسبعين آية أطول من سورة البقرة التي هي الآن مئتان وست وثمانون آية فمعنى ذلك أنه قد اختفت من سورة واحدة من كتاب الله مئتان وثلاث عشرة آية على الأقل. فكم إذن من الآيات قد اختفت من باقي سور القرآن الكريم؟

وأين هذا الهراء والافتراء من قوله تعالى: "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ"؟ وأي طعن في كتاب الله اشنع من هذا وأفظع**!؟**

حديث رقم (٤): عن عائشة أنها قالت: "**سحر النبي** صلى الله عليه وسلم حتى كان يخيل إليه أنه كان يفعل الشيء ولم يفعله". وكان الشخص المزعوم الذي سحره هو اليهودي لبيد بن أعصم. [صحيح البخاري]

وهذا الحديث مصمم لضرب مصداقية الرسول في تبليغ الرسالة، وعلى يد يهودي حاقد لئيم، لا يستطيع لا هو ولا بنو إسرائيل مجتمعين أن يسحروا رسول الله، أو أن يَخْرِقوا عصمته، أو يُضَّيعُوا عقله ووعيه، طالما أن الله تعالى قد تكفل بحفظه وعصمته حيث قال: "يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ، وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ، وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ".

الشاة المسمومة المزعومة التي قدمتها امرأة يهودية للرسول في خيبر

حديث رقم (٥):

أخرج البخاري ومسلم، عن أنس بن مالك، أن امرأة يهودية من أهالي خيبر أتت الرسول صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة، فأكل منها. فجيء باليهودية إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فسألها عن ذلك. قالت: أردت لأقتلك. فقال صلى الله عليه وسلم: "ما كان الله ليُسَلِّطَكِ علي". قالوا: ألا تقتلها؟ قال: "لا". قال أنس: فما زلت أعرفها في لهوات الرسول صلى الله عليه وسلم". [اللهوات هي اللحمات التي في سقف أقصى الفم]. وتذهب الروايات الأخرى إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان إذا وجد من ذلك شيئاً احتجم.

وفي رواية أخرى عند أبي داود، عن جابر: أن يهودية من أهل خيبر سمّت شاه مصلية [يعني مشوية]، ثم أهدتها للرسول صلى الله عليه وسلم. فأخذ الذراع فأكل منها، وأكل رهط من أصحابه معه. ثم قال لهم: "إرفعوا أيديكم". وأرسل إلى المرأة فدعاها فقال لها: "أَسَمَمْتِ هذه الشاة؟" قالت اليهودية: من أخبرك؟ قال: أخبرتني هذه التي في يدي. [يعني الذراع] قالت: نعم. قال: "فما أرَدْتِ بذلك؟" قالت: قلت: إن كنت نبياً فلن تضرك، وإن لم تكن نبياً استرحنا منك". فعفا عنها، ولم يعاقبها. وتذهب الرواية إلى أن بعض

أصحابه الذين أكلوا من الشاه قد توفوا مسمومين، منهم البشر بن البراء بن المعرور.

وفي رواية أخرى لأبي داود، وفيها أن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بالمرأة اليهودية فقتلت.

وفي رواية لابن اسحق عند ابن هشام في كتاب السيرة النبوية، أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال في مرضه الذي توفي فيه، حينما دخلت عليه أم بشر بنت البراء بن معرور: "يا أم بشر، إن هذا الأوان وجدت فيه انقطاع أَبْهري من الأكلة التي أكلتها مع أخيك بخيبر". قال، يعني ابن اسحق، فإن **كان المسلمون ليرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيداً**، مع ما أكرمه الله به من النبوة.

هذا الحديث برواياته المختلفة هو من الموضوعات الإسرائيلية بامتياز. وهو ينطوي على دسائس فظيعة، على درجة بالغة من الهدم والتخريب فهو:

أولاً: يظهر الرسول صلى الله عليه وسلم أنه كان صاحب بِطْنة أذهبت عنده الفِطْنة، كما يقول المثل. فهو ما أن رأى اللحم المشوي، وكأنه مسكين بائس محروم، حتى سال لعابه، وفقد توازنه واحتياطاته الأمنية، وانكب يلتهم لحم شاة مسمومة، قدمتها له امرأة يهودية، من زمرة معادية له أشد العداء، حاقدة عليه أشد الحقد، لا ترقب فيه إلاًّ ولا ذِمَّة، تتربص به الدوائر،

انتقاماً مما فعله بإخوانها اليهود حين صفاهم في المدينة تصفية كاملة، بعد أن نكّل بهم أشد التنكيل، وأذاقهم من صنوف الموت الزؤام اشكالاً وألوانا، نقول انكب يلتهم لحم شاة مسمومة، من امرأة يهودية، في لحظة احتلاله لأرضها وديارها، وما يبعثه ذلك في نفسها ونفوس أهلها من سخط وحقد ورغبة في الانتقام.

ثانياً: إن المرأة كانت يهودية. يعني أنها تنتمي إلى أشد الناس عداوة للذين آمنوا. فهؤلاء كانت عداوتهم للرسول مزدوجة: عداوة الدين، وعداوة الدم. وهذا الغلو في العداوة كان يدفعهم لأن يتربصوا به الدوائر، ويتحينوا أي فرصة مواتية للانتقام منه، والقضاء عليه وعلى أمته ودولته. ولم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم بغافل عن ذلك لحظة في حياته، خاصة بعد أن نبهه القرآن الكريم إلى خطرهم في قوله تعالى: "لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ". وهذه اليهودية . صاحبة الشاة المسمومة . واضح كل الوضوح، أنها كانت تمثل مؤامرة اغتيال صارخة في حق الرسول صلى الله عليه وسلم. وهي قد ضبطت، بالفعل، متلبسة بهذه الجريمة النكراء وهي في طور التنفيذ، وليس في دور التخطيط والإعداد. فعلى أي أساس إذاً، يصح أن يصدق عاقل على وجه البسيطة، أن يعفو عنها الرسول صلى الله عليه وسلم، بهذه البلاهة والسذاجة، بعد أن

اعترفت اعترافاً صريحاً بأنها أرادت أن تقتله، وأنها باشرت ذلك بالفعل؟!

إن التحذير القرآني للرسول ولجماعة المسلمين من عداوة اليهود، وتجربة الرسول العملية مع يهود المدينة حين خانوا العهود والمواثيق الموقعة بينه وبينهم، وتآمروا عليه مع قريش في غزوة الخندق، وما عرف عن الرسول صلى الله عليه وسلم طيلة حياته في المدينة، من أنه كان دائماً محاطاً بحراسات سرية، تُفَوِّت على أعدائه المتربصين به، من يهود ومشركين ومنافقين، أي فرصة لقتله أو اغتياله، كل ذلك لا يدل إلا على شيء واحد، وهو أن هذه الحكاية، من أولها إلى آخرها، هي كذب في كذب، ولا تنطلي على الرسول، في أي جانب من جوانبها. فالرسول صلى الله عليه وسلم كان واعياً على مكائد اليهود، وعداوتهم له، ومؤامراتهم عليه. وكان يتحلى بالحذر الشديد، وعنده الاحتياطات الأمنية الكافية. وكان عنده، قبل ذلك وبعد ذلك كله، حماية الله له، وعصمته من الناس، مصداقاً لقوله تعالى: "يَأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ، وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ".

فلا يعقل، والحالة هذه، أن يقف الرسول صلى الله عليه وسلم إزاء هذه الجريمة اليهودية النكراء موقفاً لا يناسب المقام، ولا يتفق مع خطورة الجريمة، ولا ينسجم مع مواقفه وتجاربه السابقة مع اليهود. فالرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن بسيطاً ساذجاً كما

تذهب هذه الرواية السخيفة، بل كان على درجة من الذكاء والحكمة والدهاء، لا مثيل لها عند أحد من العالمين. وإنما المهابيل هم الذين تنطلي عليهم هذه المفتريات وأمثالها من الأكاذيب الإسرائيلية الملفقة المخترعة.

ثالثاً: إن هذا الحديث، برواياته المختلفة المزعومة، يثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد توفي متأثراً بما أكله من لحم الشاه المسمومة. وهذا يعني أن المؤامرة اليهودية لاغتياله قد نجحت، وأن ما ورد في بعض عبارات الحديث من أن الله لن يسلّط اليهودية عليه، قد ثبت بطلانه. فلو كان محمد نبياً معصوماً وصادقاً فيما يدعيه لحماه الله من شر هذه المؤامرة، ولعصم دمه، ولرد كيد اليهود إلى نحورهم، كما هو لسان حال اليهود!

رابعاً: إن الروايات المختلفة في هذا الموضوع، يكذب بعضها بعضاً، فمنها ما يزعم أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد عفا عن اليهودية مباشرة بعد أن اعترفت بالجريمة، ومنها ما يزعم أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أمر بقتلها حال اعترافها بالجريمة. فبأي من هاتين الروايتين المتناقضتين يراد لنا أن نصدق؟

خامساً: يراد من هذه الأكذوبة الإسرائيلية الكبرى أن تثبت أن اليهود، بدهائهم، وسعة حيلتهم، واعتصامهم بزبورهم وتوراتهم، هم أقوى من محمد، وحتى من رب محمد. وذلك

كله انسياقاً مع جملة الأحاديث التي صمموها لترويج هذه الفكرة، كما يتضح ذلك في حديث المعراج، وفي سحر الرسول، وفي اتخاذ التوراة مرجعاً لمحمد في قضائه وتشريعاته، وفي صيام عاشوراء، وفي السماح لعبد الله بن سلام أن يقرأ شيئاً من التوراة في صلاته، وفي اتخاذ الزبور، كذلك، مصدراً يستقي منه محمد العديد من أحكامه وتشريعاته، مثل ما جاء في بعض **الأحاديث الزبورية من أن النساء ناقصات عقل ودين، وأن صوت المرأة عورة، وأنها فتنة دائمة للرجل، وأنها خلقت من ضلع أعوج، فهي لذلك سبب كل مشكلة تواجه الرجل، لأنها شريرة بفطرتها، وغير قابلة للإصلاح في حياتها.**

كفانا غفلة أمام كيد الكافرين، ومكر الماكرين، وإسرائيليات بني إسرائيل!!

حديث رقم (٦): عن أنس بن مالك: **كان رسول الله يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه.** وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت. فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأطعمته، وجعلت تفلّي رأسه. فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استيقظ وهو يضحك. [صحيح البخاري].

ومثل هذا، الحديث، الذي رواه مسلم في صحيحه، عن أنس بن مالك قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل على أحد من النساء إلا على أزواجه، إلا أم سُلَيْم، فإنه كان يدخل عليها. فقيل له في ذلك، فقال: "إني أرحمها، قتل أخوها معي"، يعني أنها ليست من محارمه!!

وهذا طعن فاحش في شرف الرسول صلى الله عليه وسلم الذي اصطفاه الله نبياً ورسولاً وقدوة للعالمين. فهل كان يتسكع في المدينة باحثاً عن متعة حرام، وله من الزوجات تسع، والله تعالى يقول فيه: "**وإنك لعلى خلق عظيم**"؟!

وبدل أن يرد المحدثون وشراح الحديث هذه الحكاية المزعومة، بكل شهامة وأريحية، راحوا يتخبطون في التماس الذرائع والتبريرات لتمريرها، مهما كلف الثمن. فقسم راح يحاول، تعسفاً وعبثاً، أن يثبت أن أم حرام كانت من محارم الرسول صلى الله عليه وسلم في الرضاعة، وقسم قد ركب متن الفاحشة تأويلاً وتبريراً، إذ زعموا . والعياذ بالله . أن خلوة الرسول صلى الله عليه وسلم بغير محارمه من النساء هي من خصوصيات نبوته. وابن حجر هو أجرأ من روج لهذه المقولة الفاحشة فيقول: "والذي وضح لنا بالأدلة القوية أن **من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم جواز الخلوة بالأجنبية والنظر إليها**. وهو الجواب الصحيح عن قصة أم حرام بنت ملحان

في دخوله عليها، ونومه عندها، وتفليتها رأسه. ولم يكن بينهما مَحْرمية ولا زوجية". وتبعه في ذلك السيوطي وآخرون. نستغفر الله العظيم من جهالة من يظنون أنهم يحسنون صنعاً!

المعراج:

حديث رقم (٧): هو حديث المعراج الذي نتناول من خلاله قصة المعراج، **وليس واقعة المعراج.** وهو حديث طويل عريض، كما ورد في صحيحي البخاري ومسلم وغيرهما من أصحاب كتب الحديث المعتمدة، خلاصته أن جبريل عليه السلام قد انطلق بالرسول صلى الله عليه وسلم حتى أتى السماء الدنيا، فوجد الرسول فيها **آدم،** وفي الثانية وجد **عيسى ويحيى،** وفي الثالثة وجد **يوسف،** وفي الرابعة وجد **إدريس،** وفي الخامسة وجد **هارون،** وفي السادسة وجد **موسى،** وفي السابعة وجد **إبراهيم.** فسلم الرسول صلى الله عليه وسلم عليهم، في هذه الرحلة، واحداً واحداً، حتى انتهى به الأمر، بصحبة جبريل، إلى سدرة المنتهى. وهنالك أوحى الله إليه ما يوحى. إذ فرض عليه خمسين صلاة في كل يوم وليلة. فعاد أدراجه ونزل إلى موسى. فقال له موسى: ما فرض ربك على أمتك؟ فقال عليه الصلاة والسلام: خمسين صلاة. فقال له موسى: إرجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك لا يطيقون ذلك، فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم. فرجع محمد إلى ربه المرة تلو المرة يسأله التخفيف، بناء على توجيهات موسى. وحسب رواية البخاري كان الله يخفف في كل مرة عشراً، أما عند

مسلم فكان الله يخفف في كل مرة خمساً فقط، حتى استقر الأمر على خمس صلوات في اليوم والليلة. وبعبارة صحيح مسلم على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم: "فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال الله تعالى: "يا محمد! إنهنّ خمس صلوات كل يوم وليلة". ثم تمضي رواية مسلم على لسان الرسول قائلاً: فنزلتُ حتى انتهيت إلى موسى عليه السلام فأخبرته. فقال موسى: إرجع إلى ربك فاسأله التخفيف. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه". يعني لولا الحياء لاستمرت مراجعة الله في حكمه المرة تلو المرة. وعندها لا يسع الله سبحانه وتعالى، نزولاً عند إرشادات موسى وتوجيهاته وضغوطاته، إلا أن يلغي الصلاة إلغاء تاماً، ويريح عباده المتثاقلين، من فرائض شريعة رب العالمين!

وهذا الحديث فيه العجب كل العجب من وجوه:-

أولها: أن موسى عليه السلام قد صَحَّحَ ربنا . سبحانه وتعالى عما يصفون . تسع مرات في مسألة واحدة هي مسألة الصلاة، كأن الله سبحانه وتعالى لم يكن يدرك أن الأمة لا تطيق

خمسين صلاة في اليوم والليلة، وكأنه ليس هو القائل في كتابه العزيز: "لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا"!

وثانيها: أن الله قد تراجع عن قراره تسع مرات، في مسألة واحدة، أمام توجيهات موسى، وكأنه ليس هو القائل في كتابه العزيز: "مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَاْ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ"!

وثالثها: أن هذه الحكاية الإسرائيلية في قصة المعراج، فيها إتهام واضح وصريح، بأن محمداً كان جاهلاً لا يدرك من معاني الألوهية شيئاً. فلا يدرك أنه وموسى وسائر الأنبياء والمرسلين والملائكة ما هم إلا مخلوقات لله، لا تملك لنفسها ولا لغيرها نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله. فهو مالك الملك، وخالق الأكوان، وعلى كل شيء قدير. فكيف يصح أن يخطر ببال إنسان عنده مُسكة من عقل، أو نبذة من دين، أن تجوز عليه مثل هذه الأكذوبة الإسرائيلية التي تجعل من موسى مرجعاً لله في أحكامه، وقوّاماً عليه في إدارة ملكوته؟؟

وكيف تجوز عليه كذلك في أنها تجعل من موسى وصياً ومرجعاً لمحمد، علماً بأن محمداً صلى الله عليه وسلم هو نبي ورسول مثله، يتلقى الوحي عن الله وحده، بلا وساطة أحد من

البشر، لا من الأموات ولا من الأحياء، ولا من موسى ولا من عيسى!!

أضف إلى ذلك أن رسالة محمد هي خاتمة الرسالات، وناسخة لها، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء والمرسلين. فلا نبيَّ بعده، ولا رسالةٌ بعد رسالته، فقد طويت صفحة النبوات والرسالات بعد محمد ورسالته إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ورابعها: أن الأنبياء الذين أوردتهم قصة المعراج المزعومة قد ماتوا منذ آلاف السنين، وانتهت أدوارهم بموتهم، ولا يبعثون إلا يوم القيامة، مصداقاً لقوله تعالى مخاطباً رسوله الكريم: "إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَّيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ"[١]، وقوله تعالى في سورة المؤمنون: "... فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ"، وقوله تعالى: "وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ". فلا بعث بعد الموت إلا بعث الآخرة، ولا خلود **ولا حياة برزخية مزعومة** يعيشها الناس بعد الموت إلى يوم القيامة.

---

(١) "إنهم" يعني سائر الخلائق

فالآيات الواردة في هذا المقام واضحة وقاطعة، لا تدع مقالة لقائل، ولا تأويلاً لمتأول.

وخامسها: أن قصة المعراج تقرر بأن لله مكاناً ثابتاً في السماء، وأن محمداً، بناء على طلب موسى، كان في كل مرة يصعد إليه يطلب منه التخفيف.

ومن المعلوم بداهة لدى كل مؤمن بالله أن الله هو خالق السموات والأرض. فلو توهم الجهلة والمتخلفون أن لله مكاناً ثابتاً في السماء، فماذا سيقولون حين نسألهم: وأين كان مكانه قبل أن يخلق السماء؟

وسادسها: من المعلوم أن القرآن كله وحي من الله تعالى تلقاه الرسول صلى الله عليه وسلم لفظاً ومعنى. وأما السنة فهي كذلك وحي من الله تعالى تلقاها الرسول صلى الله عليه وسلم معنى لا لفظاً. ولم يَدَّع الرسول صلى الله عليه وسلم، في أية رواية صحيحة أبداً أنه كان يتعامل مع الله تعاملاً شخصياً مباشراً، أو كان يلتقي به في مكان معين، كما ذهبت إلى ذلك قصة المعراج، حيث زعمت أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يصعد إلى ربه في مكان معين فيطلب منه، بشكل مباشر، أن يخفف من فريضة الصلاة، المرة تلو المرة.

وسابعها: واضح من قصة المعراج الطويلة العريضة أنها لم تتمخض إلا عن فريضة واحدة من فرائض الإسلام وأحكامه، علماً بأن فرائض الإسلام وأحكامه العامة والخاصة كثيرة تعد بالمئات. فهل كانت هذه الرحلة الطويلة العريضة، على هذه الصورة من المشقة والعناء، مجزية حقاً، تتناسب مع عظمة الإسلام وشموله للأحكام الخاصة والعامة التي تنظم علاقة الإنسان بربه، وبنفسه، وبغيره من سائر الناس؟ صحيح أن الصلاة هي فريضة غالية في منظومة علاقة المسلم بربه، إلا أنها لا تشكل غير فريضة واحدة من جملة فرائض الإسلام العديدة في منظومته التشريعية. فالبنية الفكرية التحتية للمنظومة الفكرية الإسلامية، كأي بناء وطيد الأركان شامخ البنيان، لا بد لها من قواعد وأعمدة متعددة يقوم عليها البنيان. وليس يكفي، بحال من الأحوال، وجود عمود واحد، مهما كانت عظمته وقاعدة ارتكازه، لأن يقام عليه بنيان كامل قابل للحياة والصمود أمام الهزات والأعاصير وعاديات الزمان.

لا ريب أن وراء هذه القصة دسيسة فظيعة، وقصداً إجرامياً ماكراً خبيثا. فهي لا تكتفي بيهودية هذه الحكاية حين جعلت موسى،

نَبِيّ بَنِي إسرائيل، مرجعاً لله في أحكامه، وقوّاماً عليه في تدبير أمر ملكوته، بل ذهبت إلى فاحشة فظيعة أخرى، تلكم هي تصوير الصلاة على أنها الكل في الكل في دين الله. وذلك من أجل أن ينصرف المسلمون عن الاهتمام والاشتغال بالمحاور الأساسية العامة الكبرى في المنظومة الفكرية الإسلامية التي يتوقف عليها تقدم الأمة أو انحطاطها، وبقاؤها أو فناؤها. فإن قدر لهم البقاء بعد ذلك على هذا المنوال، فإنهم سوف يعيشون هكذا، أمة فاشلة ساقطة، هزيلة البنيان، عديمة الأركان، لا هادي لها ولا دليل، في كثير أو قليل، لا اعتبار لها عند البشر، ولا عند رب البشر.

فأي هدم وتخريب في البنية الفكرية التحتية لدى المسلمين أفظع من هذا وأفتك؟!

ومثل هذه الإسرائيليات المبثوثة في التراث، الحديث الذي رواه البخاري ومسلم، عن أبي هريرة، أن **ملك الموت أرسل إلى موسى** ليقبض روحه. فلما جاءه صكه موسى، عليه السلام، يعني ضربه وقلع عينه، ولم يمكنه من قبض روحه. فعاد ملك الموت إلى ربه يشكو موسى، فترفق الله به وأعاد إليه عينه.

ومثل ذلك حديث: "**أنا أول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة. فإذا أخي موسى آخذ بقائمة العرش.** فلا أدري أبعث قبلي أم كان ممن استثناه الله عز وجل". وفي رواية أخرى للبخاري أن

النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تخيروني على موسى، فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأصعق معهم، فأكون أول من يفيق. فإذا موسى باطش جانب العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي، أو كان ممن استثنى الله".

فهذا الحديث يظهر أن موسى أعظم في قوته البدنية من ملك الموت الذي آتاه الله قوة خيالية خارقة يستطيع بها أن يقبض ملايين الأرواح البشرية في لحظة واحدة. كما أن موسى كان في حديث المعراج هذا أقوى من الله عز وجل في قوته العقلية والفكرية، حين صحح رب العالمين تسع مرات في حكم الصلاة وحدها.

ومثل ذلك الحديث الذي أورده مسلم في صحيحه، عن أنس بن مالك، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "**مررت على موسى ليلة أسري بي عند الكثيب الأحمر، وهو قائم يصلي في قبره**". يعني أن موسى كان ما زال حياً في الأرض كما كان حياً في السماء السادسة، ليلة المعراج"**!! تناقضات مخزية!!**

وهذا الخط من المجون الفكرية الإسرائيلية منشؤه في التوراة، حيث ورد في سفر التكوين، وهو الفصل الأول من فصول التوراة، أن الله سبحانه وتعالى نزل ذات مرة مع مجموعة من الملائكة لتفقد أحوال الأرض ومَنْ عليها. وبينما هم سائرون لمحهم إسرائيل

فعرفهم. فغشيهم، وأصر عليهم أن يتناولوا طعام العشاء عنده. فلما لَبَّوا دعوته ذبح لهم عجلاً وقام بطبخه.

وبعد انتظار طويل من الله وملائكته قدم لهم طعام العشاء. ولمّا أن انتهوا من ذلك عرض إسرائيل على الله أن يبارزه. وما هي إلا جولة بسيطة حتى تغلب إسرائيل على ربه، وطرحه أرضاً. ولم يستطع الله عندها أن يخلص نفسه منه إلا بعد أن وعده بجائزة عظيمة، إن هو خلّى سبيله. فهذه القصة الإسرائيلية التوراتية الخرافية السخيفة التي نسجها الوضاعون الإسرائيليون هي التي انطلق منها أحبارهم الكذابون الدساسون، ليشوهوا دين الإسلام عند أهله، كما شوهوا غيره من قبل، وذلك حين جعلوا بعض أنبيائهم أشد من الله قوة في البدن، وأعظم منه قوة في العقل والحكمة والإدراك.

يريد الإسرائيليون أن يصلوا من وراء ذلك كله إلى أن مرجعية أنبيائهم، ومرجعية توراتهم وأحبارهم، يجب أن يقدمها المسلمون على كتاب الله وسنة رسوله، ولا خيار لهم في ذلك.

خذ مثلاً آخر أيضاً على ذلك، وهو ما رواه البخاري، عن ابن عمر: "**أن اليهود جاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكروا له أن رجلاً منهم وامرأة زنيا**، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما تجدون في التوراة في شأن الرجم؟ فقالوا: نفضحهم ويُجلدون. فقال عبد الله بن سلام (وهو يهودي قبل إعلان إسلامه):

كذبتم، إن فيها آية الرجم. فَأَتَوْا بالتوراة فنشروها، فوضع أحدهم يده على آية الرجم، فقرأ ما قبلها وما بعدها. فقال له عبد الله بن سلام: إرفع يدك! فرفع يده، فإذا فيها آية الرجم. فقالوا: صدق يا محمد، فيها آية الرجم. فأمر بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجما".

وعلى الرغم من **أن التوراة لا يوجد فيها آيات، لا في الرجم ولا في غيره، وجُلُّ ما فيها لا يعدو أن يكون حكايات في حكايات وسخافات في سخافات**، فإن مدار القصة أن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يجد، فيما أوحي إليه من ربه، حكماً في هذه المسألة، فلجأ إلى التوراة، واتخذ منها مرجعاً له يحكم بمقتضاه، علماً بأن محمداً صلى الله عليه وسلم حينما رأى عمر بن الخطاب ينظر في قطعة من التوراة زجره قائلاً: "**ألم آت بها بيضاء نقية؟ والله لو أدركني أخي موسى ما وسعه إلا اتباعي**".

ومثل ذلك، الحديث الذي أورده البخاري عن ابن عباس، أن الرسول صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة ورأى **اليهود تصوم عاشوراء** (وهو اليوم العاشر من شهر محرم) قال: ما هذا؟ قالوا: هو يوم صالح. هذا يوم نجّى الله بني إسرائيل من عدوهم، فصامه موسى. قال صلى الله عليه وسلم: "فأنا أحق بموسى منكم. فصامه وأمر بصيامه". فهذا الحديث واضح وصريح في الدلالة على أن محمد صلى الله عليه وسلم اتخذ من الديانة اليهودية، فيما هو من

خصوصيات موسى وبني إسرائيل، شعيرة من شعائر الإسلام وعباداته.

غير أننا نلاحظ أن "مسلم" قد روى في صحيحه عن عائشة: "أن قريشاً كانت تصوم عاشوراء في الجاهلية، ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصيامه حتى فرض رمضان". وهذا يعني أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يفاجأ بصوم عاشوراء في المدينة، كما يزعم حديث ابن عباس السابق، طالما كان ذلك من شعائر الجاهلية، يمارسه المشركون في مكة كما يمارسه اليهود في المدينة.

وقد سئل ابن عمر عن صوم يوم عاشوراء فقال: "**كان يوماً يعظمه أهل الجاهلية**".

ومثل ذلك، الحديث الذي أورده البخاري ومسلم أيضاً عن سعد ابن أبي وقاص، وعن عامر بن سعد، قال: "**ما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لأحد يمشي على الأرض أنه من أهل الجنة إلا لعبدالله بن سلام**"، علماً بأن ابن سلام هذا كان يهودياً قبل أن يعلن إسلامه في وقت متأخر بعد الهجرة النبوية إلى المدينة. ولم يقدم في سبيل الإسلام شيئاً مطلقاً يتميز به عن سائر الصحابة، من مهاجرين وأنصار، حتى ينال هذا التكريم الإلهي المنقطع النظير. وما دام الأمر كذلك فلماذا إذاً لم يذكر اسمه، في الحديث المشهور المزعوم، مع العشرة المبشرين بالجنة، علماً بأن

حديث العَشْرة نفسه مردود دراية. فالذين بشرهم القرآن الكريم بالجنة ممن بايعوا الرسول صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة بيعة الرضوان، والمهاجرون والأنصار، ومن تبعهم بإحسان، كانوا يعدون بالآلاف.

أضف إلى ذلك، كما ورد في حديث آخر أن عبد الله بن سلام أستأذن الرسول صلى الله عليه وسلم **أن يقيم على السبت، وأن يقرأ من التوراة في صلاته من الليل.** وهذا يعني بصريح العبارة، لمن يصدقون بهذا الحديث، أن عبد الله بن سلام كان ما يزال يهودياً توراتياً في باطنه، ومسلماً شكلاً في ظاهره.

كما ينبغي أن لا يغرب عن بالنا أبدا **أن يوم السبت هو يوم مقدس عند اليهود** كما ورد في التوراة، في سفر الخروج، حيث يقول: "هو بيني وبين إسرائيل علامة إلى الأبد، لأنه في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض، وفي اليوم السابع استراح وتنفس".

ومما يؤكد ذلك، الإسرائيليات والانجيليات الكثيرة المنبثة في كتب الحديث وكتب التفسير التي كان هو، إلى جانب كعب الأحبار، ووهب بن منبه، وتميم الداري، من مصادرها الرئيسية. **وإجراء أية عملية استقراء لمرويات هؤلاء القوم في كتب الحديث والتفسير تكشف الدور** الماكر الخبيث الذي كانوا يمارسونه أشكالاً وألواناً، للعبث بدين الله وشريعته.

أكذوبة أن الرسول مات ودرعه مرهونة عند يهودي

ومثل ذلك، الحديث الذي ورد في صحيح مسلم، يزعم أن الرسول صلى الله عليه وسلم **توفي ودرعه مرهونة عند يهودي**.

وهذا كذب صارخ يتجلى فيما يلي:

أ. أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان في المدينة رئيس دولة، فكانت موارد الدولة من فيء وغنائم وزكاة وصدقات وجزية وعشور إلى غير ذلك، كلها، هو وحده المتصرف فيها. وقد فرض الله له، في صريح كتابه، حصة منها، يتصرف بها كيف يشاء، فقال تعالى: "وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ"، وقال: "مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ". فأموال الدولة كانت كلها تحت يده، وله فيها حق مشروع يغطي كل حاجاته أضعافاً مضاعفة. فلا يمكن، والحالة هذه، أن يشتري من يهودي طعاماً إلى أجل، ويرهنه سلاحه، كما ورد في صحيح مسلم.

ب. أن الرسول صلى الله عليه وسلم، وبعد معركة الخندق، في السنة الخامسة للهجرة، قد صفَّى الوجود اليهودي في المدينة المنورة تصفية كاملة. فمن هو هذا اليهودي الذي كان ما يزال في المدينة ودرع الرسول رهينة عنده بعد ذلك؟

ج. أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان عند المسلمين، مهاجرين وأنصاراً، أعز عليهم من أنفسهم، فكيف يصح أن يصدق عاقل أنهم تركوه تحت رحمة يهودي، يحجز سلاحه عنده، مقابل لقيمات يقيم بهن صلبه وأهله، أو مقابل صويعات من شعير لا تكفي علفاً لبهيمته!!.

د. إن عثمان بن عفان، الذي تزوج اثنتين من بنات الرسول صلى الله عليه وسلم، كان مليونيراً، إذ جهّز عام العسرة جيشاً كاملاً بُعَّدته وعتاده. فكيف، بالله، يترك والد زوجتيه ورسوله الحبيب، فريسة ليهودي يُجرِّدُه من سلاحه، مقابل شيء حقير، من صويعات الشعير؟!!

هـ. ثم إن الرسول صلى الله عليه وسلم، حينما خرج لحجة الوداع مع زوجاته في السنة التاسعة للهجرة، نحر البقر عنه وعن زوجاته. وهذا . بلا شك . شيء كثير. فمن أين أتى صلى الله عليه وسلم بالمال حتى يغطي نفقات تلك الرحلة ؟

ما بقي للأفاكين المجرمين هذه المرة سوى أن يتهموا الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه قد رهن إحدى زوجاته عند هذا اليهودي، أو يهودي آخر، ليؤمن مصروفات تلك العمرة الباهظة!! والعياذ بالله تعالى!!

إن هذا الحديث الإجرامي قد صمم لتحقير الصحابة الكرام من حول الرسول، ولبيان فضل اليهود على الرسول صلى الله عليه وسلم في لقمة عيشه، إذ لولا هذا اليهودي الكريم لربما هلك الرسول صلى الله عليه وسلم وأهله جوعاً ومسغبة!!

ومثل ذلك الحديث الذي ورد في صحيح البخاري عن جابر بن عبد الله قال: مرّ بنا **جنازة يهودي،** فقام لها النبي صلى الله عليه وسلم وقمنا. فقلنا: يا رسول الله**!** إنها جنازة يهودي**!** فقال: "إذا رأيتم الجنازة فقوموا". يعني أنه ليس علينا أن نعظم اليهود أحياء فحسب، بل علينا كذلك، أن نعظمهم أمواتا. يا للخسارة**!!** أفهكذا نعامل جنازات الأنجاس الذين قال الله فيهم "لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ"**!!**.

حديث رقم (٨): وهو الحديث المروي عن أبي ذر قال: "كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد عند غروب الشمس فقال: يا أبا ذر**! أتدري أين تغرب الشمس؟** قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش".[صحيح البخاري]

وهذا الحديث ظاهر البطلان من الناحية الواقعية المدركة المحسوسة لدى البشر كافة، في شتى أرجاء المعمورة، وليس يعتمد إدراك بطلانه على المعلومات الفلكية. فإن الشمس لا تغرب عن

الأرض أبداً، فإن هي غربت عن منطقة من مناطق الكرة الأرضية فإنها تكون قد أشرقت على منطقة أخرى منها، فلا هي تغرب تحت العرش ولا هي تشرق من تحت العرش.

ومثل هذا أيضاً الحديث الطويل العريض الذي أورده مسلم في صحيحه عن عمرو بن عبسة السَّلمي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**إن الشمس تطلع بين قرني شيطان، وتغرب بين قرني شيطان**"، فالحديث الأول يربط غروب الشمس وشروقها بعرش الرحمن، بينما يربطهما الحديث الثاني بقرن الشيطان. كفانا خسة في العقول وانحطاطاً في الأفهام يا أولي الألباب!!

ومن البدهيات أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يقول إلا حقاً، ولا ينطق إلا صدقاً. وما انطوى عليه الحديثان هو باطل محض، يكذبه الواقع المدرك المحسوس بالنسبة لحركة الأرض والشمس على حد سواء، فلا يمكن أن يصدر عن الرسول المعصوم صلى الله عليه وسلم، مثل هذا التناقض والتخبيص. حفظ الله علينا عقولنا وديننا!

حديث رقم (٩): حديث عن أبي هريرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "**يتنزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا**، حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني

فاستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له". [صحيح البخاري وصحيح مسلم]

هذا الحديث يعني، أن الله تعالى ليس سميعاً بصيراً لا تخفى عليه خافية في السموات ولا في الأرض، كما وصف نفسه. فهو . حسب زعم هذا الحديث . لا يستطيع أن يسمع أدعية البشر وسؤالهم واستغفارهم إلا إذا اقترب من الكرة الأرضية. ثم هل السموات هي موقع الذات الإلهية حتى يتجول فيها؟ وأين كان يتجول قبل أن يخلق السموات؟!

أضف إلى ذلك أن واضع الحديث كان جاهلاً جهلاً تاماً بعلم الفلك، كما كان غافلاً عن ملاحظة الظواهر الطبيعية في موضوع الليل والنهار. فثلث الليل الأخير في منطقة من الكرة الأرضية يقابله ثلث النهار الأخير في منطقة أخرى. فجهل هذا الكذاب بحركة دوران الأرض حول الشمس أوقعه في مطب مخزٍ، وكشف عورة جهله، حتى تظل اللعنة تلاحقه إلى يوم يبعثون.

حديث رقم (١٠): عن أبي هريرة عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله: **إختتن إبراهيم عليه السلام**، وهو ابن ثمانين سنة، بالقدّوم". [صحيح البخاري]

يعني أن الرجل إذا طال عمره تيبس عضوه التناسلي حتى يصبح مثل جذع شجرة عتيقة، لا ينفع في قطع جزء منه أية أداة

حادة كالسكين، أو الموسى، أو الشفرة. بل لا بد له من بلطة أو قّدوم حتى تتم عملية الختان!!

يا لها من سخافة واستهتار بعقول البشر!!.

ثم ما دخل ختان إبراهيم بسنة محمد صلى الله عليه وسلم حتى يدرج في كتب صحاح السنة؟!

ولعل أشد هولاً وأشنع مآلا من حكاية ختان إبراهيم عليه السلام ما ورد في التوراة عن الختان قوله: "وأما الذكر الأغلف الذي لا يختن في لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها (يعني تقتل). إنه نكث عهدي". إجرام توراتي ما بعده إجرام!

حديث رقم (١١): عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم، إلا أن تكونوا باكين**، أن يصيبكم ما أصابهم". [صحيح البخاري].

وفي رواية أخرى في موطأ مالك، عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحاب الحِجْر: لا تدخلوا على هؤلاء القوم المعذبين، إلا أن تكون باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم، أن يصيبكم مثل ما أصابهم".

ونحن نقول للوضاعين لهذا الحديث: ما علاقة المساكن بالظلم، وما علاقة الانتفاع بها بظلم أهلها؟ لقد خلق الله الأرض

سكنا للظالمين ولغير الظالمين، وللمؤمنين والكافرين، وللعقلاء وللبهائم، على حد سواء. ولو صح ذلك لكان حراماً على المسلمين أن يجاهدوا الكفار والمشركين في أي مكان أو زمان، ويقتحموا عليهم مساكنهم ومياههم وزروعهم وثمارهم، ولكان حراماً عليهم أن يفتحوا بلاد الكفار لنشر الإسلام فيها، وتطبيق أحكامه عليهم طالما كانت تلك البلاد مساكن للذين ظلموا أنفسهم، ولكان كذلك حراماً عليهم أن يغنموا شيئاً من ديار الظالمين ومساكنهم وأموالهم. ما هذا الإفك والضلال المبين؟!. قال تعالى: "وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضاً لَّمْ تَطَئُوهَا، وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً".

أو ليست هذه دعوة مبطنة لتعطيل الجهاد في سبل الله تعطيلاً تاماً؟!!

ليلـة القدر:

حديث رقم (١٢): حديث البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "**من صام رمضان** إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه. **ومن قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه**".

أما ليلة القدر هذه فقد عبرت التاريخ مرة واحدة ولا تتكرر. فهي تستمد قَدْرها . يعني مكانتها المتميزة . من نزول القرآن فيها. قال تعالى: " إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ". أما غيرها من الليالي المحسوبة خطأ على ليلة القدر فلا محل لها من الإعراب، لأنه لم ينزل فيها قرآن حتى تستمد من هذا النزول قدراً ومكانةً خاصة.

أما لو قال مكابر: إنّا في الواقع نحيي ذكرى ليلة القدر، طالما أن ليلة القدر لا تتكرر. فإنا نقول له: حتى نحتفل بليلة القدر أو نحييها كما طلب الحديث المزعوم، سواء كنا نعتقد أنها ليلة قدر، أم أنها ذكرى ليلة قدر، فلا بد أن يكون لها ميقات واحد معلوم كسائر العبادات من صوم وحج وصلاة، لأن الشارع الحكيم، حينما فرض العبادة أو سنّها، قد حدد لكل منها ميقاتاً معلوماً ثابتاً لا مجال فيه (للتحزير). أما ليلة القدر المزعومة هذه فقد وردت في تحديد ميقاتها أحاديث كثيرة، تجعلها لغزاً من الألغاز، أو أحجية من الأحجيات. فذهبت الأحاديث إلى أنها في السبع الأواخر من

رمضان، أو في العشر الأواخر، أو في الوتر من العشر الأواخر، أو في الخامسة والسابعة والتاسعة فقط من الوتر في العشر الأواخر. أو في الليلة الحادية والعشرين من العشر الأواخر، أو في الليلة السابعة والعشرين من العشر الأواخر. وهذا يعني، بكل بساطة، أنه ليس لها ميقات معلوم يقف المسلمون عنده ويلتزمون به، ويتعبدون الله فيه.

والأنكى من ذلك أن بعض الأحاديث الواردة في تحديد ليلة القدر تزعم أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد رأى ليلة القدر ثم نَسِيَها أو أُنسِيَها، حتى لقد روى مسلم في صحيحه، حديثاً بهذا الخصوص، يقول: "يا أيها الناس! **إنها كانت أُبينت لي ليلة القدر. وإني خرجت لأخبركم بها، فجاء رجلان يحتّقان معهما الشيطان، فَنُسّيتُها**". وهذا ليس طعناً في محمد صلى الله عليه وسلم الذي يطلب من الناس أن يُحيوا ليلة قد نَسِيها أو أنُسِيَها، بل هو طعن في رب محمد الذي يوحي إلى رسوله بشريعة ثم يُنَسّيه إياها، أو يسمح للشيطان أن ينسيه إياها، والله تعالى يقول: "سَنُقْرِئُكَ فَلاَ تَنسَى * إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ". ومعناها سنقرئك فلا تنسى أبداً، لأن الاستثناء هنا هو توكيد للنفي في اللغة العربية، فتعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

ومما يزيد الطين بلة في موضوع ليلة القدر هذه، أن جملة من الأحاديث قد طلبت من المسلمين أن يتحَّرْوها في العشر الأواخر من ليالي رمضان، على اختلاف في عددها.

وهذا يعني أن ليلة القدر لها علامات فلكية مميزة يستطيع الإنسان من تتبعها وملاحظتها أن يحدد ليلة القدر. وقد ورد في حديث بهذا الخصوص، رواه مسلم عن زر بن حبيش، يقول: سألت أُبَيّ بن كعب رضي الله عنه فقلت: **إن أخاك ابن مسعود يقول:** "**من يَقُم الحول يُصِب ليلة القدر**". فقال أُبَيّ: رحمه الله: أراد أن لا يتَّكل الناس. أما أنه قد علم أنها في رمضان، وأنها في العشر الأواخر، وأنها ليلة سبع وعشرين. ثم حلف لا يستثني أنها ليلة سبع وعشرين. فقلت: بأي شيء تقول ذلك يا أبا المنذر؟ قال: بالعلامة أو بالآية التي أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم "**أنها تطلع يومئذ لا شعاع لها**". يعني أن لها علامة فلكية جهلها أو تجاهلها الرسول، ووضع أمته في متاهة يخبطون فيها خبط عشواء، لا هادي لهم فيها ولا دليل.

ثم إن العلامة الفلكية، إذا كانت ظاهرة طبيعية، فإنه يستطيع أن يراها الناس جميعاً في مشارق الأرض ومغاربها. وإذا كانت أمراً يتعلق بالمناخ، فهذه ظاهرة متغيرة من بلد إلى بلد، ومن يوم إلى آخر. فأيام الصحو والمطر، والحر والبرد، والرياح الساخنة والباردة،

والليل والنهار، تختلف أوقاتها من بلد إلى بلد، ومن قارة إلى قارة. ولما لم يكن الأمر على هذا المنوال، كانت حكاية العلامات الفلكية أكذوبة من الأكاذيب، اخترعها الوضاعون استخفافاً بالعقول، وضحكاً على الذقون، وتكذيباً للواقع المدرك المحسوس، لدى الناس أجمعين. والحديث نفسه الذي أوردها ينطوي على تهكّم واضح من ابن مسعود على من يبحثون عن ليلة القدر. فهو يقول صراحة بان من يقوم العام كله سوف يصيب ليلة القدر. **وهذا هو منتهى السخرية والاستخفاف بالباحثين عن ليلة القدر.**

خلاصة القول إن إحياء ليلة القدر المزعومة، التي لم يكن الرسول نفسه يعرف لها ميقاتاً، ولا شاطئاً محدداً ترسو عليه سفينة التكليف، واعتبار أن من قامها إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، هو فكرة تخريبية هدامة، لا تشيع عند المسلمين غير الهلوسة، والهبل، والترخص في الدين.

الهندوسية وحرق أجساد الموتى:

حديث رقم (١٣): ورد في صحيح البخاري عن حذيفة قال: سمعت

رسول الله صلى الله عليه سلم يقول: **إن رجلاً حضره الموت.** فلما يئس من الحياة أوصى أهله: إذا أنا متُّ فاجمعوا لي حطباً كثيراً، وأوقدوا فيه ناراً، حتى إذا أكلت لحمي وخلصت إلى عظمي فامتشحت [يعني احترقت عظامه] فخذوها

فاطحنوها، ثم انظروا يوماً راحاً [يعني شديد الريح] فاذروه في اليم، ففعلوا. فجمعه الله، فقال له: لم فعلت ذلك؟ قال: من خشيتك. فغفر الله له.

إن **حرق أجساد الموتى** هو من تقاليد الديانة الهندوسية، كما هو معروف. وهو محرَّم في دين الإسلام تحريماً قاطعاً. والإقدام عليه معصية وأثم عظيم. فكيف، بالله، تصبح هذه المعصية طريقاً لمغفرة الله التامة، ونوال رضوانه؟ إذن فليوصِ كل مسلم أن تحرق جثته عند وفاته، وأن تحرق عظامه حتى تتفحم، ثم تطحن ويذرى بها في يوم رائح، كما يفعل الهندوس، كي يفوز بعفو الله وغفرانه من الذنوب والخطايا كافة. ولا حاجة له عند ذلك إلى أي شريعة أو دين سماوي، لا الإسلام ولا غيره.

حديث رقم (١٤): ورد في صحيح البخاري عن أبي هريرة قال: "**حفظت من النبي صلى الله عليه وسلم وعائين:** فأما أحدهما فبثثته (يعني نشرته)، وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم".

يعني أن نصف الأحاديث التي حفظها أبو هريرة من الرسول صلى الله عليه وسلم قد أخفاها، حتى لا تكون سبباً في قتله، أو اغتياله. وهذا يعني بالضرورة أن جزءاً خاصاً من الدين الذي حفظه

أبو هريرة من الرسول صلى الله عليه وسلم، مباشرة، قد اختفى إلى غير رجعة. نعوذ بالله من هذا الإفك العظيم.

حديث رقم (١٥): جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم: "**إن عفريتاً من الجن تفلّت البارحة** ليقطع عَلَيَّ صلاتي، فأمكنني الله منه، فأخذته، فأردت أن أربطه على سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم. فذكرت دعوة أخي سليمان: "**رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي**"، **فرددته خاسئاً.**

هذا الحديث كاذب من عدة وجوه:

أ. إن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يستطيع أن يرى أحداً من الجن حتى يمسك به، لقوله تعالى في حق الجان: "إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ".

ب. لو فرضنا جدلاً أن الرسول صلى الله عليه وسلم رأى الجني وأمسك به فإنه يكون قد تجاوز حدود دعوة النبي سليمان وخرقها، لأن الآية قاطعة الدلالة في أن ذلك مستحيل لأحد من بعد سليمان، لا لمحمد صلى الله عليه وسلم ولا لغيره.

ج. ولو فرضنا جدلاً كذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم استطاع أن يمسك بهذا الجني، يعني الشيطان، الذي هو للإنسان عدو مبين، ثم عاد فأطلق سراحه ليواصل عمله في عالم البشر فساداً

وإفساداً، فإن ذلك لا يفهم إلا أنه جريمة ما بعدها جريمة، ارتكبها محمد صلى الله عليه وسلم في حق أمته، وفي حق الناس جميعاً.

نعوذ بالله من شر هؤلاء الوضاعين الذين هم بلا ريب من شياطين الانس الذين يصدق فيهم قول الشاعر:

وكنت امرءاً من جند إبليس فانتهى

بي الأمر حتى صار إبليس من جندي

حديث رقم (١٦): جاء في صحيح البخاري عن أبي هريرة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "**تحاجّت الجنة والنار**، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين. وقالت الجنة: مالي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسَقَطُهم؟ قال الله تبارك وتعالى: أنْتِ رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، ولكل واحدة منهما ملؤها. **فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله رجله فيها**، فتقول: قط قط قط. فهناك تمتلئ ويزوى بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله عز وجل من خلقه أحداً. **وأما الجنة فإن الله عز وجل ينشئ لها خلقاً جديداً**".

هذا الحديث كله كذب وإجرام:

أ. ففيه تحقير شنيع لأهل الجنة، حيث لا يدخلها، حسب زعمه، غير الضعفاء والفقراء والمساكين، ومن كان على شاكلتهم من سقط المتاع. وغاية الذي صمم هذا الحديث هي أن يجعل خيار الناس، في هذه الدنيا، يزهدون في الجنة المزعومة، ويترفعون عن دخولها في زمرة هذه النوعية الساقطة من البشر.

ب. لا تمتلئ النار إلا إذا وضع الله رجله المزعومة فيها. ولكن ما علاقة أن يضع الله رجله في النار حتى يملأها، بحقيقة أن الله تعالى إنما خلقها للمجرمين والعصاة والكافرين ممن استحقوا عذاب النار فعلاً، سواء امتلأت أم لم تمتلئ، إلا الطعن في حكمة الله وعلمه وعدله؟!

ج. ويواصل الحديث الطعن في الذات الإلهية حين ينسب إلى الله سبحانه وتعالى أنه يخلق أناساً جدداً يملأ بهم فراغ الجنة، لأن حساب السرايا عنده لم ينطبق على حساب القرايا، كما يقول المثل.

فأين هذه التلفيقات الرخيصة المنحطة من عدل الله المطلق بين البشر، وأنه لا يظلم أحداً مثقال ذرة، فلا يعاقب بالنار إلا من خفت موازينهم، ولا يثيب بالجنة إلا من ثقلت موازينهم؟! إنه لا يخترع للنار أناساً يملأ بهم فراغ النار، بغير ما ذنب فعلوه، ولا

يخترع للجنة أناساً يملأ بهم فراغ الجنة، بغير ما خير قدموه، سبحانه وتعالى عما يصفون.

ومثل هذا الحديث ما أورده البخاري أيضاً في صحيحه عن عمران بن حصين أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: أطلعت على أهل الجنة **فرأيت أكثر أهلها الفقراء**، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء".

حديث رقم (١٧): روى الدارقطني وابن ماجة وأحمد بن حنبل، عن

عائشة أنها قالت: "**لقد نزلت آية الرجم [يعني الشيخ والشيخة إذا زنيا] ورضاعة الكبير عشراً**. ولقد كانا في صحيفة تحت سريري. فلما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وتشاغلنا بموته دخل داجن (يعني دابة) فأكلها".

يعني، وبكل بساطة، أن جزءاً من كتاب الله عز وجل قد أكلته سخلة جوالة. فأين من هذا رعاية الله عز وجل وحفظه لكتابه العزيز من الكذابين، والمفترين، وهو القائل: "**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**".

ومثل هذا الحديث المزعوم نجد حديثاً آخر في صحيح مسلم. فعن عائشة أنها قالت: "**كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يُحَرِّمن. ثم نُسِخْنَ بخمس معلومات. فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرأ من القرآن**".

نعوذ بالله من هذا البهتان المبين، والجرأة على الطعن في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. فهذا الحديث، بكل ما عند الوضاعين السفلة من وقاحة، يزعم أن جزءاً من القرآن قد اختفى إلى غير رجعة. والأنكى من ذلك أن عائشة، في جملة غيرها من الصحابة، كانوا على ذلك من الشاهدين، كما يزعم الكذبة المفترون؟!!

الحديث رقم (١٨): "إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم في العروق". [صحيح مسلم وصحيح البخاري]

لما كانت قوة الشر، متمثلة في الشيطان، متأصلة في بيولوجية الإنسان ومتحكمة فيه إلى هذا الحد الذي لا يستطيع معه فكاكا، فكيف يكون الإنسان . والحالة هذه . حر الإرادة في اختيار أحد النجدين، إن شاء اختار طريق الهدى، وإن شاء اختار طريق الكفر والضلال، "وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَينِ"، "فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ"، "إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً"، "إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ".

أو ليس الذي دس **هذا الحديث الإنجيلي** إنما كان يرمي إلى أن يدخل في رُوع الناس أن الشر هو ظاهرة طبيعية، جبل عليها الإنسان في فطرته، فلا تستهجن، ولا يمكن تجاوزها أو التغلب عليها، طالما كانت قدراً مقدوراً. وليس لنا من سبيل للنجاة مما

يترتب عليها من آثام إلا وجود مخلِّص كعيسى عليه السلام، ليخلص الإنسان من خطيئته الموروثة منذ آدم، أو كالمهدي المنتظر الذي يصلح شأن الإنسان في ليلة.

لا ريب أن دعاة الجبرية قد ارادوا من هذا الحديث بلوغ غاية أبعد من أي تأويل قد يذهب إلى اعتبار أن جريان الشيطان في الإنسان مجرى الدم في عروقه إنما هو كناية عن محاولات الشيطان المتواصلة لاغواء الإنسان وإضلاله، نقول: لقد أراد هؤلاء الجبرية الوضاعون ان يبلغوا غاية أشد من ذلك وأفتك. فهم قد أرادوا أن يدخلوا في روع المؤمنين بأنه ما دام الإفلات من قبضة الشيطان أمراً مستحيلاً فالالتزام بشريعة الإسلام إذاً هو أمر خارج عن دائرة اختيارهم. فليفعلوا، والحال على هذا المنوال، ما طاب لهم أن يفعلوا، فكل ميسر لما خلق له من حلال أو حرام.

الحديث رقم (١٩): عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "استوصوا بالنساء، فإن **المرأة خلقت من ضلع،** وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه. فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء". [صحيح البخاري]

هذا الحديث معناه أن المرأة بفطرتها مخلوق أعوج، غير قابل للإصلاح. فلماذا إذن كلفها الله تعالى بالإيمان والعمل الصالح،

ورتب على ذلك ثواباً وعقاباً؟ ولماذا سوّى الله تعالى في خطاب التكليف بين النساء والرجال فقال: "إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ والصَّائِمِينَ والصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً"؟. وقال تعالى: "وَمِنْ ايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِّتَسْكُنُواْ إِلَيْهَا". يعني أن البنية البيولوجية للمرأة هي نسخة طبق الأصل من البنية البيولوجية للرجل.

نؤكد، ونكرر، بأن ما انطوى عليه هذا الحديث هو أكذوبة كبيرة من جملة الأكاذيب الإسرائيلية التي تحقر المرأة، وتنتقص من مقامها، وتتحامل عليها، وتكيل لها ما هب ودب من الاتهامات الظالمة الغاشمة أشكالاً وألواناً، كالزعم في حديث آخر بأنه **لولا حواء لم تخن أنثى زوجها.** فهل نكمل هذه المعزوفة السافلة مثلاً ونقول بأنه لولا آدم لم يخن رجل زوجته؟! ثم مع من خانت حواء زوجها ولم يكن يومها في الدنيا رجل آخر غيره؟!!

وكذلك تمضي المزاعم الإسرائيلية في تحقير المرأة، وتكيل لها المطاعن أشكالاً وألوانا. فقد **ورد في التلمود أن المرأة ناقصة عقل ودين، وأن صوتها عورة، وأنها ثرثارة، وأنها سبب كل مشكلة**

تواجه الرجال، وأنها فتنة الرجال إذا مرت بينهم، وأن لها عشر عورات، إذا تزوجت استترت عورة، وإذا ماتت استترت عوراتها كلها.

ومما يؤسف له أشد الأسف، أن هذه المطاعن التلمودية الإسرائيلية الفاحشة في المرأة، قد دست على المسلمين بحرفيتها، وصارت عندهم مُسلَّمات نبوية ومقدسات ربانية، ووجد منهم من يضعها على رأس سلم أولوياته في دعوته السلفية، ويعتبر الالتزام بها فيصلاً بين الكفر والإيمان.

حديث رقم (٢٠): في صحيح البخاري، عن أبي هريرة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **التثاؤب من الشيطان**. فإذا تثاءب أحدكم فليردّه ما استطاع، فإن أحدكم إذا قال: ها، ضحك الشيطان.

عجيب! التثاؤب حركة بيولوجية فطرية لا إرادية في كل إنسان، طفلاً صغيراً كان أم شيخاً كبيراً، وليست هي من فعل الشيطان، بل هي من خلق الرحمن. فلا توصف لا بالخير ولا بالشر، ولا يترتب عليها أمر ولا نهي، لا ثواب ولا عقاب.

أضف إلى ذلك أن التثاؤب هو كذلك حركة بيولوجية فطرية لا إرادية مشاهدة لدى كثير من الحيوانات مثل الكلاب والقردة والذئاب مثلما هي مشاهدة في عالم الإنسان، حتى أن عدوى

التثاؤب في عالم الحيوان، زيادة على ذلك، لا تكاد تختلف عنها في عالم الإنسان.

حديث رقم (٢١): في صحيح مسلم وصحيح البخاري والترمذي ومسند أحمد، أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال "**صلة الرحم تزيد في العمر**".

فكيف يتفق هذا مع قوله تعالى: "فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ"، وقوله تعالى: "لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ"؟! وقوله تعالى: "وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا". لا ريب أن في صلة الرحم ثواباً عظيماً، ولكنها ليست طريقاً لإطالة العمر. فأجل الإنسان غير قابل للزيادة أو النقصان، كما هو صريح واضح قطعي في القرآن. أما ما ذهب إليه بعض المتأولين من أن الزيادة في العمر هي كناية عن البركة فيه فهو خروج بالحديث عن دلالته القطعية. فالحديث قد نصّ على زيادة في العمر ولم يتحدث عن بركة فيه.

ويا ليت الأمر قد توقف بالوضاعين في مجال الترغيب والترهيب عند حد صلة الرحم، بل إننا لنراهم قد تمادوا في تمجيد بعض الفضائل وفي تعظيم ثوابها، حتى بلغوا حداً أنساهم ذكر الله في قطعيات القرآن ويقينياته. فقد جعلوا من الصدقة والدعاء وسائل يرد الإنسان بها القضاء والبلاء. من ذلك الحديث الذي أخرجه

الترمذي عن ابن عمر أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "من فُتح له **باب الدعاء** فتحت له أبواب الرحمة. وما سئل الله تعالى شيئاً أحب إليه من أن يسأل العافية. وأن الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل. **ولا يرد القضاء إلا الدعاء**، فعليكم بالدعاء".

ومن ذلك الحديث الذي أخرجه البزار والطبري والحاكم،، عن عائشة، أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "لا يغني حذر من قدر. والدعاء ينفع مما نزل، ومما لم ينزل. **وأن البلاء ليتنزل فيلقاه الدعاء**، فيعتلجان إلى يوم القيامة".

ومن ذلك ما روي أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "**الصدقة تدفع القضاء المبرم**"، وأنه صلى الله عليه وسلم قال: "**داووا مرضاكم بالصدقة**".

ومن ذلك الحديث الذي رواه الحاكم في صحيحه، عن ثوبان، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: **لا يرد القدر إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر، وأن الرجل ليُحرم الرزق بالذنب يصيبه**".

وإزاء هذه المزاعم الباطلة كلها فإننا لا نقول بأن الوضاعين في ميدان الترغيب والترهيب كانوا غافلين عن ثوابت القرآن وقطعياته في الأجل والرزق والقضاء والقدر، غفلة خطأ أو سهو، بل نؤكد أنهم قد قفزوا عنها وأداروا لها ظهورهم، عامدين متعمدين،

لأن الغاية عندهم كانت تبرر الوسيلة، مهما كان في ذلك من كذب وبهتان، وافتراء وبعد عن القرآن.

فمن المعلوم من الدين بالضرورة، لدى كل مسلم، عالماً كان أم عامياً، أن أجل الإنسان، وأن يقدر عليه رزقه أو يوسع له فيه، وما يحل به من بلاء أو قضاء خارج عن إرادته، هي أمور مفروغ منها، لا يغيرها، أو يبدلها، أو يعدلها، أو يردها، أي فعل من أفعال العباد. فأفعال الإنسان ليس من شأنها أن ترد قضاء الله أو تعدله في قليل أو كثير، لقوله تعالى: " **مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَاْ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ**".

نعوذ بالله من شر هؤلاء الوضاعين الذين أضاعوا البوصلة واليقين، وأصبحوا في كل واد يهيمون، يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، وما هم إلا في ضلال مبين.

حديث رقم (٢٢): في صحيح مسلم عن أبي هريرة: "**كُتب على ابن آدم نصيبُه من الزنى، مُدْرِكٌ ذلك لا محالة**".

إذن، طالما أن ذلك هو قدر الإنسان الذي لا مفر منه، ولا خيار له فيه، فلماذا إذاً، رتَّب الشارع الحكيم على هذا الفعل عقوبات دنيوية وأخروية؟ ثم، أو ليس الذي صمم هذا الحديث، ودسّه على المسلمين، إنما كان عدوا لله، هدّاماً، يريد أن تشيع الفاحشة في

الذين آمنوا، وأن لا يستهجنوا، بدورهم، وقوع ذلك من أحد، طالماً كان الزنى في حقه قدراً مقدورا؟!.

أو ليس هذا ضرباً من التطبيع ليجعل المسلمين، في كل زمان ومكان، يتقبلون ذلك باعتباره ظاهرة طبيعية، لا تشكل اختلالاً في منظومة القيم الأخلاقية لديهم؟!

عقيدة أرسطو والمشّائين:

حديث رقم (٢٣): "**أول ما خلق الله العقل.** فقال له: أَقْبِل فأَقْبَل، ثم قال له: أدبر فأدبر. فقال: وعزتي وجلالي، ما خلقت مخلوقاً أعز إلي منك. بك آخذ، وبك أعطي، وبك الثواب، وعليك العقاب.

وقد ورد هذا الحديث المزعوم بأسانيد متنوعة، وبصور مختلفة. وهو من الأحاديث التي اعتمدها وتوكأ عليها الشيعة الإسماعيلية، وراحوا يروجون له ويشيعونه بين الناس. وما ذلك إلا لأنهم اعتبروه عمدتهم في أصول الدين اتباعاً لمدرسة المشائين، أتباع الفيلسوف اليوناني أرسطو. **فهؤلاء كانوا يقولون بأن أول الصادرات عن واجب الوجود هو العقل.**

والغريب العجيب أن جمهوراً غفيراً من أبناء المسلمين المضبوعين بالأرسطوطاليسية قد تلقفوا هذه الأطروحة اليونانية

الباطلة، واتخذوا من هذا الحديث الخيالي الساقط دليلاً شرعياً، لإضفاء هالة من القداسة والمصداقية على مزاعم أرسطو في موضوع العقل. ولقد راج هذا الحديث رواجاً منقطع النظير لدى إخوان الصفا، والقرامطة، والحشاشين وغيرهم من الفرق الباطنية، كما وجد له سوقاً رائجة عند من يسمون أنفسهم بالفلاسفة المسلمين.

واستمر العزف على هذا اللحن النشاز حتى يومنا هذا. حتى إننا لنجده يتردد في بعض مؤلفات الكُتّاب المعاصرين، باعتباره محوراً من محاور عقيدتهم الإسلامية اليونانية.

وزيف هذا الحديث وبطلانه واضح وضوح الشمس في رابعة النهار. فهو لا يحتاج إلى جدال ولا إلى سجال. فالله سبحانه وتعالى أول ما خلق آدم، وليس العقل، وجعل العقل جزءاً من فطرة آدم، يعني تركيبته البيولوجية. ولم يخلق العقل أولاً باعتباره كائناً حياً مستقلاً يمارس صلاحياته ومسؤولياته بمنأى عن البشر. فما هذا إلا أساطير الأولين، وشطحة من شطحات التائهين في ملكوت رب العالمين.

الفرقة الناجية:

حديث رقم ٢٤: افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على إثنتين وسبعين فرقة، **وسوف تفترق أُمّتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة**".

هذا حديث في أخبار الغيب، فكان ينبغي أن يُرد، للأسباب التالية:

أولاً: أنه حديث آحاد في أخبار الغيب، فلا تقوم به في موضوعه حجة.

ثانياً: أنه يعتبر اليهود أفضل من النصارى، لأن النصارى قد انقسموا إلى أثنتين وسبعين فرقة، بينما اليهود لم ينقسموا إلا على واحد وسبعين فرقة.

ثالثاً: أنه يعتبر اليهود أفضل من المسلمين، لأن المسلمين سوف ينقسمون إلى ثلاث وسبعين فرقة، بينما اليهود لم ينقسموا إلا على واحد وسبعين فرقة.

فما دام اليهود أفضل من النصارى، وأفضل من المسلمين، فقد صارت رائحة الحديث واضحة كل الوضوح: إسرائيلية تزكم الأنوف!!

رابعاً: ما دام مصير هذه الفرق المزعومة كلها إلى النار ما عدا واحدة، فمعنى ذلك أن هذه الفرق قد خرجت عن الإسلام، ولم تعد فرقا إسلامية تشكل أجزاء من الأمة الإسلامية. وهذا يعني أن الأمة الإسلامية ظلت أمة واحدة ترتبط بمنظومة فكرية واحدة، في عقيدتها وفي نظام حياتها. وعلى ذلك فإن هذا الحديث يكذب نفسه بنفسه. فلا اليهود ولا النصارى

بأفضل من الأمة الإسلامية، من حيث ارتباطهم بمنظوماتهم التوراتية والإنجيلية، ولا من حيث الانقسامات الفرقية لدى اليهود، والنصارى، والمسلمين، ولا من حيث اعتبار الفرق الضالة جزءاً من الأمة الإسلامية.

رؤية الله:

حديث رقم ٢٥: في صحيح البخاري عن جرير قال: كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ نظر إلى القمر ليلة البدر، قال: "**إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر**، لا تضامون في رؤيته". حسبنا دليلاً على كذب هذا الحديث أمران:

الأول: هو قوله تعالى: "لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ". وهذا عام في الدنيا وفي الآخرة، لا مخصص له في دين الله. أما قوله تعالى: "وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ، وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ، تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ" فسياق الآية والقرائن اللغوية والشرعية في قوله "ناضرة"، تعني منتظرة ثواب ربها، عكس الباسرة التي تنتظر عذاب ربها. وذلك نظير قوله تعالى على لسان ملكة سبأ: "وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ **فَنَاظِرَةٌ** بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ"، [يعني منتظرة]. كذلك فإن النظر بمعنى الرؤية فغير معروف في لغة العرب أنه مما يضاف إلى الوجه، بل لا يضاف إلا إلى العين. فحين يقال، إن "**العين ناظرة**" فإن

ذلك إنما يعني أنها ترى وتشاهد وتبصر، وليس الأمر كذلك بالنسبة للوجه. **فينحصر معنى وجوه يومئذ ناظرة في هذه الحالة بمنتظرة**". أما القول بأن النظر إلى الله في الآية إنما هو خاص بيوم القيامة، وليس على إطلاقه في الدنيا وفي الآخرة، فلا يصح لأن الغيبيات لا يجوز قبولها او تخصيصها إلا بدليل قطعي. وهذا غير حاصل في موضوع رؤية الله والنظر إليه.

والثاني: إن فكرة رؤية الله رؤية مباشرة من قبل المؤمنين هي فكرة توارتية في أصلها. فقد **ورد في سفر الخروج ما يلي:** "**ويكلم الرب موسى وجها لوجه كما يكلم الرجل صاحبه**"، وكما ورد في سفر الخروج أيضاً: "ثم صعد موسى وهارون وباداب وأبيهو، وسبعون من شيوخ إسرائيل، **ورأوا إله إسرائيل** وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف، كذات السماء في النقاوة، ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بني إسرائيل. **فرأوا الله**، وأكلوا وشربوا".

وفكرة رؤية الله مباشرة قد تسربت من التوراة إلى الإنجيل، فبتنا **نقرأ في الإنجيل قوله: طوبى لأنقياء القلوب، فإنهم يعاينون الله يوم القيامة.**

وعلى ذلك، فإن اختلاف أمة محمد وافتراقها وصراعها على إثبات رؤية الله يوم القيامة أو عدم رؤيته أمور لا تقدم شيئاً ولا تؤخر في جملة العقائد والغيبيات الإسلامية. فينبغي، والحالة هذه، حتى عند المهووسين بهذه الفكرة أن يتركوا أمرها إلى اليوم الآخر، وأن لا يخوضوا في سبيلها المعارك أشكالاً وألواناً، فشأنهم في هذا الصراع كشأن الدونكيشطيون الذين يخوضون المعارك مع طواحين الهواء.

وبعد، فهذه عينة متواضعة من أحاديث آحاد كثيرة جداً وردت في موضوع العقائد والغيبيات، ومنها أحاديث الشفاعة برمتها، مما لا نكاد نجد خلافاً بين المحدثين في تصحيحها، بل ربما اعتبروا بعضها متواتراً كأحاديث الشفاعة، نقول: هذه الأحاديث فيها الدليل القاطع والبرهان الساطع، على أن أحاديث الآحاد لا تقوم بها حجة في العقائد والغيبيات، لا منفردة ولا مجتمعة، مهما أحاطها رواتها بهالات من الحجية والتقديس.

ونحن حين ندرس متون هذه الأحاديث، واحداً واحداً، على أساس الدراية، فإننا واجدون لا محالة، أنها كلها ساقطة سقوطاً مزرياً فاحشاً. فبعضها يخالف قطعي القرآن، وبعضها يخالف الواقع المدرك المحسوس، وبعضها يطعن في عصمة الرسول صلى الله عليه وسلم، وبعضها يطعن في الذات الإلهية، وبعضها

يحمل الهوية الإسرائيلية، وبعضها يطعن في القرآن الكريم، وبعضها يروج للفواحش والموبقات، وبعضها ينفّر من الجنة، وبعضها ينطوي على عقائد وطقوس وثنية، إلى غير ذلك مما لا يقبله عقل ولا دين.

كفى الله المؤمنين شر هذه القاعدة المضلة، أعني حجية خبر الآحاد في العقائد والمغيبات، وخلَّصهم من براثنها، وهداهم الصراط المستقيم، في معتقداتهم المتعلقة بعالم الغيب وعالم الشهادة كافة.

أحاديث الآحاد ليست كذلك حُجَّة في الأحكام إلا بالدراية مع الرواية

إن ما ذهب إليه جمهرة المحدثين والمشتغلين بعلوم الحديث، قديما وحديثا، من أن أحاديث الآحاد التي صحت رواية عند المحدثين، وخاصة منها ما اتفق عليه البخاري ومسلم، هي حجة قائمة بذاتها في الأحكام، كما هي في العقائد وأمور الغيب، كلام غير صحيح أبدا. فلقد ثبت بالأدلة الوافرة القاطعة أن هذا النوع من الأحاديث، كغيره من أحاديث العقائد والمغيبات التي صحت رواية، ولم تخضع متونها للمحاكمة على أساس الدراية، ينطوي على أخطاء كثيرة وكبيرة. بيد أن هذا لا ينفي أن قسماً كبيراً من الأحكام الشرعية قد وصلتنا عن طريق التواتر العملي، جيلاً بعد جيل، منذ بدأ تطبيق الإسلام على مجتمع المدينة، في ظل دولة الرسول صلى الله عليه وسلم. ولقد أخطأ المحدثون – غفر الله لهم – حين نقلوا المتواتر من الأحكام الشرعية العملية، على شكل أخبار آحاد، راوياً عن راوٍ. ومع ذلك فما زال في مقدور أصحاب الكفايات من المفكرين المخلصين الواعين الباحثين في علم الحديث أن يعيدوا الأمور إلى نصابها، مهما كلفهم ذلك من جهد ووقت وعناء. وذلك بالتسلح بمنهاج الدراية إلى جانب منهاج الرواية.

ولإثبات أن أحاديث الآحاد في الأحكام ليست حجة في ذاتها إلا بالدراية مع الرواية، فإننا نورد مجموعة من الأحاديث الصحيحة سنداً كشاهد على ذلك، وهي مع ذلك قليل من كثير:

حديث رقم (١):

في صحيح البخاري، عن أمُامة الباهلي، وقد رأى سكة وشيئا من أدوات الحرث للزراعة، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "**لا يدخل هذا بيت قوم إلا أدخله الله الذل**".

معنى الحديث أن الاشتغال بالزراعة، طالما كان مجلبة للذل، حرام قطعاً.

غير أن البخاري، نفسه، وفي صحيحه، أورد حديثاً آخر يناقضه مناقضة تامة. يقول: "ما من مسلم يغرس غرسا، أو يزرع زرعاً، فيأكل منه طير، أو إنسان، أو بهيمة، إلا كان له به صدقة". يعني أن الزراعة عمل طيب حسن، يثاب عليه المسلم ثواباً عظيماً.

فعلى أي شاطئ من شواطئ الحلال والحرام يراد لسفينة الزراعة أن ترسو؟ شاطئ الحرام أم شاطئ الحلال؟

حديث رقم (٢):

أورد البخاري في صحيحه عن أبي هريرة: أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "**إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه كله،** ثم ليطرحه، فإن في أحد جناحيه شفاء، وفي الآخر داء".

هذا الحديث يعني أن التركيب البيولوجي لأجنحة الذباب يختلف في الذبابة الواحدة من جناح إلى آخر. وهذا يخالف الواقع المدرك المحسوس الذي خلق الله عليه الذباب، وكل حشرة، وكل طائر يطير بجناحيه. والاختبارات البيولوجية، التي هي اليوم في متناول يد كل من يلجأ إليها، فيها الدليل الواضح والبرهان الصارخ، على أن هذه الدعوى الذبابية، باطلة لا أصل لها في طبيعة الذباب وسائر الحشرات، لا من قريب ولا من بعيد. أضف إلى ذلك أن من المعروف والمشاهد لدى عامة الناس أن الذباب يقتات بالقاذورات، ومنها براز الإنسان والحيوان. فعلى كل مسلم، كما أمر هذا الحديث، وبعد أن يرى الذبابة قد اقتاتت من الخرء، أن يغمسها في شرابه، بدعوى أن في أحد جناحيها داء وفي الآخر شفاء، ويتناوله هنيئاً مريئاً!!

إن في هذا لمنتهى الاستخفاف بعقول المسلمين، وتعطيل لأذواقهم التي فطرهم الله عليها، وهي أن تشمئز وتتقزز من منظر القاذورات، فكيف بها إذا أصبح خرء الإنسان وأرواث الدواب

وأبوالها، طعاما وشرابا سائغاً للمسلمين، بتكليف إلهي من رب العالمين؟!

لا ريب أن الذي وضع هذا الحديث إنما كان يهدف إلى إثارة التقزز والاشمئزاز من المسلمين، ومن دينهم. فهم بعلاقتهم الحميمة الودية مع الذباب، على هذه الشاكلة النجسة، سوف يكونون عنوان القذارة والانحطاط في هذا العالم. وسوف يكون دينهم، بهذه الوصفة الطبية القذرة، مادة للهزء والتندر والسخرية والاحتقار لدى الناس كافة، في كل زمان ومكان.

حديث رقم (٣):

أورد البخاري في صحيحه، عن أبي سعيد الخُدري قال: أصبنا سبياً، **فكنا نعزل.** فسألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "أوَ إنكم لتفعلون؟ . قالها ثلاثاً . ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلاّ هي كائنة". فسؤال الرسول صلعم للصحابة هنا عن العزل هو استفهام استنكاري، يعبر عن استغرابه من إقدامهم عليه، خارقين بذلك نواميس الحياة البشرية.

وعند مسلم في صحيحه، عن جابر بن عبد الله، أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن عندي جارية لي، وأنا أعزل عنها. فقال صلى الله عليه وسلم: "إن ذلك لن يمنع شيئاً أراده الله".

وهذا يعني أن الرجل، سواء عزل عن المرأة أم لم يعزل، فالنتيجة واحدة. وهذه مغالطة فاحشة فاضحة مع الواقع المدرك المحسوس، وتعطيل لقانون السببية. فالحمل لا يمكن أن يحصل أبدا، في جميع الأحوال، إلا إذا التقى ماء الرجل ببويضة المرأة. فإذا حصل العزل، بأن حيل بينهما بأي وسيلة من الوسائل، استحال الحمل. فهذه هي إرادة الله الحقيقية حين خلق الزوجين الذكر والأنثى، وأودعهما هذه الخاصية التي لا تتخلف أبداً إلى يوم القيامة.

حديث رقم (٤):

عن عائشة قالت: جاءت سهلة بنت سهيل بن عمرو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: إني أرى في وجه أبي حذيفة (يعني زوجها) من دخول سالم (يعني مولاه) عَلَيَّ كراهة. فقال: أرضعيه. قالت: **أُرْضِعُه وهو رجل كبير؟!** فضحك، ثم قال: ألست أعلم أنه رجل كبير؟ [صحيح مسلم، وصحيح البخاري]

من المعلوم بداهة في كتاب الله تعالى أن الحمل والفصال تتراوح مدته بين ثلاثين شهراً وثلاثة وثلاثين شهراً لمن أراد أن يتم الرضاعة. قال تعالى: "وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاَثُونَ شَهْراً"، وقال: "وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ". والرضاع بعد ذلك لا يُحرّمُ كما يُحرِّمُ النسب، حتى لقد

روى مالك عن الزهري، أن عائشة رضي الله عنها كانت تفتي بأن الرضاع، مجرد الرضاع، يَحْرُم بعد الفصال، حتى ماتت".

لكن الذي صمم هذا الحديث القذر كان يريد أن يشيع الفاحشة في الذين آمنوا، كما كان يريد أن ينشر الإباحية والانحلال الأخلاقي بين ظهراني الأمة الإسلامية، طالما اعتقد المسلمون أن رسولهم الكريم كان لهم إماماً في الفواحش، والتسول الجنسي في المدينة، وذلك حين دخل على أم حرام، زوجة عبادة بن الصامت، وهي ليست من محارمه، وفي غياب زوجها عُبادة، فأطعمته وأخذت تفلِّي رأسه.

ولقد شجع هذا الحديث الانحلالي المنحط بعض كبار المشايخ على أن يبرروا المزيد من مثل هذه الممارسات الجنسية المنحرفة، بدعوى أن فيها شفاء للعشاق والمحبين.

الدعارة المخففة:

فالشيخ ابن القيم الجوزية مثلاً يقول في الجزء الأول، صفحة ٣٧٨، من كتابه "**روضة المحبين ونزهة المشتاقين**" ما يلي:

(فإن قيل: فهل تبيح الشريعة مثل ذلك – يعني ما فعلته زوجة مجاشع بن مسعود مع حبيبها نصر بن سيار، حين سمح لها

زوجها مجاشع بأن تذهب إلى نصر بن سيار فتسنده إلى صدرها وتطعمه الطعام بيدها؟ – قيل: إذا تعيّن طريقا للدواء، ونجاة العبد من الهلكة، لم يكن بأعظم من مداواة المرأة للرجل الأجنبي ومداواته لها، ونظر الطبيب إلى بدن المريض، ومسه بيده للحاجة. وأما التداوي بالجماع فلا يبيحه الشرع بوجه ما. وأما **التداوي بالضّم والقُبلة**، فإن تحقق الشفاء به، كان نظير التداوي بالخمر عند من يبيحه. بل هذا أسهل من التداوي بالخمر، فإن شربه من الكبائر، وهذا الفعل من الصغائر. والمقصود **أن الشفاعة للعشاق فيما يجوز من الوصال والتلاقي سنة ماضية، وسعي مشكور**. وقد جاء عن غير واحد من الخلفاء الراشدين، ومن بعدهم، أنهم شفعوا هذه الشفاعة. يشير بذلك إلى قوله تعالى: "من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها".

وأخيراً، بعد إرضاع الكبير، والضم والتقبيل وممارسة ما دون الجماع من سائر الأعمال الجنسية المحرمة، طلباً للشفاء الجنسي وإرواء الغليل، لدى العاشقين والمحبين، نكون قد وصلنا إلى التداوي بالجماع. ولا نَعْدِم حينئذٍ أن نجد لنا شيخاً آخر فاضلاً، يخترع لهذه الفاحشة تخريجاً فقهياً، يتنفس الصعداء في ظله، كل فاسق وفاجر. فطوبى حينئذٍ للباحثين عن هذا الطب النبوي

الشريف المزعوم في مؤلفات التائهين عن كافة مسارب الهدى والرشاد!.

حديث رقم (٥):

في البخاري عن عمرو بن ميمون قال: "رأيت في الجاهلية **قِرْدة اجتمع عليها قِرَدة، قد زنت، فرجموها**، فرجمتها معهم".

وفي رواية أخرى مفصلة عن عمرو بن ميمون قال: كنت في اليمن في غنم لأهلي وأنا على شَرَف (يعني مكان مرتفع). فجاء قرد مع قِرْدة، فتوسد يدها. فجاء قرد آخر أصغر منه، فغمزها. فسلّتْ يدها من تحت رأس القرد الأول سلاًّ رفيقا، وتبعته. فوقع عليها، وأنا أنظر. ثم رجعت، فجعلت تدخل يدها تحت خد القرد الأول برفق، فاستيقظ فزعاً. فشّمها فصاح. فاجتمعت القرود. فجعل يصيح ويومئ إليها بيده. فذهب القِرَدةُ يمنة ويسرة. فجاءوا بذلك القرد، أعرفه. فحفروا لهما حفرة فرجموهما. فلقد رأيت الرجم في غير بني آدم". ونحن نقول للبخاري، غفر الله له:

أولاً: ما علاقة هذا الخبر السخيف بالإسلام حتى يدرج في جملة الأحاديث الصحيحة عندك يا أبا عبد الله، أو عند غيرك من المحدثين، طالما أنه من أخبار الجاهلية المزعومة التي لا تمت للإسلام والمسلمين بِصِلة؟!

وثانياً: إن فكرة إقامة حد الزنى على القرود، هي في أصلها، فكرة توراتية مغرقة في السخف، لا تليق بالله، ولا برسله، ولا بكتبه وشرائعه. فلقد **جاء في التوراة أنه إذا نطح ثور إنساناً فقتله فإن حَدَّ القتل يقام على الثور، فيقتل به.**

ومن البدهيات لدى البشر كافة أن الحيوانات هي كائنات غير عاقلة، فهي بالتالي غير مكلفة لا بشريعة موسى، ولا بشريعة عيسى، ولا بشريعة محمد، ولا بشريعة غيرهم من الأنبياء، ولا بشريعة أحد من العالمين.

ما هذا إلا أساطير بني إسرائيل، وسخافات المهابيل، مما **تحتاج إلى عقول متقاعدة من جميع وظائفها حتى تصدق بها،** وتتناقلها من جيل إلى جيل!!!

أركان الإسلام الخمسة:

حديث رقم (٦):

روى البخاري عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**بني الإسلام على خمس:** شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان".

والمدقق في هذا الحديث يجد أنه انطوى على محورين فقط من المحاور الخمسة التي بُني عليها الإسلام، كما يزعم الحديث.

فالشهادتان هما محور واحد، وأما الصلاة والصيام والزكاة والحج فهي كلها عبادات، فلا تشكل، والحالة هذه، إلا محوراً واحداً ثانياً. فأين هي المحاور الأخرى التي بُني عليها الإسلام؟

أين هو محور إقامة حكم الله في الأرض الذي يشكل حداً فاصلاً بين الكفر والفسق والظلم وبين الإسلام، مصداقاً لقوله تعالى: "وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ"، و"فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ"، و"فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ"؟ وقوله تعالى: "فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ"، وقوله تعالى: "إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ".

وأين هو محور ربط الأسباب بالمسَّببات الذي يُعتبر قضية حياة أو موت بالنسبة للأفراد والجماعات والدول، ليس بالنسبة للمسلمين وحدهم، بل للناس كافة، في كل عصر ومصر، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؟ قال تعالى: "إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ". يعني أن يبدأ التغيير من عند الإنسان أولاً. وقال صلى الله عليه وسلم لصاحب الناقة: "إعقلها وتوكل".

وأين هو محور العدل الذي هو أساس الملك، وهو عنوان شريعة السماء، كما قال تعالى: "وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى"، وقوله تعالى: " إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ".

وأين هو محور الإحسان بمعناه الواسع الممتد إلى كل فعل من أفعال العباد، **ومنه إتقان العمل، وتوطيد علاقات الأخوة والمحبة والاحترام والرعاية المتبادلة بين الناس**، كما قال تعالى: "إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَآءِ ذِي الْقُرْبَى"، وكما قال صلى الله عليه وسلم: "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يُتْقنه"، وكما قال صلى الله عليه وسلم أيضا: "إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتْلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذَّبح"؟

وأين هو محور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي جعله الله تعالى المُقَوِّم الأساس، كي تكون الأمة الإسلامية خير أمة أخرجت للناس، كما قال تعالى: "كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ"؟

وأين هو محور حمل رسالة الإسلام إلى الناس كافة، بالدعوة والجهاد، والاستشهاد، حتى يتفيأ الناس ظلال رحمة الله للعالمين، وتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا هي السفلى، مصداقاً لقوله تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ"؟

وأين هو محور الاستقامة، وهو الالتزام الشامل الدائم بعقيدة الإسلام وأحكامه، مصداقاً لقوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُواْ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ".

وأين هو محور المنظومة الأخلاقية في الصدق، والأمانة، والإخلاص، وبر الوالدين، والعفة، والوفاء، وتوقير الكبير، ورحمة الصغير، وحسن الجوار، والإحساس المتوهج بالمسؤولية عن الغير، كما قال صلى الله عليه وسلم: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمّى"؟ [صحيح مسلم]

وأين هو محور الولاء وترتيبه في علاقات الناس بربهم ودينهم، وفي انتماءاتهم العائلية والعشائرية والقبلية والشعوبية، وفي علاقاتهم بحكامهم ورؤسائهم، وفي علاقاتهم بمصالحهم الآنية والمستقبلية؟ قال تعالى في ذلك: "قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ". وقال تعالى: "يأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُواْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عَندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ". وقال صلى الله عليه وسلم: "لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى".

فالولاء والانتماء إذا لم يرتب في حياة المسلم، الخاصة والعامة، على النحو الذي أراده الله تعالى، فلن تكون عاقبته إلا الضياع والخسران المبين، في الدنيا وفي الآخرة.

وأين هو محور العقل أولاً وأخيراً؟ فالعقل هو الكوكب الدري الذي يتميز به الإنسان عن سائر المخلوقات وينير دربه في هذا الكون. **فهو مناط التكليف، وهو القادر على الاختيار، وهو القادر على تحمل مسؤولية الاختيار**، وتلكم هي الأمانة التي عرضها الله سبحانه وتعالى على السموات والأرض والجبال فأَبَيْن أن يحملنها وحملها الإنسان. والآيات التي تتنزل على هذا المحور كثيرة جداً هي في كتاب الله تعالى، تعد بالعشرات، تتناول تمييز الحق من الباطل، والصواب من الخطأ، والصدق من الكذب، والحقيقة من الأسطورة. وذلك كله حتى يكون الإنسان على بصيرة، وهداية، ورشاد في دنياه وفي أخراه.

إن تغييب هذه المحاور البالغة الأهمية والحساسية عن البنية الفكرية المحورية الإسلامية لدى عامة المسلمين، في هذا الحديث المزعوم، هو عملية تخريبية هدامة، ما بعدها هدم ولا تخريب. فهي محاولة إجرامية لمسخ الإسلام وحصره في عبادات فردية، فيها وحدها، خلاص المؤمنين من المسؤولية في الدنيا وفي الآخرة، كما

يراد لهم أن يتوهموا، كما توهم الذين من قبلهم، من أرباب الديانات الأخرى.

الدعارة المغلظة:

حديث رقم (٧):

في البخاري عن ابن الأكوع عن أبيه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "**أيما رجل وامرأة توافقا فعشرة ما بينهما ثلاث ليال. فإذا أحبا أن يزدادا تزايدا، أو يتتاركا تتاركا**".

ثم يعلق أبو عبدالله البخاري، على هذه الدعارة المحيِّرة فيقول: "فما أدري أشيء كان له خاصة، أم للناس عامة؟".

ونحن نقول لأبي عبد الله البخاري إن صحت نسبة هذا التعليق إليه، إن الجهل في دين الله لا يتصور أن يصل إلى هذا الحد. فالدعارة، إن كانت خيراً، وجازت لفرد أو أفراد، فلماذا يحرم من خيرها سائر العباد؟! دعهم يخوضوا ويلعبوا، ويسرحوا ويمرحوا، حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون.

حديث رقم (٨):

في صحيح مسلم عن سعد بن أبي وقاص قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "**من تصبّح بسبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سُمٌّ ولا سحر**".

هذا مما يتناقض مع الواقع تناقضاً فاحشاً، في أمر مدرك محسوس، خاضع للتجربة على الحيوان أولاً، ثم على الذين يصدقونه ثانياً. لكن بائع التمر هذا، أراد أن يُسِّوق تَمْرَه على الناس كيفما اتفق، ولو بالضحك على ذقون السذج والبسطاء، وبالكذب التمراوي الرخيص على سيد المرسلين**!!**

حديث رقم (٩):

روى النسائي وأبو داود والحاكم والترمذي، عن عبد الله بن عمر، عن أبيه، عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: "**إذا كان الماء قُلتين فإنه لا يحمل الخبث**".

يعني أننا لو استحضرنا كمية من الماء تبلغ حوالي خمس صفائح، أو قرابة مئة لتر، فإنها لا ينجسها بَوْل، ولا روث بهائم، ولا براز إنسان.

إن المصدقين بهذه المغالطات يجب أن يعيدوا النظر في حساباتهم إعادة حقيقية، حتى يطهروا حياتهم من النجاسات المادية، كما يفترض فيهم أن يكونوا قد طهروها من النجاسات المعنوية.

وقد أورد البخاري في صحيحه حديثا يناقض هذا الحديث ويكذبه، قال صلى الله عليه وسلم: "**لا يبولَنَّ أحدُكم في الماء الدائم (يعني الراكد) الذي لا يجري، ثم يغتسل فيه**".

فعلى أي شاطئ يراد لسفينة التكليف أن ترسو؟ على شاطئ الطهارة أم على شاطئ النجاسة؟

قرشية الإمام عند أهل السنة

حديث رقم (١٠):

حديث "**الأئمة من قريش**"، وفي البخاري: "لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان"، وفي مسلم: "لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان"، وفي مسلم أيضاً "أن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة"، وفي صحيفة همام بن منبه: "خير نساء ركبن الإبل نساء قريش"، **وعند ابن تيمية** في مجموع الفتاوى: "خص الله قريشاً بأن الإمامة فيهم، **وذلك لأن جنس قريش، لما كانوا أفضل، وجب أن تكون الإمامة في أفضل الأجناس**".

وفي صحيفة همام بن منبه: "الناس تبع لقريش في هذا الشأن . يعني الإمارة . مسلمهم تبع لمسلمهم، وكافرهم تبع لكافرهم".

ثم من بعد ذلك تأتي الأحاديث التي صمموها كي يدعموا بها هذه الضلالة، مثل: "من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر، فإنه ليس أحد يفارق الجماعة شبراً فيموت، إلا مات ميتة جاهلية"، ومثل: "ألا من ولي عليه والٍ فرآه يأتي شيئاً من معصية الله فليكره

[يعني بقلبه] ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعن يدا من طاعة"، ومثل: "**يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهديي، ولا يستنّون بسنتي. وسيقوم فيكم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس.** قال الراوي: قلت كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: **تسمع وتطيع للأمير، وإن ضرب ظهرك، وأخذ مالك**، فاسمع وأطع"، ومثل: "إن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "يا أبا ذر: كيف أنت عند ولاة يستأثرون عليك بهذا الفيء؟ قال: والذي بعثك بالحق أضع سيفي على عاتقي، فأضرب به حتى ألحقك. قال صلى الله عليه وسلم: أفلا أدلّك على خير من ذلك؟ تصبر حتى تلقاني"؟

ومثل: "سأل سلمة بن يزيد الجُعِفي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا نبي الله! أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقَّهم، ويمنعونا حقَّنا، فما تأمرنا؟ فأعرض عنه، ثم سأله في الثانية فأعرض عنه، ثم سأله في الثالثة، فجذبه الأشعث بن قيس وقال: إسمعوا وأطيعوا، فإنما عليهم ما حُمّلوا، وعليكم ما حُمّلتم. وفي رواية قال: فجذبه الأشعث بن قيس، فقال رسول الله: اسمعوا وأطيعوا، فإن عليهم ما حُمِّلوا وعليكم ما حُمِّلتم".

ومثل حديث: "يُهلك الناس هذا الحي من قريش. قالوا: فما تأمرنا؟ قال: لو أن الناس اعتزلوهم". [البخاري ومسلم]

يعني أن نتركهم وشأنهم وما يفعلون. فكأنا لسنا نحن الذين تُجْلد ظهورهم، وتُنْهب أموالهم، وتُسْفك دماؤهم، وتُنْتَهك أعراضهم، وتُداس كرامتهم، والعياذ بالله تعالى!!!.

لكن، كيف يتفق هذا كله مع قوله صلى الله عليه وسلم في حديث آخر: "من رأى إماماً عاملاً في عباد الله بالاثم والعدوان، ولم يُغَيّر عليه بقول ولا فعل، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله من النار"، وفي رواية أخرى عند الطبري عن الحسن بن علي: "من رأى سلطانا جائراً، مستحلاً حُرُم الله، ناكثاً لعهد الله، منابذاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالاثم والعدوان، فلم يُغيِّر عليه بفعل ولا قول، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله"، وقوله صلى الله عليه وسلم في رواية للبخاري: "السمع والطاعة على المرء المسلم فيما أحب أو كره، ما لم يؤمر بمعصية. فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة".

وقوله صلى الله عليه وسلم في رواية لأبي داود والترمذي وأحمد بن حنبل: "لتأمرن بالمعروف وتَنْهَوُنَّ عن المنكر، ولتَأْخُذُنَّ على يد الظالم، ولتأْطُرُنَّه على الحق أطراً، ولَتَقْصُرُنَّه على الحق قصراً، أو لَيَضْرِبَنَّ الله بقلوب بعضكم على بعض، ولَيْلعنَنَّكم كما لعن بني إسرائيل".

وقوله صلى الله عليه وسلم في رواية للنسائي وأحمد بن حنبل: "سيكون أمراء فسقة جَوَرة، فمن صدقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم، فليس مني ولست منه، ولن يرد عليّ الحوض"، وقوله صلى الله عليه وسلم في رواية أخرى لأحمد بن حنبل: "إذا هابت أمتي أن يقولوا للظالم أنت ظالم، فقد تُوُدِّع منهم".

فأحاديث الاستخذاء والطاعة المطلقة للحكام، وكثير أمثالها من الأحاديث السياسية الملفقة، إنما وضعت لتحقيق أمرين:

أولهما: إضفاء الشرعية على خلافة القرشيين منذ خلافة معاوية بن أبي سفيان. وهي تمتد في باطلها لتشمل الأمويين، والعباسيين، والهاشميين، والفاطميين، والعلويين، والزيديين، ومن انتسب إلى قبيلة قريش، أو تمسح بها. مع أن من بدهيات الإسلام أنه لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى، وليس بالقرابة أو النسب. والخلافة في الإسلام ليس لها إلا طريق واحد مشروع، هو البيعة الحقيقية الحرة، من قبل الأمة، لمن كان مرشحاً لها، من أهلها. وليس التغلب، أو الاغتصاب، أو الوراثة، أو الحق الإلهي المزعوم، طريقاً مشروعاً للوصول إليها.

فالقرشي، إن كان صاحب عقل وفضل، واختاره الناس اختياراً حراً لولاية عامة فلا بأس في ذلك ولا ضير، لأنه، والحالة

هذه، يستوي مع غيره من سائر المرشحين. أما غير ذلك، فلا محل له من الإعراب في ديننا الحنيف.

وما جرى في سقيفة بني ساعدة، عند وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم شاهد صارخ على ذلك. فرغم أن الأغلبية الساحقة من سكان المدينة كانوا من الأنصار، ورغم أن أهل الحل والعقد والقوة المسلحة في دولة الرسول في المدينة كانوا من الأنصار، ورغم أن المهاجرين القرشيين كانوا قلة تعد على أصابع اليدين، لا حول لهم ولا قوة، إلا أن اجتماع السقيفة تمخض عن اختيار **المهاجر** أبي بكر، وهو ممن لا حول لهم ولا طول، لخلافة الرسول صلى الله عليه وسلم. ولم يكن ذلك لحق إلهي قرشي مزعوم، كما جاء في أحاديث القرشية المزعومة. **لأن قريشاً في ذلك الوقت كانوا من المؤلفة قلوبهم الذين لا يقبل منهم صرف ولا عدل في أمر الخلافة.** والقرشيون منهم في المدينة لم يصفهم الله تعالى في كتابه العزيز إلا بالمهاجرين، ولم يُضْفِ عليهم صفة القرشية، لا من قريب ولا من بعيد، في أية آية من كتابه العزيز.

واختيار أبي بكر رضي الله عنه للخلافة من قبل القوة الانتخابية الكبرى في المدينة، أعني الأنصار، إنما كان امتثالاً لأمر الله تعالى في تقديم المهاجرين على الأنصار حين قال: "وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ"، وقال: "لَقَدْ تَابَ الله عَلَى النَّبِيِّ

وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ" وليس لأي اعتبار آخر، يتعلق بالقوة، أو الغلبة، أو القرابة، أو النسب، أو الوراثة، أو الحق الإلهي المزعوم.

والصفة التي تميز بها أبو بكر وصحبه، عند الله وعند عباده الصالحين، أنهم مهاجرون وليسوا قرشيين، وهم مُقَدَّمون على غيرهم من الأنصار، لا لقرابة أو نسب، بل لسابقتهم في الإسلام، وتضحيتهم المتواصلة، المنقطعة النظير، بأرواحهم واستقرارهم وعيشهم الرغيد، وبكل ما يملكون من متاع الدنيا، في سبيل نصرة الإسلام وإعلاء شأنه في العالمين، كما قال تعالى: "لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ". وكان واضحاً أن المهاجرين والأنصار قد التزموا بهذا **البروتوكول** عند اختيار عمر وعثمان وعلي، ولم يحاول الأنصار تغييره أو الالتفاف عليه، في أي وقت من الأوقات، أو تحت أي ظرف من الظروف، لا في الترشيح، ولا في الانتخاب.

والأمر الثاني الذي وضعت هذه الأحاديث السياسية من أجله **هو تمكين الحكام الفاقدين للشرعية**، أو الحكام الذين لا يحكمون بما أنزل الله، ممن وصفهم الحديث بأنهم لا يهتدون بهدي الرسول ولا يستنون بسنته، تمكين كل أولئك من رقاب الأمة. ولا عليها قبل ذلك وبعد ذلك، من كفرهم أو فسقهم أو ظلمهم من شيء. بل عليها

أن تجعل من طاعتهم عهداً وميثاقاً، وفريضة شرعية، مهما طغوا وبغوا في البلاد وأكثروا فيها الفساد، وأكلوا أموال الناس بالباطل، وعذبوهم وجلدوا ظهورهم بغير حق، وارتكبوا المعاصي أشكالاً وألواناً.

وعلى الأمة، والحالة هذه، أن تدير ظهرها لجميع الآيات والأحاديث التي تحرم الظلم، وتحرم الطاعة في المعاصي، كما تحرم السكوت على ذلك. مثل قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ" يعني نحتكم إلى شريعة الله أولاً بأول، ولا نسكت عن المعاصي إلى يوم الدين. ويؤكد ذلك قوله تعالى: "لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ * **كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ** لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ". ومثل قوله صلى الله عليه وسلم: "لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق"، وقوله صلى الله عليه وسلم: "من رأى إماماً جائراً، عاملاً في عباد الله بالإثم والعدوان، ولم يُغِّير عليه بقول ولا فعل، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله من النار"، وقوله صلى الله عليه وسلم: "إن من أعظم الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر"، وقوله: "سيد الشهداء حمزة، ورجل قام إلى إمام جائر فنصحه فقتله". وقوله صلى الله عليه وسلم: "على المرء المسلم السمع والطاعة فيما

أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أُمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة". وقوله صلى الله عليه وسلم: "إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك الله أن يعمّهم بعقابه".

والغريب المذهل العجيب، بعد هذا كله، أن نجد الحكام الظالمين الغاشمين الطغاة، ومن أجل إضفاء الشرعية الكاذبة على سيرتهم الإجرامية، التي من شأنها أن تهدم أهم صفة خيرية من صفات الأمة الإسلامية، ألا وهي أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، نجدهم قد **نجحوا أيما نجاح في إيجاد طائفة كبيرة من أهل الفتوى، عبر العصور، ممن يزعمون أنهم ورثة السلف الصالح، يشيعون في الأمة أن الخروج على السلطان الظالم معصية، وفاحشة، وكبيرة من الكبائر، قد تودي بفاعلها إلى حد الكفر، أو الخلود في النار.** فالخروج على السلطان، كما يقولون، سيؤدي . لا محالة . إلى إراقة الدماء، وهذه فتنة قد نهى الله عنها، وحرّم التسبب فيها. فهي لذلك معصية لله، قبل أن تكون تمرداً على الحكام. فعلى الأمة، والحالة هذه، أن تصبر على ظلم الحكام وطغيانهم، وتؤدي لهم حقهم الذي لهم، وتحتسب حقها عليهم عند الله تعالى، يوم القيامة. أما في هذه الحياة الدنيا، فلا يجوز التمرد عليهم أو الثورة ضدهم، أبد الدهر، مهما كان تحركها ضدهم منضبطاً بالأحكام الشرعية، وليس أعمالاً فوضوية سائبة. لأن سفك الدماء في جميع

الأحوال، أمر لا مفر منه، وبالتالي فالفتنة التي تترتب عليه ـ حسب زعمهم ـ قائمة، وباقية بقاء الحكام الظالمين إلى ما شاء الله.

وحتى في حالة ظهور الكفر البواح في الدولة، لدى الحاكم وفي النظام، فإن أدعياء السلفية وأصحاب الفتاوى السلطانية لم يقدموا لنا، بين يدي هذه المشكلة، أي حل شرعي عملي مقبول، على الأمة أن تترسم خطاه للخروج من هذا المأزق الخطير.

ومن آخر ما حرر من نماذج في هذا الضلال المبين كلمة للشيخ محمد متولي شعراوي، ألقاها في أخريات أيامه بين يدي الرئيس المصري في حينه، حسني مبارك، جاء فيها: **أريد أن تعلموا أن الملك لله، كله بيد الله، يؤتيه من يشاء. فلا تآمر لآخذه، ولا كيد للوصول إليه.** فإن كان (الحاكم) عادلاً نفع بعدله، وإن كان جائراً ظالماً بشّع الظلم وقبّحه في نفوس كل الناس، فيكرهون كل ظالم ولو لم يكن حاكماً ... **وأنا أنصح كل من يجول في رأسه أن يكون حاكماً أنصحه أن لا يطلبه،** بل يجب أن يُطلب له ... يا سيادة الرئيس آخر ما أريد أن أقوله لك، ولعل هذا يكون آخر لقائي أنا بك: **إذا كنت قدرنا فليوفقك الله، وإن كنا قدرك فليعنك الله** على أن تتحمل!!. يعني أن مسألة الحكم أو العلاقة بين الحاكم والمحكوم هي من مسائل القضاء والقدر الذي لا حيلة للإنسان على رده، وليست هي من فعل العبد الذي يحاسب فيه على اختياره.

نعوذ بالله من شرور هذه الفتاوى، ومن شرور من جعلوا الخنوع والخضوع للطاغين، أبد الدهر، دينا يتعبدون الله عليه. إنهم بذلك قد جعلوا من هذه الفتاوى أعظم هدية، على الأمة تقديمها لكل حاكم ظالم غاشم، كي يسرح ويمرح، ويفسد في الأرض، ما طاب له أن يفسد، في ظل شرعية مطلقة، لا يحيد عنها إلا هالك، في الدنيا وفي الآخرة. وباختصار شديد فقد أرادوا من أحاديث الطاعة المطلقة للحكام **تكريس الظلم لدى الحاكم، وتكريس الخنوع لدى المحكوم.**

فهل – يا ترى – جاءت رسالة الإسلام لترويض المسلمين على أن يعيشوا أنذالاً تحت النعال، أم أن يكونوا دوماً حرباً على الطغيان والمذلة والهوان، أعزة على كل ظالم غاشم جبار في الأرض، كما قال تعالى: "وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ"؟!

قرشية الإمام عند أهل الشيعة

حديث رقم (١١):

حكاية غدير خُم هي التي أتخذت منها الفرق الشيعية شرعة ومنهاجاً، قفزت بها عن قطعيات الإسلام وثوابته وبدهياته في موضوع الإمامة القرشية، وصار الحديث السني "بني الإسلام على خمس" حديثاً شيعياً بصيغة "بني الإسلام على ست"، بإضافة بند الإيمان بالأئمة المعصومين.

تذهب رواية الغدير هذه إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو راجع من حجة الوداع، توقف في منطقة يقال لها غدير خم، بين مكة والمدينة. وخطب في جمهور المسلمين العائدين معه من حجة الوداع، كما أورد ذلك الطبراني بسند عن زيد بن أرقم، أجمع على صحته أهل السنة وأهل الشيعة كما يزعمون. وكان مما قاله صلى الله عليه وسلم حسب زعمهم: "**يا أيها الناس إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين. وأنا أولى بهم من أنفسهم. من كنت مولاه فهذا علي مولاه. اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه**".

وقد اتخذوا من هذا الحديث المزعوم، بصيغه المختلفة، مثل قوله صلى الله عليه وسلم في الغدير: "إن الله تعالى أنزل إلي "**بلّغ ما أنزل إليك من ربك، وإن لم تفعل فما بلّغت رسالته، والله يعصمك من الناس**". وقد أمرني جبريل عن ربي أن أقوم في هذا

المشهد، وأعلم كل أبيض وأسود، **أن علي بن أبي طالب أخي ووصيي، وخليفتي، والإمام من بعدي**"، نقول اتخذوا من هذا الحديث دليلاً قاطعاً وبرهاناً ساطعاً على أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد بلّغ رسالة ربه في علي، وأنه هو الخليفة وهو الإمام من بعده، وليس لأحد غيره حق في الإمامة، لا من قريب ولا من بعيد.

والجواب على ذلك من عدة وجوه:

١. آيات القرآن قاطعة في أن **التفاضل بين الناس إنما هو بالتقوى**، وليس بالقرابة أو النسب أو اللون أو الجنس. قال تعالى: " إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عَندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ"، وقال: " مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ". فقرابة علي من الرسول صلى الله عليه وسلم ومصاهرته له لا تعطيه حقاً إلهياً خاصاً في خلافة الرسول، وفي إمامة المسلمين من بعده. فالمؤمنون . في نظر الإسلام . كلهم إخوة متساوون أمام شرع الله في الحقوق والواجبات، لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأبيض على أسود، ولا لقرشي على عبد حبشي، إلا بالتقوى.

فهذا المحور هو أصل من أصول الإسلام البدهية القطعية العامة الشاملة، لا تخصيص فيه ولا استثناء. فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول: "**والله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها**". فالمؤمنون كلهم سواسية كأسنان المشط، ولا عبرة في دين الله بقرابة من الرسول أو نسب.

إن الحق الإلهي للملوك (The divine right of kings) في حكم البشر كان، عبر التاريخ، من الضلالات السياسية الكبرى التي أحاقت بالناس كافة. وقد عانت منه البشرية ما عانت من ظلم واستعباد. وكان على الأمم والشعوب، إزاء ذلك كله، أن تخنع وتستكين، ولا ترفع سيفاً في وجه أي حاكم ظالم غاشم أو عائلة مالكة، لأنها بذلك تكون قد تجاوزت حدودها، وقامت بالاعتداء على صاحب حق إلهي ليس لأحد أن ينازعه فيه.

٢. إن اختيار أبي بكر للخلافة، بإجماع المهاجرين والأنصار، في اجتماع سقيفة بني ساعدة، وتقديمه على غيره منهم ومن سائر المسلمين، دونما اعتبار لقرابة من الرسول أو نسب، هو كذلك دليل صارخ على أن النخبة من الصحابة لم تكن ترى في ميراثها الإسلامي أي مدخل لأحد في حق إلهي مكتسب، بسبب قرابة أو نسب.

كما ينبغي أن يلاحظ هنا أن الأنصار بشكل خاص، وهم القوة الانتخابية الكبرى في المدينة المنورة، لم يكن لهم أي مصلحة خاصة فيمن سيتولى أمر الخلافة من المهاجرين سواء كان علياً أم ابا بكر، رضي الله عنهم أجمعين. فلو صح عندهم أي توجيه نبوي في ذلك لما ترددوا في الالتزام به، ولامتدت مرجعيتهم في الاختيار إلى ذلك البعد، ولما قدّموا على علي أحداً من خلق الله، لا من المهاجرين ولا من الأنصار.

٣. إن علي بن أبي طالب نفسه قد **بايع أبا بكر بالخلافة** دونما ضغط عليه ولا إكراه، سواء جاءت بيعته متقدمة أم متأخرة، حسب مزاعم المغرضين. فلو كان علي ـ رضي الله عنه ـ يعتقد أن له حقاً إلهياً في الخلافة لما أقدم على هذه المعصية الكبرى، وهو الإمام المعصوم، فيبايع بالخلافة من اعتدى على حقه الإلهي وعلى شرع الله، ممن لا يحق له بيعة ولا طاعة.

أضف إلى ذلك أن عليا ـ رضي الله عنه ـ قد **بايع عمر بن الخطاب** بملء اختياره وحريته، ولم يصدر عنه ـ طيلة حياته ـ أي قول أو فعل يشعر بأنه قد استكره على تلك البيعة، من قريب أو بعيد. بل على العكس من ذلك، فقد توطدت العلاقة الشخصية بين الرجلين حين جرت المصاهرة بينهما، فتزوج عمر بن الخطاب **أم كلثوم** ابنة علي من فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم.

ولو شك علي ـ رضي الله عنه ـ لحظة واحدة في أن عمر بن الخطاب كان مغتصباً لحق إلهي مقرر له في الخلافة لاعتبره فاسقاً قطعاً، ولاستحال عليه أن يقدم على تزويج ابنته، حفيدة رسول الله، من فاسق أو مارق، كما ذهب إلى ذلك أولياؤه الجاهلون.

أضف إلى ذلك كذلك أن عليا ـ رضي الله عنه ـ **قد بايع عثمان بن عفان** بملء اختياره وحريته، وظل موالياً له ومدافعاً عنه حتى قتل، رحمه الله.

أضف إلى ذلك أن ابنه الحسن رضي الله عنه، لو كان إماماً معصوماً في سلسلة الأئمة المعصومين المزعومة، ويعتقد أن له حقاً إلهياً في الإمامة لا ينبغي لأحد أن يتطاول عليه، لما أقدم على مبايعة معاوية بن أبي سفيان، تحت أي ظرف من الظروف، ولو كلّفه ذلك حياته. لإن العصمة وإجازة الظلم والعدوان ضدان لا يلتقيان، ولأن المعصوم قدوة للناس أجمعين، وليس للقدوة أن يلين أو يستكين.

قال القمي صاحب كتاب "من لا يحضره الفقيه"، في كتابه "الاعتقادات" الذي يسمونه "دين الإمامية": "فمن ادَّعى الإمامة وليس بإمام فهو الظالم المعلون. ومن وضع الإمامة في غير أهلها فهو ظالم ملعون. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "من جحد عليا إمامته من بعدي فإنما جحد نبوتي، ومن جحد نبوتي فقد جحد ربوبيته". وقال الصادق (يعني جعفر الصادق): "من شكّ في كفر أعدائنا والظالمين لنا فهو كافر".

وقال نعمة الله الجزائري . العالم الإثنا عشري . في "المسائل" عن البحار: لم نجتمع معهم . يعني الاشاعرة ومن لف لفهم . على إله، ولا على نبي، ولا على إمام. وذلك أنهم يقولون إن ربهم هو الذي كان محمد صلى الله عليه وسلم نبيه، وخليفته بعده أبو بكر. ونحن لا نقول بهذا الرب ولا بذلك النبي. بل نقول: إن الرب الذي خليفة نبيه أبوبكر ليس ربنا، ولا ذلك النبي نبيناً".

فهل كان الإمام علي بن أبي طالب، بعد هذا كله، وفي مواقفه الموالية لمن سبقوه بالخلافة، عاصياً لله، ظالماً ملعوناً، خارجاً عن الملة، مارقاً من الدين، ضارباً بأحكام الله عرض الحائط، يا أيها القائلون بالإمامة وعصمة الأئمة؟!!

٤. في روايات حديث الغدير أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال في جملة ما قال: فأنظروا كيف تخلفوني في الثقلين. فنادى مناد: وما الثقلان يا رسول الله؟ قال: "الثقل الأكبر كتاب الله، وطرف بيد الله عز وجل وطرف بأيديكم، فتمسكوا به لا تضلوا، والآخر الأصغر عترتي (أهل بيتي)، وأن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يتفرقا حتى يردا علَيَّ الحوض".

الوضع في هذا الحديث واضح لا خفاء فيه. فأهل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم، يعني زوجاته في الدرجة الأولى، ليسوا مصدراً من مصادر التشريع الإلهي حتى يكون التمسك بهم موازيا للتمسك بكتاب الله. فالذي نعلمه من كتاب ربنا **أن شريعة الله محصورة في قرآنه وفي سنة نبيه ليس غير**. فالله تعالى يقول: " وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا **قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ** أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ". فجميع المؤمنين والمؤمنات، أقارب كانوا من الرسول أم أباعد، بلا استثناء، مكلفون بأن يلتزموا بكتاب الله وسنة نبيه ليس غير. **فلا محل من الإعراب لأحد في التشريع أو في العصمة أو في الوحي.**

٥. **إن الرسول صلى الله عليه وسلم** هو خاتم الأنبياء والمرسلين. فهو بهذا الاعتبار، **آخر المعصومين من البشر**. فهو لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى. **فادِّعاء العصمة لأحد بعده من أئمة آل البيت هو كذب فاحش وبهتان عظيم**. فالله سبحانه وتعالى لا يعطي العصمة إلا لأنبيائه ورسله لتمكينهم من أن يؤدوا رسالات ربهم على أكمل وجه، وأن يقيموا الحجة على من أنزلت الرسالات لأجلهم. وهذه من خصائص النبوة التي لا يشارك الأنبياء فيها أحد من العالمين، مهما كان تقياً نقياً ملتزماً بأحكام الإسلام كافة. قال تعالى: " وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى"، وقال: " وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ * لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ * ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ".

دعوى الولاية وعصمة الأئمة إذن هي دعوى ساقطة، وخرافة من الخرافات، ليس لها في كتاب الله دليل، ولا لها في الواقع سبيل.

٦. الطعن في صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم مهاجرين وأنصاراً، كلهم باستثناء بضعة نفر يعدون على أصابع اليد الواحدة، بأنهم قد وضعوا كتاب ربهم وسنة نبيهم وراء ظهورهم، فتواطأوا، مجتمعين ومنفردين، على أن جعلوا الإمامة في غير أهلها. فاستحقوا على ذلك أن يوصفوا بأنهم ظلمة ملعونون جاحدون لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وجاحدون لرب

محمد، وأنهم بذلك كفرة مرتدون عن الإسلام، نقول إن الطعن في الصحابة، على هذا المنوال، هو بهتان عظيم وضلال ما بعده ضلال، والعياذ بالله تعالى.

فالصحابة الكرام هم الذين حفظوا كتاب الله وشريعته، وهم الذين حملوا رسالة الإسلام في المشارق والمغارب، وهم الذين هزموا إمبراطوريات الكفر والشرك والوثنية الفارسية والرومانية، وهم الذين اسسوا لحضارة إسلامية وطيدة الاركان شامخة البنيان، وهم الذين عملوا على إخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العالمين، ومن جور الأديان وبطلانها إلى صدق الإسلام وعدله وهدايته. ففضل الصحابة في سبيل الإسلام عظيم، لا يستطيع أن ينكره إلا حاقد لئيم. فلولاهم لقضي على الإسلام في مهده، ولما كان لأحد من العالمين فيه حظ أو نصيب. فالنيل منهم والطعن الفاحش في صدقهم وأمانتهم وإخلاصهم لدينهم، في حد ذاته، جريمة ما بعدها جريمة، وضلالة ما بعدها ضلالة، وليس لمن يتقول عليهم عند الله إلا الجحيم والخسران المبين.

٧. خاتمة السخافات في حكاية غدير خم هي **حكاية الحارث بن النعمان الفهري** الذي تذهب الروايات الشيعية إلى أنه حينما شاع بين الناس قول الرسول صلى الله عليه وسلم المزعوم " **من كنت مولاه فعلي مولاه**"، وبلغ ضجيج تلك الشائعات الحارث بن النعمان الفهري، قدم المدينة وأناخ راحلته عند باب

المسجد. فدخل والنبي صلى الله عليه وسلم جالس وحوله أصحابه. فجاء الحارث حتى جثا بين يديه، ثم قال: يا محمد! إنك أمرتنا أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، فقبلنا ذلك منك. وأنك أمرتنا أن نصلي في اليوم والليلة خمس صلوات، ونصوم شهر رمضان، ونزكّي أموالنا، ونحج البيت، فقبلنا ذلك منك. ثم إنك لم تَرْض بهذا حتى رفعت بَعليٍّ، ابن عمك، ففضلته وقلت: " من كنت مولاه فعلي مولاه"، فهل هذا شيء من الله أم منك؟ فاحمّرت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال للحارث، كما يمضي الحديث المزعوم، "والله الذي لا إله إلا هو، إنه من الله وليس مني"، قالها ثلاثاً. فقام الحارث وهو يقول: "اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ". قال الراوي المستهتر بكل المعايير العقلية والأخلاقية السوية اللائقة: "فوالله ما بلغ الحارث باب المسجد حتى رماه الله بحجر من السماء، فوقع على رأسه وخرج من دبره، فمات".

ولقد تمادى الوضاعون السفهاء في هذه الحكاية حتى إنهم زعموا أن ذلك كان في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة. وعززوه بحديث إفك وضلالة آخر زعموا فيه أن من صام يوم الثامن عشر من ذي الحجة كتب الله له صيام ستين شهراً.

ولقد بلغ الأمر بالمغفلين البلهاء من الشيعة في دولة بني بويه، في القرن الرابع الهجري، أن اتخذوا من ذلك اليوم عيداً لهم. وكانوا يدقون فيه الدفوف، ويضربون الطبول في بغداد، تعظيماً لذلك اليوم وتكريماً.

نعود فنكرر بأن التعصب الأعمى الذميم لدى رواد حديث الغدير (يعني غدير خم) المزعوم، ولدى مؤلفيه، قد زجّ بهم في محاولة جديدة أرادوا من خلالها، أن يبعثوا الرعب والخوف في نفس كل من تسول له نفسه أن يكذبها أو حتى يشكك في صحتها. فنسجوا حولها هذه الأسطورة التي لا تصلح إلا للتندر والاستخفاف بعقول القوم ودينهم، والعياد بالله تعالى!!.

حديث رقم (١٢):

روى البخاري ومسلم، عن أسامة بن زيد، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**لا يرث المسلم الكافر، ولا الكافر المسلم**".

أما أن لا يرث الكافر المسلم، حفاظاً على الإسلام وأهله، فهذا أمر طبيعي، ينسجم انسجاماً مطلقاً مع موقف الإسلام من الكفار، في الداخل وفي الخارج. وأما أن لا يرث المسلم الكافر فهو حكم غاشم، صمم لتجريد المسلم من حق بدهي له حسب نظام المواريث في الإسلام. فمثلاً لو أن مسلماً كان متزوجاً من امرأة كتابية، يعني يهودية أو نصرانية، وظلت هذه الزوجة على دينها حتى توفيت. فميراثها، حسب هذا الحديث المزعوم، سيحرم منه زوجها المسلم وأبناؤها المسلمون، لأن المسلم لا يصح أن يرث الكافر. وحينئذ يجب علينا أن نبحث عن يهود أو نصارى من أقارب المتوفاة حتى تؤول تركتها إليهم، لأنهم، والحالة هذه، أولى بالميراث من زوجها وأبنائها المسلمين. مساخر ومهازل!!

ثم لماذا لم يعتمد البخاري ومسلم ما روي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه كان يورث المسلم من الكافر، ولا يورث الكافر من المسلم؟!!، علماً بأن معاذ بن جبل، رضي الله عنه، كان قاضياً مرموقاً في كوادر الرسول صلى الله عليه وسلم. وهو في هذا الموضوع لم يكن مجتهداً، بل كان يطبق نظام المواريث في شريعة

الإسلام. ثم لماذا لم يعتمد الشيخان حديث "الإسلام يعلو ولا يعلى عليه"؟

حديث رقم (١٣):

روي البخاري في صحيحه عن عائشة، أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "**إن هذه الحبة السوداء شفاء من كل داء**، إلا من السام". [السام يعني الموت]

لو كان الأمر كذلك لما كان هنالك للطب، في تاريخ البشرية، من حاجة أو لزوم. والواقع، في كل زمان ومكان، شاهد صارخ على كذب هذا الحديث الذي يغالط في أبسط حقائق الحياة. وكل من يصر أو يتمادى في المكابرة أو المغالطة في شأنه ينبغي أن يتفضل ويعالج لنا، بهذه الحبة السوداء المزعومة، أمراض السرطان، وحصر البول، والسكري، وضغط الدم، والإيدز، وفقر الدم، والجلطات الدماغية، وانسداد الشرايين، والأمراض العقلية، وسائر الأمراض النفسية. وحينئذ فلسوف يقول له كل من عليها: جزاك الله عن البشرية كل خير، وعافاك من كل نازلة ومكروه، وحفظ عليك عقلك ودينك!!

حديث رقم (١٤):

روى البخاري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، أن أبا هريرة قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "**لا عدوى**".

وفي حديث آخر رواه البخاري نفسه، عن أبي سلمة نفسه، عن أبي هريرة نفسه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**لا توردوا المُمرضَ على المُصح**".

نفس المصدر، ونفس الرواة، يورد حديثين متناقضين تناقضا كلياً في نفس الأمر: أحدهما يقرر وجود العدوى، ويأمر بعزل المريض عن الصحيح، والآخر ينفي وجود العدوى أصلاً وفصلاً في عالم الأحياء. فكيف جاز عند العقلاء ذلك؟ أو ليس في وسع أي إنسان أن ينظر إلى واقع الحياة البشرية والحيوانية والنباتية ليدرك، وبكل بساطة، أن العدوى هي ظاهرة طبيعية في عالم الأحياء، وضوح الشمس في رابعة النهار، لا مجال للمكابرة أو المغالطة فيها إلا عند من اختلت لديهم موازين الإدراك!!

حديث رقم (١٥):

في صحيح مسلم، عن أبي هريرة، أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "من قال سبحان الله وبحمده، في يوم مئة مرة، حُطَّت خطاياه، ولو كانت مثل زَبَد البحر".

فهل يمكن أن يجد المسلم طريقاً أرخص من هذا وأسهل، وأقرب للمغفرة التامة الشاملة، والظفر بجنات النعيم؟ وهل عليه بعد ذلك، من حيث الالتزام بأحكام الإسلام، والنهوض بتبعاته العامة والخاصة من شي؟! إجرام مع بعده إجرام!

التوبة الإسرائيلية

حديث رقم (١٦):

روي البخاري في صحيحه، عن أبي سعيد الخُدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "**كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنساناً**. ثم خرج يسأل. فأتى راهباً فسأله: هل لي من توبة؟ قال: لا، فقتله . فجعل يسأل، فقال له رجل: إئت قرية كذا وكذا. فأدركه الموت، فَنَاءَ بصدره نحوها. فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب. فأوحى الله إلى هذه أن تقَّربي، وإلى هذه أن تَباعدي، وقال: قيسوا ما بينهما. فَوُجد إلى هذه (القرية) أقرب بشبر، فغفر له".

ما هذه الفوضى والتسيب في أمر التوبة؟ وما هذا القفز البهلواني عن الالتزام بشريعة الله، التي جعل الله الالتزام بها، والوقوف عند حدودها، السبيل الوحيد للفوز بمغفرته للذنوب والخطايا كافة؟!

وإذا كان قتل امرئ واحد، ظلما وعدوانا، جريمة جزاؤها الخلود في نار جهنم، كما أوعد الله المجرمين، فكيف جاز لنا أن نصدق بهذه الاكذوبة الإسرائيلية في حق من قتل مئة نفس، عامداً متعمداً، ظلماً وعدوانا؟!

ثم إن هذه الأكذوبة قد جعلت قبول توبة هذا المجرم غير مبنية على قاعدة أو حكم من أحكام الله، بل كانت ضربة حظ عشوائية، حيث أنه لو اختلف موقع موته قيد شبر أو شبرين من الأرض لما ناله من مغفرة الله شيء، ولكان مصيره إلى جهنم وساءت مصيرا! ويكأنّ الله سبحانه وتعالى لا يملك علماً، ولا قدرة، ولا تدبيراً للأمور، **وليس له من سبيل غير الحزازير لتقرير مصير عباده الخنازير!!**

مهازل في مهازل من العبث الإسرائيلي في عقول الناس، وفي دينهم، وفي حياتهم! فهل يمكن أن يجد الإنسان مكافأة للمجرمين على جرائمهم البشعة المتواصلة أعظم من مثل هذه التوبة المزعومة، دون أن يقدم صاحبها أي عمل صالح بين يدي توبته؟! وهل يراد من هذا الحديث الإجرامي الإسرائيلي أن نجعل من مجرمي بني إسرائيل مثلاً أعلى، وقدوة لنا في الفساد والإجرام، فنرى حَسَنًا ما اعتبروه حسنا، ونرى قبيحاً ما اعتبروه قبيحاً؟!

والحاصل أن هذه المجموعة من أحاديث الآحاد في موضوع الأحكام، مما لا خلاف على صحتها عند المحديثن، وهي قليل من كثير غيرها في موضوعها، فيها الدليل القاطع والبرهان الساطع، على أن أحاديث الأحكام التي صحت رواية، لا تقوم بها حجة إلا بالدراية مع الرواية، حتى تنكشف حقائق التنزيل، ويعود الحق إلى نصابه، وتُطَهَّر سنة نبينا صلى الله عليه وسلم مما علق بها من الأكاذيب، والمفتريات، والأدران، وتعود كما وصفها رسول الله صلى الله عليه وسلم مَحَجَّة بيضاء، ليلها كنهارها، لا يحيد عنها إلا هالك.

لا يدخل أحد الجنة بعمله

العقيدة الإنجيلية الزائفة تقلب موازين الحق والعدل والفضل والعقل

أما الأحاديث الكثيرة التي تجعل مجرد الإيمان بالله وعدم الشرك به، من غير أن يعمل المسلم أي عمل صالح، سبباً موجباً لدخول الجنة، سواء كان ذلك عن شفاعة الرسول أم بدونها، نقول إنما هي أحاديث تعكس العقيدة الإنجيلية الزائفة بَعَجرِها وبَجَرها. تلكم العقيدة التي تبناها المرجئة، وأهل السنة والجماعة، والشيعة، وغيرهم من الفرق، حيث ذهبوا جميعهم إلى الزعم بأن الإيمان وحده كاف للظفر بمغفرة الله ورضوانه، ونعيمه المقيم، في جنات النعيم. حتى لقد بالغ أهل السنة في ذلك أيما مبالغة. فقد ورد في كثير من مروياتهم الحديثية أن "شهادة أن لا إله الله" وحدها، حتى من غير أن تكون مقترنة "بشهادة أن محمداً رسول الله" كافية لدخول الجنة مع الأبرار. وذلك مثل حديث "من شهد أن لا إله الإ الله مخلصاً دخل الجنة"، وحديث: "من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة"، وحديث: من قال لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، دخل الجنة، وحديث: "الموجبتان من لقي الله عز وجل لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به دخل النار". وذلك طبقاً لما نسب

للمسيح عليه السلام، زوراً وبهاتاً، أنه قال: "**من آمن بي وإن مات فسيحيا**". أي أن مجرد الإيمان باليسوع هو الطريق الموصل إلى الحياة الأبدية، حتى ولو كانت ذنوبه في هذه الدنيا مثل زبد البحر.

والمعروف بداهة أن جميع الأنبياء والمرسلين، منذ آدم، ومروراً بالمسيح عليه السلام، وبمحمد صلى الله عليه وسلم، كانوا يقرنون العمل بالإيمان. فهذا هو **الأساس الذي قامت عليه الأديان السماوية كافة منذ الخليقة. وهو أن العمل والإيمان، مجتمعين لا منفصلين، هما اللذان يقرران مصير الإنسان في اليوم الآخر. فإذا انفصل أحدهما عن الآخر فلا نجاة ولا خلاص.** وأما القول بخلاف ذلك فهو العقيدة الإنجيلية الزائفة التي استطاع **بولس** "**الرسول المزعوم**" . بخبثه ودهائه ودوره التخريبي . أن يدسها على الديانة المسيحية، ليقلب فيها موازين الحق والعدل، والفضل والعقل. وذلك حين أسقط قاعدة الجزاء والعمل التي بدونها يصبح إرسال الرسل، وتنزيل الشرائع والأديان، لهداية الإنسان وإصلاح مجتمعاته، أمراً لا معنى له. فالله تعالى حين أرسل الرسالات، ونزّل الأديان لهداية البشر وإصلاح مجتمعاتهم، فرض عليهم تكاليف آمرة وأخرى ناهية. ووعد أهل الطاعة بالثواب، كما أوعد أهل المعصية بالعذاب، يوم القيامة. فإذا استوى بعد ذلك فعل الخير وفعل الشر في عاقبة الإنسان، وأصبحت الطاعة والمعصية لا تقدمان شيئاً ولا تؤخران في

مصيره يوم القيامة، كان ذلك عبثاً في عبث، وظلماً في ظلم، ومهزلة ما بعدها مهزلة، تعالى الله سبحانه عن ذلك علوا كبيراً.

بولس الرسول المزعوم

أما بولس، الرسول المزعوم، فلم يكن من الحواريين، غير أنه قد كتب وحده أكثر من نصف الإنجيل. والمؤرخون للديانات يعتبرون بولس المؤسس الحقيقي للديانة المسيحية كما هي عليه اليوم، وليس المسيح عيسى بن مريم، كما يظن الجاهلون.

وقد تسربت هذه العقيدة المسيحية إلى عقائد المسلمين، من خلال جملة من الأحاديث الموضوعة التي تدور حول هذا المعنى، كالأحاديث التي أخرجها أحمد بن حنبل في مسنده عن أبي ذر، وعن عوف بن مالك أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال:" إني سألت ربي عز وجل الشفاعة فأعطانيها. وهي نائلة– إن شاء الله– من لا يشرك بالله عز وجل شيئاً، وكالحديث الذي أخرجه ابن ماجة في سننه عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي. فهي نائلة من مات منهم لا يشرك بالله شيئاً"، وكالحديث الذي أخرجه الترمذي، عن عوف بن مالك الأشجعي، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"..... فاخْتَرْتُ الشفاعة، وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئاً"، والحديث الذي أخرجه الترمذي أيضاً، عن أبي هريرة، أن النبي صلى الله عليه وسلم

قال"....... وهي (يعني الشفاعة) نائلة من مات منهم (يعني من المسلمين) لا يشرك بالله شيئاً"، وكالحديث الذي أخرجه البخاري، عن أبي هريرة، أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال:" أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله، خالصاً في قلبه". فهذه الأحاديث، وأمثالها كثيرة، هي أحاديث إنجيلية خالصةً، وهي صيغة أخرى لمقولة "من أمن بي، وإن مات، فسيحيا". وهي . مع شديد الأسف . تقف عند تخوم شهادة أن لا إله الله، ولا تتجاوزها حتى إلى شهادة أن محمداً رسول الله.

ولم يقف التغلغل الإنجيلي في عقائد المسلمين عند هذا الحد، بل لقد نجح كهنته في أن يسوّقوا على المسلمين فكرة إنجيلية زائفة أخرى تقول: بأن أحدا لن يربح السماء (يعني الجنة) إلا برحمة الرب (يعني ليس بالعمل الصالح). وذلك من خلال أحاديث صمموها لخدمة معتقداتهم الباطلة، وأفكارهم الضالة، كان من أبرزها الحديث الذي رواه البخاري ومسلم، عن أبي هريرة، في صحيحيهما: "**لن يُدخل أحداً عملُه الجنة. قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلاّ أن يتغمَّدني الله برحمة منه وفضل**". وفي رواية أخرى لهما عن عائشة، أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال:" **سدِّدوا وقاربوا وأبشروا، فإنه لم يُدخلْ أحداً الجنةَ عملُه.** قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته". وفي رواية أخرى:

"**لن يُنجِي أحدَكم عملُه**. قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته".

ولا بد لنا في هذا المقام أن ندرك أن **هنالك فرقاً كبيراً، وبوناً شاسعاً، بين عدل الله وبين رحمته**. فمعادلة الجزاء والعمل مبنية على قاعدة "من عمل صالحاً فلنفسه، ومن أساء فعليها، وما ربك بظلام للعبيد". يعني أن أعمال الإنسان إنما تقع في دائرة عدل الله وليس في دائرة رحمته. أما رحمته فهي في إرسال الرسالات، مصحوبة بالمعجزات، كي يكون بلاغ الأنبياء لرسالات ربهم بلاغاً مبيناً، وتكون حجتهم على المخاطبين بتلك الرسالات حجة قاطعة، وتكون سبيلهم إلى رحمة الله في متناول اختيارهم، مصداقاً لقوله تعالى "وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ".

والهدف من وراء دس هذه الأفكار على المسلمين، وتسريبها إلى منظومة العقائد الإسلامية، إنما هو من أجل توظيفها، كي تكون عامل هدم وتخريب في البنية الفكرية الأساسية لدى المسلمين كافة، علمائهم وعامتهم. لأن **إدخال أجسام غريبة إلى الكيان الفكري للأمة خليق بأن يجعل هذه الأجسام تفعل في هذا الكيان فعل الفيروسات في الأجسام الحية ، تُفقدها مناعتها ، وتُمْرضها حتى يأخذ منها السقام كل مأخذ، ويحيط بها الفناء من كل جانب**. أضف

إلى ذلك أنها تجعل الإلتزام بشرع الله في الحياة العامة والخاصة أمراً لا يقدّم ولا يؤخّر في مصير الإنسان يوم القيامة.

ولقد أدرك **دفيد بن غوريون** – أحد الزعماء المؤسسين لدولة إسرائيل – خطورة التغلغل التوراتي لدى المسيحيين والمسلمين على حد سواء، فزعم بكل غطرسة واستهتار، أن المسيحية والإسلام ليستا أكثر من شكلين من اشكال الديانة اليهودية، مقرراً بذلك أن التغلغل التوراتي في الديانة المسيحية أولاً كان عميقاً وأساسياً، ثم من بعد ذلك امتد التغلغل التوراتي والإنجيلي معاً إلى الديانة الإسلامية، فأصاب أهلها إصابات مباشرة في ثوابتها ومحاورها، وفي بنيتها الفكرية التحتية لديهم، حتى باتت، كما يزعم بن غوريون، شكلاً من أشكال الديانة اليهودية.

لقد كان نجاح هذا التغلغل التوراتي الإنجيلي في المنظومة الفكرية لدى المسلمين أمراً يثير الدهشة والاستغراب، ويصيب بالحيرة والذهول أولي البصائر والألباب. إذ كيف يستطيع هذا الباطل الساقط المتهافت، وما ينطوي عليه من سخافات وهراء أسطوري، أن يصيب المسلمين في يقينياتهم المبنية على الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة، وأن ينال منها هذا النيل الفاحش. علماً بأن تلك اليقينيات، في صدقها وقوتها وحجتها، لا يهزمها مكافح، ولا يغلبها مناطح؟! فالديانات اليهودية والمسيحية، متمثلتان في التوراة والأناجيل، قد عبثت بهما،

عبر العصور، أيدي الكذبة الوضّاعين، عبثا أفقدهما جميع الخصائص الإلهية في الرسالات السماوية. وفي تقرير هذه الحقيقة يقول تعالى: "فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً. فَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ"، ويقول: "مِّنَ الَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ".

القديس أوغسطين

فهؤلاء الوضاعون الكذبة المفترون قد ضربوا جوهر الديانتين اليهودية والمسيحية، بما أحدثوه فيهما من تحريف، وبما أضافوه إليهما من تأليف. فأسقطوا دور العقل، الذي جعله الله مناط التكليف في جميع الرسالات السماوية، ما جعل جمهرة المفكرين في العالم المسيحي، ولدى اليهود عامة، يكفرون بقدسية التوراة والأناجيل. واختاروا العلمانية منهاجاً بديلاً لتلك الشرائع السماوية المزعومة. حتى إنك لتجد ـ على سبيل المثال ـ لاهوتيا عملاقاً من عمالقة الديانة المسيحية في القرن الرابع الميلادي، **هو القديس أوغسطين، يقول في مقدمة أحد كتبه: "أنا لا أزعم أن الديانة المسيحية هي غير مبنية على العقل فحسب، بل إنني لأذهب إلى أكثر من ذلك، فأقول: إنها تناقض العقل. فمن أراد أن يكون مسيحياً فعليه أن يؤمن أولاً، ثم ـ على هدى إيمانه ـ يفكر بعد ذلك، وإلا فلن يكون مسيحياً أبداً".**

ونظرة بسيطة إلى السطر الأول من **إنجيل يوحنا** تري أنه شاهد صارخ على ما يقوله القديس أوغسطين، فقد جاء فيه ما يلي: "**في البدء كان الكلمة، وكان الكلمة مع الله، وكان الكلمة هو الله**". يعني أن المسيح كان هو كلمة الله في الأزل، وكان المسيح (الكلمة) مع الله في الأزل، وكان الكلمة بعد ذلك هو الله. وهذا يعني بشكل واضح صارخ أن الله قد اختفى من الكون، وحل محله المسيح في الألوهية. فالكون اليوم لا إله له غير المسيح. يعني أن هذا الإنجيل ابتداء ينكر وجود الله. فكيف بالله، يمكن أن يكون مسيحياً من ينكر وجود الله، ويجعل من بشر، لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضَرًّاً، إلها آخر غيره ، يُعبد من دون الله تعالى؟!

وفي التوراة كذلك من الخرافات والأساطير والأكاذيب والفواحش الأخلاقية ما لا ينقضي منه العجب. فقل لي، بربك، كيف استطاع هؤلاء الكذبة المارقون الدساسون أن يستهبلوا أمة الإسلام، ويفسدوا عليها دينها، ويعطلوا موازين الإدراك عندها، حتى يطلع علينا بعد ذلك يهودي حاقد اسمه بن غوريون ليقول لنا: "إن الإسلام ليس أكثر من شكل من أشكال الديانة اليهودية الملفقة"؟!!. كبرت كلمة تخرج من أفواههم، إن يقولون إلا كذبا!!

وهذه نماذج قليلة من الفواحش التوراتية الفظيعة، أرجو أن يكون فيها عبرة، لمن لا يزالون يعتقدون أن التوراة الحالية، بما انطوت

عليه من هراء وأكاذيب وسخافات وخرافات وفواحش وضلالات وكفريات وقذارات ونجاسات هي في جملتها وتفصيلاتها ما تزال تعد عندهم كتاباً مقدساً من عند الله!!

أ. حكاية ابنتي لوط مع أبيهما لوط عليه السلام:

"فسقتا أباهما في تلك الليلة، ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة: إني اضطجعت البارحة مع أبي. نسقيه خمراً الليلة، فادخلي إضطجعي معه أيضاً، فنحيي من أبينا نسلاً. فسقتا أباهما خمرا في تلك الليلة أيضاً. وقامت الصغيرة واضطجعت معه، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. فحملت ابنتا لوط من أبيهما". [التوراة . سفر التكوين].

ب. ابن إسرائيل روبين يسطو على زوجة أبيه:

"ثم رحل إسرائيل ونصب خيمته وراء مجدل عدر. وحدث، حين كان إسرائيل ساكناً في تلك الأرض، أن روبين ذهب واضطجع مع "بلهة" سرية أبيه". [التوراة . سفر التكوين].

ج. يهوذا يسطو على كنته (زوجة ابنه] ويُحبِّلها:

"فنظرها يهوذا [يعني ثامارا كنته] وحسبها زانية، لأنها كانت قد غطت وجهها. فقالت: ماذا تعطيني لكي تدخل علي؟ فقال: إني أرسل إليك جدي معزى من الغنم. فقالت: هل تعطيني رهنا حتى ترسله؟ فقال: ما الرهن الذي أعطيك؟ فقال: خاتمك وعصاك التي في يدك. فأعطاها، ودخل عليها فحبلت منه". [التوراة. سفر التكوين].

د. أحد أبناء داود يغتصب أخته

"وأمسك أمنون بنامار أخته وقال لها: هيّا لترقدي معي يا أختي! فأجابته قائلة: كلا يا أخي أمنون، كلا لا تغتصبني. لكنه لم يكن ليصغي إليها. وحيث أنه كان أقوى منها فقد تغلب عليها واغتصبها".

هـ. السطو المكشوف بين الإبن وزوجات أبيه

"فنصبوا لأبشالوم الخيمة على السطح، ودخل أبشالوم إلى سراري أبيه، أمام جميع إسرائيل!! (سفر صموئيل)

و. نوح عريان وسكران

"وابتدأ نوح يكون فلاحاً، وغرس كرما. وشرب من الخمر فسكر، وتعرّى داخل خبائه". [سفر التكوين]

ز. وداود سفيه يتعرى أيضاً أمام النساء

"فخرجت ميكال بنت شاؤل لاستقبال داود. وقالت: ما كان اكرم ملك إسرائيل اليوم حيث تكشف أمام أعين إماء عبيده، كما يتكشف أحد السفهاء". [سفر صموئيل – التوراة].

ح. سارة تحبل من الرب بإسحق

"وافتقد الرب سارة كما قال، وفعل الرب لسارة كما تعلم، فحبلت سارة وولدت لإبراهيم ابنا في شيخوخته، في الوقت الذي تكلم الله عنه". [سفرالتكوين].

ثم بعد كل هذه الأعاجيب من الفواحش والموبقات تظل التوراة كتاباً مقدساً (HOLY BIBLE) عند اليهود وعند النصارى، وعند كثير من المسلمين، مع بالغ الأسى وشديد الأسف!!.

فصل العمل عن الإيمان هو إسقاط للالتزام بالأحكام الشرعية

إن فصل العمل عن الإيمان هو هدم صريح لقانون الجزاء والعمل الذي قررته الآيات القرآنية في مواضع كثيرة جداً من كتاب الله. وكان هذا واضحاً في كتاب الله غاية الوضوح، لا يحتاج إدراكه وفهمه إلى دراسة وتعمق، وبحث واستقصاء. فالإنسان لا يستحق الجنة، التي هي دار جزاء، من غير عمل صالح، كما أنه لا يستحق النار، التي هي أيضاً دار جزاء، اعتباطاً من غير عمل سيء. وهذا ناموس العدالة الإلهية، وهو من سنن الله الماضية في خلقه، وهو قاعدة من قواعد الإسلام ، وأصل من أصوله البدهية . فالله تعالى قد ربط بين العمل والجزاء ربطه بين السبب والمسَّبب على معنيين:

أولهما: أن كل عمل لابد له من جزاء يترتب عليه، مثلما أن كل سبب لابد أن ينتج عنه مسَّبب، سواء كان العمل صالحا أم طالحا، صغيرا أم كبيرا. وفي تقرير هذه الحقيقة يقول تعالى: "فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ".

وثانيهما: أن كل جزاء لابد له من عمل يكون سبباً له. وفي تقرير هذه الحقيقة يقول تعالى: "وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى". فجماع القول في هذا المقام هو أن الإنسان لا يدخل الجنة أو

النار إلا بعمله، وأن عمله هو سبب دخوله الجنة أو النار. قال تعالى "الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ"، ومن المعروف بداهة أن الباء مقترنة بكلمة "ما" في الآية هي باء السببية، والمعنى فيهما هو أن العمل هو سبب دخول الجنة. وفي هذا المعنى وردت آيات كثيرة جداً في كتاب الله، منها قوله تعالى: "أَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلاً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ"، وقوله: "إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الّجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ". وقوله: " لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلاَ يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً * وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتَ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيراً".

وفي موضوع دخول النار يقول تعالى: "مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَاراً"، أي بسبب خطاياهم. وقال: "بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ"، وقال: "وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا"، وقال: " وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ"، وقال: "أُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ"، وقال: "كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ".

فهذه الآيات البينات لا تذر مقالة لقائل، ولا ذريعة لمتأول، في أن عمل الإنسان ـ مبنياً على الإيمان الصادق ـ خيره وشره، هو الذي يقرر مصيره في الحياة الآخرة. فهو الذي يدخله الجنة إن كان صالحاً ، وهو الذي يدخله النار إن كان طالحاً. ولو لم تكن المعادلة الإلهية كذلك، لكانت الشرائع والتكاليف في الدنيا، والحساب والكتاب والميزان يوم القيامة ، عبثا في عبث، وظلما في ظلم، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

أضف إلى ذلك أن مثل هذا الفهم السقيم الذي يلتفّ على ناموس العدالة الإلهية، ومعادلة الجزاء والعمل، يجعل دخول الجنة أو النار لغزا محيرا للعقول التي جعلها الله مناط التكليف، ويذر الإنسان حائرا يتخبط في دياجير المجهول، لأنه لا يملك أي معادلات للهدى والضلال، طالما كان دخول الجنة أو النار ضربة حظ عشوائية، وليس مسألة كد وسعي وعمل.

أجل، لقد تأول المفسرون، وشراح الحديث، وعلماء أصول الدين، والفقهاء، الأحاديث الباطلة الموضوعة التي تدور حول هذا الموضوع، وهو دخول الجنة برحمة الله وليس بعمل الإنسان. فزعموا أن عمل ابن آدم– مهما يكن عظيماً– فلا يستحق به الجنة لذاته، لأنه في قلَّته، وضآلته، وحقارته، لا يكافئ أدنى نعم الله عليه. فدخوله الجنة لا يكون، والحالة هذه، إلا بفضل الله ورحمته، وليس بسبب

عمله. ولتأييد هذا المعنى أوردوا حديثا عن واثلة بن الأسقع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "يبعث الله يوم القيامة عبدا لا ذنب له، فيقول يا رب إنك تعلم أني لم أعصك. قال: خذوا عبدي بنعمة من نعمي ؛ فما تبقى له حسنة إلا استغرقتها تلك النعمة، فيقول: رب بنعمتك ورحمتك، فيقول: بنعمتي ورحمتي" . كما رووا حديثاً آخر عن محمد بن أبي عميرة، وكان من أصحاب النبي عليه السلام ، أحسبه رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، قال:" لو أن رجلاً خرَّ على وجهه من يوم ولد إلى يوم يموت، هَرِماً في طاعة الله عز وجل، لحقّره ذلك اليوم، ولودّ أنه رُدّ إلى الدنيا كيما يزداد من الأجر والثواب".

أما رحمة الله التي أشكل على المتأولين تنزيلها على الواقع تنزيلا صحيحاً، وجعلوا منها مقالا في غير مقامه، فهي بهذا الصدد تتمثل في أمرين:

الأول: إن إرسال الأنبياء والرسل بالشرائع والرسالات هو، بحد ذاته، رحمة عامة من الله للبشر أجمعين، وليس للمسلمين فحسب، أي لسعادة الناس في الدنيا وفي الآخرة، وإخراجهم من الظلمات إلى النور. "**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**".

الثاني: إن قاعدة الجزاء والعمل التي وضعها الله سبحانه وتعالى للأنام، والتي تتمثل في أن مجمل أعمال الخير أو الشر التي يقدمها الإنسان في الحياة الدنيا هي التي تقرر مصيره في اليوم الآخر،

فتدخله النار مع الأشرار، أو تدخله الجنة مع الأبرار، هي معادلة كريمة وجائزة عظيمة تفضل الله بها على عباده، رحمة بهم، مقابل أوامر ونواه كلّفهم أن يسيّروا أعمالهم بمقتضاها، مهما كان في هذا الالتزام من سهولة ويسر، أو مشقة وتضحية. قال تعالى: "مَّثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ". فلو أن واحداً من الناس قد مالت به كفة حسناته فأدخلته الجنة التي فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فإن حسناته تلك مجتمعة مهما عظمت، فلا تساوي يوماً واحداً من أيام نعيم الجنة المقيم. ولكن الله سبحانه وتعالى يضاعف الأجر على العمل، مهما كان هذا العمل ضئيلاً أو حقيراً في جنب الله. فالحسنة بعشرة أمثالها، والسيئة بمثلها، وذلك هو فضل الله ورحمته للعالمين. وتظل المعادلة التي تفضل الله بها على عباده، رحمة بهم، أن العمل المبني على الإيمان هو وحده الذي يقرر مصير الإنسان في الدارين. فرحمة الله لا ينالها إلا العاملون لها، سواء تعلق الأمر بالإيمان بالله ورسوله، أو تعلق بطاعة الله في أمره ونهيه. ولو صح ما توهمه المتوهمون . كما أسلفنا . من أن عمل الإنسان ليس هو الذي يدخله الجنة، لأصبح إرسال الرسل ، وتنزيل الشرائع ، والتكليف بها ، كل ذلك عبثاً في عبث، وظلماً في ظلم، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

دعوى العام والخاص في موضوع الشفاعة

أما ما ذهب إليه كثير من علماء الدين والخائضين فيه من أن الآيات القرآنية التي تنفي الشفاعة هي من قبيل العام، وأن الأحاديث التي تثبتها هي من قبيل الخاص، فذلك سطحية، ومغالطة، وتمحّل، وتحريف للنصوص القرآنية عن دلالتها القطعية. يعني أنهم زعموا أن الشفاعة التي نفاها القرآن . وهي الشفاعة العامة . قد خصصتها الأحاديث في الشفاعة الشركية والوثنية، وتبقى الشفاعة الإيمانية، بعد ذلك، برداً وسلاماً على قلوب المجرمين والأفاكين والفاسقين من أمة محمد عليه الصلاة السلام.

وهذا التصور خاطئ من وجهين:

الأول: أن الخطاب القرآني ورد في بعض الآيات عاماً في نفي الشفاعة نفياً مطلقاً من حيث المبدأ، سواء كانت وثنية شركية أم غير ذلك، كقوله تعالى: "وَاتَّقُواْ يَوْماً لاَّ تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئاً وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنْصَرُونَ". وورد الخطاب القرآني في آيات أخرى خاصاً بالمشركين وعبدة الأوثان، كقوله تعالى: "وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ". وورد الخطاب القرآني في آيات أخرى

خاصاً بالمؤمين، كقوله تعالى: "يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنْفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ". فالآيات القرآنية التي ورد الخطاب فيها خاصاً بالمشركين وعبدة الأوثان ليس فيها عام وخاص، لأن الخطاب فيها خاص بهم. والآيات التي ورد الخطاب فيها عاماً في نفي الشفاعة، من حيث المبدأ، أكدته الآيات التي ورد النص فيها خاصاً بالمؤمنين. وبذلك أصبحت آيات الشفاعة، كلها . مجتمعة ومنفردة . تدل بشكل واضح وصريح وقطعي على أن الشفاعة، بكافة ألوانها الشركية وغير الشركية، وبأطيافها كافة، من شفعاء ومشفوع لهم، كافرين كانوا أو مؤمنين، لا محل لها في دين الله القويم.

الثاني: الأحاديث التي تثبت الشفاعة يناقض بعضها بعضاً في نفس الأمر، يعني أنها يكذب بعضها بعضاً، فكيف والحالة هذه تصلح دليلاً لتخصيص العام. فبعضها كما أسلفنا يثبتها للرسول وحده، وبعضها يثبتها لمن هبّ ودب، وبعضها ينفيها عن الرسول، وبعضها يثبتها للرسول ولغيره. فعلى أي بر لهذه الأحاديث المتناقضة سترسو سفينة التخصيص؟ ما لكم كيف تحكمون؟

دعوى التواتر والتواتر المعنوي

في موضوع الشفاعة

ومما يؤسف له أشد الأسف – بعد هذا التساقط المريع لأحاديث الشفاعة – أن جمهرة علماء الأمة، على اختلاف مذاهبهم وانتماءاتهم الفرقية، اعتبروا الأحاديث المثبتة للشفاعة متواترة.

لخص **ابن الوزير اليماني** هذه الدعوى في كتابه "**إيثار الحق على الخلق**" بما يلي: "وأحاديث الشفاعة المصرِّحة بخروج الموحدين من النار قاطعة في معناها بالإجماع. وهي قاطعة في ألفاظها، لورودها عن عشرين صحابيا أو تزيد، في الصحاح والسنن والمسانيد. وأما شواهدها بغير ألفاظها فقاربت خمس مئة حديث". وقال: "أحاديث الشفاعة متواترة". **أما ابن تيمية فيقول في كتابه** "**منهاج السنة النبوية**": وقد ثبت بالنصوص المستفيضة عن النبي صلى الله عليه وسلم إخراج قوم من النار بعدما امتشحوا، وثبت أيضاً شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأهل الكبائر من العصاة. **والآثار بذلك متواترة عند أهل العلم بالحديث**".

وهذا التواتر المزعوم في أحاديث الشفاعة باطل للأسباب التالية:

١- أحاديث الآحاد في موضوع العقائد وأخبار الغيب . على فرض صحتها من حيث الرواية، وعدم معارضتها للقطعيات من حيث المتون . لا تفيد غير الظن، مهما كثرت وتعددت طرقها في موضوعها، لأن أحاديث الآحاد هي أدلة ظنية لا تقوم بها في المطلوبات القطعية حجة أبدا.

٢- هذا حال أحاديث الآحاد حين تكون مؤتلفة منسجمة في دلالتها، وفي نفس موضوعها. فكيف بها إذا كانت متناقضة في معانيها أو دلالاتها في الموضوع الواحد، كما هي الحال في أحاديث الشفاعة جميعها، حيث يحصرها قسم في الرسول، وقسم في الأنبياء، وقسم في الشهداء، وقسم في الملائكة، وقسم في الأطفال والشيوخ وفيمن هب ودب؟

٣- أما ما ذهب إليه بعضهم من أن التواتر في موضوع الشفاعة هو تواتر معنوي. والتواتر المعنوي هو أن ترد جملة من أحاديث الآحاد الصحيحة، بروايات مختلفة، على معنى واحد، حتى ولو لم يكن الرواة قد وجدوا في مكان واحد، وزمان واحد، وقت حصول الواقعة. وهذا لا يعتبر من التواتر في شيء، لأن التواتر هو الإخبار عن واقعة مدركة محسوسة من قبل جماعة من الناس، يستحيل تواطؤهم على الكذب، شاهدوا الواقعة . كلهم . مشاهدة مباشرة بأم أعينهم، أو سمعوها سمعاً مباشراً بأم آذانهم، في مكان واحد وزمان واحد. وهذا يعني أن

الخبر في هذه الحال سوف يكون مستنداً إلى الحس من مشاهدة أو سماع، وليس ظناً ولا استنتاجاً عقلياً، أو نقلاً عن الآخرين. فالخبر . والحالة هذه . ينبغي أن يؤدي إلى اليقين بنفسه وليس بقرائن خارجة عن ذاته.

التخبط / فرقة المعتزلة أنموذجاً

لا يفوتنا في هذا المقام ، أعنى مقام إثبات بطلان فكرة الشفاعة أصلاً وفرعاً، جملة وتفصيلاً، أن نكشف الخطأ الذي وقع فيه المعتزلة في هذا الشأن ، لما فيه من لبس قد يخفى على الكثيرين من الدارسين والباحثين في تاريخ الفرق والجماعات البائدة أو التي ما تزال على قيد الحياة.

فالقاضي عبد الجبار– أحد كبار شيوخ المعتزلة– في كتابه "**متشابه القرآن**"[1] يقول ما يلي: (وقوله تعالى قبل ذلك" وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى" يدل على أن من شروط من يغفر له بالشفاعة أو غيرها أن يكون تائباً، مؤمناً، عاملاً للأعمال الصالحات، سالكاً طريق الهدى. وهذا يوجب أن لا شفاعة للكفار والفساق). وقال في كتابه " **تنزيه القرآن عن المطاعن**" في معرض تعليقه على قوله تعالى "ما للظالمين من حميم ولا شفيع" قال: "يدل ذلك على أن الشفاعة لا تكون إلا للمؤمنين ، فتزيدهم منزلة على وجه التفضيل". **وقال الزمخشري المعتزلي، صاحب الكشاف، في تفسير آية " يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة، والكافرون هم الظالمون**" قال: وإن أردتم

---

(١) الجزء الثاني/ فقرة ٤٦٦.

أن يحط الله عنكم ما في ذمتكم من الواجب لم تجدوا شفيعاً يشفع لكم في حط الواجبات، **لأن الشفاعة ثمة في زيادة الفضل لا غير**".

ونحن بدورنا نقول لهم: "إذا كان الإنسان مؤمناً تائباً عاملاً للصالحات، سالكا طريق الهدى، كما يقول القاضي عبد الجبار، أي يملك جميع المقومات التي تؤهله لدخول الجنة، بمقتضى ناموس العدالة الإلهية وقانون الجزاء الإلهي ، فما حاجته إلى الشفاعة إذن؟ إن وجودها في هذه الحال وعدم وجودها سيان. لأن اجتناب كبائر الإثم والفواحش يسقط اللمم، ويكفر غيرها من الذنوب، مصداقاً لقوله تعالى: "إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ"، وقوله: "الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ".

وكأني بالمعتزلة قد أدركوا الإشكالية الفكرية التي وقعوا فيها، والتي نجمت عن الاعتراف المبدئي بالشفاعة، فجعلوا الشفاعة طريقاً لزيادة الثواب ورفع الدرجات، ونسوا أن زيادة الثواب ورفع الدرجات هما أيضاً محصلة بدهية، ونتيجة طبيعية، للعمل الذي يقدمه المؤمن في هذه الحياة. فهما تتناسبان تناسبا طرديا مع قيمة الأعمال الصالحات التي يقدمها المؤمن بين يديه، وليسا كسباً اعتباطياً بالواسطة أو المحسوبية. وصدق الله العظيم حيث يقول: "فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ"، وحيث يقول: "لاَ يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُواْ مِن بَعْدُ

وَقَاتَلُواْ"، وحيث يقول "لاَّ يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُـلاًّ وَعَدَ اللّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً"، وحيث يقول: " الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللّهِ". وحيث يقول " وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ".

فهذه الآيات وأمثالها تدل دلالة واضحة على أن التفاوت في نيل الثواب، ورفع الدرجات رهين بفعل الإنسان نفسه، جرياً على الناموس الإلهي في **أن الجزاء**، **كثيره وقليله**، **يتناسب تناسباً طردياً مع فعل الإنسان**، **قليله وكثيره**، وليس يعتمد على الشفاعة التي من شأنها أن تهدم هذا الناموس الإلهي. فتعالى الله سبحانه عن ذلك علواً كبيراً.

الإباضية

ورغم تهافت رأي المعتزلة في الشفاعة، إلا أن **جماعة الإباضية**، فيما بعد، قد تأثروا بهم، وتبنوا رأيهم، وقالوا بقولهم. فهذا الشيخ أحمد بن حمد بن سليمان الخليلي، المفتي العام لسلطنة عُمان، يقول في كتابه: "شرح غاية المراد في نَظْم الاعتقاد"، شرحاً لقول الشاعر نور الدين السالمي:

وما الشفاعة إلا للتَّقي كما   **قد قال ربُّ العُلا فيها وقد فَصَلا**

يقول ما يلي: "**وليست الشفاعة لمن أصرّ على فجوره، ومات على ضلاله، وإنما هي للتائب من ذنبه،** وهو المراد بالتقي في كلام المصنِّف .... فإن قيل: إن الله وعد بقبول توبة التائبين من عباده، فهم ليسوا بحاجة إلى شفاعة أحد، قلنا: إن وعد الله لا يُخْلف، ولكن لا يعلم أحد أن توبته بعينه مقبولة أو لا، لأن الإنسان عرضة للخطأ والتقصير. وإن من فضل الله على عباده أن رفع بعضهم فوق بعض درجات. وإنما يأذن سبحانه، لمن يشاء في ذلك اليوم، بالشفاعة للتائبين، فيتقبل الله توبتهم. وفي ذلك إظهار لمزية هؤلاء الشافعين ورفعة درجاتهم، كما أن في ذلك بيانا لفضل الله على التائبين بأن يتقبل توبتهم". يعني من لا تقبل توبته في الدنيا تقبل توبته في الآخرة!!.

والغريب في أمر بعض المعتزلة أنهم حينما راحوا ينظِّرون في أمور العقائد والغيبيات وأحاديث الآحاد كانوا شيئاً، وعندما نزلوا إلى ساحة التطبيق كانوا شيئاً آخر تماماً. فلقد أثبت المعتزلة أنهم ليسوا على حظ من فقه الحديث على صعيد الرواية، ولا من فقه الحديث على صعيد الدراية.

فالقاضي عبد الجبار، أحد كبار شيوخ المعتزلة، **يقول في كتابه "شرح الأصول الخمسة"**: "وأما ما لا يعلم كونه صدقاً ولا كذباً فهو كأخبار الآحاد. وما هذه سبيله يجوز العمل به إذا ورد بشرائطه.

فأما قبوله فيما طريقه الاعتقادات فلا". ويقول في كتاب آخر له هو: "المغني في أبواب التوحيد والعدل" ما يلي: ".... إن جميع ما رووه وذكروه أخبار آحاد، ولا يجوز قبول ذلك فيما طريقه العلم. لأن كل واحد من المخبرين يجوز عليه الغلط ... **وإنما يعمل بأخبار الآحاد في فروع الدين، وما يصح أن يتبع العمل به غالب الظن.** فأما ما عداه فإن قبوله فيه لا يصح. وكذلك لا يرجع إليه في معرفة التوحيد والعدل وسائر أصول الدين".

هذا على صعيد التنظير المعتزلي. ولكننا حين نرصدهم في ساحة التطبيق العملي نجد الزمخشري . صاحب تفسير الكشاف . وهو من كبار شيوخ المعتزلة، ويُعَدّ عندهم، وعند نفسه، وعند المتأثرين به، عملاقاً من عمالقة التفسير، أقول نجد عنده العجب العجاب. **فهو قد أدار قفاه للقاعدة التي تحدث عنها القاضي عبد الجبار** بخصوص التعامل مع أحاديث الآحاد في مجال العقائد والغيبيات، وراح يصول ويجول بتلك الأحاديث الظنية في منطقة يحرم التجول فيها إلا بالأدلة القطعية.

بل لقد وصلت به الحال إلى أن يتبنى في ثنايا تفسيره، بكل سلاسة وأريحية، أحاديث بالغة الكثرة، ساقطة من حيث متونها سقوطاً واضحاً فاحشاً مزرياً. فهي في مخالفتها لقطعي القرآن، وللواقع المدرك المحسوس، وللسنن الكونية، وسنن الله في مخلوقاته، وللحقائق العلمية

القطعية، وللحقائق التاريخية القطعية نقول: لكل ذلك فهي تشكل ظاهرة خطيرة يحار المرء في تفسيرها. فهل هي علامة على انفصام في الشخصية، أم هي ازدواجية في التفكير، أم هي اختلال في موازين الإدراك لدى أناس تصدروا للإمامة الفكرية لدى الأمة الإسلامية في وقت من الأوقات، وزعموا أنهم، هم وحدهم، الفرقة الناجية في مضمار فهم الإسلام في أصوله وفروعه، كما وصف الزمخشري نفسه تفسيرَه "الكشاف" قائلاً:

إن التفاسير في الدنيا بلا عدد وليس فيها لعمري مثل كشّافي
إن كنت تبغي الهدى فالزم قراءته فالجهل كالداء والكشّاف كالشّافي

وهذه عينة متواضعة، من أحاديث كثيرة جداً، استشهد بها الزمخشري في ثنايا تفسيره، الشافي من كل علة، استشهاد رضى وقبول، وليس استشهاد نقد ونقض وتجريح، أو ردٍّ بالدراية على أساس القواعد التي تحدث عنها القاضي عبد الجبار، **ولم نجد أحداً من قادة المعتزلة وأعلامهم وعلمائهم قد تصدى لها وكشف بطلانها، لا رواية ولا دراية:-**

١. **حديث:** "إذا كان يوم القيامة نادى مُناد: من كان له على الله أجر فليقم. قال: فيقوم خلق: فيقال لهم: ما أجركم على الله؟ فيقولون: نحن الذين **عَفَوْنا عمّن ظَلَمنا**. فيقال لهم: أدخلوا الجنة بإذن الله". [الموسوعة الشاملة]

هذا الحديث كان ينبغي أن يرده الزمخشري لثلاثة أسباب:

الأول: أنه حديث في الغيب يوم القيامة. وهو حديث آحاد فلا تقوم به حجة في موضوع العقائد والغيبيات، كما يقول شيخه القاضي عبد الجبار.

الثاني: أن مصير الإنسان في اليوم الآخر، لا يقرره فعل خير واحد، ولا كذلك فعل شر واحد. بل كلمة الفصل فيه هي رجحان ميزان أعماله جميعها، إما إلى الخير، وإما إلى الشر، مصداقاً لقوله تعالى: "فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ * نَارٌ حَامِيَةٌ"، وقوله تعالى: "فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ".

والثالث: إن هذا النمط من الأحاديث التي ترتب جزاء عظيماً، قد يصل إلى حد دخول الجنة، على فعل خير واحد بسيط أو تافه من أفعال العباد، من شأنه أن يجعل المسلم متراخياً ضعيف الهمة، متهاوناً، فاقداً للحافز الحاد الذي يدفعه إلى الالتزام بشرع الله، التزاماً كاملاً شاملاً في كل أمور حياته، سواء كان ذلك متعلقاً بالحياة الخاصة أم بالحياة العامة.

٢. **حديث: "لا يدخل الجنة ولد زنى، ولا ولده، ولا ولد ولده"**: [مسند أحمد بن حنبل]

وهذا بهتان عظيم، وافتراء فاحش على دين الله. إذ ما ذنب ولد الزنى وأولاده وأحفاده حتى يلقى بهم في نار جهنم، بغير ما ذنب اقترفوه، أو جريمة ارتكبوها، أو شر فعلوه؟

وإننا نقول، وبكل أسى ومرارة، إن هذه هي شريعة بني إسرائيل في توراتهم، فقد ورد فيها هذه المقولة الفاحشة: "**لا يدخل ابن زنى في جماعة الرب، حتى الجيل العاشر**".

٣. حديث: "من مات يوم الجمعة كتب له أجر شهيد، ووُقِي فتنة القبر": [أبو نعيم في الحلية، ومسند أحمد]

يا لها من ضلالة! فموت الإنسان في يوم معين من أيام الأسبوع ليس من أفعاله الاختيارية حتى يثاب أو يعاقب عليه!

أما الضلالة الأخرى في الحديث فهي فتنة القبر. فالحديث الذي وردت فيه هو حديث آحاد لا تقوم به حجة في العقائد والغيبيات. أضف إلى ذلك أن عذاب القبر هو أكذوبة إسرائيلية، وقطعي القرآن، في آية واحدة من آياته، يكفي لأن يكذبها تكذيباً لا يدع مجالاً لسائل، أو متسائل. فالله تعالى يقول مخاطباً الرسول صلى الله عليه وسلم: "إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَّيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ". ويقول: "... فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذلِكَ لَمَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ"(١). ويقول: "كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا

(١) انهم ميتون: يعني أن سائر الخلائق ميتون مثلك.

تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" فما دام أنه لا بعث بعد الموت إلا بعث القيامة ولا تُوَفّى الأجور إلا يوم القيامة فلا يبقى، هنالك إذن، مجال لفتنة الناس في قبورهم. فلا يكون القبر، والحالة هذه، روضة من رياض الجنة ولا حفرة من حفر النار.

٤. **حديث**: "**لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر**". [صحيح البخاري، وصحيح مسلم ومسند أحمد بن حنبل]

من المعروف بداهة أن الدهر هو الزمان، والله تعالى هو خالق الزمان، كما هو خالق المكان. فكيف . بالله . يكون الدهر هو الخالق، وهو في حقيقة أمره لا يعدو أن يكون مخلوقاً من مخلوقات الله تعالى؟

٥. **حديث**: "**من مات على حب آل محمد مات شهيداً**": [الصواعق المحرقة]

من المعروف في الإسلام أن الشهيد هو من قتل أو مات مجاهداً في سبيل الله. ومن المعروف كذلك أنه ليس عند الله عائلية، أو عشائرية، أو قبلية، أو شعوبية أو محسوبية، مصداقاً لقوله تعالى: "يأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُواْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عَندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ"، وليس أقربكم نسباً وصهراً لمحمد صلى الله عليه وسلم.

٦. **حديث**: عن زر قال: قال لي أُبَيّ بن كعب رضي الله عنه: **كم تعدون سورة الأحزاب؟** قلت: ثلاثاً وسبعين آية. قال: فوالذي

يحلف به أُبَيّ بن كعب إن كانت لتعدل سورة البقرة أو أطول. ولقد قرأنا منها آية الرجم وهي: "الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتَّة، نَكالاً من الله، والله عزيز حكيم": [المعجم الأوسط للطبراني وموسوعة الحديث]

يقول الزمخشري تعقيباً على هذا الحديث: "أراد أُبَيّ، رضي الله عنه، أن ذلك من جملة ما نسخ".

ونحن نقول له: إن كانت سورة الأحزاب التي هي ثلاث وسبعون آية أطول من سورة البقرة التي هي مئتان وست ثمانون آية، فمعنى ذلك أنه قد اختفت من سورة واحدة (٢١٣) آية، فكم إذن من الآيات قد اختفت من باقي سور القرآن؟

هل يمكن أن يجد المسلم طعنا أفحش مِن هذا بكتاب الله الذي تعهد بحفظه من الزيادة والنقصان، والتحريف والتأليف؟ "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ"، بكل ما تحمل كلمة حافظون من معاني.

وكيف بالله استطاع الدساسون الماكرون الحاقدون على الإسلام أن يُمرِّروا على شيخ المفسرين، وعلى ائمة الاعتزال الذي يدعون الحرص على تنزيه القرآن عن المطاعن، أمثال هذه الافتراءات والضلالات التي لا تخفى على عاقل؟

٧. **حديث:** أن **عبد الله بن سلام** . وكان يهودياً قبل أن يعلن إسلامه . أستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقيم على السبت، وأن يقرأ من التوراة في صلاته من الليل":

كيف وفّقتم بين هذا الحديث وحديث: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى عمر ينظر في قطعة من التوراة غضب غضباً شديداً وقال له: ألم آتِ بها (يعني الشريعة الإسلامية) بيضاء نقية؟! والله لو أدركني أخي موسى ما وسعه إلا إتباعي[1]"؟ وهل بلغ الغباء عند عبد الله ابن سلام هذا الحد حتى يكشف للرسول صلى الله عليه وسلم عن حقيقة أمره، وأنه كان ما يزال يهودياً توراتياً في باطنه، ومسلماً شكلاً في ظاهره؟ وكيف يُقرُّه الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك، وفي يوم سبته، وهو القائل: "صلّوا كما رايتموني أصلي"، و"خذوا عني مناسككم"، و"لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به".

٨. **حديث:** "القبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار": [موسوعة الحديث]

[انظر حديث رقم ٣]

٩. **حديث: "من مات فقد قامت قيامته":** [أبو نعيم في الحلية]

---

(١) مسند أحمد بن حنبل. وفي رواية أخرى عنده: "والذي نفس محمد بيده لو أصبح فيكم موسى ثم اتبعتموه لضللتم. إنكم حظي من الأمم، وأنا حظكم من النبيين".

[أنظر حديث رقم ٣]

١٠. **حديث:** "**سترون ربكم** كما ترون القمر ليلة البدر": [صحيح البخاري]

هذا حديث آحاد في مسألة غيبية، فلا تقوم به في هذا المضمار حجة. ثم إنه يكذب قطعي القرآن تكذيباً صريحاً، فالله تعالى يقول عن ذاته: "لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ". وهذا نفي مطلق قطعي لقدرة الإنسان على رؤية الله سبحانه، سواء كان ذلك في الدنيا أم في الآخرة. فالإنسان لا يصير غير محدود في اليوم الآخر، والله سبحانه وتعالى لا يصير كذلك محدوداً، وعلى مرمى الأبصار المحدودة. فأين هي المرجعية القرآنية يا أهل العدل والتوحيد؟

أضف إلى ذلك أن رؤية الله ابتداء، حتى في الحياة الدنيا، هي من المجون الفكرية الإسرائيلية. فقد ورد في سفر الخروج، في التوراة: "**ويكلم الرب موسى وجها لوجه، كما يكلم الرجل صاحبه**".

وقد تسربت هذه الأكذوبة الإسرائيلية إلى النصارى فبتنا نقرأ في إنجيلهم كذلك هذه الآية المزعومة "**طوبى لأنقياء القلوب لأنهم يعاينون الله يوم القيامة**"، يعني يرونه رؤية العين، كما يرى الرجل صاحبه، على ذمة التوراة.

١١. **حديث:** "**الماء الطهور لا ينجسه شيء**": [الترمذي، وأحمد بن حنبل، وأبو داود، والبيهقي]

هذا ينطبق على البحار والأنهار والبحيرات. أما إذا كانت كمية الماء محدودة راكدة فالواقع المادي المدرك المحسوس يدل على خلاف ذلك. وفي حديث آخر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "لا يبولّن أحدكم في الماء الدائم الذي لا يجري، ثم يغتسل منه".

١٢. **حديث: "لا يموت لأحد ثلاثة من الولد فتمسه النار"**: [صحيح البخاري]

هذا من أخبار الغيب. فكيف جاز عندكم بخبر آحاد ظني؟

ثم كما أسلفنا من قبل، فالصبر على المصيبة هو فعل واحد من الأفعال الحسنة التي يقوم بها الإنسان أحياناً، وهو وحده ليس كافياً لتقرير مصير الإنسان في اليوم الآخر.

١٣. **حديث: "العسل شفاء من كل داء":**

وهذا يناقض النص القرآني حيث يقول تعالى: "فِيهِ شِفَآءٌ لِلنَّاسِ"، يعني فيه بعض الشفاء، وليس كل الشفاء. ولو جاء قوله تعالى بصيغة "فيه الشفاء للناس" لشفع لهم حينئذ قبول مثل هذا الحديث.

والمغالطة في فهم هذا النص القرآني واضحة في الحديث الذي رواه البخاري: "أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أخي يشتكي بطنه، فقال صلى الله عليه وسلم: "إسقه عسلاً". ثم أتاه الثانية،

فقال صلى الله عليه وسلم: "إسقه عسلاً". ثم أتاه الثالثة فقال صلى الله عليه وسلم: "إسقه عسلاً". ثم أتاه فقال: قد فعلت؟ فقال صلى الله عليه وسلم: "صدق الله وكذب بطن أخيك، إسقه عسلاً"، ثم يكمل الحديث هذه المعزوفة فينهيها بقوله: فسقاه فَبَرِئَ. وكأن الرسول صلى الله عليه وسلم كان صاحب عيادة للأمراض الباطنية، أو ما شاكلها من الأمراض!!

١٤. **حديث: أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم**": [جامع العلم لابن عبد البر، والإحكام لابن حزم]

من المعروف بداهة أن الصحابة هم أناس من البشر، يجوز على أي فرد منهم الخطأ والانحراف. ومن المعروف تاريخياً أن افراداً عديدين من الصحابة كانوا يرتكبون أخطاء ومخالفات شرعية، مقصودة أو غير مقصودة، حتى والرسول صلى الله عليه وسلم بين ظهرانيهم. فكيف . والحالة هذه . ينبغي لنا أن نقتدي، اقتداء عشوائياً مطلقاً، بأي فرد من أفراد الصحابة؟ **مجموعهم شيء وأفرادهم، كل على حدة، شيء آخر.**

١٥. **حديث:** "**إن الصلاة إلى الصلاة كفارة**"، الذي رواه مسلم في صحيحه، ومثله سائر الأحاديث في هذا الباب، مثل "من العمرة إلى العمرة كفارة، ومن الوضوء إلى الوضوء كفارة، ومن صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن حج ولم

يرفث ولم يفسق خرج كيوم ولدته أمه. ومثلها عشرات الأحاديث التي تجعل المرء يفوز بالرضوان، وبالشهادة، وبأعلى مراتب الجنان بابخس الأثمان، ويعود كيوم ولدته أمه. أقول: هذه الأحاديث وأمثالها من الأحاديث التي أحب أن أطلق عليها "**أحاديث تصفير عدادات الذنوب**" باطلة ومردودة من عدة وجوه:

أولاً: هي أحاديث آحاد في أمور تتعلق بالمغفرة والكفارة، فهي تتدرج في باب الأخبار الغيبية. وهذه ليست من الأحكام الشرعية التي تتعلق بطلب الفعل أو طلب الترك، أي بالأوامر والنواهي. فهي، والحالة هذه، من الأخبار التي لا يملك الإنسان لها نفياً ولا إثباتاً إلا بدليل قطعي.

ثانياً: هذه الأحاديث تخالف قاعدة الجزاء والعمل التي نصّت عليها عشرات الآيات في كتاب الله، من حيث أن مصير الإنسان في اليوم الآخر لا يقرره فعل خير واحد، ولا كذلك فعل شر واحد. بل كلمة الفصل فيه هي رجحان ميزان أعماله مجتمعة، إما إلى الخير وإما إلى الشر. فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية، وأما من خفت موازينه فأمه هاوية.

أما التوبة التي جعلتها آيات كثيرة في كتاب الله طريقا للمغفرة ومحو الذنوب في الدنيا فهي لا تنفع، إلا إذا كانت توبة نصوحاً، وفي

حدود الفعل الذي جرت التوبة منه، فلا تتعداه إلى سائر المعاصي والذنوب.

والتوبة النصوح تعني الإقلاع الحقيقي الفعلي الصادق عن معاودة الذنب الذي جرت التوبة منه في الحياة الدنيا. وهذا يعني أن يكون التائب قادراً على معاودة الذنب. فلو أنه أصبح عاجزاً فعلاً عن ذلك فلا معنى لتوبته. فالحاكم الظالم الغاشم لا معنى لتوبته إذا أصبح خارج الحكم، والزاني الذي تعطلت قدرته الجنسية لا معنى لتوبته، والسارق الذي أصيب بالشلل، فلم يعد يقوى على الحركة، لا معنى لتوبته، والمغتاب الذي أصيب لسانه بالشلل لا معنى لتوبته، والموظف المرتشي لا معنى لتوبته بعد أن يتقاعد من وظيفته، ومن بنى ثروته على أكل أموال الناس بالباطل لا معنى لتوبته إذا كان لا يستطيع أن يعيد الحقوق إلى أصحابها، والولد العاق لوالديه لا معنى لتوبته إذا توفي والداه وهو على تلك الحال من العقوق، والمرأة التي دأبت على تبديد ثروة زوجها مخافة أن يتزوج عليها بثانية لا معنى لتوبتها بعد أن يفلس زوجها ولا تجد بين يديها مالاً له تبدده، والذي لا يغض بصره عن محارم الله لا معنى لتوبته إذا فقد بصره، والمحامي الذي يقلب الحق باطلاً ويقلب الباطل حقاً لا معنى لتوبته بعد أن يصبح عاجزاً عن المثول أمام المحاكم، والقاضي الذي غابت العدالة عن أحكامه لا

معنى لتوبته بعد أن يتقاعد من وظيفته. وهكذا مئات الأمثلة لو أراد المرء أن يمضي قدماً في رصدها وحشدها وتبيانها.

أما الأحاديث التي تعطي العصاة بطاقة مفتوحة للتوبة ما لم يغرغر الواحد منهم، دونما اعتبار لقدرة التائب على معاودة الذنوب التي يريد التوبة منها، مثل حديث الترمذي: "إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر"، وحديث مسلم: "من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه"، نقول إن الشمس لا تطلع من مغربها، ولو حصل ذلك فإن القيامة تكون قد قامت ولم يبق من حال الدنيا شيء، فلا فرصة يومئذ للتائبين والمستغفرين، لا في الأسحار ولا في الليل أو النهار.

وقبول التوبة من العبد ما لم يدخل في مرحلة النزاع الأخير تناقض قوله تعالى في حق العصاة: "ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ"، أي وهم قادرون، وليسوا وهم يلفظون أنفاسهم ويغرغرون.

لكن ماذا يفعل المرء إذا كان باب التوبة من جريمة أو من جرائم متعددة مغلقاً في وجهه؟

إنه، بلا شك، يستطيع أن يُعوِّض ما فاته بالإكثار من الحسنات، كيما يزيد ذلك في رصيده من الأعمال الصالحات. حتى إذا ما بلغت الحسنات درجة الرجحان على السيئات يكون قد عوّض ما فاته، ويكون في هذه الحال، ممن ثقلت موازينه، وذلك مصداقاً لقوله تعالى: "**إن الحسنات يذهبن السيئات**".

تصفير عدادات الذنوب

ثالثاً: هذه الأحاديث، أعني **أحاديث تصفير عدادات الذنوب**، هي أحاديث هدامة على أفظع ما يكون الهدم والتخريب، فهي تجعل من العمل الفردي البسيط، الذي لا يكاد يكلف فاعله شيئاً من الجهد أو العناء، طريقاً للفوز بمغفرة الله ورضوانه وجناته، حتى ولو عمت الدنيا جميع أنواع الفواحش والكبائر والشرور. فمن كان صيام رمضان من العام إلى العام عنده كفارة لما بينهما، ومن كانت العمرة إلى العمرة عنده كفارة لما بينهما، ومن كانت الصلاة إلى الصلاة عنده كفارة لما بينهما، ومن كان الحج عنده ماسحاً جميع الذنوب والخطايا حتى يعود كيوم ولدته أمه، وأنه من قال: اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، وأبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي، فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، من قالها إذا أصبح، موقنا بها، فمات من يومه ذاك دخل الجنة، ومن قالها إذا أمسى، موقنا بها، فمات من ليلته، دخل الجنة، نقول: من كانت هذه هي حاله فإنه لا يهمه شيء بعد ذلك، لأنه قد أصبح من الفرقة الناجية المزعومة يوم القيامة، فلا يسأل عن شيء وراء ذلك، ولا يحاسب عليه. فانتشار الظلم والفساد، وتعطيل أحكام الله، والحكم بغير ما أنزل

الله، وسيطرة الدول الكافرة المستعمرة على البلاد والعباد والمقدرات، وشيوع الفواحش، والإباحية، والمنكرات، والزندقة، والعلمانية، بين ظهراني الأمة الإسلامية، والتخلي عن رسالة الإسلام والجهاد في سبيلها، كل هذه تصبح أموراً لا تهمه، ولا تعنيه في قليل أو كثير، طالما أنه قد ظفر بالجنة والرضوان بأتفه الجهود وأبخس الأثمان.

رابعاً: والأنكى من ذلك كله الأعداد الكثيرة من الأحاديث التي تفتح باب **الشهادة والجنة** على مصراعيه، لأقوام لم يفعلوا شيئاً قط للوصول إليها، لا من قريب ولا من بعيد. فهم قد ماتوا بالأوبئة والحوادث كما تموت سائر دواب الأرض. ومع ذلك فهم قد نالوا الشهادة المجانية التي تمحو جميع ذنوبهم، وتؤهلهم لدخول جنات النعيم بلا قيد ولا شرط. وذلك مثل الأحاديث التي نصت على شهادة المطعون (وهو من يموت بالطاعون)، وشهادة المبطون (وهو صاحب الإسهال)، وشهادة الغَرِق (وهو الذي يموت غرقاً)، وشهادة صاحب الهدم (وهو الذي يهدم عليه بيته)، وشهادة المرأة التي تموت بِجُمْع (أي في حالة ولادة)، وشهادة الحريق (وهو الذي يموت بالحرق) وشهادة المائد في البحر (وهو من يحصل له غثيان أو يصيبه دوار البحر فيموت)، وشهادة من اغتسل بالثلج فأصابه البرد فمات، إلى غير ذلك.

ولعل مثل ذلك، الحديث الذي رواه البخاري، عن أبي هريرة، أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "**غفر لامرأة مومسة من بغايا بني إسرائيل،** مرّت بكلب على رأس زكيّ يلهث. قال: كاد يقتله العطش، فنزعت خفها، فأوثقته بخمارها، فنزعت له من الماء، فغفر لها بذلك". ومثله الحديث الذي **يدخل امرأة النار في هرة حبستها،** فلا هي أطعمتها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض. فدخول الجنة والنار بهذه البساطة: حسنة مع حيوان تصفر عداد الذنوب وتدخل الجنة، وسيئة مع حيوان آخر تلغي الحسنات وتدخل النار، هو انتهاك واضح لحرمة العقل وحرمة الدين.

وما أروع تعليق السيدة عائشة رضي الله عنها على هذا الحديث المزعوم حين قالت: **المؤمن أكرم عند الله من أن يعذبه من جراء هرَّة.** أما إن المرأة مع ذلك كانت كافرة!

ويا ليت هذا الانحراف الفكري الخطير وقف عند حدود المعتزلة، بل نحن واجدون مثله وأشنع منه، عند بعض مشايخ السلف.

ابن القيّم وتكذيب وعيد الله

فابن القيم الجوزية مثلاً، وفي معرض دفاعه عن فكرة الشفاعة المزعومة، من حيث أنها تتناقض مع وعيد الله بمعاقبة العصاة، بإدخالهم النار يوم القيامة، **يقول في كتابه "مدارج السالكين"**

ما يلي: "واختلاف الوعيد لا يُذَم، بل يمدح. والله تعالى يجوز عليه اختلاف الوعيد، ولا يجوز عليه خُلف الوعد. والفرق بينهما أن الوعيد حقه، فإخلافه عفو وهبة وإسقاط. وذلك بموجب كرمه وجوده وإحسانه. والوعد حق عليه، أوجبه على نفسه، والله لا يخلف الميعاد". وهذا الكلام من ابن القيم يعني أن الله سبحانه حين توعد العصاة، والمجرمين، والأفاكين، والأشرار، لم يكن صادقاً في وعيده ولا عادلاً في مصير عباده! نعوذ بالله العظيم من هذا الشطط في التأويلات الفاحشة، والخروج الكامل عن جادة العقل والصواب.

وفي معرض تمريره لحديث: "**لا يدخل الجنة ولد زنى**" يقول ابن القيم: ليست معارضة لها إن صحّت، فإنه (يعني ولد الزنى) لم يُحْرم الجنة بفعل والديه، بل لأن النطفة الخبيثة لا يتخلق منها طيب في الغالب، ولا يدخل الجنة إلا نفس طيبة. فإن كانت في هذا الجنس طيبة دخلت الجنة، وكان الحديث من العام المخصوص".

وفي معرض تعقيبه على حديث آخر **مزعوم في حق ولد الزنى: "هو شر الثلاثة إذا عمل بعمل والديه"**، يقول ابن القيم: "وهو حديث حسن، ومعناه صحيح بهذا الاعتبار. فإن شر الأبوين عارض، وهذه نطفة خبيثة. وشره من أصله، وشر الأبوين من فعلهما". يعني أن ولد الزنى مجبول في خِلْقته على الشر، فهو شرّير بفطرته، وليس بأفعاله. ولذلك كان مأواه جهنم وبئس المصير، لا لذنب جناه، بل

هكذا ظلماً في ظلم، وتعسفاً في تعسف، وكأن الله سبحانه وتعالى ليس هو القائل "وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى"، و"كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ"، وليس بما كسب غيرها!!

ابن تيمية وإنكار الخالقية

ويا ليت مثل هذا الزيغ عن الحق المبين، في محاور الدين، وعقائده الواضحة الجلية وقف عند ابن القيم الجوزية، بل نراه سبقه إليه **الشيخ ابن تيمية**، حيث يقول في كتابه "موافقة صحيح المنقول لصحيح المعقول": "**وأما أكثر أهل الحديث ومن وافقهم فإنهم لا يجعلون النوع حادثاً، بل قديماً**. ويفرقون بين حدوث النوع وحدوث الفرد من أفراده، كما يفرق جمهور العقلاء بين دوام النوع ودوام الواحد من أعيانه". يعني أنهم يقولون بأن أصل المادة (النوع) قديم، يعني غير مخلوق. أما أفراده أو أعيانه فهي حادثة، يعني مخلوقة. فالخلق، والحالة هذه، ليس هو الإيجاد من عدم، بل هو تشكيل المادة القديمة الأزلية إلى صور وأشكال شتى. كما أن عقلاء القوم عنده يقولون بأن المادة أزلية لا تفنى، شأنها شأن الذات الإلهية. أما الذي يفنى فهي المفردات من أعيان المادة. وبعبارة أخرى فإن ابن تيمية . باعتباره من "جماعة أكثر أهل الحديث ومن وافقهم"، وباعتباره من جمهور العقلاء ومن والاهم . ينكر أن يكون الله تعالى قد خلق جوهر (مادة) الكائنات من عدم، لأن المادة قديمة قدم الذات الإلهية، وأن هذه المادة أزلية باقية بقاء الذات الإلهية، فهي خالدة مع الله خلوداً أبدياً، لا يدركها فناء ولا تغيير ولا تبديل. **فهو والحالة هذه، من حيث يدري أو لا يدري، يكون قد انضم إلى معسكر القائلين بوحدة الوجود، من مشايخ**

الطرق الصوفية وائمتها المارقين الذين، بقولهم بوحدة الوجود، قد أنكروا أن يكون الله خالقاً والوجودَ مخلوقاً. بل اعتبروا الخالق والكائنات وجوداً واحداً لا تربطهما علاقة خالق ومخلوق، بل علاقة الشيء بنفسه، كما كان الحلاج . أحد كبار الصوفيين . يمشي في شوارع بغداد ويقول: "سبحاني ما أعظم شاني، وما في الجُبّة إلا الله". نستغفر الله العظيم من هذه الموبقات العقائدية، ونعوذ بالله من كفريات الفيلسوف اليوناني أرسطو الذي ضُبِع به المعتزلة، والفلاسفة، وبعض مشايخ السلف، وغيرهم من أرباب الفرق والجماعات، واتخذوه لهم معلماً أول، وجعلوا من ضلالاته وكفرياته قضايا تتسايف عندها عقول المسلمين، وتسفك في ساحها دماؤهم رخيصة، ويرتع في مرابعها شياطين الإنس والجن.

ونعود إلى المعتزلة مرة أخرى فنقول: يا ليتهم وقفوا في تخبطهم وانحرافهم الفكري عند حدود الشفاعة، بل نراهم قد أوغلوا أيما إيغال في موضوع العقيدة، فاعتبروا أن **الحسن ما حسنه العقل، والقبيح ما قبحه العقل.** وهذا لا يعني أن العقل حاكم على الشرع فحسب، بل يعني أن العقل مُسْتكف بذاته، وليس هو في حاجة إلى شرع من عند الله. وهذا يعني أيضاً أن الشرائع والأديان التي أنزلها الله تعالى على رسله، من آدم حتى محمد صلى الله عليه وسلم، لم يكن لها أي لزوم، وأن الله تعالى إنما كان عابثاً أشد العبث، وضاحكاً أشد الضحك على

ذقون البشر، حين حمّلهم مسؤولية شرائع وأديان لم يكونوا أبداً في حاجة إليها.

وعلى الرغم مما في هذه المقولة من ضلال مبين، **فقد تأثر بها فقهاء الشيعة حين جعلوا العقل، بصريح العبارة، مصدراً من مصادر التشريع. كما تأثر بها فقهاء أهل السنة حين وضعوا قاعدة** "**حيثما تكون المصلحة فَثَمَّ شرعُ الله**"، حتى لو تعارضت المصلحة مع النص الإلهي فالمصلحة عندهم هي التي تُقَدَّم، ويؤول النص. وكذلك حين اعتبروا الاستحسان، والعرف والعادة وسائر أنواع الإجماع المستحيلة، من إجماع الأمة، إلى إجماع العلماء إلى إجماع الصحابة، إلى إجماع الفقهاء، حين اعتبروا ذلك كله من مصادر التشريع، فهم يكونون كالشيعة سواء بسواء، قد جعلوا العقل مصدراً من مصادر التشريع، فهو الذي يقرر المصلحة في جميع الأحوال، ويعتبر قراره ذاك تشريعاً إلهيا مزعوماً. ورحم الله الإمام الشافعي حين قال: "**من استحسن فقد شرّع**".

ومن منطلق مبدئهم في **العدل والتوحيد** قال المعتزلة **بحرية الإرادة** لدى الإنسان في اختيار أفعاله. وحتى يكون هذا الاختيار حقيقياً، في ظاهره وباطنه، لابد أن لا يعلم به الله أبداً قبل وقوعه. لأن عِلْم الله لا يتخلف، فلو علم الله مسبقاً باختيار واحد من الناس لفعل من الأفعال فإن ذلك الإنسان سوف يكون مجبوراً في اختياره ذاك،

ليتحقق ويصدق علم الله فيه. ولذلك، **وحتى يكون الاختيار حرًّاً لا جبرية فيه، ينبغي أن يكون الله جاهلاً به قبل وقوعه، جهلاً تاماً**. ولا يصح أن يعلم به إلا بعد حصوله بالفعل. وهذا مما أثار حفيظة الناس واشمئزازهم من مثل هذه الأطروحات الارسطوطاليسية المارقة السخيفة.

وهذا أيضاً ما جعل الفقيه مالك بن أنس، وفقهاء المدينة، والإمام الشافعي، يرفضون شهادة المعتزلي. وهو كذلك ما جعل القاضي أبو يوسف ـ الإمام الثاني في المذهب الحنفي بعد أبي حنيفة ـ يتهمهم بالزندقة. وهو ما جعل محمد بن الحسن الشيباني ـ الإمام الثالث في المذهب الحنفي بعد الإمام أبي حنيفة ـ يوصي من صلّى خلف معتزلي بإعادة صلاته. وهذا أيضاً ما جعل الأصمعي يطرد الجاحظ المعتزلي من مجلسه، **ويقذفه بنعله.** فعامة أهل العلم من المسلمين رأوا في أطروحات المعتزلة الأرسطوطاليسية عملية هدامة لأركان الإسلام وأصوله، وقواعده ومحاوره. **فالجُبّائي** ـ أحد زعماء المعتزلة ـ حين **قال بالصرفة،** وهو يعني أن القرآن ليس معجزاً بذاته، بل لأن الله صرف الناس عن أن يأتوا بمثله، قد استفز الناس وأثارهم. وحين قال المعتزلة **بالمنزلة بين المنزلتين،** يعني أن مرتكب الكبيرة لا هو مؤمن ولا هو كافر، استفزوا الناس وأثاروهم، لأن من البدهيات الإسلامية أن مصير الإنسان في نهاية أمره، هو إما إلى الجنة إن

رَجَحت حسناته، وإما إلى النار إن رَجَحت سيئاته. فأين هي المنزلة الثالثة المزعومة بين المنزلتين؟

أضف إلى ذلك أن الكثير من المفكرين وأصحاب الرأي وجدوا **في القول بالمنزلة بين المنزلتين خدمة للحكام الأمويين والعباسيين الذين اغتصبوا الخلافة اغتصاباً.** فالخوارج، منذ أيام الصراع بين علي ومعاوية، كانوا يشيعون في الأمة أن اغتصاب الخلافة هو ارتكاب كبيرة، وأن مرتكب الكبيرة كافر. وقد أثّرت هذه الأطروحة تأثيراً كبيراً على شرعية الحكم الأموي، ما حدا بهم إلى أن يُغْروا **واصل بن عطاء**، من مؤسسي حركة الاعتزال في أواخر العهد الأموي، إلى القول بأن مرتكب الكبيرة ليس بكافر. **وذلك حتى يمتص الأمويون الرياح من شراع خصومهم الخوارج**، الذين كانوا يكفِّرون خلفاء بني أمية، باعتبارهم قد ارتكبوا كبيرة من أفحش الكبائر. فهم قد اغتصبوا الخلافة اغتصاباً، ولم يصلوا إليها بطريق مشروع. وكان لرأي الخوارج هذا رواج كبير، وتأثير بالغ في الرأي العام آنذاك، الأمر الذي كان يقض مضجع الحكام الأمويين، ويغري بالثورة عليهم. ولما جاء العباسيون بعد سقوط الأمويين، وجدوا أن التاريخ يعيد نفسه، وأنهم . مثلهم مثل الأمويين . أمام أطروحة تكفيرهم وجهاً لوجه، باعتبارهم قد ارتكبوا كبيرة اغتصاب السلطة. فتبنوا حركة الاعتزال، واستغلوها استغلالاً فاحشاً بنشر مبادئها، وعلى رأسها حكم مرتكب الكبيرة. كما

استغلوها في إيجاد صراع فكري مصطنع بينها وبين الشارع السني الحنبلي، لإشغال المعارضة في أمور لا طائل تحتها، مثل خلق القرآن، وعلاقة الذات بالصفات(١)، وتجهيل الله. على مذهب أرسطو . بالقول بأن الله يعلم الكليات ولا يعلم الجزئيات، واستنزاف طاقتها واهتمامها في مغالطات باطلة، أو في أمور خارجة عن حدود العقل البشري، حتى تنصرف الأمة انصرافاً كلياً عن **القضية الكبرى التي كانت تواجهها منذ أمد بعيد، وتلكم هي تصحيح مسار الحكم، والعودة به إلى قاعدة "الأمر شورى والخلافة بيعة لا وراثة، لا فضل فيها لعربي على أعجمي، ولا لقرشي على عبد حبشي، إلا بالتقوى**".

وفي سبيل تحقيق هذه الغاية وإشغال الناس بعضهم في بعض راح الحكام العباسيون يغرون الفريقين بتحريض كل فريق على الآخر، حتى ولو أدى ذلك إلى استعمال العنف والوسائل المادية الجارحة، والدعايات المرجفة بين الفريقين. فراح المعتزلة يطلقون على خصومهم عبارة "**الحشوية**". ثم تمادوا في ذلك حتى صاروا يرفضون شهادتهم ويكفرونهم. وصار **الفوطي** (أحد زعمائهم) يُجَّوز قتل المخالفين لمذهبهم واغتيالَهم، ويبيح أخذ أموالهم سرقة واغتصاباً، ويستبيح دماءهم، بزعم أنهم كفار. ولقد كشف أحد الشعراء مكائد العباسيين وظلمهم وإفسادهم بين الناس بقوله:

---

(١) وكأن الذات الإلهية ألعوبة أطفال بين أيديهم، يقلبونها ويتقاذفونها بينهم كيف شاءوا. نعوذ بالله من جهل الجاهلين، وشطحات التائهين!

يا ليت ظُلْمَ بني مروان دام لنا   وليتَ عَدْلَ بني العباس لمَ يَكُن

نماذج من الأحاديث الشيعية في موضوع الشفاعة

عند أهل الشيعة، كما عند من يسمون أنفسهم "أهل السنة والجماعة"، سيل عرم من أحاديث الشفاعة التي ما أنزل الله بها من سلطان. وهي لا تختلف في مجملها عن أحاديث أهل السنة. فهي متناقضة يكذب بعضها بعضاً، وهي تعطي الشفاعة لمن هب ودب ممن لا سقف لهم ولا قاع. وهي لا تزيد في ضلالها وبهتانها عن أحاديث أهل السنة إلا في تلك الأحاديث التي تجعل الشفاعة، كلياً أو جزئياً، حقاً إلهياً مزعوماً لأئمة المذهب الشيعي، ولأقارب الرسول واهل بيته، ومَن أَحَبهم ووالاهم وكان من شيعتهم وأنصارهم.

وهذه بعض النماذج من أحاديث الشفاعة الشيعية التي لا ينبغي لمسلم، عرف ألف باء الإسلام، أن يتصفحها دون أن يصاب بالأسى والشعور بالفجيعة جراء سقوط أهل الشيعة في هذه الجهالة المرَوِّعة، كما سقط فيها أهل السنة من قبلهم، وارتكبوا، جميعهم، فاحشة فكرية، لا كفارة لها إلا بالرجوع إلى الحق المبين، والنأي بمعقتداتهم عن هذه الدسائس الفكرية الهدامة، والوقوف عند الخطوط الحمر، كيلا يكونوا من ذوي العاهات العقلية والفكرية، فيهدمون صروح الإسلام بأيديهم، وأيدي الكافرين، وأعداء الدين.

وهذه النماذج المدرجة أدناه، هي قليل من كثير، من الأحاديث المزعومة لدى أهل الشيعة على اختلاف مذاهبهم:

١-عن أبي عبد الله، عن أبيه، عن عليّ عليه السلام قال: إن للجنة ثمانية أبواب إلى أن قال: .... فلا أزال واقفاً على الصراط أدعو وأقول: رب سلِّم شيعتي ومحبّيّ وأنصاري ومن تولاّني في دار الدنيا. فإذا النداء من بُطْنان[١] العرش: قد أجيبت دعوتك، وشُفّعت في شيعتك".

٢-في "بحار الأنوار": عن بشر بن شريح البصري قال: قلت لمحمد بن علي الباقر عليهما السلام: أية آية في كتاب الله أرجى؟ قال: ما يقول فيها قومك! قال: قلت: يقولون: "قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله، قال: "لكنا أهل البيت لا نقول ذلك، قال: قلت: فأي شيء تقولون فيها؟ قال: "نقول "ولسوف يعطيك ربك فترضى"، الشفاعة، والله الشفاعة، والله الشفاعة".

٣-في "بحار الأنوار": عن الباقر عليه السلام في قوله تعالى: "وترى كل أمة جاثية"، قال: "ذاك النبي صلى الله عليه وآله وعَلّي، يقوم على كوم قد علا الخلائق، فيشفع ثم يقول: يا

---

(١) وسطه أو دواخله

عليّ إشفع ...". [وكأن شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام غير كافية وحدها].

٤-في "بحار الأنوار": ما رواه محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: لفاطمة وقفة على باب جهنم. فإذا كان يوم القيامة كتب بين عيني كل رجل "مؤمن أو كافر". فيؤمر بمحب قد كثرت ذنوبه إلى النار. فتقرأ فاطمة بين عينيه "محباً"، فتقول: إلهي وسيدي! سمّيتني فاطمة، وفَطَمْتَ بي من توّلاني وتولى ذريتي من النار، ووعدك الحق، وأنت لا تخلف الميعاد. فيقول الله عز وجل: صدقت يا فاطمة. إني سميتك فاطمة، وفطمت بك من أحبك وتوّلاك، وأَحبَّ ذريتك وتولاهم من النار. ووعدي الحق، وأنا لا أخلف الميعاد. وإنما أمرت بعبدي هذا إلى النار لتشفعي فيه. فُأشَفِّعك ليتبين لملائكتي، وأنبيائي، ورسلي، وأهل الموقف، موقفك مني، ومكانك عندي. فمن قرأتِ بين عينيه مؤمناً فجَذبْتِ بيده وأدخلتِه الجنة".

٥-في "بحار الأنوار": عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله يقول: "لا تستخفوا بفقراء شيعة علي وعترته من بعده، فإن الرجل منهم ليشفع لمثل ربيعة ومضر".

٦-في "بحار الأنوار": عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الجار ليشفع لجاره، والحميم لحميمه. ولو أن الملائكة المقربين، والأنبياء المرسلين، شَفَعُوا في ناصب ما شُفِّعوا". [الناصب هو من كان من أهل السنة، وهم في نظر الشيعة من يناصبونهم العداء الأبدي].

٧-في "بحار الأنوار": عن معاوية بن وهب قال: سالت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: "لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا، قال: "نحن والله المأذون لهم في ذلك اليوم والقائلون صوابا". قلت: جعلت فداك، وما تقولون؟ قال: "نمجد ربنا، ونصلي على نبينا، ونشفع لشيعتنا، فلا يردُّنا ربنا".

٨-في "بحار الأنوار": عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: "لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً، قال: لا يَشْفع ولا يُشْفَع لهم ولا يشفّعون (إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً) إلا من أذن له بولاية أمير المؤمنين والأئمة من بعده، فهو العهد عند الله".

٩- في "كتاب تأويل الآيات": عن زيد بن علي في قوله تعالى: "ولسوف يعطيك ربك فترضى" قال: "إن رضا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أدخل الله به أهل بيته وشيعتهم

الجنة. وكيف لا، وإنما خلقت الجنة لهم، والنار لأعدائهم. فعلى أعدائهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين".

١٠-في "مجمع البيان"، وفي مناقب ابن شهر آشوب: قال صلى الله عليه وسلم: "إني لأشفع يوم القيامة، ويشفع عليّ فيشفَّع، ويشفع أهل بيتي فيشفعون". يعني أن شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم وحدها لا تكفي، بل وحتى شفاعة علي معها لا تكفي أيضاً. فلا بد من استكمال معزوفة الشفاعة هذه بشفاعة أهل البيت!!

١١-وفي "مناقب ابن شهر آشوب": قال صلى الله عليه وسلم: "الشفعاء خمسة: القرآن، والرحم، والأمانة، ونبيكم، وأهل بيت نبيكم".

١٢-في "أمالي الصدوق": قال صلى الله عليه وسلم: "أيما امرأة صلّت في اليوم والليلة خمس صلوات، وصامت شهر رمضان، وحجت بيت الله الحرام، وزكّت مالها، وأطاعت زوجها، ووالت علياً بعدي، دخلت الجنة بشفاعة ابنتي فاطمة".

١٣-وفي "خصال الصدوق": قال علي عليه السلام: "لنا شفاعة، ولأهل مودتنا شفاعة".

١٤-وفي "أمالي الصدوق": قال علي عليه السلام: "قال صلى الله عليه وسلم: إذا قمت المقام المحمود تشفعت في أصحاب الكبائر من أمتي فيشفّعني الله فيهم. والله لا تشفعت فيمن آذى ذريتي".

١٥-وفي "من لا يحضره الفقيه": قال علي عليه السلام: "سمعت النبي يقول: إذا حشر الناس يوم القيامة ناداني مناد: يا رسول الله! إن الله جل اسمه قد أمكنك من مجازاة مُحبيك، ومحبي أهل بيتك الموالين لهم فيك، والمعادين لهم فيك، فكافهم بما شئت، فأقول: يا رب الجنة! فأبوؤهم منها حيث شئت. فذلك المقام المحمود الذي وعدت به".

١٦-وفي "مكاتيب الأمة": عن الحسين عليه السلام، وهو ينقل كلام جده معه في منامه، قائلاً: "حبيبي يا حسين! كأني أراك عن قريب مرمَّلا بدمائك، مذبوحاً بأرض كربلاء، على أيدي عصابة من أمتي، وأنت مع ذلك عطشان لا تسقى، وظمآن لا تروى. وهم مع ذلك يرجون شفاعتي. لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة".

١٧-في "الصحيفة السجادية": قال علي بن الحسين: "فإني لم آتك ثقة مني بعمل صالح قدمته، ولا شفاعة مخلوق رجوته، إلا شفاعة محمد وأهل بيته، عليه وعليهم سلامك".

١٨-وفي "التهذيب": عن محمد الباقر: من تبع جنازة مسلم أعطي يوم القيامة أربع شفاعات.

١٩-وفي "الصحيفة السجادية": عن محمد الباقر: يشفع الرجل في القبيلة، ويشفع الرجل لأهل البيت، ويشفع الرجل للرجلين، على قدر عمله، فذلك المقام المحمود".

٢٠-وفي "الكافي": عن محمد الباقر: "إن أدنى المؤمنين شفاعة ليشفع لثلاثين إنساناً. فعند ذلك يقول أهل النار: "فما لنا من شافعين، ولا صديق حميم".

٢١-وفي مناقب ابن شهر آشوب: عن جعفر بن محمد: "والله لنشفعن لشيعتنا، والله لنشفعن لشيعتنا، والله لنشفعن لشيعتنا، حتى يقول الناس: "فما لنا من شافعين ولا صديق حميم".

٢٢-في "من لا يحضره الفقيه": قال جعفر الصادق: "شفاعتنا لأهل الكبائر من شيعتنا، وأما التائبون فإن الله عز وجل قال: "ما على المحسنين من سبيل".

٢٣-في "أمالي الصدوق": قال جعفر الصادق: "من أنكر ثلاثة أشياء فليس من شيعتنا: المعراج، والمساءلة في القبر، والشفاعة".

٢٤-وفي "تفسير العياشي": قال معاوية بن عمار لجعفر الصادق: "من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه؟ قال: "نحن أولئك الشافعون".

٢٥-وفي "بحار الأنوار"، والاختصاص للمفيد، وتفسير العياشي: قال جعفر الصادق: "إن المؤمن ليشفع يوم القيامة لأهل بيته، فيشفع فيهم، حتى يبقى خادمه. فيقول: فيرفع سبابته: يا رب خُوْيدِمي كان يقيني الحر والبرد، فيشفّع فيه". حكاية الوقاية من الحر والبرد هذه، كيف كانت تتم يا ترى؟!

٢٦-وفي "الكافي" ورد هذا الحديث الذي ينسف كل الأحاديث المنسوبة لجعفر الصادق. فقد كتب جعفر إلى أصحابه: "واعلموا أنه ليس يغني عنكم من الله أحد من خلقه شيئاً، لا مَلَك مقرب، ولا نبي مرسل، ولا من دون ذلك. فمن سرّه أن تنفعه شفاعة الشافعين عند الله فليطلب إلى الله أن يرضى عنه".

وفي كتاب "من لا يحضره الفقيه، عن علي عليه السلام: "لا شفيع أنجح من التوبة".

٢٧-في "بحار الأنوار": قال الحسن العسكري عن علي عليه السلام: "لا يزال المؤمن يشفع حتى يشفع في جيرانه، وخلطائه، ومعارفه".

٢٨-وهذه مجموعة أخرى من أحاديث مثلها كثير، وردت في مسند الإمام علي الرضا:

أ- قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "يا علي، أنت قسيم النار والجنة، وإنك لتقرع باب الجنة فتدخلها بغير حساب".

ب- قال رسول صلى الله عليه وسلم: "يا علي إذا كان يوم القيامة كنت أنت وولدك على خيل بُلْق، متوجون بالدر والياقوت، فيأمر الله بكم إلى الجنة والناس ينظرون".

ج- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا علي: إن الله قد غفر لك، ولذريتك ولشيعتك، ولمحبي شيعتك، ولمحبي محبي شيعتك". يعني لم تبق بعد هذه المغفرة أية حاجة لشفاعة أحد من العالمين.

د- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنما سميت ابنتي فاطمة، لأن الله تعالى فطمها وفطم من أحبها من النار".

هـ- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها زج في النار".

و- سئل جعفر بن محمد عن زيارة قبر الحسين عليه السلام، قال: "أخبرني أبي قال: من زار قبر الحسين بن علي، عارفاً بحقه، كتب في أعلى عليين. ثم قال: إن حول قبره لسبعين ألف ملك، شُعثاً غُبْرا، يبكون عليه إلى أن تقوم الساعة" يا سلام سلِّم!!

مزيد من الأضواء على التخبط الشيعي
في موضوع الشفاعة

باستقصاء الأحاديث التي اعتمدها أهل الشيعة في موضوع الشفاعة استقصاء واسعاً، يلاحظ أن الشفاعة فيها تتناقض مع بعضها تناقضا كليا، وتتأرجح وتتناطح بين المحاور المتنابذة التالية:

أولاً: الشفاعة للرسول وحده، لا شريك له فيها

هناك جملة من أحاديث أهل الشيعة، مثل كثير من أحاديث أهل السنة، تجعل الشفاعة من خصوصيات الرسول صلى الله عليه وسلم، فهو وحده الشفيع، لا شريك له في ذلك من قريب أو بعيد:

١. فالقُمِّي في تفسيره، وفي معرض تفسير قوله تعالى: "عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً"، يقول: عن أبي عبد الله (يعني جعفر الصادق) عليه السلام، قال: سألته عن شفاعة النبي صلى الله عليه آله وسلم يوم القيامة فقال: يُلْجم الناس، يعني ليس المؤمنين وحدهم، يوم القيامة العَرَق، فيقولون: انطلقوا بنا إلى آدم يشفع لنا عند ربنا. فيأتون آدم فيقولون: يا آدم إشفع لنا عند ربك، فيقول: إن لي ذنباً وخطيئة، فعليكم بنوح. فيأتون نوحاً فيردهم إلى من يليه، ويردهم كل نبي إلى من يليه، حتى ينتهوا إلى عيسى فيقول: عليكم بمحمد رسول الله. فيعرضون أنفسهم عليه ويسألونه، فيقول: إنطلقوا. فينطلق بهم إلى باب الجنة،

ويستقبل باب الرحمة، ويخر ساجداً. فيمكث ما شاء الله، فيقول الله: إرفع رأسك، واشفع تُشَفَّع، وأسأل تُعْطَ. وذلك هو قوله تعالى: "عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً".

٢. في كتاب "روضة الواعظين"، وهو من الكتب الشيعية المعروفة، حديث يروي عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إذا قمت المقام المحمود، تشفعت في أصحاب الكبائر من أمتي. فيشفعني الله فيهم. والله لا تشفعت فيمن آذى ذريتي".

٣. في كتاب "بحار الأنوار" رواية عن فرات الكوفي قال: أخرج الحسكاني في "شواهد التنزيل"، عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "أشفع لأمتي حتى ينادي ربي: رضيت يا محمد؟ فأقول: رب رضيت".

٤. في كتاب "بحار الأنوار" رواية عن وكيع، قال ابن عباس في قوله: ولسوف يعطيك ربك فترضى، يعني: ولسوف يُشَفِّعك يا محمد، يوم القيامة، في جميع أهل بيتك، فتدخلهم كلهم الجنة، ترضى بذلك عن ربك.

٥. في تفسير "نور الثقلين"، عن الصادق عليه السلام، أنه قال: رضا جدي أن لا يبقى في النار مُوَحِّد.

وفي رواية أخرى عن علي ابن الحنفية أنه قال: يا أهل العراق! تزعمون أن أرجى آية في كتاب الله عز وجل: "يا عبادي الذين أسرفوا على انفسهم .... الآية"، وإنّا، أهل البيت، نقول: أرجى

آية في كتاب الله: "ولسوف يعطيك ربك فترضى"، وهي والله الشفاعة، ليعطاها في أهل لا إله إلا الله، حتى يقول: رب رضيت.

٦. في كتاب "مجممع البحرين"، و"بحار الأنوار" أن أرجى آية في كتاب الله هي: "ولسوف يعطيك ربك فترضى"، لأنه صلى الله عليه وسلم لا يرضى بدخول أحد من أمته النار.

٧. في كتاب "التوحيد" للصدوق رواية عن موسى بن جعفر الصادق، عن آبائه، عن علي بن أبي طالب، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: "إنما شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي، فأما المحسنون منهم فما عليهم من سبيل".

ثانياً: علي قسيم الرسول في الشفاعة، مُساوٍ له فيها

١. في كتاب "تصحيح اعتقادات الإمامية" للمفيد، حديث مجمع على صحته، كما يقول المفيد، هذا نصه: "يا علي! أنت قسيم الجنة والنار. لا يدخل الجنة إلا من عرفك وعرفته، ولا يدخل النار إلا من أنكرك وأنكرته. يا علي! أنت والأئمة من ولدك على الأعراف يوم القيامة".

٢. في كتاب "إحقاق الحق"، وهو من المراجع الشيعة الكبرى، حديث رواه ابن المغازلي في "المناقب"، وابن حسنويه في "بحر المناقب"، والقندوزي في "ينابيع المودة"، والكشفي في "المناقب المرتضوية"، هذا نصه: "لما مرض الأعمش مرضه الذي مات فيه ودخل عليه ابن شبرمة، وابن أبي ليلى، وأبو حنيفة، فقالوا:

يا أبا محمد! هذا آخر يوم من أيام الدنيا، وأول يوم من أيام الآخرة، وكنت تروي في علي عليه السلام، وكان السلطان يعترضك عليها، وفيها تعيير بني أمية، ولو كنت أمسكْتَ عنها لكان الرأي. فقال: إليّ تُلقون هذا؟ إسندوني، فسندوه، فقال: "حدثني المتوكل الناجي، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا كان يوم القيامة قال الله تعالى لي ولعلي: أَدْخِلا الجنة من أحبكما، وأَدْخِلا النار من أبغضكما. فيجلس علي على شفير جهنم فيقول: هذا لي، وهذا لَكِ!

٣. في كتاب "ينابيع المودة" للقندوزي، عن جعفر الصادق، عن آبائه، عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا علي! أنت منّي بمنزلة شيث من آدم، وبمنزلة سام من نوح، وبمنزلة إسحق من إبراهيم، وبمنزلة هارون من موسى، وبمنزلة شمعون من عيسى. وانت وصيي ووارثي. وأنت أقدمهم سلما، وأكثرهم علماً، وأوفرهم حلماً، وأشجعهم قلباً، وأسخاهم كفاً. وأنت إمام امتي، وقسيم الجنة والنار.

٤. في كتاب "إحقاق الحق" ورد الحديث التالي: "يا علي! أنت قسيم الجنة والنار، حامل اللواء الأكبر، صاحب لواء رسول الله في الدنيا والآخرة، الذائد عني الحوض يوم القيامة، حامل لواء الحمد أنت، وأول من يقرع باب الجنة. أنت صاحب حوض رسول الله

يوم القيامة، وأول من تنشق عنه الأرض. الرؤوف بالناس، الأواه الحليم، أفضل الناس منزلة، أعظم الناس غنى".

٥. في كتاب "إحقاق الحق" عن الإمام أبي الحسن الرضا، أنه قال: "ولقد سمعت أبي، عن آبائه، عن جدي علي أمير المؤمنين، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أنت قسيم الجنة والنار. فيوم القيامة تقول للنار هذا لي فذريه، وهذا لك فخذيه".

٦. في مسند الإمام علي الرضا ورد الحديث التالي: يا علي! أنت قسيم النار والجنة، وإنك لتقرع باب الجنة فتدخلها بغير حساب.

٧. في "بحار الأنوار" عن الباقر عليه السلام في قوله تعالى: "وترى كل أمة جاثية"، قال: ذاك النبي صلى الله عليه وسلم وعلي، يقوم على كوم قد علا الخلائق، فيشفع، ثم يقول: يا علي إشفع". [كأن شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم وحدها غير كافية!]

٨. في "مجمع البيان"، وفي "مناقب ابن آشوب"، قال صلى الله عليه وسلم: "إني لأشفع يوم القيامة، ويشفع علي فَيُشَفَّع، ويشفع أهل بيتي فَيُشَفَّعون".

ثالثاً: شفاعة علي وحده تلغي الحاجة لشفاعة الرسول وغيره

١. عن أبي عبد الله (يعني جعفر الصادق)، عن أبيه، عن علي عليه السلام، قال: إن للجنة ثمانية أبواب إلى أن قال ... فلا أزال واقفاً على الصراط أدعو وأقول: ربِّ سلم شيعتي، ومُحِبِيّ،

وأنصاري، ومن توّلاني في دار الدنيا. فإذا النداء من بُطنان العرش: قد أجيبت دعوتك، وشفعت في شيعتك".

٢. **في كتاب** "**الحكومة الإسلامية**" **يقول الخميني:** "فإن للإمام مقاماً محموداً، ودرجة سامية، وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرّات هذا الكون. وإن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا (وعلى رأسهم علي طبعاً) مقاماً لا يبلغه ملك مقرب، ولا نبي مرسل".

رابعاً: شفاعة فاطمة وحدها تلغي الحاجة لشفاعة الرسول وغيره

١. في "بحار الأنوار" ما رواه محمد بن مسلم، عن أبي جعفر، قال: لفاطمة وقفة على باب جهنم. فإذا كان يوم القيامة كتب بين عيني كل رجل "مؤمن أو كافر". فيؤمر بمجيب قد كثرت ذنوبه إلى النار. فتقرأ فاطمة بين عينيه "محباً" فتقول: إلهي وسيدي! سميتني فاطمة، وفَطَمْتَ بي من تولاّني وتولى ذريتي من النار. ووعدك الحق، وأنت لا تخلف الميعاد. فيقول الله عز وجل: صدقت يا فاطمة. إني سمتيك فاطمة، وفطمت بك من أحبك وتولاك، وأحب ذريتك وتولاهم، من النار. ووعدي الحق، وأنا لا أخلف الميعاد. وإنما أمرت بعبدي هذا إلى النار لتشفعي فيه. فأُشِّفعُك ليتبين لملائكتي وأنبيائي ورسلي وأهل الموقف، موقفك مني ومكانك عندي. فمن قرأتِ بين عينيه مؤمنا فجذبتِ بيده وأدخلتِه الجنة".

٢. في "أمالي الصدوق" قال صلى الله عليه وسلم: أيما امرأة صلت في اليوم والليلة خمس صلوات، وصامت شهر رمضان، وحجت بيت الله الحرام، وزكّت مالها، وأطاعت زوجها، ووالت عليا بعدي، دخلت الجنة بشفاعة ابنتي فاطمة.

٣. في مسند الإمام علي الرضا: قال صلى الله عليه وسلم: "إنما سَمَّيْتُ ابنتي فاطمة لأن الله تعالى فطمها وفطم من أحبها من النار".

خامساً: شفاعة أهل البيت تكمل شفاعة الرسول حينا، وتغني عنها حينا آخر

١. في "مجمع البيان"، وفي مناقب ابن شهر آشوب، قال صلى الله عليه وسلم: إني لأشفع يوم القيامة، ويشفع علي فيشفع، ويشفع أهل بيتي فيشفعون".

٢. في مناقب ابن شهر آشوب، قال صلى الله عليه وسلم: الشفعاء خمسة: القرآن، والرحم، والأمانة، ونبيكم، وأهل بيت نبيكم.

٣. في "الصحيفة السجادية"، قال علي بن الحسين: فإني لم آتك ثقة مني بعمل صالح قدمته، ولا شفاعة مخلوق رجوته، إلا شفاعة محمد وأهل بيته، عليه وعليهم سلامك.

٤. في مناقب ابن شهر آشوب، عن جعفر بن محمد: "والله لنشفعن لشيعتنا، والله لنشفعن لشيعتنا، والله لنشفعن لشيعتنا".

٥. قال صلى الله عليه وسلم: "مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها زُجَّ في النار". (شفاعة تغني عن شفاعة الرسول)

٦. روي عن الإمام جعفر الصادق أنه قال: بأن امرأة من أولاده تسمى فاطمة بنت موسى سوف تقبض في بلدة "قم"، وسوف يدخل بشفاعتها شيعتنا الجنة بأجمعهم". (شفاعة تغني عن شفاعة الرسول)

٧. روي عن المحدث الشيعي عباس القمي، أنه رأى الميرزا القمي ـ صاحب القوانين ـ في عالم الرؤيا، فسأله: هل إن شفاعة أهل قم بيد السيدة فاطمة المعصومة؟ فنظر إلى الشيخ عباس متعجباً، وقال: شفاعة أهل قم بيدي، وأما فاطمة المعصومة فشفاعتها لأهل العالم!! [يا سلام!]

سادساً: شفاعة شيعة أهل البيت ومحبيهم تغني عن شفاعة الرسول

١. في "بحار الأنوار"، عن أبي الحسن الأول عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله يقول: لا تستخفوا بفقراء شيعة علي وعترته من بعده، فإن الرجل منهم ليشفع لمثل ربيعة ومضر.

٢. في "خصال الصدوق"، قال علي عليه السلام: "لنا شفاعة، ولأهل مودتنا شفاعة".

٣. في "مسند الإمام علي الرضا": قال صلى الله عليه وسلم: يا علي! إن الله قد غفر لك، ولذريتك، ولشيعتك، ولمحبي شيعتك، ولمحبي محبي شيعتك".

٤. في "صحيحة ابن أبي نجران"، عن أبي الحسن عليه السلام أنه قال: من عادى شيعتنا فقد عادانا، ومن والاهم فقد والانا، لأنهم منا، خلقوا من طينتنا. من أحبهم فهو منا، ومن أبغضهم فليس منا. والله إن أحدهم ليشفع في مثل ربيعة ومضر، فيشفعه الله

تعالى فيهم، لكرامته على الله عز وجل، وأقلهم من يشفع بثلاثين".

سابعاً: شفاعة من هب ودب، مع الترخص والتسيب، تغني عن شفاعة الرسول

١. "في التهذيب"، عن محمد الباقر: "من تبع جنازة مسلم أعطي يوم القيامة أربع شفاعات".

٢. في "الصحيفة السجادية"، عن محمد الباقر: يشفع الرجل في القبيلة، ويشفع الرجل لأهل البيت، ويشفع الرجل للرجلين، على قدر عمله، فذلك المقام المحمود".

٣. في "الكافي"، عن محمد الباقر: إن أدنى المؤمنين شفاعة لَيَشْفع لثلاثين إنساناً. فعند ذلك يقول أهل النار: فما لنا من شافعين، ولا صديق حميم".

٤. في بحار الأنوار، والاختصاص للمفيد، وتفسير العياشي: قال جعفر الصادق: إن المؤمن ليشفع يوم القيامة لأهل بيته، فيشفع فيهم حتى يبقى خادمه. فيقول: فيرفع سبابته: يا رب! خُويدمي، كان يقيني الحر والبرد، فيشفع فيه". [كيف كان ذلك؟]

٥. في "بحار الأنوار"، قال الحسن العسكري، عن علي عليه السلام: "لا يزال المؤمن يشفع حتى يشفع في جيرانه، وخلطائه ومعارفه".

٦. في كتاب "وسائل الشيعة": من أغاث أخاه المسلم حتى يخرجه من هَمٍّ وكُربة وورطة كتب الله له عشر حسنات، ورفع له عشر درجات، وأعطاه ثواب عتق عشر نسمات، ودفع عنه عشر نقمات، وأعد له يوم القيامة عشر شفاعات. يا بلاش!!

٧. في كتاب "مستدرك الوسائل": "أيما مسلم طاف حول هذا البيت أسبوعاً، ثم أتى إلى المقام، فصلى خلفه ركعتين، كتب الله له ألف حسنة، ومحا عنه ألف سيئة، ورفع له ألف درجة، وأثبت له ألف شفاعة". [يا سلام!]

٨. في كتاب "مستدرك الوسائل" أيضاً، عن أبي عبد الله (يعني جعفر الصادق): "من مشى في حاجة أخيه كتب الله له بها عشر حسنات، وأعطاه الله عشر شفاعات".

٩. في "كتاب الكافي"، عن أبي عبد الله (يعني جعفر الصادق)، أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "من أتى مكة حاجاً، ولم يزرني إلى المدينة، جَفَوْتُه يوم القيامة، ومن أتاني زائراً وجبت له شفاعتي، ومن وجبت له شفاعتي وجبت له الجنة.

١٠. في كتاب "الكافي"، عن أبي عبد الله (جعفر الصادق) قال: إن المؤمن ليخرج إلى أخيه يزوره، فيوكل الله عز وجل به ملكاً. فيضع جناحاً في الأرض وجناحاً في السماء يظله. فإذا دخل إلى منزله نادى الجبار تبارك وتعالى: أيها العبد المُعَظِّم لحقي، المتبع لآثار نبيي، حق عَلَيّ إعظامك. سلْني أُعْطك. أُدعُني

أجبك. أسكت أبتدئك. فإذا انصرف شَيَّعه المَلَك، يظله بجناحه، حتى يدخل إلى منزله. ثم يناديه تبارك وتعالى: أيها العبد المعظِّم لحقي! حق عَلَيَّ إكرامك. قد أوجبت لك جنتي، وشفعتك في عبادي. [شفاعته في العباد تلغى سائر أنواع الشفاعات!].

١١. في "الكافي"، عن عبد بن عبد الله (يعني جعفر الصادق)، أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: إن العبد ليؤمر به إلى النار يوم القيامة، فيسحب، فيقول المؤمنون والمؤمنات: يا رب! هذا الذي كان يدعو لنا، فشفعنا فيه. فيشفعهم الله عز وجل، فينجو من النار برحمة الله عز وجل.

١٢. في الكافي، وفي من لا يحضره الفقيه، وفي تهذيب الأحكام: عن أبي جعفر عليه السلام يقول: من تبع جنازة مسلم أعطي يوم القيام أربع شفاعات.

١٣. في كتاب "وسائل الشيعة"، عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من حفظ من أمتي أربعين حديثاً من السنة كانت له شفيعاً يوم القيامة.

١٤. في كتاب "من لا يحضره الفقيه": ألا ومن أذّن محتسباً، يريد بذلك وجه الله عز وجل، أعطاه الله ثواب أربعين ألف شهيد! وأربعين ألف صدّيق! ويدخل في شفاعته أربعون ألف مُسيء من أمتي إلى الجنة"! [يا سلام!].

١٥. في كتاب "وسائل الشيعة"، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من شفع لأخيه شفاعة طلبها نظر الله إليه، فكان حقا على الله أن لا يعذبه أبداً. فإن هو شفع لأخيه شفاعة، من غير أن يطلبها، كان له أجر سبعين شهيداً.

١٦. في كتاب "من لا يحضره الفقيه": من صلى على ميت صلى عليه سبعون ألف مَلَك، وغفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. فإن أقام حتى يدفن ويُحثى عليه التراب كان له بكل قدم نقلها قيراط من الأجر. والقيراط مثل جبل أحد. ألا ومن ذرفت عيناه من خشية الله عز وجل، كان له بكل قطرة قطرت من دموعه قصر في الجنة، مكللاً بالدر والجوهر، فيه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وبعد، فهذه التناقضات الفاحشة المزرية لا تذر مقالاً لقائل بأن أحاديث الشفاعة عند أهل الشيعة، مثلها مثل أحاديث الشفاعة عند أهل السنة، كلها موضوعة باطلة، ساقطة، مخزية، يكذب بعضها بعضاً. فيها استهتار، ما بعده استهتار، بعقول المسلمين خاصة وبعقول البشر عامة. وهي، إن دلت على شيء، فإنما تدل على بطلان فكرة الشفاعة، من أساسها، وأنها فكرة سخيفة مزرية، يعتبر التصديق بها وصمة عار في جبين الأمة الإسلامية. وهي فكرة هدامة، ودسيسة فظيعة، أدخلها أحبار اليهود ورهبان النصارى، في وقت مبكر من تاريخ المسلمين، كي يُغْروهم

بالتهاون والتراخي والتخاذل في تطبيق أحكام الإسلام، في حياتهم العامة والخاصة، وأن يستنيموا على الرضا بشيوع الفواحش والموبقات والمنكرات، وأن يسرحوا ويمرحوا ويتمتعوا بنعيم هذه الدنيا الزائل كيفما كان، قبل فوات الأوان، طالما كانت لهم الشفاعة بالمرصاد في دار الخلود، لمكافأتهم على ما قدمت أيديهم من شرور ومعاصي، وفساد وإفساد في الأرض، بجنات تجري من تحتها الأنهار، خالدين فيها أبداً، بلا إيمان صادق، ولا عمل صالح، يعني بلا حساب ولا عذاب!!

ولم يقتصر أمر هذا السقوط في مستنقع الشفاعة على أهل الشيعة وأهل السنة، بل نراه لم يغادر غيرهم، من معتزلة وإباضية وصوفية ومن لف لفهم من سائر الفرق والجماعات، لم يغادر أحداً منهم إلا أرداه في حمأتها، وما يزال الجميع يتخبطون فيه حتى يوم الناس هذا.

وكما أسلفنا من قبل، فما على العقلاء من ذوي الكفاية والنزاهة والإخلاص، في أرجاء الأمة الإسلامية، التي فرض الله عليها أن تكون خير أمة أخرجت للناس، بعد هذا كله، إلا أن يتدبروا أمرهم من جديد، ويعودوا إلى منهاج الدراية، لتحرير التراث الإسلامي من كل غَثٍّ مُشين، إحقاقا للحق المبين، وإزهاقاً للباطل المهين، وردَّاً للاعتبار، لكل عقل سليم ولكل فهم قويم.

ورحم الله من قال:

فلا تُصدِّق بما البرهانُ يُبْطله فتستزيدَ من التصديق تكذيباً

وإذا كان خير الكلام ما قلّ ودلّ فلا يسعنا في هذا المقام إلا أن نكرر ما قلناه من قبل وهو: أن لا شفاعة لبشر في بشر، حتى ولو كانوا رسلاً أو أنبياء، ولا شفاعة لملائكة في بشر، ولا شفاعة لأوثان في عبدتها، ولا شفاعة لآلهة مزعومة في عُبّادها. ودخول الجنة أو دخول النار يوم القيامة إنما هو رهن بعمل الإنسان في حياته الدنيا، صالحاً كان ذلك العمل أم غير صالح. فهذا هو قانون العدالة الإلهية في الجزاء والعمل، لا شيء قبله ولا شيء بعده. فلا شفاعة ولا شفيع، بل إيمان وتوبة وعمل صالح ليس غير. وأن ليس للإنسان إلا ما سعى، وأن سعيه سوف يرى، ثم يجزاه الجزاء الأوفى، وكل نفس بما كسبت رهينة. فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره. فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية، وأما من خفت موازينه فأمه هاوية. ونضع الموازين القسط يوم القيامة، فلا تظلم نفس شيئاً، وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها، وكفى بنا حاسبين. ورحم الله الشاعر الذي قال:

تبغي النجاة ولم تَسْلُك مسالِكَها إن السفينة لا تجري على اليَبَسِ

غياب الدراية عند الفقهاء

نماذج:

١. **القاضي أبو يوسف**، من أهل السنة.

٢. **مالك بن أنس**، من أهل السنة.

٣. **أحمد بن حنبل**، من أهل السنة.

٤. **الصدوق ابو جعفر القمي**، من أهل الشيعة.

٥. **الكليني**، من أهل الشيعة.

إن فقهاء المسلمين عامة، عبر العصور، كانوا في غالب أمرهم يقفون مغلولي العقول أمام روايات المحدِّثين الذين كانت القاعدة الذهبية عندهم هي: أن ما صح سَنَدُه صح مَتْنُه، أو أن ما صح روايةً صح درايةً. وقلَّ منهم من كانوا يُعملون الدراية في تمحيص الأخبار والروايات، قبل اعتمادها مصدراً من مصادر التشريع، وأدلة في الاستنباط والاجتهاد. فلقد غابت الدراية، باعتبارها منهاجاً لمحاكمة متون الروايات، إلى حد كبير، عن موقفهم من روايات المحدِّثين. والذين كانوا منهم محدثين، إلى جانب كونهم فقهاء، لم يختلفوا عن سائر المُحدِّثين في شيء. فأضاعوا البوصلة، كما أضاعها غيرهم من الأصوليين والمفسرين، وكتاب السيرة والمؤرخين. فأورثونا تناقضات وخلافات فقهية هائلة مذهلة، لا مبرر لها ولا لزوم، لها أول وليس لها آخر. كما أورثونا فتاوى متهافتة

ساقطة يندى لها الجبين. والذين وصلت إلينا لهم دراسات أو مقولات أو قواعد في المتون، مثل ابن القيم الجوزية في كتابه "نقد المنقول"، وابن الجوزي في كتابه المشهور "الموضوعات"، والخطيب البغدادي، والبزدوي، والاسنوي، والكرابيسي وغيرهم من القدماء، ومن سار على دربهم من المحدثين، لم تزد على أن كانت عرض عضلات، لم يَدْخل أحَد منهم بها حلبة الصراع الفكري. وظلوا عبيداً وسدنة وأسرى للروايات، صحيحها وسقيمها، صادقها وكاذبها على حد سواء. **وظل التأويل الفاسد هو سيد الموقف عندهم**، وهو المظلة، التي تقيهم الحر والبرد. وحسبنا في هذا المقام، أن نشير على من أحب أن يطلع على نماذج كثيرة جداً من التأويلات المتناقضة، الساقطة الفاسدة، أن يطّلع على كتابين مشهورين قديمين من كتب التأويل هما:

أ. كتاب "**تأويل مختلف الحديث**"، لابن قتيبة ٢١٣-٢٧٦هـ.

ب. كتاب "**مشكل الحديث وبيانه**" لابن فورك المتوفي ٤٠٦هـ، ولا يسعه بعد ذلك إلا أن يقول: حسبنا الله ونعم الوكيل!!

I. القاضي أبو يوسف

فهذا القاضي أبو يوسف، الإمام الثاني في المذهب الحنفي بعد الإمام أبي حنيفة، كان الخليفة العباسي هارون الرشيد، قد اقترح عليه أن يُصِّنف له كتاباً جامعاً في أحكام الأراضي في أرجاء الدولة الإسلامية، وما يترتب على رعايا الدولة، مسلمين وذميين، من خراج وعشور، وجزية وزكاة، وسائر أنواع الالتزامات المالية تجاه بيت المال. فلبىّ أبو يوسف دعوة هارون هذه، وكتب له كتاباً سمّاه "**الخراج**".

غير أننا نجد أن أبا يوسف، وفي ثنايا هذه المنظومة الاقتصادية الهامة، قد أورد، على سبيل الهداية والاسترشاد، كثيراً من الأحاديث التي ما كان يجوز أن يتداولها إمام وفقيه كبير مثله، لو تسلح بالدراية، ولم يقف عند حدود الرواية، بعجرها وبجرها.

وفيما يلي بضعة **نماذج من كتابه الخراج** نلقي من خلالها الضوء على خطورة الخلل الذي وقع فيه القاضي أبو يوسف رحمه الله، كغيره من كثير من العلماء والفقهاء، نتيجة غياب الدراية، كلياً أو جزئياً، عن فقهه ودراساته واجتهاده:

١. عن معاذ بن جبل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**ما عمل ابن آدم من عمل أنجى له من النار من ذكر الله.** قالوا: يا رسول الله! ولا الجهاد في سبيل الله؟ فقال: ولا الجهاد في سبيل

الله. ولو أن تضرب بسيفك حتى ينقطع، ثم تضرب به حتى ينقطع، ثم تضرب به حتى ينقطع". (قالها ثلاثاً)

واضح، غاية الوضوح، أن الذي صمم هذا الحديث إنما كان يريد أن يضرب محوراً أساسياً من محاور الإسلام، ذلكم هو الجهاد في سبيل الله. لأنه كان يعلم أن الجهاد هو ذروة سنام الإسلام، وهو سبيل قوته ومنَعَته وعِزَّته وحمل رسالته للعالمين. فطالما أن مجرد ذكر الله وحده هو طريق مختصر رخيص، مفروش بالورود والرياحين، لدخول جنات النعيم، والنجاة من عذاب الجحيم، من غير جهد ولا مال ولا فداء، فما حاجة المسلم بعد ذلك إلى أن يتجشم المشاق والمخاطر والتضحيات حين يضع الجهاد على رأس سُلَّم أولوياته، وفي ذروة اهتماماته؟!!

وإذا كان ترتيب الأولويات ترتيباً صحيحاً في ديننا يجري على هذا المنوال الذي سطّره الوضاعون في هذا الحديث الكاذب، فلماذا ظل هارون الرشيد يغزو عاماً ويحج عاماً، ولم يغير أولويات دينه، ولم يلتفت إلى هذا الحديث وأمثاله من أحاديث البدائل الرخيصة المريحة في الدنيا وفي الآخرة؟!!

٢. عن الحسن البصري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**لا تسبُّوا الولاة، فإنهم إن أحسنوا كان لهم الأجر وعليكم الشكر، وإن أساءوا فعليهم الوزر، وعليكم الصبر. وإنما هم نقمة ينتقم الله بهم ممن يشاء**".

يعني أن الحكام، وإن خرجوا عن جادة الحق والصواب، فلا تترتب عليهم أية مسؤولية تجاه رعيتهم. بل على هؤلاء المظلومين المسحوقين من رعاياهم أن يصبروا ويحتسبوا صبرهم، عند الله تعالى وحده، يوم القيامة. وليظل الطغاة سادرين في غَيِّهم وضلالهم وظلمهم إلى ما شاء الله، بلا رقيب ولا حسيب، كما قال الشيخ محمد متولي شعراوي في حق الرئيس المصري أنور السادات ذات مرة: لولا أن أتهم بمبالغة في القول لقلت إن هذا الرجل . أعني السادات . ينبغي أن يوضع في منزلة لا يسأل فيها عما يفعل، وهم يسألون.

٣. عن أبي بكر أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: **إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يُغَيِّروه أوشك الله أن يَعُمَّهم بعقابه**".

فهل بلغ غياب الدراية عند أبي يوسف حدّا جعله لا يرى التناقض الواضح بين هذا الحديث والحديث المزعوم الذي قبله؟! فهذا الحديث، خلافا للذي قبله، يُحرِّم على الأمَّة أن تسكت أو تصبر على المنكر، كما يفرض عليها أن تُغيِّره، وإلا عمها الله بالعقاب في الدنيا، حين لم تأخذ بالأسباب، وفي الآخرة عند الله لها أشد العذاب.

٤. عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**إن لله ملائكة سيّاحين في الأرض، يُبْلغوني عن أمتي السلام**".

كان علي أبي يوسف أن يرد هذا الحديث لسببين:

الأول: أنه حديث في المغيبات، وهذه لا تثبت إلا بدليل قطعي. وهذا حديث آحاد لا تقوم به في أمور الغيب حجة.

الثاني: أن الرسول صلى الله عليه وسلم يموت كما يموت سائر البشر، فتنقطع صلته بالحياة انقطاعاً تاماً عند موته. فلا يمكن، والحالة هذه، أن يستقبل السلامات والتحيات الطيبات من أحد من العالمين. قال تعالى مخاطباً نبيه الكريم: " إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَّيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ". فلا تُرَدُّ لميت حياة، لا لرسول الله ولا لغيره، إلا يوم القيامة، يوم البعث والنشور. قال تعالى: "وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ".

٥. عن أنس قال: لما أُسْري بالنبي صلى الله عليه وسلم، ودنا من السماء، سمع دوياً فقال: "**يا جبريل ما هذا؟ قال: حجر قذف به من شفير جهنم. فهو يهوي فيها سبعين خريفاً**. فالآن حين انتهى إلى قعرها".

وهذا أيضاً حديث آحاد في المغيبات، فلا تقوم به في موضوعه حجة.

ثم إن هذه الصورة التي يرسمها هذا الحديث المزعوم لهول جهنم وإتساعها . حتى إن الحجر الواحد لَيَسِتغرقُ سبعين خريفاً حتى يقطعها من شفيرها إلى قعرها . هي صورة عبثية، لا مناسبة لها، ولا فائدة ترجى منها. فإن كانت لتخويف الرسول وإرهابه، وإثارة الذعر

في نفسه من أهوال جهنم، فإن الله سبحانه وتعالى قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. فهو ليس في حاجة إلى مثل هذه القصص والحكايات.

وصية الرسول لتميم الداري

٦. والعجب كل العجب فيما أورده أبو يوسف في آخر صفحة من كتابه، بل وفي آخر فقرة من فقراته، وبدون مقدمات، وبلا سباق ولا سياق، **وصية الرسول المزعومة لتميم الداري وذريته، في أرض الشام.**

قال بالحرف الواحد في كتابه الخراج: أخبرني شيخ من قريش عن الزهري أن مصر والشام افتتحت في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأن إفريقية وخراسان وبعض السند افتتحت في زمن عثمان رضي الله عنه. قال: فقال تميم الداري، وهو تميم بن أوس، رجل من لخم .: "يا رسول الله! إن لي جيرة من الروم بفلسطين، لهم قرية يقال لها جَيْرون، وأخرى يقال لها عَيْنون. فإن فتح الله عليك الشام فهبهما لي. فقال صلى الله عليه وسلم: هما لك. قال: فاكتب لي بذلك كتابا. قال: فكتب له: "**بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من محمد رسول الله لتميم بن أوس الداري، أن له قرية جَيْرون وبيت عَيْنون، قريتهما كلهما، وسهلهما، وجبلهما، وماؤهما، وحرثهما وأنباطهما، وبقرهما، ولعقبه من بعده، لا يحاقُّه فيهما**

أحد، ولا يَلِجُهما عليهم أحد بظلم. فمن ظلم واحداً منهم شيئاً فإن عليه لعنة الله".

ثم يمضي أبو يوسف في "الخراج"، قال: فلما ولي أبو بكر رضي الله عنه كتب لهم كتاباً نسخته: "بسم الله الرحمن الرحيم. هذا كتاب من أبي بكر، أمين رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي استخلف في الأرض بعده، كتبه للداري أن لا يفسد عليهم سَبَدهم ولَبَدهم، من قرية جيرون وعينون. فمن كان يسمع ويطيع الله فلا يفسد منهما شيئاً، وليقم عمودي الناس عليهما، وليمنعهما من المفسدين".

ويا ليت الحكاية وقفت عند حدود هذا النص الخطي المزعوم، كما ورد في كتاب الخراج. بل إننا لنجدها قد انسابت في كتب المحدثين والفقهاء والمؤرخين والباحثين في التراث على صيغ مختلفة، فيها زيادة ونقص، وفيها اختلاف في اسماء الأماكن والبلدان، وفيها اختلاف في أسماء من شملتهم الوصية، وفيها اختلاف في تاريخ حصولها، وفيها اختلاف في اسماء الشهود الذين أدرجت اسماؤهم في متنها، وفيها ركاكة وأخطاء لغوية لا تليق بوصية صادرة عن مشكاة النبوة، وفيها تناقض واضح داخل متنها.

وعلى الرغم من ذلك كله فإن أحداً من المحدثين أو الفقهاء أو المؤرخين أو كتاب السيرة لم يستعمل الدراية في شأن هذه السقطات الفاحشة المزرية، في هذه الوصية المزعومة، حيث كانت

كل سقطة واحدة منها تشكل سبباً كافياً موجباً لردها، مصحوباً باللعنة على كل من ساهم في اختراعها وتأليفها.

ومع ذلك فقد تلقاها المحدثون، والفقهاء، والمؤرخون، وكتاب السيرة، بالرضى والقبول والتسليم، وراحوا يفردون لها مساحات واسعة في كتبهم ومؤلفاتهم. حتى لقد خصص لها بعضهم كتبا أو رسائل كاملة، تعظيماً لها وتكريماً. فالسيوطي كتب فيها: "الفضل العميم في إقطاع بني تميم"، والمقريزي: "الضوء الساري في معرفة خبر تميم الداري"، وغيرهم من الكتاب كابن حجر العسقلاني، والحافظ شمس الدين الدمشقي، وغيرهم.

أما غير هؤلاء من أصحاب الآثار والمؤلفات في التراث فلا نكاد نجد لهم كتاباً إلا وقد وطَّأ لهذه الحكاية الأكناف، وفرش لها الطنافس والسجاد. والأمثلة على ذلك كثيرة وغزيرة منها:

سيرة ابن هشام، والسيرة الحلبية، والأموال لأبي عبيد، والطبقات الكبرى لابن سعد، ومروج الذهب للمسعودي، والمغازي للواقدي، وفتوح البلدان للبلاذري، وتاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، والمعجم الكبير للطبراني، وأسد الغابة في معرفة الصحابة، وصبح الأعشى للقلقشندي، والتراتيب الإدارية للكتاني، والأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل، والوثائق السياسية للعهد النبوي والخلاقة الراشدة للدكتور محمد حميد الله، والمناقب لابن شهر آشوب، وكنز العمال،

وجمهرة أنساب العرب، والتمهيد للسبكي، والإعلام للزركلي، ونهاية الأدب للنويري، والبداية والنهاية لابن كثير، والخراج لأبي يوسف.

فأرباب هذه الكتب والمؤلفات والمعاجم، من مؤرخين وكُتّاب سيرة وفقهاء ومحدثين وباحثين في التراث، قد تناقلوا هذه الوصية المزعومة وَأَوْلَوْهَا أهمية خاصة غير عادية. وسرحوا وشطحوا، وفصّلوا وأوَّلوا ما طاب لهم التفصيل والتأويل، من غير أن يكون للدراية في أمر هذه الوصية عندهم من سبيل.

ولو أننا رجعنا إلى الفريضة المصيرية الغائبة في التراث، أعني بها الدراية، وفعّلنا منهاجها تفعيلاً نزيها حقيقياً في أمر هذه الوصية، لوصلنا إلى جملة من الأسباب الموجبة لردها جملة وتفصيلاً:

أولاً: التناقض الداخلي في متن الوصية

كما وردت في كتاب الخراج وفي مصادر أخرى شبيهة له:

"فقام تميم الداري، وهو تميم بن أوس، رجل من لخم . فقال: يا رسول الله! إن لي جيرة من الروم بفلسطين، في قرية يقال لها جَيْرون، وأخرى يقال لها عَيْنون. فإن فتح الله عليك الشام فهبهما لي. فقال صلى الله عليه وسلم: هما لك".

لاحظ هنا أن تميما الداري لم يطلب من الرسول صلى الله عليه وسلم، في هذه الوصية المزعومة، أن يقطعه تلكما القريتين في الحال، بل كان طلب تميم مرهوناً بفتح بلاد الشام في قوله "فإن فتح

الله عليك الشام". غير أن الوصية تذهب إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم بادر من فوره، وقبل أن يتحقق من صدق إسلام الرجل وإيمانه، فأقطعه إياها، وكتب له في ذلك وصية خطية. فملَّك صلى الله عليه وسلم تميماً أرضاً وبلاداً ليست ملكاً له، ولا خاضعة لسلطانه. وهي علاوة على ذلك، كما يقول تميم في طلبه، قرى لها أصحابها القائمون عليها. وهؤلاء، كما نقول نحن، قد يدخلون في الإسلام عند فتح بلادهم. فكيف يجوز أن تُملَّك هذه البلاد الشاسعة الواسعة لأناس لا حق لهم فيها، ويداس على حقوق أصحابها الأصليين، بلا وجه حق، ولا مبرر شرعي! إن الإسلام ليس دينا همجياً كما يطيب لأعدائه والحاقدين عليه، أن يصوروه. بل هو . في ظل سلطانه . يحفظ حقوق الناس كافة، سواء كانوا مسلمين، أم كانوا كفاراً ذميين أو موادعين، أو كفاراً حربيين تربطنا بهم معاهدات ومواثيق.

ثانياً: اختلاف عدد المشمولين في الوصية بين صيغة وأخرى

الصيغة المعتمدة في كتاب الخراج تحصر المشمولين بتميم الداري وحده وبذريته من بعده، بينما نجد صيغة ثانية مماثلة في طبقات ابن سعد تجعل الوصية لنعيم بن أوس، أخي تميم الداري وحده ولذريته من بعده. وفي صيغة ثالثة عند ابن عساكر تجعل الوصية لتميم الداري وأصحابه وكانوا خمسة نفر هم: أخوه نعيم بن أوس، ويزيد بن قيس، وأبو هند بن عبد الله وأخوه الطيب بن عبد الله

وفاكه بن النعمان. وفي صيغة رابعة في طبقات ابن سعد أيضاً تجعل الوصية في تميم الداري وتسعة من رفاقه: هم أخوه نعيم، ويزيد بن قيس، والفاكه بن النعمان، وجبلة بن مالك، وأبو هند وأخوه الطيب، وهاني بن حبيب، وغريز ومُرَّة ابنا مالك ابن سواد.

ثالثاً: اختلاف في البلدان التي تشملها الوصية

في صيغة كتاب الخراج نصت الوصية على قرية جيرون وقرية بيت عينون. وفي صيغة ثانية، عند ابن عساكر، نصت على عين حَبرون، والرَّطّوم، وبيت إبراهيم. وفي صيغة ثالثة أن تميما الداري سأل الرسول صلى الله عليه وسلم أن يقطعه قريات بالشام: عينون وقلاية والموضع الذي فيه قبر إبراهيم وإسحق ويعقوب. قال: وكان بها ركحة ووطيئة. قال: فأعجب ذلك رسول الله. فقال: إذا صليت فسلني ذلك، ففعل. فأقطعه إياهن بما فيهن.

وفي صيغة رابعة، عن البادرائي، وهو صاحب المدرسة البادرائية القديمة بدمشق، أنه شاهد صورة بخط أمير المؤمنين علي بن أبي طالب تجعل الوصية في عيرون والمرطوم وبنت عينون، وبنت إبراهيم.

وفي صيغة خامسة، في التراتيب الإدارية للكتاني، تجعل الوصية في بيت عينون، وجيرون، والمرطوم، وبيت إبراهيم.

وفي صيغة سادسة، في صبح الأعشى، تجعل الوصية في صهيون الذي قيل إنها هي الروم. وقيل هي بيت المقدس. وقيل هو

حصن حصين من أعمال سواحل بحر الشام من أعمال حمص، كما ورد في معجم البلدان.

رابعاً: اختلاف الشهود

صيغة كتاب الخراج لا شهود فيها. أما الصيغ الأخرى ففي إحداها أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ومعاوية. وفي صيغة ثانية كان الشهود عباس بن عبد المطلب، وجهم بن قيس، وشرحبيل بن حسنة. وفي صيغة ثالثة العباس وخزيمة بن قيس وشرحبيل بن حسنة. وفي صيغة رابعة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي بدون معاوية.

ومن الجدير بالذكر أن نلاحظ أن معاوية بن أبي سفيان لم يهاجر إلى المدينة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم قط. بل ظل قابعاً في مكة مع أهله وذويه من المؤلفة قلوبهم، طيلة حياة الرسول بعد فتح مكة. وهل أقفرت دار الهجرة من الشهود العدول حتى يلجأ الرسول صلى الله عليه وسلم إلى معاوية كي يكون شاهداً بين يديه؟

خامساً: اختلاف في أسماء البلاد الواردة في الصيغ المختلفة للوصية

أ. حبرون: وردت بأشكال مختلفة:

حبرون، جيرون، جرا، حِبَرى، جبرون، جيرين، عين حبرون، جرون، بيت جيرون.

ب. الرطوم: وردت كذلك بأشكال مختلفة:

الرطوم، المرطوم، المرضوم، رطّومة، المرطون، المرطهوم.

ج. عينون وردت كذلك بأشكال مختلفة:

عينون، بيت عينون، بنت عينون، بيت عين.

د. بيت إبراهيم، ووردت كذلك بنت إبراهيم.

سادساً: اختلاف في تاريخ حصول الوصية

أ. الزعم الأول أن تميما الداري وأخاه نعيم وأربعة آخرين من أصحابه وفدوا على الرسول صلى الله عليه وسلم وهو في مكة قبل الهجرة، وسألوه أن يعطيهم أرضا من أرض الشام. فكتب لهم كتاباً في ذلك. ثم قال لهم: انصرفوا حتى تسمعوا أني هاجرت إلى المدينة.

فلما هاجر صلى الله عليه وسلم إلى المدينة قدموا عليه، وسألوه أن يجدد لهم كتاباً آخر ففعل.

ب. الزعم الثاني، كما يذكره ابن سعد في الطبقات، أنهم لم يقابلوا الرسول صلى الله عليه وسلم إلا مرة واحدة. وذلك بعد عودته صلى الله عليه وسلم من تبوك، في السنة التاسعة للهجرة. فأسلموا، وكتب لهم الرسول الوصية المزعومة في تلك الرحلة.

سابعاً: الركاكة والأخطاء اللغوية التي لا تليق بوثيقة نبوية كتبت بإشرافه بلغة قريش

أ. ابن أبي قحافة كتبت: "ابن أبو قحافة".

ب. علي بن أبي طالب كتبت: "علي بن أبو طالب".
ج. نطية تب، يعني عطية لا رجعة فيها.
د. أبد الأبد، بدل أبد الآبدين.

فهذه الاختلافات والتناقضات التي تحيط بالوصية التميمية من كل جانب، وهذا التعدد الذي ينطوي على اختلاف جوهري في مضمون كل صيغة عن الأخرى، وهذا التناقض في تواريخ حصول الواقعة، كل ذلك في وصية نبوية مخطوطة وليست شفوية، تكفي كل واحدة منها لردها أصلاً وفصلاً، بلا تردد ولا هوادة.

وكان المفروض أن يحتفظ تميم الداري بهذه الوثيقة، وأن يحافظ عليها محافظة الإنسان على أعز ما يملك، ليحج بها من يمكن أن يتنكر لها من خلفاء الرسول. فإذا كان الأمر كذلك فكيف، ولماذا، تغيرت صيغة الوصية حتى فَقَد تميم الداري خصوصيتها، وما انطوت عليه من عطاء غير مجذوذ؟ وأي صيغة هي التي كان يحتج بها تميم لدى خلفاء الرسول، كما ورد في رواية أبي عبيد القاسم بن سلام، في كتاب الأموال، عن عكرمة قال: "لما أسلم تميم الداري قال: يا رسول الله! إن الله مظهرك على الأرض كلها، فهب لي قريتي من بيت لحم. قال: هي لك. قال: وكتب له بها".

فلما استخلف عمر، وظهر على الشام، جاء تميم بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال عمر: أنا شاهد ذلك. فأعطاه إياه. قال: وبيت لحم هي القرية التي ولد عيسى بن مريم فيها.

وفي رواية أخرى لأبي عبيد عن ابن سيرين، عن تميم الداري قال: "استقطعت رسول الله أرضاً بالشام قبل أن تفتح، فأعطانيها. ففتحها عمر بن الخطاب في زمانه. فأتيته فقلت: إن رسول الله أعطاني أرضا من كذا إلى كذا. فجعل عمر ثلثها لابن السبيل، وثلثها إلى عمارتها، وثلثها لي. فكيف جاز لعمر بن الخطاب أن يتخطى أمر الرسول بهذه البساطة والاستهتار، ويحرم تميماً الداري وآله من ثلثي الوصية، بعد أن أقر بصحتها واعتبر نفسه شاهداً عليها؟!

فما هي إذن الصيغة الحقيقة للوثيقة المكتوبة عند تميم الداري، التي كان يراجع فيها خلفاء الرسول، والمسؤولين في دولة الإسلام فيما بعد، ويحجهم بها، وهو وذريته من بعده؟! وكيف صارت هذه الوثيقة مجموعة من الوثائق، كل واحدة منها تختلف عن الأخرى في شكلها ومضمونها، طالما أن لها مصدراً واحداً، ومرجعية واحدة، هي الصيغة التي استلمها تميم الداري من الرسول صلى الله عليه وسلم يوم كتبت له؟!.

وبهذا الصدد . أعني حكاية تميم الداري ووصيته المزعومة . هنالك جملة من الملاحظات ينبغي أن يتدبرها أولو الألباب:

أولاً: أن تميما الداري هذا، بكل ما أوتي من حيلة ودهاء، استطاع أن ينسج حول نفسه أساطير وخرافات مذهلة، انطلت على عامة المسلمين.

من ذلك أن له حديثاً مشهوراً عند البخاري ومسلم وأحمد بن حنبل، وأبو يعلى، وأبو داود، وابن ماجة، وهو معروف باسم **حديث الجساسة،** فيه من الغرائب والعجائب والأساطير ما تضيق به عقول البشر، ويكاد يذهب بالألباب.

فذات يوم، وبعد أن أذَّن مؤذن الرسول للصلاة، وأدى الرسول صلاته في جمع غفير من المسلمين، جلس عليه السلام على المنبر وهو يضحك! فقال: أتدرون لِمَ جمعتكم؟ إني والله ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة. ولكني جمعتكم لأن تميما الداري كان رجلاً نصرانياً، فجاء وأسلم وبايع، وحدثني حديثاً وافق الذي كنت أحدثكم عن المسيح الدجال.

فأورد الرسول في ذلك المقام قصة تميم الداري، وأنه ركب سفينة مع ثلاثين رجلاً من قومه. فساقتهم أمواج البحر العاتية إلى جزيرة نائية بعد أن ضلوا في البحر شهراً. فلقيتهم فيها دابة أهلب كثير الشعر، لا يعرف قُبُلُه من دُبُرِه من طول الشعر الذي يكسوه وغزارته. فقالوا له: ويلك من أنت؟ **فقالت: أنا الجساسة.** وأشارت عليهم أن ينطلقوا إلى دير قريب. وهنالك فوجئوا بوجود أعظم إنسان خَلْقاً، وأشده وثاقاً. فأخبرهم عن نفسه بأنه المسيح. وهو يوشك أن يؤذن له في الخروج. وحينئذ سوف يسير في الأرض، لا يدع قرية إلا هبطها، في أربعين ليلة، غير مكة والمدينة، لأنه محرم عليه دخولهما.

وتعليقاً على هذه الحكاية، وما تخلَّلها من غرائب وعجائب، يسأل الرسول صلى الله عليه وسلم الناس فيقول لهم: ألا هل كنت حدَّثتكم ذلك؟ فيقولون: نعم. فيقول: **فإنه أعجبني حديث تميم. إنه وافق الذي كنت أحدثكم عنه**، وعن مكة والمدينة".

هذه الأسطورة الفظيعة، والأكذوبة النادرة المثال، قد جعلت من تميم الداري مرجعاً يستشهد به الرسول الله صلى الله عليه وسلم في أمور الغيب، والله تعالى يقول في حقه: "وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً"، فضل الله، وليس فضل تميم الداري المزعوم.

فتميم الداري، والحالة هذه، يكون قد برهن في حديث الجساسة المزعوم هذا، بأنه يتمتع بمنزلة رفيعة خاصة عند الله، لا يكاد يبلغها نبي مرسل، ولا ملك مقرّب.

أفلهذا إذن كافأه الرسول مكافأة لم يحلم بمثلها أحد من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، ممن رضي الله عنهم ورضوا عنه؟.

ثانياً: هل يعقل أبداً أن يُقطع الرسول بلادا بأكملها، الأرض وما عليها من بناء وشجر، وزروع وثمار، وحيوانات من فصائل شتى، في السنة التاسعة للهجرة، وفي أخريات حياته، وفي وقت تركزت فيه دولة الرسول، ولم تعد في حاجة إلى أحد من أصحاب القوة والمنعة والنفوذ، ممن يحسب حسابهم، لتأليف

قلوبهم واتقاء شرهم؟! وهل يعقل أن يفعل الرسول ذلك مع راهب مسيحي عابر سبيل، لا سابقة له في الإسلام، ولا هجرة، ولا جهاد، بمجرد أن يطلب من الرسول ذلك، حتى قبل أن يتحقق الرسول من صدق إيمانه وحقيقة إسلامه، في وقت كانت تعج به دولة الرسول صلى الله عليه وسلم بالمنافقين والمندسين، أشكالاً وألواناً؟!

ولو جاز في حق الرسول ذلك، لفتح الأبواب على مصراعيها، للطامعين بغير حساب، كل يطلب من الرسول أن يقطعه بلاداً بأكملها، كما فعل مع عابر السبيل تميم الداري، الذي نال هذه الحظوة العظيمة، وهذه المكافأة التي لا مثيل لها في تاريخ البشر، من قبل أن يقف الرسول صلى الله عليه وسلم على حقيقة إسلامه وإيمانه، أو كفره ونفاقه! وحينئذ لن تكفي الكرة الأرضية برمتها لإشباع أطماع نفر قليل من رعايا دولة الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة. وعندها سوف تصبح جيوش الفتح الإسلامي، بقضها وقضيضها، في أرجاء المعمورة، مجموعة من العبيد، في خدمة زمرة من الطامعين الذين لا يستحق أحدهم إلا اللعنة تطارده إلى يوم الدين!.

كفى بهذه الوصية التميمية بهتاناً، واستخفافاً، وإثماً عظيماً!!

ثالثاً: إن الوصية التميمية المزعومة، في صيغها المختلفة، قد صبَّت لعنة الله وغضبه على كل من ظلم واحداً من آل تميم شيئاً.

فهل، يا ترى، كان الله سبحانه وتعالى قد منح تميماً الداري وذريته وأصحابه، ممن شملتهم هذه الوصية، العصمة الكاملة إلى أبد الآبدين، فيكون الحق والصواب دوماً إلى جانبهم، وأن من خاصمهم في شيء كان معتدياً على أولياء الله من آل تميم، متمرداً على وصية رسوله الكريم، مستحقاً غضب الله ولعنته إلى يوم الدين؟!!

رابعاً: والأنكى من ذلك كله أن إحدى الروايات تزعم أن تميماً الداري قد وَفَد، مع خمسة من أقاربه وأصحابه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو في مكة، في وقت مبكر قبل الهجرة، وطلبوا منه، رغم ما كان عليه الرسول من حال يرثى لها، من القطيعة والاضطهاد والتشرد، والعجز، والحرمان من قبل كفار قريش، طلبوا منه أن يقطعهم أرضاً من أرض الشام. فكتب لهم صلى الله عليه وسلم في ذلك كتاباً سلمهم إياه، ثم قال لهم: انصرفوا حتى تسمعوا أني هاجرت".

وهذه الرواية لا تذكر أن تميماً وصحبه قد وفدوا إلى الرسول أصلاً لإعلان إسلامهم، طالما اعتقدوا أنه كان نبياً ورسولاً وصاحب معجزات. بل تذهب سائر الروايات الأخرى إلى أنهم وفدوا على

الرسول مرة واحدة في السنة التاسعة للهجرة. وحينها فقط أعلنوا إسلامهم، وكانوا عشرة نفر. وهذا يعني أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد لبّى طلبهم وهو في مكة، رغم عجزه وهوانه، وتميم وصحبه كفار لا تربطهم بالرسول وأتباعه المسلمين أية رابطة، ودون أن يقدموا للإسلام والمسلمين أية خدمة يجزون عليها، أو أي معروف يكافأون عليه. وبهذا يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد أعطى مالاً لا سلطان له عليه إلى راهب يزعم إسلامه، ليس له في الإسلام سابقة ولا فضل ولا كفاح ولا تضحية ولا جهاد.

نقول مرة ثانية: كفى بهذا بهتاناً وإثماً واستخفافاً بعقول البشر!!

نكرر ما قلناه من قبل، وهو أن الوقوع في هذه الفاحشة الفقهية التاريخية، كغيرها من الفواحش والمنكرات، مَرَدُّه أولاً وأخيراً، إلى غياب الدراية غياباً كاد يكون شاملاً كافة جوانب التراث، يستوي في ذلك المحدثون والفقهاء والمؤرخون والمفسرون وكتاب السيرة النبوية، على اختلاف مستوياتهم، على مر العصور، وكرِّ الدهور.

II. مالك بن أنس

مالك بن أنس يعتبر إماماً في الفقه والحديث. ويحسبه البعض أنه ابن الصحابي الجليل خادم الرسول، أنس بن مالك. والأمر ليس كذلك. فهو قد ولد في عام ٩٣هـ وتوفي عام ١٧٩هـ. ولا تربطه بأنس بن مالك، صاحب الرسول، أية صلة من قرابة أو نسب. فهو متأخر عن عصر الصحابة والتابعين. صحيح أنه ولد في اواخر العصر الأموي، ولكنه شبَّ وترعرع ونبغ في العصر العباسي الأول، وقد عُمّر فيه قرابة نصف قرن.

في علم الحديث اشتهر **بكتاب الموطأ**. وكان منهاجه في قبول الروايات وردها، كغيره من كبار المحدثين وعلماء الحديث، هو الاعتماد على الرواية، وحدها، منهاجاً لتحقيق الروايات، لقبولها أو ردها، دونما اعتبار للدراية، في قليل أو كثير.

ومن كتاب "الموطا"، على رواية أبي مصعب الزهري المدني، نقدم مجموعة من الأحاديث الواردة فيه والتي سبق أن بينّا بطلانها في ثنايا كتابنا هذا، إضافة إلى مجموعة أخرى لم نتعرض لها من قبل. وذلك حتى يتضح حجم الكارثة التي تورط فيها المحدِّثون، ومن سار على دربهم، ألا وهي غياب الدراية عن منهاجهم غيابا كاد يكون تاماً شاملاً، رحمهم الله وغفر لهم.

١. الطعن في القرآن

عن أنس بن مالك قال: دعا رسول الله على الذين قَتَلوا أصحاب بئر معونة ثلاثين صباحاً، يدعو على رِعْلٍ ولَحْيان وعُصَّيَة، عصت الله ورسوله. قال أنس: أنزل الله تبارك وتعالى في الذين قُتلوا ببئر معونة قرآنا حتى نسخ بعد: "**أن بَلِّغوا قومنا، أنا قد لقينا ربنا فرضي عنا، ورضينا عنه**".

الكذب والبهتان في هذا الحديث واضح للعيان، لا حاجة للتعليق عليه!!

٢. الطعن في القرآن وفي عائشة

عن أبي يونس مولى عائشة أنه قال: أمَرْتني عائشة، رضي الله عنها، أن أكتب لها مصحفاً، وقالت: إذا بلغت هذه الآية فآذنّي: "حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى"، قال: فلما بلغتها آذنتها، فأملت علي: "**حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر، وقوموا لله قانتين**". قالت عائشة: "سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم".

هذا طعن واضح فاضح في القرآن وفي عائشة. فليس يليق، بحال من الأحوال، بأي فقيه أو محدث في عالم الإسلام، أن يردد مثل هذه الفرية الفاحشة على لسانه، أو من خلال مخطوطاته، بعد أن يقرأ في كتاب ربه: "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ".

أضف إلى لك أن عائشة –رضي الله عنها– كانت مؤمنة فاضلة حريصة، في جملة أعلام الصحابة، وسائر المسلمين، على كتاب ربها وعلى قدسيته وعلى عصمته من أي تحريف أو تأليف.

ونفس هذا الحديث ورد عند مالك في الموطأ، عن عمرو بن رافع. وهو، هذه المرة، عن حفصة، زوج النبي صلى الله عليه وسلم. فالطعن قد امتد إليها إلى جانب الطعن في عائشة.

وعن عائشة أيضاً أنها قالت: "كان فيما أنزل الله في القرآن عشر رضعات معلومات يُحَرّمْن . ثم نُسِخْن بخمسٍ معلومات. فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي مما تُقرأ في القرآن". يعني أن المصحف الذي بين أيدينا ليس هو الذي قال الله تعالى فيه: " لاَّ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ"

٣. ويتواصل عنده الطعن في كتاب الله وفي الصحابة

فعن سعيد بن المسيب، أن عمر بن الخطاب، لما قدم المدينة في ذي الحجة، بعد الانتهاء من الحج، خطب الناس، وكان مما قال: إياكم أن تضلوا عن آية الرجم، أن يقول قائل: لا نجد حدّين في كتاب الله تبارك وتعالى. فقد رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورجمنا. فو الذي نفسي بيده، لولا أن يقول الناس: زاد عمر بن الخطاب في كتاب الله عز وجل لكتبتها: **(الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة)** فإنا قد قرأناها.

٤. اختتان إبراهيم

عن سعيد بن المسيب: اختتن إبراهيم بالقدوم، وهو ابن عشرين ومئة سنة، وعاش بعد ذلك ثمانين سنة.

٥. الله هو الدهر

عن أبي هريرة: أن الرسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا يقول أحدكم: يا خيبة الدهر، فإن الله تبارك وتعالى هو الدهر".

٦. الميت يتكلم في قبره أو بعد موته

عن يحيى بن سعيد أنه قال: "لما كان يوم أحد، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يأتيني بخبر **سعد بن الربيع**؟ فقال له رجل: أنا يا رسول الله. قال: فذهب الرجل يطوف بين القتلى حتى وجده. فقال له سعد بن الربيع: ما شأنك؟ فقال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم لآتيه بخبرك. قال: فاذهب إليه فأقرئه مني السلام، وأخبره أني قد طُعنت أثنتي عشرة طعنة، وأني قد أُنْفدتْ مقاتلي. وأخبر قومك أنه لا عذر لهم عند الله إن قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم أحد حي". وفي حديث آخر شبيه له: أنه عند غسل الرسول صلى الله عليه وسلم بعد وفاته، أرادوا نزع قميصه، فسمعوا صوتاً يقول: لا تنزعوا عنه القميص".

٧. الشفاعة

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لكل نبي دعوة يدعو بها، فأريد أن أختبئ دعوتي، شفاعة لأمتي في الآخرة".

٨. عذاب القبر

أ. عن عائشة، وهو الحديث الذي في أوله تكذيب بعذاب القبر أربع مرات باعتباره من أكاذيب اليهود، وفي آخره إقرار بوجوده وحث للمسلمين على أن يستعيذوا بالله منه.

ب. عن سعيد بن المسيب يقول: "صليت وراء أبي هريرة على صبي لم يعمل خطيئة قط، فسمعته يقول: اللهم أعذه من عذاب القبر".

طالما كان هذا الصبي بريئاً لم يعمل في حياته خطيئة قط، فكيف يصح أن ندعو له بالنجاة من عذاب القبر المزعوم، علماً بأنه، بفضل براءته وأنه غير مكلف، بمفازة من كافة أنواع العذاب؟! ثم متى كان أبو هريرة مشرعاً في دين الله يخبط فيه خبط عشواء؟!

ج. عن عبد الله بن عباس "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم هذا الدعاء، كما يعلمهم السورة من القرآن، يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر،

وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات".

عذاب القبر، وحكاية المسيح الدجال، أكاذيب إسرائيلية، فكيف أصبح التعوذ منها عبادة من العبادات؟، والإيمان بها عقيدة من عقائد الإسلام؟

ومثله الحديث المطول عن عائشة، حين خسفت الشمس، أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: ولقد أوحي إلي أنكم تفتنون في القبور، مثل أو قريب من فتنة الدجال".

٩. حديث النزول

عن أبي هريرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله تبارك وتعالى ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا، حتى يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟

١٠. تعدد قراءات القرآن

عن عمر بن الخطاب أنه سمع هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان على غير ما يقرؤها. فجاء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وقال: إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على غير ما أقْرأتنيها. فقال صلى الله عليه وسلم لهشام: إقرأ: فقرأ القراءة التي سمعته يقرؤها. فقال صلى الله عليه وسلم: هكذا أنزلت. ثم قال لي:

إقرأ، فقرأت. فقال: هكذا أنزلت. **إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرؤوا ما تيسر منه**". وبعضهم رفع القراءات إلى عشر، وكلها متعبد بتلاوتها حسب زعمهم، وتستوي جميعها في ثبوتها وفي منزلتها، والرسول صلى الله عليه وسلم حسب زعمهم، كان يقرأ بها في الصلاة، وكان يعلمها للناس.

حكاية تعدد القراءات القرآنية من سبعة إلى عشرة إلى أكثر من ذلك أو أقل، ومن قراءة حفص بن عاصم إلى قراءة ابن مجاهد، إلى قراءة ابن جني، إلى قراءة غيرهم من القراء الكثيرين، مسألة يجب أن نتوقف عندها مَلِيّا. فالله تعالى حين يقول: "**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْاناً عَرَبِيّاً**"، **وحين يقول: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ**"، يعني، بشكل واضح قاطع، **أن القرآن واحد، وأنه بلسان واحد**. فلا يصح، والحالة هذه، أن تتعدد القراءات تعدداً يجعل النص الواحد أو العبارة الواحد، أو الكلمة الواحدة، متعددة، أشكالاً وألوانا. ولو سلمنا بذلك فإن الأمر لا يعني حينئذ إلا شيئاً واحداً، وهو أننا لسنا **أمام قرآن واحد: نصوصه أو متونه واحدة، ولغته ولهجته قرشية واحدة، وكتابته التي ورثناها عن الصحابة الأجلاء عثمانية واحدة. وكل ذلك منقول بدوره، نقل الكافة عن الكافة، عن الرسول صلى الله عليه وسلم متناً ولغة ولهجة وكتابة بلا زيادة ولا نقصان، ولا تعدد، ولا تحريف، ولا تأليف.**

هذا الأمر لا يجوز قبوله أبداً، ولا يصح السكوت عنه بحال من الأحوال. ولنطرح هذه الخزعبلات من القراءات المزعومة وراء ظهورنا، فهي ليست من الوحي في قليل أو كثير. واختلاف لهجات الناس في القراءة لا حجة فيه، لا من قريب ولا من بعيد. **فالقراءات، والحالة هذه، هي بدعة ما أنزل الله بها من سلطان،** فهي لا تقتصر على تعدد اللهجات للكلمة أو العبارة الواحدة دون مساس بألفاظ النص ومتنه، ولكنها تتعدى ذلك إلى تغيير واختلاف يصيب جوهر المفردات والعبارات والآيات:

أ. **في الألفاظ** من حيث الإفراد والتثنية والجمع نحو: "**وأحاطت به خطيئته**" قرأها بعضهم "**خطيئاته**" بالجمع، ومثل "من الذين استحق عليهم **الأوليان**" مثنى قرأها بعضهم "**الأولين**" بالجمع.

ب. **وإلى اختلاف في تصريف الأفعال** من ماض إلى مضارع إلى أمر نحو: "ومن تطوع خيراً" قرأها بعضهم "**ومن يطّوّع**" بالمضارع، ونحو "**قال أو لوجئتكم**" قرأها بعضهم "**قل أو لو جئتكم**".

ج. **وإلى اختلاف في وجوه الإعراب** بين رفع ونصب وفتح وجر نحو: "**وإن تك حسنةً يضاعفها**" بالنصب، قرأها بعضهم "**وإن تك حسنةٌ يضاعفها**" بالرفع، ونحو "**وامسحوا برؤوسكم وأرجلَكم**" بالفتح، قرأها بعضهم "**وامسحوا برؤوسكم وأرجلِكم**" بالكسر.

د. **وإلى اختلاف في الحذف والإثبات** نحو "**ومن يتولّ فإن الله هو الغني الحميد**" قرأها بعضهم "**ومن يتولّ فإن الله الغني الحميد**" بحذف كلمة "**هو**".

هـ. **وإلى الاختلاف في التقديم والتأخير:** نحو "**وقاتلوا وقتلوا**" قرأها بعضهم "**وقتلوا وقاتلوا**".

و. **وإلى الاختلاف بالإبدال:** نحو "**فتبينوا**" قرأها بعضهم "**فتثبتوا**"

ز. **وإلى الاختلاف في اللهجات:** نحو الفتح والإمالة، والإظهار والإدغام وإثبات الهمزة أو إبدالها، ونقل حركة الهمزة أو إبقاؤها.

ح. **وإلى الاختلاف في الكلمة الواحدة:** نحو "**مالك يوم الدين**" قرأها بعضهم "**مَلِك يوم الدين**"، ونحو "**أو لامستم النساء**" قرأها بعضهم "**لمستم النساء**".

ط. **وإلى الاختلاف في التركيب اللغوي من حيث اعتباره جامداً أو مشتقاً، مثل اللذون بدل الذين.**

وهكذا لو تعقبنا مزاعم القراءات في مختلف أوجه الاختلافات لوجدنا عندهم منها الكثير الكثير. ولو أن القائلين بالقراءات توقفوا عند حدود اللهجات التي ليس من شأنها أن تحدث أي اختلاف أو تغيير في البنية اللغوية في النصوص، ولا أي تغيير في ألفاظ النصوص ومعانيها، لهان الأمر وأمكن التجاوز عنه. غير أننا نراهم قد تجاوزوا الخطوط الحمر، وقداسة النص الإلهي، وراحوا يحاولون أن يعبثوا بكتاب الله تغييراً وتبديلاً، وتأليفاً وتحريفاً حتى يضربوا

مصداقية النصوص القرآنية، ويميعوها، ويثيروا البلبلة والشكوك في النصوص الحقيقية التي نزل بها الوحي الأمين على قلب سيد المرسلين. وبذلك صارت الأمة، بهذه القراءات المزعومة، أمام أشكال متعددة من "**قرآنات**" مزعومة، إذا جاز التعبير، على حين أن الله سبحانه وتعالى لم ينزل عليها غير قرآن واحد، كما قال: "**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْاناً عَرَبِيّاً**" يعني قرآناً واحداً، وبلهجة قرشية واحدة كما قال: "**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ**". ولسان قريش إنما يعني لغتهم واستعمالاتهم اللغوية الخاصة، ولهجتهم الخاصة كذلك. فهذه الآيات واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار، وقاطعة لاتحتمل تأويلاً ولا تفسيراً، أن بين أيدينا قرآناً واحداً وبلسان عربي قرشي واحد، قد حفظه الله تعالى من أي تحريف أو تأليف كما قال سبحانه: "**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**".

فرواة القراءات حين يحرفون قوله تعالى: "**وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ**" فيقرأونها "أرجلِكم" بدل أرجلَكم فهم إنما يغيرون حكم الله في غسل الأرجل في الوضوء، فيجعلون مسح الأرجل، لا غسلها، هو المطلوب في فرائض الوضوء. وهم حين يقرأون "**مَلِك يوم الدين**" بدل "**مالك يوم الدين**" فهم يغيرون المعنى تغييراً جذرياً. فالمالك هو صاحب الملك، وأما المَلِك فهو من يحتل مكانة عالية في مُلك غيره. وهم حين يقرأون "**أو لمستم النساء**" بدل قوله تعالى "**أولامستم النساء**" فهم يغيرون المعنى كذلك تغييراً جذرياً. فحيث أن

اللمس يكون من طرف واحد فإن الملامسة (على صيغة المشاركة) لا تكون إلا من طرفين. وهي كناية عن الجماع. فشتان بين مجرد اللمس وبين الجماع. وهم حين يقرأون "**وقتلوا وقاتلوا**" بدل "**وقاتلوا وقتلوا**" فإنهم يخلون إخلالاً فاحشاً بتسلسل الأحداث، لأن القتال يأتي أولاً والقتل يأتي ثانياً، وليس العكس.

فهذه الأمثلة، وغيرها كثير، من شأنها أن تشكل تغييراً فعلياً لا مراء فيه، يصيب النصوص القرآنية، في كثير من الأحيان، إصابات مباشرة في مفاصلها ودلالاتها، وفي إعجازها وبلاغتها.

أضف إلى ذلك أن حكاية تقعيد القراءات، وإضفاء الشرعية على صنعها، واعتبارها عند الجهلة والمغفلين توقيفية، كل ذلك لا يزيد عن كونه حكاية مبتدعة في مطلع القرن الرابع الهجري، على يد **ابن مجاهد** (٣٢٤هـ) الذي جعل منها قراءات سبع، زعم أنه أخذها عن سبعة من مشاهير القراء في عصور سابقة. وهؤلاء القراء المزعومون هم:

١- نافع بن عبد الرحمن (١٦٩هـ).

٢- عبد الله بن كثير (١٢٠هـ).

٣- عبد الله اليحصبي (١١٨هـ).

٤- عاصم بن أبي النجود (١٢٨هـ).

٥- حمزة بن حبيب (١٥٨هـ).

٦- أبو عمرو بن العلاء (١٥٤هـ).

٧- أبو يعلى بن حمزة الكسائي (١٨٩هـ).

ولم يتوقف رواد القراءات المزعومة عند حدود أعداد ثابتة كالتي رسمها ابن مجاهد حين اعتبرها سبعة، بل أوغلوا يكتبون ويتحدثون عن قراءات عشر، وعن قراءات أخرى شاذة، وحكمها في دين الله، وصار في موضوعها كل يغني على ليلاه.

والعبرة، كل العبرة، فيما ذهبنا إليه في أمر القراءات، شاذة اعتبروها أم غير شاذة، هي أنها كلها من أصلها -كما أسلفنا- بدعة مختلقة، لا ريب أن الدساسين قد لعبوا فيها الدور الأعظم، ليميّعوا النص القرآني، ويضربوا توقيفيته الواحدة، كتابة وقراءة ومعنى ولهجة واستعمالا. ولكي يفتحوا كذلك الباب واسعاً للتلاعب بنصوصه وعباراته وآياته ودلالاته، ولكي يشغلوا الناس بهذه المبتدعات والخزعبلات ويصرفوهم عن **قداسة آيات القرآن** الكريم باعتبارها قرآناً عربياً واحداً، لا تعدد فيه ولا اختلاف، يتدبرون آياته، ولا يسرحون أو يشطحون في قراءاته.

فصل الختام، في كذب الوضاعين اللئام، الحديث الذي روي عن ابن عباس، حيث قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أقرأني جبريل على حرف، فراجعته. فلم أزل أَستزيده حتى انتهى إلى سبعة أحرف". يعني أن الوحي هنا كان يمارس رياضة ما يطلبه المستمعون. فكلما استزاده الرسول صلى الله عليه وسلم قراءة

زاده جبريل واحدة أو اثنتين، حتى وصل الرقم إلى سبعة، وفي رواية أخرى إلى عشرة**!!**

ثم إن ابن عباس، مصدر هذه الرواية المزعومة، لم يكن عمره يتجاوز الثالثة عشرة سنة حينما التحق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى.

فإذا كان نزول القراءات أو تشريعها قد بلغ هذا الحد من السرية، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يجد بين كبار أجلاء صحابته الأبرار من يودع عنده هذا السر الخطير غير غلام مراهق لم يبلغ الحلم فإن علينا أن نسلّم، حينئذ، للوضاعين الدساسين، بأن الله ورسوله كانا يمارسان الولدنة في الوحي والتنزيل، والعياذ بالله تعالى**!.**

ومثل هذه الولدنة ما رواه مسلم في صحيحه، عن ابن عباس نفسه من ولدنة تنبعث منها رائحة إسرائيلية كريهة حيث قال: "سرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين مكة والمدينة، فمررنا بواد فقال: أي واد هذا؟ فقالوا: وادي الأزرق، فقال: كأني أنظر إلى موسى عليه السلام واضعاً إصبعيه في أذنيه، له جُوار **(**يعني صوت جهوري**)** إلى الله تعالى بالتلبية ماراً بهذا الوادي".

آخر ما ينبغي أن لا يفوتنا بصدد القراءات المزعومة، وأن لا يغيب عن صوابنا لحظة من اللحظات، **أن القراءات مسألة لا**

تتعلق بشكل القرآن وتلاوته، وإنما تتعلق بمضمونه وآياته وبيناته، وهذا من عقيدتنا في القرآن التي لا حجة فيها لغير الدليل القاطع والبرهان الساطع. يعني لا حجة فيه لأحاديث الآحاد بالغة ما بلغت في تعدادها، وفي صحة أسانيدها.

أضف إلى ذلك أنه إذا كانت تلك القراءات هي مما نزل به الوحي الأمين على قلب سيد المرسلين، كما يزعمون، فلماذا إذاً أغفلها الصحابة الكرام، ولم يثبتوها في مصحف عثمان، حتى تحفظ ذكراً مع الذكر الحكيم المخطوط في السطور قبل أن يزعم الزاعمون أنهم حفظوها في الصدور؟!!

١١. أكثر أهل النار من النساء

عن عبد الله بن عباس، قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "إني رأيت (أو أُرِيتُ) الجنة، فتناولت منها عنقوداً، ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا. ورأيت النار، فلم أَرَ كاليوم منظراً قط. ورأيت أكثر أهلها النساء". في كتابنا رد سابق على هذا الحديث المزعوم.

١٢. التعبد بقراءة التوراة

في حديث عن زيد بن أسلم قال: جاء كعب الأحبار إلى عمر ابن الخطاب، فقام بين يديه، فاستخرج من تحت يده مصحفاً، (يعني كتاباً مخطوطاً على شكل مصحف)، قد تشّرمت حواشيه. فقال: يا أمير المؤمنين، في هذه التوراة، أَفَأَقْرؤُها؟ فقال عمر: إن كنت تعلم أنها التوراة التي أنزلت على موسى، يوم طور سيناء، فاقرأها آناء الليل وآناء النهار، وإلا فلا".

لم يكن كعب الأحبار بهذه السذاجة حتى يكشف عن هويته الحقيقية، ويعرض نفسه للخطر في عالم الصحابة، وأنه كان ما يزال يهودياً توراتيا في باطنه، مسلماً في ظاهره؟ ثم إن التوراة، حتى ولو كانت هي النسخة الأصلية الحقيقية التي أنزلت على موسى في طور سيناء، فإن التعبد بها، في دين الإسلام، أمر محرَّمٌ قطعاً، لأنها منسوخة، لا تصح على أساسها عبادة، ولا تجري على منهاجها أحكام شرعية. ثم ما علاقة عمر بن الخطاب حتى يحرم أو يحلل في شرع الله؟!

١٣. أحاديث تصفير عدادات الذنوب بعمل واحد بسيط

كثيرة هي في الموطأ، نورد منها النماذج التالية:

أ. عن أبي سلمة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **من صام رمضان إيماناً واحتساباً،** غفر له ما تقدم من ذنبه".

ب. عن أبي هريرة، أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "**العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما**".

هذا علما بأن العمرة هي نافلة . مثل ركعات السنة . وليست فريضة من فرائض الإسلام، كالصلاة والصيام والحج.

ج. عن أبي بكر بن عبد الرحمن قال: جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: إني كنت تجهزت للحج، فاعْتُرِض لي. فقال صلى الله عليه وسلم، **اعتمري في رمضان، فإن عمرة فيه كحجة**".

يعني أن العمرة في رمضان قد ارتفع شأنها، وزاد ثوابها، حتى أصبحت تعادل حجة كاملة. وبهذا الاعتبار فإنها تسقط فريضة الحج عن المكلفين، طالما كان الإكثار من النوافل مسقطاً للفرائض أو مغنياً عنها!!

ثم يمضي مالك، فيناقض نفسه بنفسه فيقول: "لا أحب لأحد أن يعتمر في السنة مراراً".

وطالما أن العمرة تكفر كافة الذنوب والخطايا فلماذا لا يحبذ مالك أن يكررها المسلم في السنة مرة بعد أخرى؟!

د. التأمين وراء الإمام يصفر العداد

عن أبي هريرة، أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "إذا أمّن الإمام فأمِّنوا، فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما

تقدم من ذنبه". طوبى إذن لأصحاب الحظ السعيد، وهنيئاً لهم الجنة بلا ثمن!!

وفي حديث آخر عن أبي هريرة، أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "إذا قال الإمام: "سمع الله لمن حمده"، فقولوا: "اللهم ربنا ولك الحمد". فإنه من وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه".

هـ. قراءة سورة الإخلاص تصفر العداد

عن أبي هريرة يقول: أقبلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسمع رجلاً يقرأ سورة "قل هو الله أحد"، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وجبت. فسألت: ماذا يا رسول الله؟ فقال: الجنة. فقال أبو هريرة: فأردت أن أذهب إلى الرجل فأبشره، ثم فِرْقتُ (يعني خفت) أن يفوتني الغداء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فآثرت الغداء".

تحقير لأبي هريرة، وترخص جنوني في الحديث!!

و. الصلوات الخمس وحدها تصفر العداد وتدخل الجنة، بدون إستيفاء بقية الحساب

عن عبادة بن الصامت عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: "خمس صلوات كتبهن الله على العباد، من جاء بهن، لم ينقص منهن شيئاً استخفافا بحقهن، كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة".

ز. تسبيحة واحدة تكاد تصفر العداد

عن أبي هريرة عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير"، في يوم مئة مرة، كانت له عَدْل عشر رقاب، وكتب له مئة حسنة، ومحيت عنه مئة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذاك، حتى يُمسي".

ومثله ما روى مسلم في صحيحه عن مصعب بن سعد قال: حدثني أبي قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: "أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة؟ فسأله سائل من جلسائه: كيف يكسب أحدنا ألف حسنة؟ قال: يسبح الله مئة تسبيحة، فتكتب له ألف حسنة، أو تحط عنه ألف خطيئة.

وعن أبي هريرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "من قال: "سُبحان الله وبحمده"، في يوم مئة مرة، حُطت خطاياه، وإن كانت مثل زبد البحر".

وعن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال: "من سبّح دُبُرَ كل صلاة ثلاثاً وثلاثين، وكبَّر ثلاثاً وثلاثين، وحَمِدَ ثلاثاً وثلاثين، وختم المئة بـ: "لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير"، غفرت ذنوبه، ولو كانت مثل زبد البحر".

ح. صلاة واحدة تصفر العداد

عن عثمان بن عفان، عن الرسول صلى الله عليه وسلم، أنه قال: "ما من امرئ يتوضأ فيحسن وضوءه، ثم يصلي الصلاة، إلا غفر له ما بينه وبين الصلاة الأخرى حتى يصليها".

ط. وضوء واحد يصفر العداد

عن عبد الله الصنابحي، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا توضأ العبد المؤمن، فتمضمض، خرجت الخطايا من فيه؛ فإذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه؛ فإذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أشفار عينيه؛ فإذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظفار يديه؛ فإذا مسح برأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من أذنيه. فإذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت أظفار رجليه. قال: ثم كان مشيه إلى المسجد وصلاته نافلة له. يعني أن الوضوء وحده يصفر العداد، ويسقط فرضية الصلاة!!.

ك. الصلاة في المساجد تغني عن الرباط في سبيل الله

عن أبي هريرة، أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: ألا أخبركم بما يمحو الخطايا، ويرفع الدرجات؟ إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخُطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط.

ل. الأجر على قدر المسافة

عن أبي هريرة أنه قال: من توضأ فأحسن وضوءه، ثم خرج عامداً إلى الصلاة، فإنه في الصلاة ما كان يعمد إلى الصلاة، وأنه يكتب له بإحدى خطوتيه حسنة، ويُمحى بالأخرى سيئة. فإذا سمع أحدكم الإقامة فلا يَسْعَ (يعني يستعجل)، فإن أعظمكم أجراً أبعدكم داراً. قالوا: لِمَ يا أبا هريرة؟ قال: من أجل كثرة الخطى. [يعني طول المسافة]

يعني أن أبا هريرة، صار مشرّعا، وحل محل الرسول صلى الله عليه وسلم، أو صار مكملاً أو مصححاً له في التشريع، فعند محمد أن الأجر على قدر المشقة، أما عند أبي هريرة فهو على قدر المسافة!!

م. إماطة شوكة واحدة من الطريق تصفر العداد

عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: بينما رجل يمشي في الطريق، وجد غصن شوك على الطريق، فأخَّره. فشكر الله تبارك وتعالى له، فغفر له".

١٤. الشهداء المزعومون

عن أبي هريرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "الشهداء خمسة: المبطون والمطعون، والغريق، وصاحب الهدم، والشهيد في سبيل الله".

ولكن حديثاً آخر عن جابر بن عتيك أن الرسول صلى الله عليه وسلم سأل: ما تعدون الشهادة؟ قالوا: القتل في سبيل الله. فقال صلى الله عليه وسلم: الشهادة سبع سوى القتل في سبيل الله: المطعون (يعني الميت بالطاعون) شهيد، والغريق شهيد، وصاحب ذات الجنب (يعني الالتهاب الرئوي) شهيد، والمبطون (المريض في بطنه) شهيد، والذي يموت تحت الهدم شهيد، والمرأة تموت بِجُمْع (في النفاس) شهيد، وصاحب الحريق شهيد".

أيهما نعتمد رقم (٥) أم رقم (٧) في الشهداء؟

ثم إن الشهادة هي مكافأة على عمل عظيم قدّم الإنسان فيه، طائعاً مختاراً، أعز ما يملك، وهو حياته. فهو ليس مثل أولئك الذين يداهمهم الموت، كما يداهم سائر دواب الأرض، في حالة حريق، أو هدم، أو نفاس، أو طاعون، أو غرق، أو مرض في المعدة أو الأمعاء أو الرئتين، أو ما شاكل ذلك. فهؤلاء لم يقدموا في سبيل الله شيئاً، عن قصد وسعي واختيار، وسابق تصيم وإصرار، يقربهم من الشهادة زلفى: لا تضحية بنفس، ولا بولد، ولا بمال، ولا بأي وسيلة أخرى. فَعَلامَ إذاً يُجزون أعظم الجزاء، وينالون عند الله أعظم الدرجات، من غير ما خير فعلوه، ولا قربات إلى الله قدموها، حتى ينطبق عليهم قوله تعالى: "وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى" وقوله "إِنَّ اللَّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ".

١٥. أجساد الشهداء لا تبلى

إن عمرو بن الجموح، وعبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاريين، كانا قد خَرَق السيل قبرهما، أو حُفر عنهما ليُغَيَّرا من مكانهما. وكانا في قبر واحد. فوجدا لم يتغيرا، كأنما ماتا بالأمس. وكان أحدهما قد جرح، فوضع يده على جرحه، فدفن وهو كذلك. فأميطت يده عن جرحه، ثم أرسلت، فرجعت كما كانت. وكان بين يوم أحد وبين يومَ حُفِر عنهما ستة وأربعون سنة.

تخريف وتأليف وتسطير خرافات! فجميع جثث الكائنات الحية، مهما كان أصحابها، عاجلا أم آجلا، سوف يدركها البِلى، سواء كانت تحت التراب أم كانت فوقه. وهذا واقع مدرك محسوس، لا مجال للمكابرة أو المغالطة فيه. وهو سُنَّة من سنن الله الماضية في جميع الكائنات الحية، لا تتحول ولا تتبدل ولا تتخلف، حتى يرث الله الأرض وما عليها.

١٦. العصعوص لا يبلى

عن أبي هريرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "كل ابن آدم يأكله التراب، إلا عَجْبَ الذَّنَب (يعني العصعص)، منه خلق، وفيه يُركَّب".

ربنا سبحانه أخبرنا: أنه خلق آدم من تراب وخلق من آدم زوجه حواء، ثم خلق بني آدم بعد ذلك من علق. والعلق هو نتاج

تلقيح بويضة المرأة بالحيوان المنوي من الرجل. فما محل العصعوص بعد ذلك من الإعراب حتى يُخلق منه الإنسان؟ وما هي الخصوصية البيولوجية التي تجعله عصياً على التآكل والبلى؟! كفى بهذا جهلاً وتجهيلاً!

١٧. عذاب الميت ببكاء أهله عليه

عن عائشة، وقد ذكر لها أن عبد الله بن عمر يقول: إن الميت ليعذب ببكاء الحي، فقالت: يغفر الله لأبي عبد الرحمن. أما إنه لم يكذب، ولكنه نسي أو أخطأ. إنما مَرّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على يهودية يُبْكى عليها، فقال: أما إنهم ليبكون عليها، وإنها لتعذب في قبرها".

عائشة تصحح خطأ مزعوماً وقع فيه ابن عمر بخطأ مزعوم آخر مثله، أو أشنع منه، وهو عذاب القبر. والحقيقة أن ابن عمر لا تخفى عليه بدهيات الإسلام في قوله تعالى: "وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى"، وعائشة أيضاً لا يخفى عليها أن عذاب القبر هو أكذوبة من أكاذيب اليهود وافتراءاتهم. فالعذاب في القبر يقتضي أن يكون المعذَّب حيًّا حتى يكون للعذاب معنى. وآيات القرآن الكريم واضحة في أن الإنسان إذا مات لا يبعث إلا يوم القيامة. فلا القبر عندئذ روضة من رياض الجنة، ولا هو حفرة من حفر النار. فالموت هو عكس الحياة. فإذا كانت الحياة وجوداً فالموت هو عدم. أيها

التائهون الذين باعوا عقولهم ودينهم بأكاذيب ومفتريات، قدمها لهم بنو إسرائيل على أطباق من الهبل، ثوبوا إلى رشدكم وصوابكم يا أهل القِبلْة!

١٨. حرق الأجساد

عن أبي هريرة، أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: قال رجل لم يعمل خيراً قط لأهله: إذا مات فحرِّقوه، ثم أذروا نِصْفَه في البّر، ونِصْفَه في البحر. فو الله لئن قدر الله عليه ليُعذبنّه عذاباً لا يعذبه أحدا من العالمين. قال: فلما مات فعلوا ما أمرهم به. فأمر الله البحر فجمع ما فيه، وأمر البَرَّ فجمع ما فيه، ثم قال: لم فعلْتَ هذا؟ قال: من خَشيتك يا رب، وأنت أعلم. قال: فغفر له ذنبه!!.

طقوس وثنية هندوسية كما بيّنا في هذا الكتاب حين ناقشنا حديثا للبخاري شبيها بهذه الرواية.

١٩. المعجزات المادية للرسول

عن أنس بن مالك قال: "رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حانت صلاة العصر: فالتمس الناس الوضوء فلم يجدوه. فَأُتي رسول الله بوضوء في إناء. فوضع يده في ذلك الإناء، وأمر الناس أن يتوضأوا منه. قال: **فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه.** فتوضَّأ الناس، حتى توضأوا من عند آخرهم".

الله تعالى يكذب هذه المزاعم تكذيباً قاطعاً في صريح قرآنه، حيث يقول تعالى: "قل إنما أنا بشر مثلكم، يوحى إلي". فالرسول صلى الله عليه وسلم في بشريته، شأنه كسائر الخلائق، لا يصنع المعجزات، ولا يستطيع أن يفعلها لو أراد. حَسْبُه أنه يوحى إليه، كما قال تعالى: "قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ". وقال تعالى: "وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعاً * أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيراً * أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً * أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَّقْرَؤُهُ **قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إَلاَّ بَشَراً رَّسُولاً**"؟!

فالمعجزات المادية التي تنسب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، مما يمكن أن يدركه الناس من حوله ويشاهدوه، هي مزاعم كاذبة، تخالف نص القرآن القطعي. القرآن هو وحده معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم، والقرآن بدوره لم يذكر للرسول صلى الله عليه وسلم أية معجزة مادية، يكون الناس شهوداً لها أو شهوداً عليها، لا تصريحاً ولا تلميحاً. أما الإسراء فهو ليس معجزة مادية تخضع للحس، أو المشاهدة، أو التحدي، وإنما هو خبر من أخبار الغيب لم يشاهده أحد، ولم يَتَحَدَّ الرسول صلى الله عليه وسلم أحداً أن يفعل

مثله، يسلم به المؤمنون تسليماً، لإيمانهم بصدق مصدره، وصحة خبره.

٢٠. الصلاة أولاً وآخراً

عن يحيى بن سعيد أنه قال: بلغني أن أول ما ينظر فيه من عمل العبد الصلاة. فإن قُبلت، نظر فيما بقي من عمله، وإن لم تُقبل منه، لم يُنْظر في عمله".

كيف أدرج مالك في موطئه هذا الحديث. فالراوي لا يسنده إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، بل يقول بلغني، وظل المصدر نكرة. ما يعني أنه لا يصح أن يدرج مع أحاديث الرسول. أضف إلى ذلك . أن هذا الحديث المزعوم يناقض القرآن مناقضة تامة، فالله تعالى يقول: "فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ" و" إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً". وهذا الحديث يعطل القرآن، ويقلب موازين العدل والرحمة فيه.

٢١. الحج عن الغير

عن ابن عباس أنه قال: كان الفضل بن العباس رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع.

فجاءته امرأة من خثعم تستفتيه. فجعل الفضل ينظر إليها وتنظر إليه. فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل إلى الشق الآخر. فقالت: يا رسول الله، إن فريضة الله على

عباده في الحج أدركت أبي شيخاً كبيراً، لا يستطيع أن يثبت على الراحلة، أفأحج عنه؟ قال صلى الله عليه وسلم: نعم، حُجِّي عنه. أَرأيتِ لو كان على أبيك دين، فقد قَضَيْتِ".

هذا الحديث يخالف نص القرآن القطعي مخالفة واضحة، حيث يقول تعالى: "وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ **مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً**"، والخثعمية تقول: إن الله حين فرض الحج على عباده كان أبوها شيخاً هرماً طاعناً في السن، لا يستطيع أن يصل إلى بيت الله الحرام، ليؤدي فريضة الحج. معنى ذلك أنه غير مستطيع، يعني غير مكلف. وما دام الأمر كذلك، فالحج ليس دَيْنا لله في ذمته يمكن أن يؤديه أو يقضيه عنه ذووه، خلافاً لما يزعم الحديث من أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد اعتبره دينا. فالحديث، بإلغائه شرط الاستطاعة، يتناقض مع صريح القرآن تناقضاً واضحاً، لا مجال للتأويل أو المكابرة فيه.

٢٢. رعاية الأغنام

عن أبي سعيد الخدري، أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال، ومواقع القطر، يَفُّر بدينه من الفتن".

وفي حديث آخر عن مالك: "أنه بلغه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما من نبي إلا قد رعى الغنم. قيل: وأنت يا رسول الله؟ قال: وأنا".

ما دامت رعاية الغنم سنة من سنن الله الماضية في جميع أنبيائه ورسله، وما دامت هي خير مال المسلم في الفتن والأزمات، فهل المطلوب من المسلمين، والحالة هذه، أن يكونوا رعاة أغنام، هائمين على وجوهم في البراري والقفار، لا علاقة لهم بالفكر، والعلم، والصناعة، وغزو الفضاء، والتكنولوجيا، ولا أن يكونوا قوة تغيير وتأثير، ولا أن يكونوا قوامين بالقسط شهداء لله، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويحاسبون الحكام إذا انحرفوا، ليغيروا عليهم أو يغيروهم، حتى تظل دولة الإسلام منارة عدل وسداد ورشاد وهدى للعالمين؟!!

٢٣. إرضاع الكبير

وفيه حديثان:

الحديث الأول في شأن سهلة بنت سهيل، امرأة أبي حذيفة، مع سالم مولى أبي حذيفة، وقد ناقشناه من قبل.

والحديث الثاني في شأن عائشة، حيث زعم الحديث أنها كانت تأمر أختها أم كلثوم بنت أبي بكر، وبنات أخيها، أن يرضعن من أَحَبَّت أن يدخل عليها من الرجال.

ومن عجب أن هذا الحديث المزعوم عن عائشة يمضي إلى القول بأن سائر أزواج الرسول صلى الله عليه وسلم أَبَيْن أن يدخل عليهن بتلك الرضاعة أحد من الناس.

هذا الحديث الفاحش عن عائشة وأختها وبنات أخيها يَضَعُهن كلَّهن في قفص الاتهام، وكأنهن لم يكنَّ محصنات مع أزواجهن، وأن أمورهن كانت سائبة مع من هب ودب من الرجال الغرباء، حتى صارت بيوتهن أشبه ببيوت الدعارة؟!

نستغفر الله العظيم، من هذا البهتان المبين، ومن هذا الفاحش من القول، ومن سفالة وحقارة الوضاعين، ومن سذاجة وهبل المتقبلين لمثل هذه الافتراءات!!

٢٤. المرأة المتلبسة بالزنى

عن أبي هريرة، أن سعد بن عبادة قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: "أرأيت لو أني وجدت مع امرأتي رجلاً، أمهله حتى آتي بأربعة شهداء؟ قال: نعم".

مصمم هذا الحديث الكذاب الأشر، أراد أن يسخر الناس من حكم الإسلام في جريمة الزنى، ويهزأوا به. فالمطلوب في هذا الحديث الداعر واضح، وهو أن يواصل الرجل والمرأة عملية الزنى، ساعات وساعات بكل تَحدًّ واستهتار، حتى يتمكن زوجها من أن يذهب ويأتي بأربعة شهداء، يَرَوُن كالميل في المكحلة، حتى تصبح شهادتهم في هذه الجريمة معتبرة ومعترفاً بها أمام قاضي الجرائم والجنايات!

إجرام ما بعده إجرام، وسخرية بالإسلام وأهله ما بعدها سخرية! علماً بأن حكم الإسلام في مثل هذه الحال واضح جلي، وهو **حكم الملاعنة** التي لا تحتاج إلى شهود إثبات. قال تعالى: "وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلاَّ أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ * وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * وَيَدْرَؤُاْ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ * وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ".

٢٥. دخول بلاد الظالمين

عن عبد الله بن عمر، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحاب الحِجْر: "لا تدخلوا على هؤلاء القوم المعذَّبين، إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم، أن يصيبكم مثل ما أصابهم". تخريف، ناقشناه من قبل!!

٢٦. عداوة اللحم

قال عمر بن الخطاب: "**إياكم واللحم**، فإنه له ضراوة كضراوة الخمر".

طالما كان هذا قولاً لعمر فلماذا يدرج في كتاب السنن؟ وما هذه السخافة الشائنة التي تنسب إلى عمر بن الخطاب الذي لا يرقى واضع الحديث إلى مستوى نعل حذائه؟!!.

٢٧. إقامة حد الرجم على الزناة اليهود

اليهودي واليهودية اللذان زنيا، وحكاية نشر التوراة للوقوف على آية الرجم المزعومة فيها، ناقشناها فيما سبق في ثنايا هذا الكتاب.

٢٨. كلمة عفوية تدخل الجنة أو تدخل النار

عن أبي هريرة أنه قال: "إن الرجل ليتكلم بالكلمة، ما يلقي لها بالاً، يهوي بها في نار جهنم، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة، ما يلقي لها بالاً، يرفعه الله بها في الجنة".

كلام منسوب لأبي هريرة أدرجه مالك في موطئه، وكأنه حديث نبوي شريف. والمعنى الذي انطوى عليه هو، أن المسلم قد يدخل الجنة بكلمة غير مقصودة تصدر عنه، أو قد يدخل النار كذلك بكلمة غير مقصودة تصدر عنه.

كذب وسخف واستهتار بعقول عباد الله الأخيار، والعياذ بالله تعالى!!

٢٩. لا يرث المسلم الكافر

عن أسامة بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا يرث المسلم الكافر".

تقتصر هذه الرواية على حرمان المسلم فقط من أن يرث الكافر. أما تحريم أن يرث الكافر المسلم الواردة في كتب حديث أخرى فلم ترد في هذا الحديث المزعوم.

ناقشنا هذا الموضوع في ثنايا هذا الكتاب فيما سبق.

٣٠. في العزل

عن أبي سعيد الخدري قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بني المصطلق. فأصبنا سبيا من سبي العرب. فاشتهينا النساء، واشتدت علينا العُزْبة. وأحببنا الفداء، فأردنا أن نعزل فقلنا: نعزل، ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا، قبل

أن نسأله عن ذلك؟ فسألناه عن ذلك فقال: "ما عليكم أن لا تفعلوا. ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلا وهي كائنة".

سبق أن ناقشنا هذا الحديث في ثنايا هذا الكتاب.

ثم هل يتم توزيع السبي من النساء والأطفال في ساحة المعركة، مباشرة بعد أن يتوقف القتال، أم أن الأسرى والسبي يساقون إلى مركز الدولة حيث يتم التصرف بهم حسب الأصول الشرعية، وحسب ظروف الدولة في علاقتها مع المحاربين المهزومين إن كانوا قد ظفروا بشيء من الأسرى أو السبايا من بين صفوف المسلمين، وذلك حتى تجري معهم عملية التبادل، أم أنهم لم يظفروا بشيء فيكون المسلمون أحراراً في التصرف بما تحت أيديهم من أسرى وسبايا؟.

III. أحمد بن حنبل

وهذا أحمد بن حنبل، المعتبر إماماً في الفقه والحديث، حسبنا في هذا المقام أن نوردِ له بعض النماذج في الحديث وفي تاريخ الرجال، لنلمس أثر غياب الدراية غياباً مخلا إخلالا فاحشا في حياته الفكرية والعلمية:

١. غياب الدراية عنده في الحديث

أ. أورد أحمد بن حنبل في "مسنده" الحديث التالي:

"عن عائشة رضي الله عنها، أن يهودية كانت تخدمها. فلا تصنع عائشة لها شيئاً من المعروف إلا قالت لها اليهودية: وقاك الله عذاب القبر! قالت عائشة: فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم عَلَيَّ: فقلت: يا رسول الله! **هل للقبر عذاب قبل يوم القيامة**؟ قال: لا، وعَمَّ ذاك؟ قالت عائشة: هذه اليهودية لا أصنع لها من المعروف شيئاً إلا قالت: "وقاكِ الله عذاب القبر". **قال صلى الله عليه وسلم: 'كذبت يهود، وهم على الله عز وجل أَكْذَب. لا عذاب دون يوم القيامة**".

قالت عائشة: ثم مكث صلى الله عليه وسلم بعد ذاك ما شاء الله له أن يمكث. فخرج ذات يوم نصف النهار، مشتملاً بثوبه، مُحْمَرَّة عيناه، وهو ينادي بأعلى صوته: "أيها الناس! أَضْلتكم الفتن كقطع الليل المظلم. أيها الناس! لو تعلمون ما أعلم بكيتم كثيراً

وضحكتم قليلاً. **أيها الناس! استعيذوا بالله من عذاب القبر، فإن عذاب القبر حق**".

تناقض مذهل مفجع! فالشطر الأول من الحديث يكذب خبر عذاب القبر أربع مرات، كما ويعتبره إفكا من أفك اليهود ومفترياتهم. فهو، والحالة هذه، ينفي عذاب القبر بشكل صريح واضح قاطع، لا تأويل فيه ولا جدال.

ولكنه عاد في الشطر الثاني مباشرة، وقبل أن يتباعد ما بين الشطرين في ثنايا المسند، فنقض الكلام الأول، واعتبر أن عذاب القبر حق لا مرية فيه.

فما الخلاص من هذه الورطة؟ هل نكذب خبر عذاب القبر باعتباره أكذوبة إسرائيلية، كما ورد في الشطر الأول من الحديث، أم نصدقه باعتباره حقاً وصدقاَ ً لا ريب فيه ولا جدال، كما ورد في الشطر الثاني من الحديث نفسه؟!

لقد حاول المريدون، بدل أن يشطبوا هذا الحديث من عقولهم وقلوبهم ودفاترهم، أن يعتصموا بحبله المقطوع، ومتنه المخلوع، ويؤولوه تأويل الجاهلين، تأويلاً يبرئ ساحة إمامهم من تهمة لا تليق بمقامه عندهم. فزعموا أن في الحديث ناسخاً ومنسوخاً. فالشطر الثاني من الحديث، وهو الذي يثبت عذاب القبر، قد نسخ الشطر الأول وهو الذي يكذبه. وقد نسي هؤلاء الجهلة المتعصبون **أن النسخ لا يقع في الأخبار، وإنما يقع في التكاليف، إن تحقق**

حصوله. فالخبر الواحد، لا يحتمل إلا أن يكون صادقاً أو كاذباً، ولا ثالث لهما. ومن البلاهة بمكان عظيم أن نعتقد بأن الخبر نفسه قد يكون صادقاً يوماً وكاذباً يوماً آخر. إن هذا لهو البلاء المبين، وهادم لشريعة سيد المرسلين.

ب. أورد أحمد بن حنبل في مسنده الحديث التالي:

"من صلّى على محمد وقال: اللهم أنزله المقعد المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتي".

علاوة على بطلان فكرة الشفاعة من أساسها، كما توهمها المتوهمون، وأن أحمد بن حنبل قد وقع في حبائلها كما وقع غيره من السابقين، فإنه في هذا الحديث، يبلغ بها درجة بالغة من الترخص المذهل: بضع كلمات يدعو بها أي مسلم، حتى ولو كانت ذنوبه مثل زبد البحر، كفيلة بأن تحقق له الشفاعة عند الله يوم القيامة، وأن تنجيه من عذاب النار، وتدخله الجنة مع الأبرار!!.

ج. أحاديث عديدة من التي أوردها أحمد بن حنبل في مسنده، وبنى عليها مذهبه في العقائد والغيبيات والأحكام، ناقشناها في ثنايا كتابنا هذا، وكشفنا خطأها وبطلانها، نُذكِّر بها هنا مرة أخرى لإظهار خطورة غياب الدراية عن مناهج المحدثين والفقهاء والمؤرخين والمفسرين:

١. **حديث:** "لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر".

٢. **حديث:** "لا يدخل الجنة ولد زنى، ولا ولده، ولا ولد ولده".

٣. **حديث:** "الماء لا ينجسه شيء".
٤. **حديث:** "توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي، بأصواع من شعير".
٥. **حديث:** "لا يرث الكافر المسلم، ولا المسلم الكافر".
٦. **حديث:** "الحبة السوداء شفاء من كل داء".
٧. **حديث:** "الأئمة من قريش".
٨. **حديث:** "بني الإسلام على خمس":
٩. **حديث:** "إرضاع الكبير".
١٠. **حديث:** "إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه".
١١. **حديث:** "كتب على ابن آدم نصيبه من الزنى، مدرك ذلك لا محالة".
١٢. **حديث:** "إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم".
١٣. **حديث:** "التثاوب من الشيطان".
١٤. **حديث:** "حرق الجثث".
١٥. **حديث:** "النزول".
١٦. **حديث:** "إن اليهودي لبيد بن أعصم سحر الرسول".
١٧. **حديث:** "إن سورة الأحزاب كانت تعدل سورة البقرة أو أطول".
١٨. **حديث:** "اختتن إبراهيم بالقدوم".
١٩. **حديث:** "من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه".

٢٠. **حديث:** "من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه".

٢. غياب الدراية عنده في تاريخ الرجال

لأحمد بن حنبل، **غير المسند**، كتاب موسوعي آخر مشهور اسمه: "**العلل ومعرفة الرجال**". وفي هذا الكتاب تقييم لشخصيات الكثير من رواة الأحاديث، بالإضافة إلى بعض الفقهاء مثل أبي حنيفة، الإمام المشهور. وبهذا الصدد، فإن الإمام أحمد في كتابه ذاك، يورد في حق الإمام أبي حنيفة، ما يلي من الروايات المستهجنة، والأقاويل الفاحشة، والاتهامات العجيبة:

أ. **عن الأوزاعي** أنه قال: "ما ولد في الإسلام مولود أضرَّ على الإسلام من أبي حنيفة".

ب. **عن سفيان الثوري** أنه قال: أستتيب أبو حنيفة [يعني من الكفر] مرتين.

ج. **عن سفيان بن عُيَيْنة** أنه قال: استُتيب أبو حنيفة مرتين. فقال له أبو زيد [رجل من أصحابه] في ماذا؟ فقال سفيان: تكلم بكلام فرأى أصحابه أن يستتيبوه فتاب".

د. **عن مالك بن أنس** أنه قال للوليد بن مسلم: أَيُذكَر أبو حنيفة ببلدكم؟ فقال الوليد: نعم. فقال مالك: ما ينبغي لبلدكم أن يُسْكَن!!.

هـ. **عن شريك** أنه قال: لأن يكون في كل رَبُع من أرباع الكوفة خمّار خير من أن يكون فيه من يقول برأي أبي حنيفة.

و. **وعن مالك بن أنس** أنه قال حين ذُكِر أَمَامَه أبو حنيفة: كاد الدين! كاد الدين!

ز. **عن حماد بن سلمة** أنه حين ذَكَر، هو، أبا حنيفة قال: إن أبا حنيفة استقبل الآثار والسنن يَرُدُّها برأيه.

ح. **وعن إسحق بن منصور الكوسج** قال: قلت لأحمد بن حنبل: يؤجر الرجل على بغض أبي حنيفة وأصحابه؟ قال: إي والله!

ط. ومن تشنيعات الحنابلة المحدثين على أبي حنيفة **تعليق للألباني** على حديث في كتاب "مختصر صحيح مسلم" للحافظ المنذري يقول فيه: "هذا صريح في أن عيسى عليه السلام يحكم بشرعنا، ويقضي بالكتاب والسنة، لا بغيرهما من **الإنجيل أو الفقه الحنفي** ونحوه"!!

فهذه الصورة التي رسمها أحمد بن حنبل، في كتاب "**العلل ومعرفة الرجال**"، عن الإمام أبي حنيفة، وأنه كان زنديقاً استتيب من الكفر مرتين على رأي سفيان الثوري، ومرتين أخريين على رأي سفيان بن عيينة، وأن البلد الذي يذكر فيه أبو حنيفة، على رأي مالك بن أنس، لا يصح أن يسكن فيه. وعلى رأي شريك لو أنه وجد في كل زاوية من زوايا الكوفة خمّار، خير من وجود شخص واحد

يقول فيه برأي أبي حنيفة، وعلى رأي مالك بن أنس أن أبا حنيفة قد كاد الدين، يعني تآمر عليه وأفسده.

لماذا كل هذا التشنيع على أبي حنيفة، والنيل من دينه، واتهامه بالكفر والزندقة والتخريب؟ هل لأنه، حسب الرواية المنسوبة لحماد بن سلمة، كان يستقبل الآثار والسنن يردّها برأيه؟! يعني، هل كان ذنبه أو جريمته، عند من حشد هذه الروايات المزعومة، أنه كان من رواد الدراية، فلا يقبل، أحياناً، من الروايات إلا ما صح سنداً ومتناً؟!

وبعد! فماذا نقول للإمام أحمد، بعد كل هذا التحامل الظالم الغاشم على أبي حنيفة، الذي لا يتصور أبداً أن يقال مثله في حق إمام مثل أبي حنيفة، وعلى لسان زمرة من أتقياء العلماء والفقهاء والرواة ومشاهيرهم، من مثل الأوزاعي، وسفيان الثوري، وسفيان بن عينية، ومالك بن أنس، وشريك، وحماد بن سلمة؟! وكيف يمكن أن نوفق بين موقفك هذا يا أبا عبد الله من أبي حنيفة، وموقف أستاذك الإمام الشافعي الذي كنت تعتبره كالشمس للدنيا وكالعافية للناس؟! أستاذك الشافعي الذي كان يحتل هذه المنزلة الخيالية عندك، يقول في أبي حنيفة:-

لقد زان البلاد ومن عليها إمام المسلمين أبو حنيفة
بأحكام وآثار وفقه كآيات الزبور على الصحيفة
فما بالمشرقين له نظير ولا بالمغربين ولا بكوفة
فرحمة ربنا أبدا عليه مدى الأيام ما قرئت صحيفة

وكان مما **يؤثر عن الإمام الشافعي قوله: كلنا في الفقه عيال على أبي حنيفة**. فهل تريد، بعد هذا، أن نعود وإياك إلى لعن أستاذك الشافعي، بعد ما كنت تراه كالشمس للدنيا وكالعافية للناس، لأنه قد وفّى لأبي حنيفة حقه وقدره ومنزلته، ولم يوجه إليه أية تهمة تخرجه من عباد الله الصالحين؟!!

إن الحكم على شخصية أي إنسان، كأبي حنيفة أو غيره، حتى يكون منصفاً عادلاً، لا بد أن يستند إلى حيثيات من أقواله وأفعاله وآثاره. فأين هي، على وجه التحديد، هذه الحيثيات المزعومة التي تخرج الإمام أبا حنيفة من الملة، وتجعل منه زنديقا مجرماً هداماً؟ كما تجعل قرابة نصف الأمة الإسلامية، الذين يعبدون الله على مذهب أبي حنيفة، عبر العصور، ممن حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين؟!

ثم أو لم يخطر على بال أحمد بن حنبل أن مثل هذه الاتهامات الظالمة الغاشمة لمثل هذا الإمام العظيم سوف تعرضه هو شخصياً لإسقاط عدالته، فلا يقبل منه فقه ولا حديث ولا تأويل

ولا تفسير؟ أو لم يكن أحمد بن حنبل يعلم أن الخليفة العباسي الثاني أبو جعفر المنصور قد اعتقل أبا حنيفة وسجنه وعذّبه، وقيل إنه دسّ إليه السم فقتله، لأنه أفتى بالخروج عليه باعتباره حاكماً ظالماً فاقداً للشرعية؟

فهل يا ترى كان عدم الانضباط في شخصية أحمد بن حنبل هو الذي أغرى به السلطات العباسية كي يسخروه، ليلعب لحسابها، دوراً كبيراً وخطيراً في حياة الأمة والسلطة؛ وذلك كي تستريح السلطة العباسية من المعارضين والطامعين في الحكم والسلطان، وأن تجعل الرعايا يموج بعضهم في بعض، لا يرى أي من الفريقين له عدواً مبيناً غير الفريق الآخر.

لقد نسج العباسيون حول شخصية أحمد بن حنبل هالات من البطولة الزائفة، كي يستطيع أن يجند الشارع السني خلفه في مواجهة المعتزلة الذين طرحوا للتداول، ضمن مخطط الإفساد العباسي، عملة زائفة، مثل مسألة خلق القرآن، وعلاقة ذات الله بصفاته، وأن الله يعلم الكليات ولا يعلم الجزئيات، وغيرها من الخزعبلات. حتى لقد جعلت السلطات العباسية من مسرحية خلق القرآن محنة وفتنة كي توحي للناس من خلالها بأن أحمد بن حنبل، على الرغم مما لحق به من أذى وسجن وتعذيب، قد ظل صامداً صمود الأبطال، ثابتاً على مواقفه، لا يبرحها مهما كان الثمن. فهو بذلك يستحق، كما أراد له العباسيون، أن يكون إماماً لأهل السنة

والجماعة بلا منازع، وأنه كذلك يستحق أن يكون قائداً وزعيماً للشارع السني في صراعه الملحمي الأجوف المفتعل مع المعتزلة ومن لفّ لهم، كما رتب العباسيون له ذلك الدور.

هذا مع العلم، بأن طرفي الصراع في هذه المسرحية العباسية كانوا عملاء للسلطة العباسية، جعلت أمامهم سرابا بقيعة يحسبه الظمآن ماء، يحاول كل فريق منهما أن يبسط إليه كفيه ليبلغ فاه، وما هو ببالغه. كما جعلت منهم، كما تجعل الدول الكبرى من عملائها في أيامنا هذه، مجموعة من الحجارة على رقعة شطرنج واحدة، ينطبق عليها ما قاله هارون الرشيد مخاطباً السحاب ذات يوم: **إذهبي يا سحابة أنّى شئت، فإن خراجك راجع إلي!!.**

وكانت هذه اللعبة، التي أتخذ العباسيون لها من ظهور الحنابلة وظهور المعتزلة مطية لهم، تهدف إلى إشغال رعايا الدولة عن قضيتهم المصيرية آنئذ، وهي تصحيح مسار الحكم الذي اغتصبه العباسيون من الأمويين بذريعة تصحيح مساره. ولكنهم بعد أن استولوا عليه صاروا أشد من الأمويين فساداً وانحرافاً، حتى قال فيهم الشاعر:

فيا ليت ظلم بني مروان دام لنا ويا ليت عدل بني العباس لم يكن

وهذا مما حدا بالفعل بشخصية كبيرة مثل الإمام الطبري، صاحب التفسير المشهور أن يقول: **إذا عُدَّ الفقهاء فلا ينبغي أن يُعَد أحمد بن حنبل واحداً منهم!.**

غير أن المشكلة فيمن يتصدرون لتمحيص الأخبار والروايات، وإصدار الأحكام على الأشخاص قد تكون أحياناً أخطر من الدراية بحد ذاتها. **فالموضوعية، والنزاهة، والبعد عن الهوى، وعن التعصب الذميم، هي شروط، إن غابت، كلياً أو جزئياً، عن طلاب الحقيقة، فقد ضاع الحق بينهم، واستحقوا لعنة الله عليهم، كما قال صلى الله عليه وسلم: "لعن الله قوماً ضاع الحق بينهم"**.

نسأل الله تعالى أن يجنب علماءنا وعامتنا والمتصدرين لقيادتنا هذا المنزلق الخطير، أعني التحالف مع الشيطان لقهر الخصوم والمخالفين، فهذا هو، والله، سبيل المفسدين، وليس سبيل المصلحين الذين تعتبر كلمة الحق عندهم هي العليا وكلمة الباطل هي السفلى، متمثلين بقوله تعالى: "وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَانُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ، اعْدِلُواْ، هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى، وَاتَّقُواْ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ".

IV. الصدوق أبو جعفر القُمّي

الشيخ أبو جعفر القمي (٣٠٦ – ٣٨١ هـ) هو صاحب كتاب "**من لا يحضره الفقيه**". والقمي يعتبر واحداً من أبرز العلماء والفقهاء والمحدثين لدى أهل الشيعة. ويعتبر كتابه "من لا يحضره الفقيه" الذي يحتوي على (٥٩٩٨) حديثاً أحد كتب جمع وتفسير الحديث النبوي الأربعة المعتمدة عند الشيعة. وكان كتابه هذا مورداً لاهتمام علماء الشيعة، واستندت إليه المجاميع الروائية الصغيرة والكبيرة، بحيث أنه صار لا بد للمجتهد الشيعي أن يرجع إليه عند استنباط الأحكام الشرعية. فهو، بهذه المثابة، يعتبر ثروة فقهية وحديثية نفيسة، ومرجعاً من أهم المراجع، لدى الأقدمين والمحدثين من أهل الشيعة، على حد سواء.

بيد انه . مع شديد الأسى والأسف . **قد امتلأ كتابه هذا بالموضوعات، والخرافات، والأساطير، والمغالطات، أشكالاً وألواناً، إلى درجة يكاد يتفوق عندها على غيره من سائر المحدثين والفقهاء، على اختلاف مذاهبهم واتجاهاتهم**. والعلة عند الجميع واحدة. وهي الغيبوبة العقلية والشرعية التي أصابت الأمة عامة، والعلماء خاصة، في أمهات رؤوسهم. تلكم الغيبوبة التي نجمت عن غياب الدراية في التراث غياباً كاد يكون كاملاً شاملاً.

وإني مورد، في هذا المقام، عدداً لا بأس به من الأمثلة والنماذج من هذا الكتاب، أحسبها كافية لإظهار مدى حاجة الأمة إلى ثورة فكرية حقيقية عارمة لتحرير التراث، وتنقيته من كافة الشوائب والأدران والموبقات التي دُسَّت عليه، في أصوله وفروعه، وأورثتنا هذا البلاء الفظيع، وهذا الانحراف الأليم المريع.

I. أحاديث تطعن في القرآن الكريم

روى هشام بن سالم، عن سليمان بن خالد، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: في القرآن رجم؟ قال: نعم. قلت: كيف؟ قال: "الشيخ والشيخة فارجموهما البتة، فإنهما قضيا الشهوة".

يعني أن هذه كانت آية من آيات القرآن، ثم اسقطت. فأين ذلك من قوله تعالى: "إنا نحن نزلنا الذكر، وإنا له لحافظون"؟!

II. أحاديث الخرافات

١. قال الصادق عليه السلام: "**لا تدّعَنّ ميتك وحده، فإن الشيطان يعبث به في جوفه**".

الشيطان يعبث بالحي لاغوائه لفعل المنكرات، أما الأموات فما حاجته إليهم حتى يعبث في أجوافهم، بعدما طويت صفحاتهم، وختمت أعمالهم إلى يوم القيامة؟!

٢. سئل جعفر الصادق، عليه السلام، عن **علّة الجريدة** (يعني جريدة النخل) إذ توضع على القبور. فقال: "**إنه يتجافى عنه العذاب ما دامت رطبة**".

إذا جاز أن نصدق بعذاب القبر، فإن الملائكة هي التي تتولى تعذيب الأموات داخل قبورهم. فما دور جريدة النخل، خارج القبر، في تخفيف العذاب عن أهل القبور؟! تخريف زائد عن الحد!.

٣. سأل الحسن بن زياد، أبا عبدالله جعفر الصادق، عليه السلام، عن **الجريدة التي تكون مع الميت. فقال: "تنفع المؤمن والكافر**".

تمادي في التخريف: جريدة النخل تنفع المؤمن والكافر على حد سواء؟ حفظ الله علينا عقولنا وديننا!

٤. قال الصادق عليه السلام: "إن الله عز وجل قد حرّم عظامنا على الأرض، وحرّم لحومنا على الدود أن تطعم منها شيئاً".

قوانين الله في الطبيعة، وسننه في الكائنات الحية، مطردة لا تتخلف، فهي ماضية في عالم الأحياء كافة، لا فرق فيها بين إنسان وحيوان، ولا فرق فيها بين نبي أو رسول أو إنسان عادي. فهي كلها خاضعة لناموس التآكل والبِلَى. والواقع المدرك المحسوس شاهد صارخ على كذب هذا الزعم. وهو لا يعدو أن يكون تخريفاً وتجديفا!.

٥. قال عليه السلام: "إن الله تعالى إذا أراد أن ينفع بالمطر، أمر السحاب فأخذ الماء من تحت العرش. وإذا لم يُرِد النبات، أمر السحاب فأخذ الماء من البحر. قيل: إن ماء البحر مالح! قال: إن السحاب يُعذِّبُه". [يعني يجعله عذباً]

تخريف وجهل مريع في الفيزياء والكيمياء، والسحاب والعواصف والأنواء، على حد سواء!

٦. قال عليه السلام: "الرعد صوت الملَك، والبرق سوطه".

تخريف يضاف إلى ما سبقه من تخريف زائد عن الحد!!

٧. قال أبو جعفر عليه السلام: "إن لله تبارك وتعالى خلق مَلَكاً على صورة ديك أبيض، رأسه تحت العرش، ورجلاه في تخوم الأرض السابعة. له جناح في المشرق وجناح في المغرب. لا تصيح الديوك حتى يصيح. فإذا صاح خفق بجناحيه، ثم قال: سبحانه الله، سبحانه الله، سبحان الله العظيم الذي ليس كمثله شيء. قال: فيجيبه الله تعالى ويقول: لا يحلف بي كاذباً ما يعرف ما تقول"!!

تخريف فاحش، لا يحتاج المصدقون به إلا إلى جَرِّهم لعيادات الأمراض العقلية!

٨. قال الصادق: "إن الله تعالى خلق الأرض، فأمر الحوت فحملتها. فقالت: حملتُها بقوَّتي. فبعث الله إليها حوتاً قَدْرَ فِتْر (الفتر أصغر من الشبر)، فدخلت في منخرها. فاضطربت

أربعين صباحاً. فإذا أراد الله عز وجل أن يزلزل أرضاً تراءت لها تلك الحوتة الصغيرة، فزلزلت الأرض فرقاً". (يعني خوفاً).

تفسير مدهش لظاهرة الزلازل، على علماء الفيزياء أن يتعلموا منه ما فاتهم من علم الكائنات الطبيعية.

٩. قال الصادق عليه السلام: "إن الله تبارك وتعالى أمر الحوت بحمل الأرض، وكل بلد من البلدان، على فلس من فلوسه. فإذا أراد الله أن يزلزل أرضاً، أمر الحوت أن يحرك ذلك الفلس فيحركه. ولو رفع الفلس لانقلبت الأرض بإذن الله عز وجل".

شكل آخر شبيه بالذي قبله لتفسير ظاهرة الزلازل فلنتابع هذه المسيرة المباركة!!

١٠. روي عن كامل قال: كنت مع أبي جعفر عليه السلام بالعُريض، فهبت ريح شديدة، فجعل أبو جعفر يُكَبِّر. ثم قال: "إن التكبير يَرُدّ الريح".

لماذا، إذن، نحن غافلون عن هذه الآلية البسيطة، التي لا تكلف شيئاً، لصد الريح العاتية، كي نحمي أنفسنا، وديارنا، ودوابنا، وزروعنا، وثمارنا، من ضررها الفاحش، وأذاها المخرب الهدام؟!

١١. قال صلى الله عليه وسلم: "لا تسبوا الريح، فإنها مأمورة، ولا الجبال، ولا الساعات، ولا الأيام، ولا الليالي، فتأثموا، ويرجع اليكم".

لسنا في حاجة إلى أن نَسُبَّ الريح، طالما كنا نملك سلاحاً فتاكاً لردها ودفع أذاها، ذلكم هو التكبير الذي أرشدنا إليه الحديث السابق!!

١٢. قال علي عليه السلام: "للريح رأس وجناحان".

لماذا استعصى علينا، حتى اليوم، أن نرى رأس الريح وجناحيها؟

١٣. سأل أبو بصير، أبا عبد الله عليه السلام، عن الرعد أي شيء يقول؟ قال: إنه بمنزلة الرجل يكون في الإبل فيزجرها، هاي هاي، كهيئة ذلك. قال، قلت: جُعِلتُ فداك، فما حال البرق؟ فقال: تلك مخاريق الملائكة، تضرب السحاب، فيسوقه إلى الموضع الذي قضى الله فيه المطر".

تفسير مدهش أيضاً لظاهرة الرعد والبرق! ما على علماء الفيزياء إلا أن يطلبوا المزيد من هذه الهلوسات، كي يزدادوا علما بأسرار الكون، ويزدادوا معرفة بخفاياه وخباياه!

١٤. سئل الصادق عليه السلام: "لأي علة يغسل الميت؟ قال: تخرج منه النطفة التي خلق منها. تخرج من عينيه، أو من فيه. وما يخرج أحد من الدنيا حتى يرى مكانه من الجنة أو النار". بدون تعليق!

١٥. عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام قال: "من أتى أهله في محاق الشهر فليسلّم لسقط الولد".

١٦. عن الصادق عليه السلام: "لا تجامع في أول الشهر، ولا في وسطه، ولا في آخره. فإنه من فعل ذلك فليسلّم لسقط الولد. فإن تم أوشك أن يكون مجنوناً. ألا ترى أن المجنون أكثر ما يصرع في أول الشهر ووسطه وآخره؟.

١٧. قال عليه السلام: "لا تجامع في السفينة".

١٨. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يكره أن يغشى الرجل المرأة وقد احتلم حتى يغتسل من احتلامه الذي رأى. فإن فعل فخرج الولد مجنوناً فلا يلومنَّ إلا نفسه".

١٩. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من جامع امرأته وهي حائض، فخرج الولد مجذوما أو أبرص، فلا يلؤمنَّ إلا نفسه".

٢٠. عن الصادق عليه السلام: "إذا أتى أحدكم أهله فليذكر الله، فإن لم يذكر الله عند الجماع، وكان منه ولد، كان ذلك شرك شيطان".

III. أساطير الأولين

١. روي أنه: "كان طول سفينة نوح، عليه السلام، ألفا ومئتي ذراع، وعَرْضُها مئة ذراع، وطولها في السماء ثمانين ذراعا. فركب فيها، فطافت بالبيت سبعة أشواط، وسعت بين الصفا والمروة سبعاً، ثم استوت على الجودي".

بدون تعليق!

٢. قال الصادق عليه السلام: "جاء أصحاب فرعون إلى فرعون، فقالوا له: غار ماء النيل، وفيه هلاكنا. فقال: انصرفوا اليوم. فلما كان من الليل توسط النيل، ورفع يده إلى السماء وقال: اللهم إنك تعلم أني أعلم أنه لا يقدر على أن يجيء بالماء إلا أنت، فجئنا به. فأصبح النيل يتدفق".

تكريم إلهي عَزّ مثيله، يصل إلى حد المعجزات! لمن؟ لفرعون الذي أخبرنا القرآن الكريم عنه أنه طغى وبغى وتجبر، وأنه جعل من أهل النيل عبيداً له! هل صار من أولياء الله الذين لا يرد لهم طلب ولا يخيب لهم أمل؟! كفى بذلك بهتاناً وتخريفاً. سنن الله وقوانينه في المياه والأنهار، والبحار والبحيرات، لا يغيرها دعاء كافر ولا توسل مؤمن. لن تجد لسنة الله تبديلاً، ولا لسنة الله تحويلاً، إلا أن تكون معجزة لنبي أو رسول، كما كان الحال مع موسى عليه السلام حينما فلق الله له البحر.

IV. الأموات يَزورون ويُزارون

١. عن محمد بن مسلم قال: قلت لأبي عبد الله، عليه السلام: "الموتى نزورهم"؟ فقال: نعم. قلت: فيعلمون بنا إذا أتيناهم؟ فقال: إي والله. إنهم ليعلمون بكم، ويفرحون بكم، ويستأنسون إليكم".

٢. سأل إسحق بن عمار، أبا الحسين الأول عليه السلام، عن المؤمن (الميت) يزور أهله؟ فقال: نعم. قال: في كم؟ فقال: على قدر فضائلهم: منهم من يزور في كل يوم، ومنهم من يزور في كل يومين، ومنهم من يزور في كل ثلاثة أيام ... وأدناهم جمعة ... عند زوال الشمس أو قبيل ذلك. فيبعث الله معه ملكاً يريه ما يُسَرُّ به، ويستر عنه ما يكرهه. فيرى سروراً، ويرجع إلى قرة عينه.

٣. عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن الكافر (الميت) يزور أهله، فيرى ما يكرهه، ويستر عنه ما يحب".

٤. عن أبي عبد الله عليه السلام: "إن الميت ليفرح بالترحم عليه، والاستغفار له، كما يفرح الحي بالهدية تُهدى إليه".

هذه الأحاديث الأربعة توهم الجهلة المغفلين، خلافاً للواقع المدرك المحسوس، بأنه لا يوجد حد فاصل بين الموت والحياة. فالميت لا ينقطع عن الحياة وعن مظاهرها، بل يظل فعلاً على قيد

الحياة، يزاول بعض أعمال الأحياء، على الرغم من أن جثته في قبره قد تحللت وتعفنت وتآكلت، حتى صارت تراباً ورميماً.

كفى بهذا عتهاً وعمى ومكابرة في الواقع المحسوس، الذي لا يخفى على بشر سَوِيٍّ من العالمين. حتى الكفار كانوا يقولون: "**إذا كنا ترابا أإنا لفي خلق جديد؟!**" ويقولون كذلك: "**أيَعِدُكم أنكم إذا متُّم، وكنتم ترابا وعظاماً، أنكم لمُخْرَجون**". فالموت هو انتقال من الوجود إلى العدم. ولا تعود للميت حياة إلا يوم القيامة، يوم البعث والنشور، مصداقاً لقوله تعالى مخاطباً رسوله الكريم: "**إنك ميت وإنهم ميتون**"، و"**ثم إنكم يوم القيام تبعثون**".

V. عذاب القبر

١. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من مات يوم الجمعة، أو ليلة الجمعة، رفع عنه عذاب القبر".
٢. قال الصادق عليه السلام: "... ومن مات يوم الجمعة كتب له براءة من عذاب القبر".
٣. عن الصادق عليه السلام: "لا يسال في القبر الا من مَحَض الإيمان محَضاً، أو محض الكُفْر محضاً. والباقون ملهوٌّ عنهم إلى يوم القيامة".
٤. عن أمير المؤمنين عليه السلام: "من مات ليلة الجمعة كتب له براءة من ضغطة القبر".

عذاب القبر، كما أسلفنا في ثنايا هذا الكتاب، أكذوبة إسرائيلية سخيفة، واضحة البطلان. فالعذاب في القبر يقتضي أن يكون الميت حيا حتى يحس بالعذاب، ويكون للعذاب في حقه معنى!

وهذا بدوره يقتضي أن تُبعث في الميت الحياة، في قبره. وهذا مما يكذبه الواقع المدرك المحسوس، ويكذبه القرآن الكريم، حيث يخاطب الله تعالى رسوله قائلاً: "**إنك ميت وإنهم ميتون**"، "**ثم إنكم يوم القيامة تبعثون**".

VI. أحاديث تصفير عدادات الذنوب بدون مقابل

١. قال أبو جعفر عليه السلام: "ليلة الجمعة ليلة غرّاء، ويومها يوم أزهر، وليس على وجه الأرض يوم تغرب فيه الشمس أكثر مُعْتِقا من النار من يوم الجمعة".

٢. قال عليه السلام: "من مات في أحد الحرمين أمِنَ من الفزع الأكبر يوم القيامة". وفي رواية أخرى "من مات بين الحرمين بعثه الله من الآمنين".

٣. قال عليه السلام: "المرأة إذا ماتت في نفاسها لم ينشر لها ديوان يوم القيامة". [يعني لا تحاسب].

٤. قال عليه السلام: "موت الغريب شهادة". يعني أن الغريب، لمجرد غربته، فإنه سوف ينال أرفع الدرجات، ويتبوأ أعلى

المقامات، في روضات الجنات، بلا قصد ولا فضل ولا عمال صالح! تفاهة متناهية!!

٥. قال الصادق عليه السلام: "من أصيب بمصيبة، جزع عليها أم لم يجزع، صبر عليها أم لم يصبر، كان ثوابه من الله عز وجل الجنة".

٦. قال عليه السلام: "ثواب المؤمن من ولده إذا مات الجنة، صبرَ أو لم يَصْبر".

٧. عن أمير المؤمنين عليه السلام: "من مات يوم الجمعة كتب له براءة من النار".

VII. أحاديث تدخل الجنة بأبسط الأعمال وأبخس الأثمان

١. قال الصادق عليه السلام: "من مات محرماً بعثه الله مُلَبِّياً".

٢. قال أمير المؤمنين عليه السلام: "ضمنت الجنة لستة: رجل خرج بصدقة فمات، فله الجنة؛ ورجل خرج يعود مريضاً فمات، فله الجنة؛ ورجل خرج مجاهداً في سبيل الله فمات، فله الجنة؛ ورجل خرج حاجّاً فمات، فله الجنة؛ ورجل خرج إلى الجمعة فمات، فله الجنة؛ ورجل خرج في جنازة رجل مسلم، فله الجنة".

٣. قال الصادق: "ما من عبد مؤمن يغسل ميتاً مؤمناً، ويقول وهو يغسله: "رَبِّ عفوك عفوك"، إلا عفا الله عنه".

٤. قال أمير المؤمنين عليه السلام: "من تبع جنازة كتب الله له أربعة قراريط: قيراط لآتّباعه إياها، وقيراط للصلاة عليها، وقيراط للانتظار حتى يُفرغ من دفنها، وقيراط للتعزية. [والقيراط مثل جبل أحد].

٥. قال عليه السلام: "من تبع جنازة امرئ مسلم أعطي يوم القيامة أربع شفاعات".

٦. قال عليه السلام: "أول ما يُتحف به المؤمن في قبره، أن يغفر الله لمن تبع جنازته".

٧. "التعزية تورث الجنة".

٨. قال علي الرضا عليه السلام: "ما من عبد مؤمن زار قبر مؤمن، فقرأ عنده "إنا أنزلناه في ليلة القدر"، سبع مّرات، إلا غفر الله له، ولصاحب القبر".

٩. عن الصادق عليه السلام قال: من قال عشر مرات، قبل أن تطلع الشمس وقبل غروبها: "لا إله إل الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيى ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير"، كانت كفارة لذنوبه في ذلك اليوم.

١٠. عن الصادق عليه السلام: "من صلى ركعتين خفيفتين بقل هو الله أحد، في كل ركعة ستين مرة، انتقل وليس بينه وبين الله ذنب".

١١. عن الرضا عليه السلام: العمرة إلى العمرة كفارة ما بينهما.

VIII. أحاديث تحمل هوية إسرائيلية واضحة

١. كانت فاطمة، عليها السلام، تأتي قبور الشهداء **كل غداة سبت**، فتأتي حمزة، فتترحم عليه، وتستغفر له.

اختيار السبت من دون سائر الأيام، يكشف عن هوية الحديث. ثم إن سيد الشهداء حمزة ليس في حاجة إلى من يترحم عليه، أو يستغفر له، فحمزة إلى جنات الخلد مع النبيين والصدقيين والشهداء وحسن أولئك رفيقا.

٢. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اللهم بارك لأمتي في بكورها: **يوم سبتها** وخميسها".

اختيار السبت هنا أيضاً واضح المعالم الإسرائيلية. لماذا لم يقع الاختيار على يوم الجمعة الذي وردت في فضله وقدسيته في كتاب "من لا يحضره الفقيه، أحاديث كثيرة؟!.

IX. أحاديث في تقديس الحسين وقبره

١. عن أبي عبد الله عليه السلام: "موضع قبر الحسين، عليه السلام، منذ يوم دفن فيه، روضة من رياض الجنة".

٢. قال عليه السلام: "موضع قبر الحسين تُرعة من ترع الجنة".

٣. عن أبي عبد الله عليه السلام: "ما بين قبر الحسين، عليه السلام، إلى السماء السابعة، مختلف الملائكة".

٤. قال عليه السلام: "من أتى قبر الحسين، عليه السلام، عارفاً بحقه، كتبه الله عز وجل في أعلى عليين".

٥. عن أبي عبد الله عليه السلام: "إذا كان النصف من شعبان، نادى منادٍ من الأفق الأعلى: يا زائري قبر الحسين، إرجعوا مغفوراً لكم، ثوابكم على ربكم، ومحمد نبيكم".

هذه الأحاديث توهم بأن الحسين، رضي الله عنه، قد بلغ منزلة من التكريم عند الله فاق بها الملائكة المقربين، وأنبياء الله المرسلين!.

فماذا ترك الحسين بعد ذلك، للصحابة الأبرار، والمجاهدين الأطهار، من مهاجرين وأنصار، من الذين حملوا رسالة الإسلام، وقدموا حياتهم في سبيلها، طائعين مختارين، لا يبتغون إلا فضلاً من الله ورضوانا؟!

X. أحاديث الوصية

١. عن جعفر الصادق، عن أبيه، عن جده، قال: قال صلى الله عليه وسلم: الأئمة بعدي أثنا عشر، أولهم علي بن أبي طالب، وآخرهم القائم. فهم خلفائي وأوصيائي وأوليائي وحجج الله على أمتي بعدي. المقر بهم مؤمن، والمنكر لهم كافر". جرأة في الباطل ما بعدها جرأة!!

٢. قال صلى الله عليه وسلم: "إن لله تعالى مئة ألف نبي، وأربعة وعشرون ألف نبي. أنا سيدهم، وأفضلهم، وأكرمهم على الله عز وجل. ولكل نبي وَصِي أوصي إليه بأمر الله تعالى ذكره. وإن وصيّي علي بن أبي طالب، لَسَيّدهم وأفضلهم وأكرمهم على الله عز وجل".

هذه الأحاديث وأمثالها تقرر أموراً ثلاثة في حق علي وآله:

أولها: أن لهم حقاً إلهيا في خلافة الرسول صلى الله عليه وسلم.

وثانيها: أنهم حجج الله على عباده، فهم لذلك معصومون. لأن الإنسان لا يمكن أن يكون حجة لله على عباده إلا إذا كان معصوماً، حتى تقوم به الحجة، وتنحصر فيه المرجعية.

وثالثها: أنهم أسياد الناس وأفضلهم وأكرمهم على الله تعالى، طبعاً لأنهم أقرباء الرسول نسباً وصهراً.

وهذه المسالة قد استطال فيها الحوار بين أخذ ورد، علماً بأن وجه الحق فيها واضح أبلج:

أ. فالإسلام قد جاء بما يهدم **نظرية الحق الإلهي للملوك في حكم البشر.** فالناس سواسية كأسنان المشط. لا فرق لعربي على أعجمي، ولا لأبيض على أسود، إلا بالتقوى. فإمام المسلمين أو خليفتهم إنما يستمد حقه أو شرعيته في الحكم من اختيار الناس له ومبايعتهم إياه، وليس من حق إلهي أو وراثي مزعوم. فأمر

المسلمين شورى بينهم، والخلافة بيعة لمن يقع اختيارهم عليه، وكان يملك المؤهلات الشرعية اللازمة لها.

ب. ليست العصمة عند الله إلا لرسوله وأنبيائه، فهم وحدهم الحجة على الناس، وهم في رعاية الوحي الدائمة، ولا ينطقون عن الهوى. "**وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى**". فعصمة الائمة هي فكرة باطلة، لا واقع لها ولا دليل. ومحمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء والمرسلين، **فلا معصوم بعده، ولا معجزة أو كرامة لأحد من بعده من العالمين.**

ج. التفاضل في المنزلة عند الله هو بالتقوى وحدها، وليس هو بالقرابة أو بالنسب أو بأي اعتبار آخر.

لهذه الاعتبارات البسيطة الواضحة القاطعة تعتبر أحاديث الوصية جميعها أحاديث موضوعة، دسّها المغرضون الحاقدون على الإسلام وأهله، لضرب وحدتهم، وإثارة الفتن والحروب بينهم، أشكالاً وألواناً، اسقاطا لقوله تعالى: " وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَاْ رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ".

XI. أحاديث تخرج عن حدود اللياقة والأدب

١. قال عليه السلام: **تعّلموا من الديك** خمس خصال: محافظته على أوقات الصلاة، والغيرة، والسخاء، والشجاعة، **وكثرة**

الطُّروقة". **يعني كثيرة الجماع**، حتى يكون لدينا ديوك بشرية لا تعد ولا تحصى، فنرِّدد عندها قائلين: **قد أفلح من تديّك!!**.

٢. قال أبو عبد الله عليه السلام: "لا تُنزلوا النساء الغُرف، ولا تعلموهن الكتابة، ولا تعلموهن سورة يوسف. وعلّموهن المغزل وسورة النور.

يعني لأن سورة يوسف فيها مغامرات نسائية، فلا ينبغي أن تتعلمها النساء. ونحن نقول: أو ليس الرجال طرفاً آخر في أي مغامرة نسائية؟ فلماذا إذن يحل لنا أن نعلمهم سورة يوسف، بلا تحفظ، وبلا خوف ولا وجل، ويحرم علينا أن نعلمها للنساء الطرف الثاني في المعادلة؟!

٣. عن الصادق عليه السلام: **ثلاثة يهدمن البدن وربما قتلن: دخول الحمام على البطنة [يعني والبطن ملآن]، والغشيان على الامتلاء، (يعني الجماع والرجل شبعان)، ونكاح العجائز**". **يا سلام سلّم من البلاء وقلة الحياء!!؟**

٤. قال عليه السلام: "**إذا قامت المرأة من مجلسها فلا يجلس أحد في ذلك المجلس حتى يبرد**". قلة أدب!!

٥. عن أبي عبد الله عليه السلام: "لا ينبغي للرجل المسلم منكم أن يتزوج الناصبية [يعني السنية]، ولا يزوج ابنته ناصباً [يعني سنياً]، ولا يطرحها عنده".

XII. أحاديث في العبادة عن الغير

١. عن الصادق عليه السلام: "إذا مات الرجل وعليه صوم شهر رمضان، فليقض عنه من شاء من أهله".

٢. سئل الصادق عن الرجل يحج عن آخر، أَلَهُ من الأجر والثواب شيء؟ فقال: لِلّذي يحج عن الرجل أجر وثواب عشر حجج، ويغفر الله له، ولأبيه، ولأمه، ولابنه، ولابنته، ولأخيه، ولأخته، ولعمه، ولعمته، ولخاله، ولخالته. إن الله واسع عليم!

ما علاقة هؤلاء العشرة الذين ستغفر لهم ذنوبهم، بعمل قريبٍ لهم حَجَّ عن غيره؟! ما هذه العشائرية السائبة السمجة المغرقة في الانحطاط؟!

٣. عن عمر بن يزيد: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: "يُصلَّى عن الميت؟ فقال: نعم. حتى إنه ليكون في ضيق فيوسع الله عليه ذلك الضيق".

وهذه الأحاديث تعني جواز أن يصلي، أو يصوم، أو يحج الحي عن الميت.

الصلاة والصوم والحج عبادات روحية شخصية شرعت لعبادة الله، من كل مسلم مكلف، قادر عليها، لضمان استمرار علاقة الإنسان بربه، وشحنه بالطاقة الروحية التي تدفعه دوماً للالتزام بأوامر الله ونواهيه، في المنشط والمكره، في السر والعلن، في العسر

واليسر. وهذا مستحيل أن يتحقق شيء منه لمن لا يفعله بنفسه ويقضيه عنه شخص آخر. فشعائر العبادات هي نية وأقوال وأفعال، فيها الخضوع والخشوع لله رب العالمين. فكيف ينوب فيها عابد عن آخر، بعيد عن أدائها كل البعد؟ فالصلاة مثلاً تنهى عن الفحشاء والمنكر، فهل هي تنهى، والحالة هذه، من يؤديها طاعة لله وامتثالا لأمره، أم من لا علاقة له بها من قريب أو بعيد؟!

٧. الكُلَيْنـي

ولد في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري، وتوفي ٣٢٨هـ. وينسب إلى كلين، وهي بلدة تقع شرقي مدينة قم. غير أنه عاش معظم حياته في بغداد، في أيام الخليفة المقتدر العباسي. وهو يعتبر عند أهل الشيعة من العمالقة الأعلام في الحديث والفقه وأصول الدين. وهو من أوائل من دونوا الحديث الشيعي. ويعتبر المجدد الأكبر لمذهب الشيعة الإمامية على رأس المئة الهجرية الثالثة.

ومنزلته في عالم الحديث عند أهل الشيعة تضاهي، بل وربما تزيد، على منزلة البخاري في عالم الحديث عند أهل السنة. وكتابه الكافي تحيط به القداسة من كل جانب، كما أحاطت من قبله بصحيح البخاري، بل زادت عليه كثيراً، لأنه احتوى على (١٦١٩٩) حديثاً، بينما صحيح البخاري لم يتجاوز (٧٥٦٣) حديثاً مع المكرر. وقد أوغل بعض المتطرفين الشيعة في اعتبار أن كل ما جاء في الكافي من أحاديث هي حق لا مرية فيها، خاصة وأن هذا الكتاب قد وصل إلى يد الإمام المهدي، المختفي في سردابه، وَعَدَّ جميع أخباره ورواياته صحيحة. كما اعتبر الغلاة أن هذا الكتاب مؤيد من الله تعالى بتأييد خاص، حتى إن عباس القمي قال فيه: إنه لم يعمل للإمامية مثله. وكما قال الكاشاني فيه: إنه خالٍ

من العيوب والفضول. وقس على ذلك موقف الشيخ المفيد والاسترابإذي وغيرهم من علماء الإمامية. فالكتاب في نظرهم قد انتهى في رواياته واستند إلى الأئمة المعصومين، فلم يترك بعد ذلك مقالة لقائل.

غير أن الكليني، رغم ما أحاط بكتابه الكافي من هالات العصمة والتقديس، فإنه قد أورد فيه من الغرائب والعجائب والخرافات ما يبعث على الحيرة والذهول، لدى كل من يتصفح كتابه من عقلاء هذه الأمة، مهما كان شأنه من العلم، ومهما كانت انتماءاته المذهبية. وهذا، إن دّل على شيء، فإنما يدل على بعده عن الدراية بُعْدَ ما بين المشارق والمغارب. ونحن سوف نقدم فيما يلي بعض النماذج، من كثير جداً غيرها، تذكرة وعبرة لأولي البصائر والألباب:

I. الطعن في كتاب الله

أ. عن الإمام الصادق: "أن القرآن الذي جاء به جبرائيل إلى محمد صلى الله عليه وسلم هو سبعة عشر ألف آية". يعني أنها تعادل ثلاثة أضعاف ما هو موجود في المصحف الذي بين أيدينا.

ب. وفي رواية أخرى، أن مصحف فاطمة يعادل ثلاث مرات ما هو موجود في المصحف المعروف لدينا.

ج. من الآيات المحرفة التي افتراها الكليني نقدم النماذج التالية:

١. "ولقد عهدنا إلى آدم من قبل كلمات **[في محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ذريتهم] فنسي**".

٢. "بئس ما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله **[في علي]** بغياً".

٣. "يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نّزلنا **[في علي]** نوراً مبيناً".

٤. "كبر على المشركين **[بولاية علي]** ما تدعوهم إليه **[يا محمد من ولاية علي]**".

٥. "وإن كنتم في ريب مما نَّزلنا على عبدنا **[في علي]** فأتوا بسورة من مثله".

٦. "سأل سائل بعذاب واقع، للكافرين **[بولاية علي]** ليس له دافع".

٧. "فبدّل الذين ظلموا **[آل محمد حقَّهم]** قولا غير الذي قيل لهم، فأنزلنا على الذين ظلموا **[آل محمد حقَّهم]** رجسا من السماء بما كانوا يفسقون".

٨. "إن الذين ظلموا **[آل محمد حقَّهم]** لم يكن الله ليغفر لهم، ولا ليهديهم طريقاً، إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدا، وكان ذلك على الله يسيراً". "يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من

ربكم **[في ولاية علي]** فآمنوا خيراً لكم. وإن تكفروا **[بولاية علي]** فإن لله ما في السموات وما في الأرض".

٩. "ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به **[في علي]** لكان خيراً لهم".

١٠. "وقل الحق من ربكم **[في ولاية علي]** فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر. إنا اعتدنا للظالمين **[آلَ محمد]** ناراً".

١١. "ومن يطع الله ورسوله **[في ولاية علي وولاية الأئمة من بعده]** فقد فاز فوزاً عظيماً".

١٢. "فستعلمون من هو في ضلال مبين **[يا معشر المكذبين، حيث أنباتكم رسالة ربي في ولاية علي والأئمة من بعده]**.

١٣. "فَلَنذُيقَنَّ الذين كفروا **[بتركهم ولاية أمير المؤمنين]** عذاباً شديداً في الدنيا، ولنجزينَّهم أسوأ الذي كانوا يعملون".

١٤. "هذا صراط **[علي]** مستقيم".

١٥. "إنكم لفي قول مختلف **[في أمور الولاية]**، يؤفك عنه من أفك".

١٦. "هذان خصمان اختصموا في ربهم، فالذين كفروا **[بولاية علي]** قُطِّعت لهم ثياب من نار".

١٧. "وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم، وأشهدهم على أنفسهم، ألست بربكم **[وأن محمداً رسولي وأن عليا أمير المؤمنين]**".

١٨. "وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله **[والمأمونون]**".

١٩. "وإنا لنعلم أن منكم مُكِّذبين، وأن **[عليا]** لحسرة على الكافرين، **[وأن ولايته]** لحق اليقين، فسبح **[يا محمد]** باسم ربك العظيم".

٢٠. "ومن يعص الله ورسوله **[في ولاية علي]** فإن له نار جهنم، خالدين فيها أبداً".

ومثل هذا التحريف والتأليف في الآيات، إمعاناً في البهتان والضلال، كثير جداً. ومن كبار المشايخ الذين ظاهروا الكليني في هذه الافتراءات وغيرها شيخه علي القمي، والصفّار، والعيّاشي، والطبرسي صاحب "الاحتجاج"، وغيرهم. أما الذين خالفوه في ذلك فمنهم الشيخ الصدوق القمي، والمرتضى، والطوسي، والطبرسي صاحب "التفسير" المعروف.

II. الخرافات في الإمامة والأئمة ومعجزاتهم الخارقة للخيال

١. عن الإمام الصادق أنه قال لأبي بصير: يا أبا محمد، عَلَّم رسول الله عَليًّا ألف باب، يفتح من كل باب ألف باب. يا أبا محمد، **وإن عندنا الجامعة**، وما يدريهم ما الجامعة: صحيفة طولها سبعون ذراعا بذراع رسول الله صلى الله عليه وسلم وإملائه من فلق فيه، وخط عَلِيّ بيمينه. فيها كل حلال وحرام، وكل شيء يحتاج الناس إليه حتى الأرش في الخدش. **وأن عندنا الجفر**، وما يدريهم ما الجفر: وعاء من أَدَمَ، فيه علم النبيين والوصيين، وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل. **وأن عندنا لمصحف فاطمة**، وما يدريهم ما مصحف فاطمة:

مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات. والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد. **وأن عندنا علم ما كان، وعلم ما هو كائن، إلى أن تقوم الساعة**".

٢. عن الإمام الرضا: "نحن أمناء الله في أرضه. عندنا علم البلايا والمنايا وأنساب العرب ومولد الإسلام. وإنّا لنعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقة الإيمان وحقيقة النفاق. وإن شيعتنا لمكتوبون بأسمائهم وأسماء آبائهم. أخذ الله علينا وعليهم الميثاق، يَرِدون مَوْرِدَنا، ويدخلون مدخلنا. ليس على ملة الإسلام غيرنا وغيرهم".

٣. في رواية أخرى عنده: أن الدنيا والآخرة للإمام يضعها حيث يشاء. وأن الله جعل الأئمة أركان الأرض أن تميد بأهلها، وحجته البالغة على من فوق الأرض ومن تحت الثرى.

٤. عن الصادق أنه سئل عن النجوم أحق هي؟ فأجاب: نعم، إن الله بعث المشتري إلى الأرض في صورة رجل. فأخذ رجلاً من العجم، فعلمه النجوم حتى ظن أنه قد بلغ، ثم قال له: أنظر أين المشتري؟ فقال: ما أراه في الفلك، وما أدري أين هو. فنحّاه وأخذ بيد رجل من الهند. فعلّمه حتى ظن أنه قد بلغ، قال: أنظر إلى المشتري أين هو؟ فقال: إن حسابي ليدل على أنك أنت المشتري. وشهق شهقة فمات، وورث عِلْمه أهلهُ، فالعلم هناك.

ألا يدل هذا الحديث على أن الذي صممه كان هندوسياً، يجعل من الهند وما فيها من شرك ووثنية وخرافات قبلة للعالمين؟!

٥. في رواية أخرى، أنه كانت هناك امرأة اسمها حَبّابة، جاءت الأئمة واحداً بعد آخر تسألهم عن دلالة الإمامة [تعني معجزات الإمامة]. وعندما أدركت علي بن الحسين كان عمرها مئة وثلاثة عشر سنة. وأرادت أن تسأله السؤال نفسه. لكن الإمام كان مشغولاً بالعبادة، فأومأ إليها بالسبابة، فأعاد إليها شبابها. وظلت هذه المرأة حية ترزق. وأدركت كلاً من الأئمة الباقر، والصادق، والكاظم، والرضا، ثم ماتت".

معجزة فظيعة لم يمنح الله مثلها أحداً من الأنبياء والمرسلين، أبد الآبدين ودهر الداهرين!! طوبى لها وحسن مآب!!

٦. عن الصادق: أن الحسين لم يرضع من أمه، ولا من غيرها، بل كان يؤتى به النبي صلى الله عليه وسلم فيضع أبهامه في فيه (فمه) فيمص منها ما يكفيه اليومين والثلاثة. فنبت لحم الحسين من لحم رسول الله".

وهذه الرواية تشبه رواية أخرى أوردها الكليني وهي، أنه لما ولد النبي صلى الله عليه وسلم مكث أياماً ليس له لبن. فألقاه أبو طالب على ثدي نفسه، فأنزل الله فيه لبنا. فرضع منه أياما حتى وقع على حليمة السعدية، فدفعه إليها. معجزات وثنية خارقة للخيال!!

٧. عن الإمام الباقر، أنه لما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد علي يوم الغدير، صرخ إبليس في جنوده صرخة، فلم يبق

منهم أحد، في بَرٍّ ولا بَحْرٍ، إلا أتاه. فقالوا: يا سيدهم ومولاهم، ماذا دهاك، فما سمعنا لك صرخة أوحش من صرختك هذه؟ فقال لهم: فَعَلَ هذا النبي فعلاً إن تَمَّ لم يُعْصَ اللهُ أبداً".

٨. عن الصادق: من عطس، ثم وضع يده على قصبة أنفه، ثم قال: الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حمداً كثيراً كما هو أهله، وصلى الله على محمد النبي وآله، خرج من منخره الأيسر طائر أصغر من الجراد وأكبر من الذباب، حتى يسير تحت العرش، يستغفر الله له إلى يوم القيامة".

لا ريب أن التصديق بمثل هذه الخرافات يتطلب مؤهلات خيالية عالية من الإعاقة العقلية!!

٩. عن الصادق في معنى قول الرجل لأخيه: (جزاك الله خيراً) قال: إن "خيرا" هو نهرٌ في الجنة، مخرجه من الكوثر، والكوثر مخرجه من ساق العرش. عليه منازل الأوصياء وشيعتهم. على حافتي ذلك النهر جواري نابتات، كلما قلعت واحدة نبتت أخرى، سمي بذلك النهر، وذلك قوله تعالى: "فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ". فإذا قال الرجل لصاحبه: جزاك الله خيرا فإنما يعني تلك المنازل التي أعدها الله لصفوته وخيرته من خلقه".

١٠. روي أن الإمام جعفر الصادق قال: إني لأعلم ما في السموات وما في الأرض، وأعلم ما في الجنة، وأعلم ما في النار، وأعلم ما كان وما يكون. ثم مكث هنيهة فرأى أن ذلك كثير على من

سمعه منه، فقال: علمت ذلك من كتاب الله إذ يقول: "تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ"!

ثم يمضي الكليني في كتابه "الكافي" فيبسط من الخرافات الفلكية وغير الفلكية ما يجعل المرء يحار في أمره وأمثاله: هل كل ذلك منهم علامات على خلل في التفكير، أم علامات على اختلال في العقول؟ وهذه بعض النماذج:

١. عن الإمام الحسن: أن لله مدينتين إحداهما بالمشرق والأخرى بالمغرب. عليهما سور من حديد، وعلى كل واحد منهما ألف ألف مصراع، وفيهما سبعون ألف ألف لغة، يتكلم كل لغة بخلاف لغة صاحبها. وأنا أعرف جميع اللغات، وما فيها، وما بينها، وما عليها، حجة غيري وغير الحسين أخي.

٢. عن تميم بن حاتم: كنا مع أمير المؤمنين، فاضطربت الأرض، فوحاها بيده، ثم قال لها: أسكني، ما لك؟ ثم التفت إلينا وقال: أما إنها لو كانت التي قال الله عز وجل لأجابتني، ولكن ليس بتلك. أي لو كانت زلزلة القيامة التي ذكرها الله في سورة الزلزلة لأجابتني، لقوله تعالى: "يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا".

٣. روي أنه كان **للنبي صلى الله عليه وسلم حمار**. وكان هذا الحمار قد كلّم النبي فقال: بأبي أنت وأمي: إن أبي حدثني، عن أبيه، عن جده، عن أبيه، أنه كان مع نوح في السفينة، فقام إليه نوح فمسح على كِفْله، ثم قال: يخرج من صلب هذا الحمار

حمار يركبه سيد النبيين وخاتمهم، **فالحمد لله الذي جعلني ذلك الحمار.**

أدعوا الله وأنتم مؤقنون بالإجابة، أن يحشركم مع حمير الأنبياء، أو بغال الأوصياء!

وتمضي الرواية إلى القول بأن أول من توفي من الدواب بعد النبي صلى الله عليه وسلم هو هذا الحمار، حيث قطع خطامه. ثم مر يركض حتى أتى بئر بني خطمة بُقبا، فرمى بنفسه فيها، فكانت قبره. [يعني أن الحمار قد انتحر حزناً على الرسول صلى الله عليه وسلم]. أو لم يكن هذا الحمار يعلم أن الانتحار حرام في شريعة محبوبه، سيد الأنام؟!

٤. عن الإمام الصادق قال: وجدنا في كتاب علي بن أبي طالب، أن الله لما أهبط آدم وزوجته حواء إلى الأرض، كانت رجلاه بثَنِيَّة الصفا، ورأسه دون أفق السماء. وأنه شكا إلى الله ما يصيبه من حر الشمس. فأوحى الله إلى جبريل أن آدم قد شكا ما يصيبه من حر الشمس. فأغمزه غمزة وصيَّر طوله سبعين ذراعاً بذراعه، وأَغْمز حواء غمزة فصيّر طولها خمسة وثلاثين ذراعاً بذراعها.

٥. عن الصادق: أن مريم حملت بعيسى تسع ساعات، كل ساعة شهراً.

٦. عن الإمام الباقر: أن لله عز وجل ديكاً رجلاه في الأرض السابعة، وعنقه مثبتة تحت العرش، وجناحاه في الهواء. وأنه في نصف الليل، أو في الثلث الثاني من آخر الليل، يضرب بجناحيه ويصيح: سبّوح قدوس، ربنا الله الملك الحق المبين، فلا إله غيره، رب الملائكة والروح"، فتضرب الديكة باجنحتها وتصيح.

٧. عن الباقر: أن الله خلق الشمس من نور النار وصفو الماء، طبَقاً من هذا وطبَقاً من هذا. حتى إذا كانت سبعة أطباق ألبسها لباسا من نار، ومن ثم صارت أشد حرارة من القمر.

أما القمر فخلقه الله من ضوء نور النار وصفو الماء، طبَقاً من هذا وطبَقاً من هذا. حتى إذا كانت سبعة أطباق ألبسها لباساً من ماء. ومن ثم صار القمر أبرد من الشمس.

٨. عن الإمام علي: أن للشمس ثلاث مئة وستين برجاً، كل برج منها مثل جزيرة من جزائر العرب. فتنزل كل يوم على برج منها. فإذا غابت انتهت إلى بُطنان العرش، فلم تزل ساجدة إلى الغد، ثم تُرَدّ إلى موضع مطلعها ومعها ملكان يهتفان معها، وإن وجهها لأهل السماء وقفاها لأهل الأرض. ولو كان وجهها لأهل الأرض لاحترقت الأرض ومن عليها من شدة حرها.

٩. عن الباقر: كان كل شيء ماء، وكان عرشه على الماء. فأمر الله الماء فاضطرم ناراً. ثم أمر النار فخمدت، فارتفع من

خمودها دخان، فخلق الله السموات من الدخان، وخلق الأرض من الرماد. ثم اختصم الماء والنار والريح. فقال الماء أنا جند الله الأكبر، وقالت الريح: أنا جند الله الأكبر، وقالت النار: أنا جند الله الأكبر. فأوحى الله عز وجل إلى الريح أنت جندي الأكبر.

١٠. عن الإمام علي، أنه سئل عن السحاب، فأجاب بانه يكون على شجر كثيب على شاطئ البحر يأوي إليه. فإذا أراد الله عز وجل أن يرسله أرسل ريحاً فأثارته، ووكل به ملائكة يضربون بالمخاريق، وهو البرق، فيرتفع.

١١. عن الإمام علي، أنه سئل عن الخلق، فقال: خلق الله ألفا ومئتين في البر، وألفا ومئتين في البحر. وأجناس بني آدم سبعون جنساً. **والناس ولد آدم، ما خلا ياجوج ومأجوج.**

١٢. عن الصادق أنه قال لأحد أصحابه: أتدري كم بين المشتري والزهرة من دقيقة؟ فأجابه صاحبه: لا والله. قال: أفتدري كم بين الزهرة والقمر من دقيقة؟ فأجاب: لا. قال: أفتدري كم بين الشمس وبين السنبلة من دقيقة؟ فاجاب: لا، ما سمعته من أحد من المنجمين قط. قال: أفتدري كم بين السنبلة وبين اللوح المحفوظ من دقيقة؟ فأجاب: لا والله ما سمعته من مُنَجِّم قط. عندها قال الصادق: ما بين كل واحد منهما إلى صاحبه ستون أو سبعون دقيقة!!.

III. في إباحة اللواط وما شاكله من الفواحش والموبقات

عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله (يعني جعفر الصادق) قال: قال أمير المؤمنين علي عليه السلام "**اللواط ما دون الدبر، والدبر هو الكفر**".

وقد سبقه إلى هذه الفاحشة صاحب "المحاسن" المحدث أبو جعفر البرقي (توفي ٢٧٠ أو ٢٨٠هـ)، وهو من أصحاب الجواد والهادي، في حديث مزعوم يرفع إلى أبي جعفر عليه السلام قال: **قيل له: أيكون المؤمن مبتلى؟ قال: نعم. ولكن يعلو ولا يُعلى.**

كما نسب هذا الشيخ الراوي إلى علي عليه السلام، من كتاب النكاح، في باب: "من أمكن من نفسه"، قوله: "**إن لله عباداً لهم في أصلابهم أرحام كأرحام النساء**. قال: فسأل: فما لهم لا يحملون؟ فقال: إنها منكوسة. ولهم في أدبارهم غدة كغدة البعير. فإذا هاجت هاجوا، وإذا سكنت سكنوا".

ويتمادى الكليني، في إباحة الفواحش فيقول: **إنه يجوز للشيعية المتزوجة التمتع بشرط عدم علم زوجها.** (فروع الكافي ٥/٤٣٦).

وفي الكافي أيضاً، عن أبان بن تغلب قال: قلت لأبي عبد الله (يعني جعفر الصادق): **إني أكون في بعض الطرقات فأرى المرأة**

الحسناء ولا آمن أن تكون ذات بعل أو من العواهر. قال: ليس عليك هذا، إنما عليك أن تصدقها في نفسها.

أما المرجع الشيعي آية الله الشيرازي في كتابه "الزينبيات" فيقول: **إن للشيعي أن يلاعب أمه إذا كانت أرملة، ويداعبها بطريقة جنسية بدون أن يطأها، كي لا تحتاج إلى المتعة وتهجر صغارها.** فللولد الكبير فقط حق لمسها ومغازلتها وإملاء فراغها العاطفي. عافانا الله، وحفظ علينا عقولنا وديننا وأخلاقنا وإنسانيتنا، ولعنة الله على دعاة الإباحية والانحلال والشذوذ والبهيمية في حياة المؤمنين!!

غياب الدراية عند أصحاب المسانيد – سنة وشيعة

صحيفة الإمام الرضا / أنموذجاً شيعيا

الإمام علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق هو الإمام الثامن في سلسلة الأئمة الإثني عشر المعصومين عند أهل الشيعة. وقد عاش في عصر الخليفة المأمون العباسي، ويقال إن المأمون نفسه قد بايعه.

وتبلغ هذه الصحيفة درجة القداسة عند الإثنا عشرية، حتى لقد قال فيها أحد مشايخهم: إسنادها لو قُرئ على مجنون برئ. وقد بلغ عدد الأحاديث فيها (٢٠٣) حديثاً غير الزيادات.

وفيما يلي مجموعة مما ورد في هذه الصحيفة من أحاديث، لا يكاد يخالط أحداً من مريدي الإمام الرضا، من أهل الشيعة، شك في صحتها وسلامتها من الخطأ أو الوضع أو التحريف:

١. قال صلى الله عليه وسلم: "اختنوا أولادكم يوم السابع، فإنه أطْهر وأسرع نباتا لِلَّحم". الواقع المدرك المحسوس، وعلوم الطب والأحياء، شاهد صارخ على كذب هذه الرواية.

٢. قال صلى الله عليه وسلم: "لا تزال أمتي بخير ما تحابوا، وأدوا الأمانة، واجتنبوا الحرام، وقَرَوُا الضيف، وأقاموا الصلاة، وأدَّوا الزكاة. فإذا لم يفعلوا ذلك ابتلوا بالقحط والسنين".

هذا الحديث يكذبه الواقع، ويكذبه القرآن:

أما الواقع فهو ما يشاهد في كافة أرجاء العالم الإسلامي من وجود ثروات طائلة تحت الأرض وفوق الأرض. وليس فيه قحط ولا جدب مطرد، رغم بُعْد الأمة الإسلامية بعدا شاسعاً عن الالتزام بأحكام الإسلام، وقيمه، ولزومياته.

أما ما يشاهد أحياناً، سواء في بلاد المسلمين أم في بلاد الكافرين، من تقلبات جوية، أو تغيرات مناخية، وما يصاحب ذلك من أمطار وثلوج، أو سيول وفيضانات، أو عواصف برية وبحرية، أو قحط وجفاف وانحباس أمطار، فهو ظاهرة طبيعية، لا تقتصر على بلد دون آخر، أو على قارة دون أخرى، ولا علاقة لها بعقائد الناس، وأنماط سلوكهم، وطرائقهم في العيش، وعلاقاتهم بالله وأنبيائه ورسله وشرائعه وأديانه.

أما ما تعانيه الشعوب ذات الثروات الطبيعية الطائلة، تحت الأرض وفوق الأرض، من بؤس وفقر وبطالة وتخلف وحرمان، فليس ذلك مردُّه إلى القحط والجفاف الذي يصيبهم في محصولاتهم الزراعية، بسبب كفرهم أو فسقهم وفجورهم كما يزعم الحديث، بل مرده إلى أمرين:

الأول: هو سيطرة الأقوياء في هذا العالم على مقدرات الضعفاء، ومصادرة ثرواتهم، حتى صاروا:

كالعيس في البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول

والثاني: هو الصورة التي عبر عنها المفكر الإنكليزي المشهور برنارد شو (Bernard Shaw) ذو اللحية الكثيفة الطويلة والصلعة المضيئة، حيث قال: **إن المشكلة الاقتصادية في هذا العالم هي مثل ما بين رأسي ولحيتي: غزارة في الإنتاج وسوء في التوزيع.**

وسواء كان الفقر والبؤس والشقاء ناتجاً عن استيلاء الأقوياء على مقدرات الضعفاء، أم كان ناجماً عن سوء توزيع الثروات بين الناس داخل مجتمعاتهم، فمرد ذلك كله إلى الصراع المتواصل بين البشر، مهما كانت هوياتهم الفكرية، وطرائق عيشهم الحياتية. والذي يحسم الصراع لصالح هذا الفريق أو ذاك إنما هو موازين القوى، وليس هو مجرد التقوى والصلاح، أو الفسق والفجور.

والصراع، بجميع أشكاله وألوانه، وبما يتمخض عنه من نتائج، حسنة أو قبيحة، محكوم بسنن الله في خلقه ومنها سنة التدافع، وقانون السببية الذي لا يتخلف أبدا، سواء في عالم الأحياء أم في عالم الجمادات".

أما القرآن فيكذب هذا الزعم الذي انطوى عليه الحديث وهو أن المعاصي تسبب القحط والجفاف تكذيباً صريحاً في قوله تعالى: "وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى".

٣. قال صلى الله عليه وسلم: "**ما من مائدة وضعت، فقعد عليها من اسمه أحمد أو محمد إلا قُدِّس ذلك المنزل في كل يوم مرتين**".

غريب عجيب! فتكريم الإنسان ليس هو لاسمه الذي اختاره له غيره، بل لما يقدمه من خير، ويفعله من الصالحات، وما يتحلى به من خلق رفيع.

ولعل واضع هذا الحديث أراد أن ينسج على منوال حديث آخر مزعوم يقول: "**خير الأسماء ما حُمِّد وعُبِّد**". وهذا الحديث، بدوره، كاذب. فالرسول صلى الله عليه وسلم لم يُسمِّ أحدا من أولاده "محمد" أو "أحمد"، بل سماهما القاسم وإبراهيم. ثم من بعد ذلك، سمّى حفيديه من ابنته فاطمة: "الحسن، والحسين"، وليس محمد ولا أحمد.

ومما يؤكد ما قصد إليه واضع الحديث الرواية التالية: "إذا سميتم الولد "محمداً" فأكرموه، وأوسعوا له في المجالس، ولا تقبحوا له وجهاً".

وأخيراً نقول للإمام الرضا، إن صح ما نسب إليه، لو كان أمر التعظيم والتكريم بالأسماء كما تقول، فلماذا نجد بين أسماء الأئمة الاثني عشر أسماء مثل علي، والحسن، والحسين، والباقر، والكاظم، وزين العابدين، وجعفر، والرضا، والهادي، والمهدي، والجواد؟ أو لم يكن الأولى أن تكون أسماؤهم: محمد، وأحمد،

ومحمود، وحامد، وحمود، وحمّاد، وحميد، وحمدان، وحميدان إلى أخر هذه المعزوفة المضحكة؟!

٤. قال صلى الله عليه وسلم: "إنما سَّميّتُ ابنتي فاطمة، لأن الله تعالى فطمها، وفطم من أحبها من النار".

ما دام مجرد حب فاطمة كافياً لعصمة المحبين من النار، فليسرح المحبون إذن، وليمرحوا في المعاصي والموبقات، اشكالاً وألواناً، طالما كانت المغفرة والرضوان وجنات عدن لهم بالمرصاد.

٥. قال صلى الله عليه وسلم: "من مر على المقابر وقرأ: قل هو ألله أحد" إحدى عشر مرة، ثم وهب أَجْرَه للأموات، أعطي من الأجر بعدد الأموات".

ما هذا الترخص المذهل في تحصيل الأجر والثواب والحسنات؟

٦. قال صلى الله عليه وسلم: "لما أسري بي إلى السماء أخذ جبريل عليه السلام بيدي، وأقعدني على درنوك من درانيك الجنة، ثم ناولني سفرجلة. فأنا كنت أقلبها إذ انفلقت، فخرجت منها جارية حوراء لم أر أحسن منها. فقالت: السلام عليك يا محمد! قلت: من أنت: فقالت: الراضية المرضية. خلقني الجبار من ثلاثة أصناف: أسفلي من مسك، ووسطي من كافور، وأعلاي من عنبر. عَجَنَني من ماء الحيوان، ثم قال لي الجبار: كوني،

فكنت. خلقني لأخيك وابن عمك علي بن أبي طالب". خرافة سخيفة مذهلة لا تستحق الرد عليها!

٧. قال صلى الله عليه وسلم: "لا تسترضعوا الحمقاء ولا العمشاء، فإن اللبن يُعدي".

هذا الزعم يكذبه الواقع، كما يكذبه علم الوراثة في الكائنات الحية. وهو إن دل على شيء فإنما يدل على جهل واضعه وسخفه.

٨. قال صلى الله عليه وسلم: "الذي يسقط من المائدة مهور الحور العين فكلوه". قذارة، وانحطاط!

٩. قال صلى الله عليه وسلم: نعم الأدام الخل، ولن يفتقر أهل بيت عندهم الخل". سخافة ووعود بائسة!.

١٠. قال صلى الله عليه وسلم: "اللهم بارك لأمتي في بكورها، يوم سبتها وخميسها".

تنبعث من هذا الحديث رائحة إسرائيلية كريهة كما أسلفنا من قبل. فتعظيم يوم السبت هو شعيرة من شعائر اليهود، ولا كلام.

١١. قال صلى الله عليه وسلم: "كلوا التمر على الريق فإنه يقتل الديدان في البطن".

التمر مادة مغذية، أكله ينعش الديدان ولا يقتلها.

١٢. قال صلى الله عليه وسلم: "سيد طعام الدنيا والآخرة اللحم ثم الأرز".

هذه الوصفة ينقصها اللبن حتى تكتمل عناصر المنسف!.

١٣. قال صلى الله عليه وسلم: "كلوا الرمان، فليست فيه حبة تقع في المعدة إلا أنارت القلب، وأخرست الشيطان أربعين يوماً".

صحيح أن كيد الشيطان كان ضعيفاً، فحبة رمان واحدة يبتلعها الإنسان كفيلة بأن تخرس الشيطان أربعين يوماً! فليتسلح إذن، كل واحد منا، بحبيبات من الرمان، يضعها في جيبه صباح مساء، يقهر بها الشيطان كلما حاول أن يوسوس له!

ولنبادر جميعنا إلى شراء الرمان، بغير حساب، حتى تقر عيون تجار الرمان.

١٤. قال صلى الله عليه وسلم: "عليكم بالزيت فإنه يكشف المُرَّة، ويذهب بالبلغم، ويشد العصب، ويحسِّنُ الخلق، ويطيب النْفس، ويذهب بالهمَّ".

فلنعكف إذن جميعاً على تناول الزيت، صباحاً وظهراً ومساء، طالما كان أكله سبيلاً لا مثيل له في معالجة الوضع الصحي للإنسان، وفي تحسين أخلاقه، وفي تطييب نفسه، وفي التغلب على همومه.

ألا يستحي الوضاعون من مثل هذه المهازل؟ ثم ألا يحترم المسلمون عقولهم إزاء هذه الأكاذيب الرخيصة لتجار الزيوت؟

١٥. قال صلى الله عليه وسلم: "كلوا العنب حبة حبة، فإنه أهنأ وأمرأ". ما علاقة المسلم بهذه السخافة والولدنة؟

١٦. قال صلى الله عليه وسلم: "إن يكن في شيء شفاء، ففي شَرطة حجّام، أو في شربة عسل". الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن طبيباً، ولا علاقة له بالطب، أصلاً وفصلاً! وهذه دعوة مكشوفة لتجار العسل ولمحترفي أعمال الحجامة!

١٧. قال صلى الله عليه وسلم: "إذا طبختم الطعام فأكثروا القَرْع فإنه يَسُرُّ القلب الحزين". نحن هنا أيضاً أمام تجار القرع!.

١٨. قال صلى الله عليه وسلم: "النجوم أمان لأهل الأرض، وأهل بيتي أمان لأمتي؟

لم يثبت عبر التاريخ الإسلامي كله، وفي أي يوم من الأيام، أن أهل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم كانوا أماناً لأمة الإسلام، لا من الكفر، ولا من الزندقة، ولا من الفقر، ولا من الظلم، ولا من عدوان الكفار على أمة الإسلام ودولته.

١٩. قال صلى الله عليه وسلم: "دعاء أطفال أمتي مستجاب، ما لم يقاربوا الذنوب".

أطفال المسلمين غير مكلفين شرعاً، ولو أنهم ارتكبوا بعض الذنوب فإن الله سبحانه وتعالى لا يؤاخذهم عليها. وعليه، فلا محل لدعائهم، ولا اعتبار لذنوبهم!

٢٠. قال صلى الله عليه وسلم: "الويل لظالمي أهل بيتي، عذابهم مع المنافقين في الدرك الأسفل من النار".

فهل الذين يظلمون سائر المسلمين هم في الجنة، في أعلى عليين مع النبيين والصديقين والشهداء؟!

٢١. قال صلى الله عليه وسلم: "**أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب**".

ما هو هذا العلم الذي لا يستطيع أحد أن يصل إليه إلا من بابه، يعني علي بن أبي طالب؟ إننا نعلم علم اليقين، مما علّمنا إياه رب العالمين، أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يكن يعلم الغيب، مصداقاً لقوله تعالى: "قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلا أَعْلَمُ الْغَيْبَ" وقوله: "وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ". فماذا بقي في جعبة الرسول صلى الله عليه وسلم من علم الغيب وأسراره، بعد أن حجبها الله عنه، حتى يرثها عنه علي بن أبي طالب، ويستأثر بعرفانها من دون سائر الخلائق، والبشر أجمعين؟!

٢٢. قال صلى الله عليه وسلم: "من قال حين يدخل السوق: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحي ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير، أعطي من الأجر بعدد ما خلق الله تعالى إلى يوم القيامة".

يا بلاش! يعني تسبيحة بسيطة واحدة تضمن للإنسان دخول الجنة وزيادة!.

٢٣. قال صلى الله عليه وسلم: "إن لله عز وجل عموداً من ياقوت، أحمر، رأسه تحت العرش، وأسفله على ظهر الحوت، في الأرض السابعة السفلى. فإذا قال العبد: لا إله إلا الله، اهتز العرش، وتحرك العمود، وتحرك الحوت. فيقول الله عز وجل: اسكن عرشي! فيقول: كيف أسكن وأنت لم تغفر لقائلها؟ فيقول الله عز وجل: إِشْهدوا سكانَ سماواتي أني قد غفرت لقائلها".

لا حاجة للرد على هذه الخرافات والسخافات والهلوسات!

٢٤. قال صلى الله عليه وسلم: "حافظوا على الصلوات الخمس، فإن الله عز وجل، إذا كان يوم القيامة، يدعو العبد. فأول شيء يسأل عنه الصلاة. فإن جاء بها تامة، وإلا زُجَّ به في النار".

شريعة الله لا تقتصر على الصلاة وحدها، فأوامره ونواهيه كثيرة، تغطي جوانب الحياة كلها. فكيف أصبحت الصلاة وحدها، وهي مجرد فريضة واحدة من كثير غيرها، هي التي تقرر مصير الإنسان في اليوم الآخر، والله تعالى يقول في صريح قرآنه: "**فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره**"؟

إن حصر الإسلام في مسألة واحدة من المسائل، هو مسخ له، وهدم لبنيانه وغاياته. نعوذ بالله من شرور الوضاعين المجرمين!

٢٥. قال صلى الله عليه وسلم: "لمّا أُسري بي إلى السماء، رأيت في السماء الثالثة مَلَكا قاعدا، رِجْل له في المشرق ورِجْل له

في المغرب، وبيده لوح ينظر فيه، ويحرك رأسه، فقلت: يا جبريل من هذا؟ قال: هذا مَلَك الموت"! مساخر ومهازل!

٢٦. قال صلى الله عليه وسلم: "تختّموا بخواتم العقيق، فإنه لا يصيب أحدكم غَمٌّ ما دام ذلك عليه". هنيئاً لتجار العقيق إذن!

٢٧. قال صلى الله عليه وسلم: "إن الله عز وجل أمرني بحب أربعة: علي وسلمان وأبي ذر، والمقداد بن الأسود".

أين بقية الصحابة الأبرار الذين جاهدوا في الله حق جهاده، وأعَلُوا لواء الإسلام في العالمين، فرضي عنهم ورضوا عنه، وأثابهم، وأثنى عليهم في محكم كتابه؟ ألا يوجد في قلب الرسول صلى الله عليه وسلم مُتسَّع لهم بعد أن امتلأ قلبه بحب أولئك الأربعة. إن الوضاعين والمصدقين بهذه الأكذوبة السخيفة يقتدون برابعة العدوية حينما سئلت: هل تحبين الرسول صلى الله عليه وسلم؟ فقالت: إن قلبي قد امتلأ بحب الله، فلم يَعُدْ فيه مُتَسَّعٌ لحب غيره.

أهلاً بمريدي رابعة العدوية، الغارقين معها في مستنقع الضلال!

٢٨. قال صلى الله عليه وسلم: "إذا كان يوم القيامة نادى مناد: يا معشر الخلائق، غضوا أبصاركم حتى تجوز فاطمة بنت محمد".

يعني يصح لهم بعد ذلك أن لا يغضوا أبصارهم عن غيرها من نساء العالمين، ويتمتعوا ما شاء لهم أن يتمتعوا بعد أن تمر فاطمة!! أليس كذلك؟!

٢٩. قال صلى الله عليه وسلم: "يا علي! إن الله تعالى قد غفر لك، ولأهلك، ولشيعتك، ولمحبّي شيعتك، ولمحبي محبي شيعتك".

ما هذا التمييز العنصري، الذي يمارسه الله سبحانه يوم القيامة تجاه مخلوقاته؟! هل سقطت قاعدة: من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها، وقاعدة إن أكرمكم عند الله أتقاكم؟ وهل حَلَّ الحب وحده، حتى ولو كان حبا أعمى، محل قاعدة الجزاء والعمل؟!

ما هذا البهتان المبين، والترخص المشين، في شريعة رب العالمين؟!

٣٠. سئل علي بن أبي طالب عليه السلام في قوله تعالى: "ثم لتُسألن يومئذ عن النعيم"، قال: الرُطّب والماء البارد". هزلت حتى سامها كل بائع رطب وشراب!

٣١. قال صلى الله عليه وسلم: "ثلاثة يَزِدْن في الحفظ، ويذْهبن بالبلغم: قراءة القرآن، والعسل، واللِّبان". شطحات بالمهابيل يسرح بهم فيها تجار العسل واللبان!.

٣٢. قال صلى الله عليه وسلم: "**للمرأة عشر عورات**. إذا تزوجت استترت عورة، وإذا ماتت استترت عوراتها كلها".

هذا طعن فاحش في شرف المرأة، والعياذ بالله تعالى!.

٣٣. قال صلى الله عليه وسلم: "عليكم باللحم فإنه ينبت اللحم. **ومن ترك اللحم أربعين يوماً ساء خلقه**".

إذا كانت أنواع المأكولات هي التي تحدد سلوك الإنسان وأخلاقه، فلماذا إذن يحاسب الله الإنسانَ على فساد أخلاقه، خاصة إذا كان فقيراً لا يقوى على الوصول إلى المأكولات الطيبة التي تشكل ربيع أخلاقه؟

أي دين هذا الذي يشرع مثل هذه السخافات**؟!**

٣٤. قال صلى الله عليه وسلم: "عليكم بالملح فإنه شفاء من سبعين داء، منها الجذام والبرص والجنون".

المصدق بهذا الحديث يجب أن يدخل مصحة عقلية.

٣٥. قال صلى الله عليه وسلم: "فَضْلُ البنفسج على الأدهان كفضل الإسلام على سائر الأديان". **ما هذا إلا سجع كُهّان!**

٣٦. قال صلى الله عليه وسلم: "**عليكم بسيد الخضاب، فإنه يُطيّب البشرة ويزيد في الجماع**".

هل هذه هي مؤهلات المؤمنين، وهل هذا هو مطلبهم الذي يقربهم إلى الله زلفى؟

خفة متناهية، وقلة أدب، وقلة حياء!

غياب الدراية عند أصحاب المسانيد . سنة وشيعة

صحيفة همّام بن مُنَبِّه / أنموذجاً سنياً

صاحب الصحيفة، همام بن منبه، ولد قبيل سنة ٤٠ هـ وتوفي حوالي ١٣٢هـ. وهو من التابعين. وكان أبو هريرة الذي توفي حوالي سنة ٥٨ هـ هو شيخه في هذا الميدان. وقد وصلت هذه الصحيفة كاملة من خلال مسند أحمد بن حنبل. وفي البخاري ومسلم منها عدد من الأحاديث.

وتعتبر هذه الصحيفة، من حيث أسانيدها، لدى المحدثين، من أصح الأسانيد، ومن أعلى مراتب الصحة. وفيما يلي مجموعة مما ورد في الصحيفة من أحاديث، نسلط عليها أضواء الدراية، حتى نقف على حقيقة أمرها:

١. "في الجمعة ساعة لا يوافقها مسلم، وهو يصلي، يسأل ربه شيئاً إلا آتاه إياه".

نقول: فما شأن الله مع عباده في غير هذا الميقات؟ ألا يسمع دعاءهم في كل زمان ومكان، وهو القائل: "**وإذا سألك عبادي عني فإني قريب، أجيب دعوة الداعي إذا دعان**"؟! ثم أو بكل هذه البساطة، وبكل هذه العشوائية التصادفية، يصل المسلم إلى ما يريد من ربه؟!!.

٢. "إذا نودي للصلاة، صلاة الصبح، وأحدكم جُنُب، فلا يصوم يومئذ".

الجنابة لا علاقة لها بالصوم. أما الطهارة من الجنابة فهي شرط لصحة الصلاة، وليست شرطاً لصحة الصيام.

٣. "إذا قال أحدكم آمين، والملائكة في السماء آمين، فوافق إحداهما الأخرى، غفر له ما تقدم من ذنبه".

لا ريب أن المرء يحتاج إلى عقل متقاعد من جميع وظائفه التي فطره الله عليها حتى يصدق، وبكل هذه البساطة المذهلة، أن كلمة "آمين" وحدها كفيلة بأن تصفر عداد الذنوب لدى المجرمين، والمذنبين، والخاطئين، والأشرار في هذا العالم؟!

٤. "لكل نبي دعوة تستجاب له، فأريد . إن شاء الله . أن أدَّخر دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة".

هذا من أحاديث الشفاعة، وهو حديث باطل كما سبق أن بينّا في بحث الشفاعة.

٥. **في الفتن وأشراط الساعة** أورد عدة أحاديث منها:

أ. لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان، يكون بينهما مقتلة عظيمة، ودعواهما واحدة. واضح أن هذا الحديث المزعوم هو حديث سياسي يتحدث عن معركة الجمل بين طلحة والزبير وعائشة من جهة، وعلي بن أبي طالب من جهة أخرى. فالفريقان هما أصحاب دعوة واحدة، وحصلت

بينهما مقتلة عظيمة. وهذا الحديث يزعم أن تلك المعركة هي من علامات الساعة. فأين تلك المعركة من علامات الساعة التي انقضى عليها قرابة أربعة عشر قرناً ولم تحصل الساعة، وحصل في تاريخ الإسلام افظع منها وأشنع بكثير ولم يتطرق إليها الحديث المزعوم؟!

ب. لا تقوم الساعة حتى ينبعث دجالون كذابون، قريب من ثلاثين، كلهم يزعم أنه رسول الله.

ج. لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها.

٦. لله تسعة وتسعون إسماً، مئة إلا واحدا، من أحصاها دخل الجنة. إنه وِتْرٌ يُحب الوتر.

ترخص فاحش مذهل في دخول الجنة. إنه وأمثاله أحاديث هدامة يراد منها الإطاحة بالمنظومة الفكرية الإسلامية إطاحة تامة، باعتبارها تكاليف لا لزوم لها، وهي لا تقدم ولا تؤخر شيئاً في مصير الإنسان يوم القيامة!!.

٧. "إذا استجمر أحدكم فليوتر". هل المطلوب في الاستجمار هو النظافة أم العدد؟ عجيب أمر الوضاعين! في استخفافهم بعقول المسلمين!!

٨. "إن أدنى مقعد أحدكم من الجنة أن هُيِّئ له أن يقال له: تَمَنَّ! فيتمنى ويتمنى. فيقال له: هل تمنيت؟ فيقول: نعم. فيقول له: إن لك ما تمنيت ومثله معه".

يعني أن المعادلة البدهية التي نعلمها من أمر الإسلام في الحياة الدنيا وهي:

وما نيل المطالب بالتمني   ولكن تؤخذ الأخرى غلابا

قد انقلبت رأساً على عقب، وأصبحت العبرة هناك بتمني المرء، وليس بما قدمت يداه، وثقلت موازين حسناته على موازين سيئاته!!

٩. "لولا بنو إسرائيل لم يخبث الطعام، ولم يخنز اللحم. ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها، الدهر".

سبق أن عالجنا هذا الحديث المكذوب تحت حديث رقم (١٨) في موضوع الشفاعة، في جملة أحاديث الآحاد لا تقوم بها حجة في العقائد والمغيبات.

١٠. خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعاً.

هذا حديث إسرائيلي منقول من سفر التكوين. وهو حديث يكذبه القرآن تكذيباً قاطعاً، حيث يقول تعالى: "**ليس كمثله شيء**". فالآية واضحة في أن آدم ليس على صورة الله، وفيها تكذيب قاطع لمزاعم التوراة.

١١. "جاء ملك الموت إلى موسى، فلطم موسى عينه ففقأها".

سبق أن عالجنا هذه الأكذوبة الإسرائيلية الفاحشة في ثنايا هذا الكتاب، بإسهاب.

١٢. "إن في الإنسان عظما لا تأكله الأرض أبدا، فيه يركب يوم القيامة، قالوا: أي عظم؟ قال: عَجْمُ الذَنبَ (يعني العصوص)".
سبق أن عالجنا أمره فيما مضى.

١٣. "إذا ما رب النَّعَم (يعني الجِمال) لم يُعط حقها، تُسَلَّط عليه يوم القيامة: تَخْبِطُ وجهه بأخفافها".

يعني أن بعض الحيوانات مثل الجمال، إلى جانب ملائكة النار، تلعب دوراً مهما في تعذيب أصحابها يوم القيامة انتقاماً منهم على ظلمهم لها. كفى مساخر!

١٤. "لا يبال في الماء الدائم الذي لا يجري، ثم يُغتسل به".

في هذا الحديث رد على حديث: "إذا بلغ الماء قلتين فإنه لا يحمل خبثاً".

١٥. "لا تصوم المرأة وبعلها شاهد إلا بإذنه".

طالما كانت الحقوق الزوجية متبادلة، فهل يحرم على الرجل كذلك أن يصوم وامرأته حوله، طوافة عليه في ليله ونهاره؟!

١٦. "دخلت امرأة النار في هرة". سبق أن عالجنا موضوعها فيما مضى.

١٧. "لم تحل الغنَائم لمن كان قبلنا. ذلك بأن الله رأى ضعفنا وعجزنا، فطيَّبها لنا".

منذ فجر التاريخ وحتى تقوم الساعة والصراع الدموي بين البشر قائم لا يتخلف. فالأسر والسبي والغنائم بين المتحاربين أمر

طبيعي لا يمكن أن تمضي أمور الصراع بدونه. فالزعم، في هذا الحديث، وفي أحاديث أخرى مشابهة له، بأن الغنائم لم تكن تحل لأحد من الناس قبل محمد صلى الله عليه وسلم، زعم غير صحيح، يكذبه الواقع قديماً وحديثاً. وأنبياء الله السالفون كان لبعضهم دول وجيوش، وكانوا يخوضون الحروب باردة وساخنة، فكان حتما مقضياً أن يَغْنموا وأن يُغَنم منهم، وأن يتعرضوا للأسر والسبي وإلى كل مام يمليه منطق الحروب.

١٨. "كتب على ابن آدم نصيب من الزنى، مدرك ذلك لا محالة".

سبق أن تناولنا هذا الحديث المزعوم تفصيلاً فيما مضى.

١٩. "الكافر يأكل في سبعة أمعاء، والمؤمن يأكل في معى واحد".

كلام لا واقع له في حياة البشر! بل ربما كان العكس هو الصحيح أحياناً.

٢٠. "الناس تبع لقريش في هذه الشأن . يعني الإمارة . مسلمهم تبع لمسلمهم، وكافرهم تبع لكافرهم".

هذا من الأحاديث السياسية الأموية. وقد وضعوه وأمثاله ليوهموا الناس بشرعية حكمهم، بل تمضي إلى أكثر من ذلك، لتوهم الناس بأن الحكم الأموي القرشي قدر إلهي لا رادَّ له، وسنة ماضية من سنن الله في خلقه، لا يستطيع أحد لها تبديلاً، ولا يستطيع لها تحويلاً. وما على رعاياهم إزاء ذلك إلا أن يستسلموا لقدرهم هذا، رافعين أيديهم وأرجلهم تسليما وإذعانا، منحنية ظهورهم، ومطأطئة

رؤوسهم، عبيداً أذلاء لآل قريش، مدى الدهر، ما بقي على وجه البسيطة من قريش اثنان.

ويمتد هذا النمط من التمادي في التمييز القرشي بالحديث المزعوم التالي: "خير نساء ركبْن الإبل نساء قريش: أَحْناه على ولد في صغره، وأرعاه على زوج في ذات يده".

٢١. "ليس أحد منكم بمنجيه عمله، ولكن سددوا وقاربوا. قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله منه برحمة وفضل".

هذا الحديث وأمثاله عالجناه في موضع سابق.

٢٢. "العين حق، ونَهَى عن الوشم".

الإصابة بالعين خرافة ووهم كبير. وهي تعني أن الحسد من شخص معين لشخص آخر، في وقت معين وفي مكان معين، سوف يوقع . لا محالة . أذى مادياً أو معنوياً معيناً في الطرف المحسود. وهذا في الحقيقة، لا واقع له إلا في أذهان من يصدقونه. **أما الحسد** الذي طلب منا القرآن أن نستعيذ بالله من شره فهو أن يتمنى أحد زوال النعمة عن غيره. أما شر الحاسدين فهو ما قد يقومون به من محاولات مادية شريرة من التآمر والوقيعة والدسائس والأذى والعدوان على الطرف المحسود، علها تضرب النعمة التي يتمتع بها. أما أن مجرد النظر من حاسد إلى محسود، وما يجره

ذلك على المحسود من شر وأذى وزوال نعمة، فلا وجود له في واقع الحياة.

فالزعم والإيهام بأن الله سبحانه وتعالى قد زوّد أفراداً من البشر بقدرات إشعاعية خارقة خاصة، تجعلهم قادرين على إيقاع الأذى في غيرهم من أولي النعمة، بمجرد النظر إليهم، فذلك تخريف وتجديف، وافتراء على الله سبحانه وتعالى.

أما الحسد، الذي هو مدار البحث، فهو صفة خُلُقية سيئة ذميمة، كغيره من الأخلاق السيئة مثل الغيبة والنميمة، والكذب، والخيانة، والاعتداء على الشرف والأعراض والأموال، والنفاق، وشهادة الزور، وما شاكل ذلك. فهو معصية يرتكبها الأشرار، **وليس مؤهلاً بيولوجيا خاصاً يتفوق به الحساد على غيرهم** من الضعفاء والمساكين، ومن لا حول لهم ولا طول.

الوشم

أما الوشم المنهي عنه في هذا الحديث، وفي غيره من الأحاديث فهو، كما أوردنا من قبل، ليس عملاً يغير فيه الإنسان خلق الله، بل هو عملية تجميلية بحتة، ليس فيها تغيير ولا تبديل لخلق الله. **فتحريمه، والحالة هذه، مبني على دعوى باطلة، وما بني على الباطل فهو باطل.**

وبعد، فهذه الأحاديث التي أوردناها من كتاب الخراج، ومن الموطأ، ومن المسند، ومن العلل ومعرفة الرجال، ومِنْ "مَنْ لا يحضره الفقيه"، ومن الكافي، ومن صحيفة الإمام الرضا، ومن صحيفة همام بن منبه على كثرتها، لا تشكل مع مثيلاتها، إلا جزءاً يسيرا من جملة الأحاديث المبثوثة الموضوعة في أمهات كتب المحدثين.

ومما يؤسف له بالغ الأسف، أن الواحد من أصحاب كتب الحديث، كما يظهر للعيان، كان حريصاً غاية الحرص، أن لا يغادر حديثاً، ساقطاً دراية، عند من سبقوه من كبار المحدثين إلا احتضنه. وبذلك ظلت حجارة الباطل تتدحرج على رؤوس الأمة من إمام في الحديث إلى آخر، دون أن يتصدى لها، أو يقف في وجهها، بحق لا مرية فيه، مُدافع قهَّار أو مُناطح جبّار. وهذا التناقل والتداول لمثل هذه الأحاديث، جعل طلابها يظنون أو يتوهمون، بسبب كثرتها، وتعدد مصادرها، واتفاقها في موضوعاتها، أنها متواترة أو شبه متواترة. وقد غفل هؤلاء جميعاً عن حقيقة أن صفر زائد صفر زائد مليون صفر لا تساوي إلا صفراً معظماً.

إننا لا نزعم أبداً، كما أوردنا من قبل، أن أحداً من هؤلاء الناس، الذين كرّسوا حياتهم لخدمة السنة والحديث، كان سيء النية، حتى أورثونا في صحاحهم ومسانيدهم وسننهم، هذا الكم

الهائل من الموضوعات. بل نرد ذلك إلى الخطأ الفاحش القاتل المتواصل في منهاجهم في تمحيص الروايات. فهم، بلا استثناء، قد اعتمدوا، اعتماداً كاد يكون كاملاً شاملاً، على منهاج الرواية، وغاب عنهم غياباً، كاد يكون تاماً أيضاً، منهاج الدراية الذي بدون إعماله، جنبا إلى جنب مع منهاج الرواية، لا يمكن أن تستقيم الأمور، ويستتب الأمن في ربوع عالم الحديث، ويظهر وجه الحق أبيض أبلج، ووجه الباطل أسود لجلج.

ونحن هنا حين نتحدث عن الدراية فإنما نعني بها دراسة المتون، أي المضامين الفكرية لما انطوت عليه الروايات من مقولات أو أطروحات. ولا يتعدى الأمر عندنا إلى الدراية في الأسانيد، يعني دراسة أحوال الرواة من حيث عدالتهم وضبطهم للمرويات. فهذا النوع من الدراية خارج عن بحثنا وموضوعنا. أما الدراية التي نحن بصددها فهي بمثابة **ورق عباد الشمس** الذي يغمس في المحاليل فيكشف إن كان المحلول حامضياً أم قاعدياً.

وقياساً على ذلك، فنحن حين نغمس أوراق الدراية في محاليل الرواية فإننا نستطيع أن نكشف ما فيها من زيف أو زيغ أو خطأ أو صواب.

وهذا الكشف لا يعني أبدا أننا نطعن في ذمة المحدثين وأخلاقهم وصدقهم، بل هو كشف لما سببه غياب الدراية، عندهم

وعند غيرهم، من الوقوع في أخطاء كثيرة وكبيرة، فاحشة أو يسيرة، بحسن نية وليس بسوء طوية. عفا الله عنهم وغفر لهم.

غياب الدراية لدى المؤرخين

نماذج من الفواحش والموبقات

إن الدول والشعوب والأحزاب والشخصيات الكبيرة التي تلعب أدواراً مهمة في تاريخها، أو في تاريخ غيرها، على مر العصور، غالباً ما يتعرض تاريخها لشتى أنواع الكذب والتزوير، والدجل والتلوين، أحياناً لصالحها من المادحين، وأحياناً أخرى ضدها من القادحين.

والتاريخ الإسلامي ليس بدعاً في ذلك. فكثير من الشخصيات التي اضطلعت بأدوار كبيرة في الحياة العامة، سياسية، أو عسكرية، أو فكرية، أو تنظيمية، أو ما شاكل ذلك، قد تعرضت لاتهامات ظالمة، ومكائد حاقدة، ودعايات مضللة من خصومها أو من منافسيها، بغية تسويد صفحتها، والحط من قدرها، والتحريض عليها، لتحطيمها حال حياتها، أو تشويه سمعتها ولعنها بعد مماتها. والعكس صحيح. فكثير من الشخصيات السيئة الصيت والسيرة والسلوك قد بُيّضت صفحاتها، وأحيطت بهالات ودعايات وأساطير، تلبسها أثواب الفضائل والحسنات، أشكالاً وألوانا.

ولو أننا استعرضنا المادة التاريخية التي قدمها لنا المؤخون عن صدر الإسلام مثلاً، لوجدنا أن غياب الدراية في التعامل مع

الروايات التاريخية، قد أورثنا من الفواحش والمنكرات والموبقات التاريخية ما يندى له الجبين، ويذهب بالألباب!!.

فعلى سبيل المثال، كان من تداعيات الثورة على عثمان بن عفان، والحرب الأهلية التي أعقبت ذلك إبان خلافة علي بن أبي طالب، والتي تمثلت في معركة الجمل، ثم حركة التمرد المسلحة التي قادها معاوية بن أبي سفيان، والتي تمثلت في معركة صفين، ثم انقسام معسكر علي ابن أبي طالب على نفسه والذي تمثل في ظهور الخوارج، وتبنيهم أسلوب الكفاح المسلح ضد علي، ثم استتباب الأمر للأمويين في خاتمة المطاف، نقول كان من تداعيات ذلك كله أن ظهرت في الأمة الإسلامية الفرق المختلفة المتعددة، من شيعة، وخوارج، ومرجئة، ومعتزلة، وأهل سنة وجماعة. وقد لعبت الأهواء الفرقية، لدى بعض المنتسبين لهذه الجماعة أو تلك، أدواراً لا يستهان بها، في تلفيق الاتهامات، واختلاق الأكاذيب، ووضع القصص والحكايات التي تؤيد وجهة نظر هذا الفريق، أو تدحض وجهة نظر ذاك، أو التي تُعلي من شأن هذا، وتحط من قدر ذاك.

والأكذوبة التاريخية ليست وقفاً على طائفة من المؤرخين دون غيرهم، بل هي ظاهرة عامة لدى المؤرخين في كل زمان ومكان ، لدى المسلمين ولدى الكافرين، على حد سواء. فمهما تظاهر المؤرخ، غير الملتزم بالحق والدراية شرعة ومنهاجاً، أن يكون

نزيها أو موضوعياً، فإنه لا يستطيع أن يتجرد من الخطأ في أحكامه، ولا من الكذب في أخباره، ولا من التبرير في مواقفه. فهو إنسان مسكون بالهوى. ولولا ذلك لما خاطب الله الناس جميعاً بقوله: "وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى".

ويتفاقم أمر هوى النفس، ويزداد حدة وخطورة، حين تحصل في تاريخ الأمم أزمات كبرى، أو حروب أهلية، أو هزائم ساحقة، أو انقسامات حادة، فكرية أو سياسية أو دينية أو مذهبية أو عرقية أو إقليمية، أو ما شاكل ذلك، حول قضايا كبرى ساخنة؛ أو ترتكب الدول أفعالاً مخزية، أو جرائم شائنة، ضد شعوبها، أو ضد غيرهم من بني الإنسان. والحكام الفاسدون في كل عصر ومصر يلعبون أدواراً كبيرة، غير حميدة، في تجنيد المؤرخين، لإظهار باطلهم بصورة الحق المبين، وإلباس الحق عند غيرهم سرابيل الباطل المشين.

والناظر في كتب التاريخ الإسلامي، لا يجد كبير عناء في ملاحظة هذه الظاهرة. فالمؤرخون من ذوي النزعة الأموية تحاملوا على علي بن أبي طالب وأنصاره. والمؤرخون من ذوي النزعة العباسية تحاملوا على الأمويين، وشوهوا سيرتهم. والمؤرخون من ذوي النزعة العلوية الشيعية تحاملوا على الأمويين، وعلى كل صحابي لم يقف مع علي بن أبي طالب في صراعه مع معاوية، أو

وقف مع الأمويين ضد علي وأنصاره. كما تحاملوا على العباسيين، لأنهم خانوا عهودهم، وغدروا بهم، وعملوا على تصفيتهم واستئصال شأفتهم.

ولذلك كان لزاماً على المؤرخ النزيه الأمين، وصاحب العقل العميق المستنير، الذي تحرر من النزعة الفرقية، أن يدرك تمام الإدراك، أنه حينما يجوس خلال تلك المادة التاريخية، فإنه إنما يتجول في حقل مزروع بالألغام. فلا بد، والحالة هذه، أن يقرأ كتب التاريخ بعقل مدجج باليقظة والنباهة، والوعي والنزاهة، وببصيرة سياسية نفاذة، وبمنطق يساعد على طرح كل غث سقيم، وتبني كل معقول سليم، كي لا يقع في الخطأ الذي وقع فيه الكثير من أسلافنا، فيتجنب الاصطفاف مع هذا الفريق أو ذاك. بل يكون حاديه هو الوصول إلى الحقيقة، أَنّى توجهت ركائبها، بغض النظر عمن كانت معه، أو كانت ضده. وبذلك تكون قراءتنا جميعنا للتاريخ نافعة ومفيدة في استخلاص العبر، مما غبر، من أخبار البشر.

ولا يسعنا في هذا المقام إلا أن نُنَوِّه بالدور الخطير الذي يلعبه البسطاء الطيبون، والمغفلون الجاهلون، والسذج البلهاء، في ترويج الافتراءات والأكاذيب التي يلفقها المغرضون الخبثاء، دونما تمحيص، ولا إجالة نظر. وفي كثير من الأحيان يكون الضرر الذي يوقعه هؤلاء بأمتهم، أبلغ من كثير مما يحاول المغرضون أن ينزلوه

بساحتها من أذى. وما ذلك إلا لأن جمهرة الناس قد يخدعهم الطيبون في ظاهرهم، أكثر مما يخدعهم الوضاعون بأكاذيبهم.

فالسيوطي مثلاً في كتابه "تاريخ الخلفاء"، يكاد لا يدع موبقة تاريخية إلا تلقاها بالقبول والتسليم، وطرحها للتداول التاريخي. فلكأنما هي من بدهيات الأمور التي لا يهزها شيء، ولا يمتري في صدقها أحد. وقل مثل ذلك، ولكن بنسبة أقل، في تاريخ الطبري، والطبقات الكبرى لابن سعد، ومروج الذهب للمسعودي، والبداية والنهاية لابن كثير، وأنساب الأشراف للبلاذري، والكامل في التاريخ لابن الأثير وغيرهم.

ولا بأس أن نستطرد هنا قليلاً في ذكر عينات ونماذج من كتاب السيوطي "تاريخ الخلفاء"، فلكأنه هو وأضرابه من المؤرخين كانوا من مهاويس الجنس، بحيث لم يسلم من شر افتراءاتهم أحد. فها هو يزعم أن **المغيرة بن شعبة** قد تزوج ألف امرأة. كما يزعم هو وابن الأثير أن علي بن أبي طالب قد مات عن أربع زوجات، وتسع عشرة سرية (جارية). كما أن ابنه الحسن قد تزوج سبعين أو تسعين امرأة.

وبالنسبة **للخليفة المتوكل العباسي**، يزعم السيوطي، أن المتوكل كان منهمكاً في اللذات والشراب، وكانت له أربعة آلاف جارية، وطئها جميعا. فكم . يا ترى . كان له من الزوجات الصالحات، بعد آلاف الجاريات، ليروي غليله، ويشفي نهمه، ويشبع

هذه الشهوة الجنسية الخارقة للخيال التي لا تعدلها شهوة معسكر كامل من فحول الرجال؟!!

وأما بالنسبة **ليزيد بن معاوية**، الذي لم تزد خلافته، بعد أبيه معاوية، عن أربعة أعوام، فيذهب السيوطي وصحبه من أمثال المسعودي، وابن كثير، إلى أن حياة يزيد كانت كلها فسق وفجور، وشراب وخلاعة ومجون، وعشق وغرام وغناء، بين جارية اسمها "**سلاّمة**"، وأخرى اسمها "**حَبّابة**". حتى بلغ به الحال أن قال يوماً: أشتهي أن أخلو بحبابة في قصر، مدة من الدهر، لا يكون عندنا فيه أحد. ففعل ذلك، وجمع إليه في قصره ذاك، حبابة، وليس عنده فيه أحد. وقد فُرش القصر له بأنواع الفرش والبسط الهائلة، والنعمة الكثيرة السابغة. وبينما هو معها في ذلك القصر، على أسر حال وأنعم بال، وبين أيديهما عنب يأكلان منه، إذ رماها بحبة عنب وهي تضحك، فشرقت بها وماتت. فمكث أياماً يقبلها ويرشفها، وهي ميتة، حتى أنتنت وجَيَّفت. فأمر بدفنها. فلما دفنها أقام عندها على قبرها هائماً، ثم رجع. فما خرج من منزله بعد ذلك حتى خرج بنعشه!! هذه الحكاية، كان على السيوطي وأصحابه أن يدرجوها في باب الجنون، وليس في باب المجون، جنون المؤرخين وليس مجون الأمويين!!.

وذهب السيوطي والذهبي إلى أن **الوليد بن يزيد بن معاوية** قد تفوق على أبيه في الخمر والتلُّوط والمُجون، ورَشْق المصحف

وتمزيقه بالسهام. قال الذهبي: لم يصح عن الوليد كفر، ولا زندقة، بل اشتهر بالخمر والتلوط، فخرجوا عليه لذلك. ويمضي الذهبي قائلاً: ذكر الوليد مرة عند المهدي (من الخلفاء العباسيين) فقال رجل: كان زنديقاً. فقال المهدي: "مه! خلافة الله عنده أجلّ من أن يجعلها في زنديق"! ومع ذلك فقد زعموا أنه جلس ذات يوم يستفتح بالقرآن فكان حظه: "واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد". فما كان من الوليد . كما يطيب للسيوطي وغيره أن يمضوا في بهتانهم . إلا أن نصب المصحف هدفاً للنشاب، وأقبل يرميه وهو ينشد:

تُهَدِّدني بجبّارٍ عنيدِ فها أنا ذاك جبارٌ عنيدُ

إذا ما جئْتَ ربك يوم بَعْثٍ فقل يا رب مزَّقَني الوليدُ

ويذهب المسعودي في كتابه "مروج الذهب" إلى أن **زبيدة، والدة الأمين بن هارون الرشيد،** لما علمت بولع ابنها بالغلمان، أرادت أن تصرفه عن ذلك، فأهدت إليه ألف جارية، بعد أن جعلتهن على هيئة أشبهن فيها الغلمان، في تصفيف شعورهن، وإخفاء صدورهن.

هذا مع العلم بأن زبيدة هذه، لا ينكر أحد من المؤرخين المادحين أو القادحين في سيرتها، أنها أنفقت كل ما كان تحت تصرفها من أموال في تحصين الثغور والحصون. ثم نظرت إلى ما يلاقيه الحجاج من المشاق في الذهاب من العراق إلى مكة المكرمة،

فاختارت فريقا من المهندسين، وزودتهم بالمال وبالكوادر العمالية والفنية اللازمة. فقسموا الطريق بين مكة وبغداد إلى خمس عشرة مرحلة، وانشأوا في كل واحدة منها بئراً أو بئرين لماء الشرب. كما أقاموا خزانات وأحواضاً كبيرة لمياه الأمطار، وشيّدوا في بعض المراحل استراحات ومساجد حسب الحاجة، كما عملوا جاهدين لإيصال الماء إلى مكة.

فهل كانت زبيدة، بعد هذا، قوادة غلمان وجواري، أم كانت امرأة فاضلة ساهرة على أمن المسلمين وراحتهم، وقضاء مصالحهم وحاجاتهم؟! وهل ترضى أم فاضلة أن تغرق ابنها في فواحش ومنكرات لها أول وليس لها أخر؟! كفى قلة حياء، وتهتكاً في الاتهامات!.

ثم يمضي المسعودي، متمادياً في أراجيفه، إلى الزعم بأن **يحيى بن أكثم، قاضي المأمون**، كان يمتلك أربع مئة من الغلمان المرد الحسان. يعني معسكراً كاملاً من الشواذ!!.

فهذه المفتريات المنحطة السافلة التي نسجها خيال المسعودي ترجح التهمة التي كانت تحوم حوله، وهي أنه كان من غلاة الشيعة الذين لا يرقبون في أموي ولا عباسي إلا ولا ذمة، لتلطيخ سمعتهم، والطعن في شرفهم، وتمريغه في أوحال الفواحش والموبقات، وأقذر أنواع السفالات!.

أما صاحب كتاب "الأغاني" فيزعم أن عدد الجواري المغنيات عند **زبيدة، زوجة هارون الرشيد،** قد بلغ زهاء ألفي مغنية، وعند زوجها هارون الرشيد مثل ذلك.

المشكلة أن المؤرخين الكذابين لم يكونوا يعرفون من الأرقام إلا الآلاف، فكأنه لم يكن في قواميسهم عشرات أو مئات، يملأون بها المعسكرات!!

وإمعاناً في السفالات لدى مرضى الجنس، من مؤرخينا المنحطين، يزعم ابن عساكر أن كل سلطان من السلاطين كان يمتع نفسه مع الجواري، ومعاقرة الخمر، في جناح خاص به في قصره. وكانت سيدات القصر، في الوقت نفسه، يتمتعن، بطرقهن الخاصة، وفي أجنحتهن الخاصة، في القصر نفسه، إلى جوار جناح السلطان، كيفما طابت لهن حياة العهر والمتعة الحرام. يجري كل ذلك في أمن وأمان، دون أن يتجسس أحد الطرفين على الآخر، أو يحاول أن يتحسس أو يتعرف على ما يدور حوله من فواحش ومنكرات. فكل في فلك من الدعارة يسبحون.

وهذا يعني أن القصر الواحد كان يموج بعضه في بعض بالدعارة والخلاعة والمجون، مما لا يكاد يجد المرء له مثيلاً في العالم بأسره، عبر التاريخ، وفي أشد المجتمعات البشرية كفراً وسقوطاً وانحلالاً وخلاعة.

ومن فرط تشنيع المؤرخين على **الوليد بن يزيد** زعموا أنه فكَّر ذات مرة أن ينصب قبة فوق الكعبة، ليشرب فيها الخمر، وذلك في العام الذي حج فيه، هو ورفاقه. غير أن حاشيته أفلحوا بعد جهد جهيد، وفي اللحظة الأخيرة، بإقناعه أن لا يفعل ذلك. كما زعم المسعودي . وهو المعروف بنزعته الشيعية . إلى أن الوليد بن يزيد، لفرط شذوذه الجنسي، راود أخاه عن نفسه.

وقد سرح الهوى والخيال، ببعض المؤرخين الحاقدين على بني العباس، حتى رسموا **للواثق (آخر خلفاء العصر العباسي الأول)** صورة غاية في البشاعة، وأحاطوا سيرته بقصص سافلة لا يتصور عاقل حصولها، حتى في أحط الأفلام السينمائية الماجنة الخليعة. فقد زعموا أنه كان عاشقاً صَبًّا للغلمان. ملكوا عليه وجدانه، وأذابوا مشاعره تَوَلُّهاً وصبابة. وكان منهم غلام مصري أسمه "**مُهَج**"، لعب بعواطف الواثق كما شاء، وتملك مشاعره، وتلاعب بوجدانه كما يريد، إن رضي مُهَجٌ هذا عن الخليفة استقامت أحوال الدولة، واستقر شأن الحكم فيها. وإن تدلل عليه أو صدّه، فالويل كل الويل للمسلمين عامة، والثبور وعظائم الأمور لمن شاء حظه العاثر أن يلقى الواثق، أو يقف أمامه، أو يحتكم إليه، وهو في تلك اللحظات العصيبة النكدة، في أيامه النحسات!!.

ويذهب السيوطي أيضاً إلى التشنيع على **الأمين بن هارون الرشيد**، حيث زعم أن الأمين ابتاع الخصيان، وغالى بهم، وصيَّرهم

لخلوته، ورفض النساء والجواري. وكما تعلق قلب الواثق بمهج فقد تعلق قلب الأمين بغلام اسمه "كوثر"، حتى زعموا أن له فيه شعراً يقول فيه:

كوثر ديني ودنياي وسقَمي وطبيبي أعجز الناس الذي يَلْحى مُحِبًّا في حبيبِ

أما أبو حيان التوحيدي، في كتاب "الإمتاع والمؤانسة"، فيعظم الفرية، ويتهم المجتمع الإسلامي كله، في ذلك العصر المبكر من حياة الأمة الإسلامية، بأنه كان مجتمعاً خليعاً، إباحياً، ماجنا، متحللا من سائر القيم الرفيعة، والأخلاق الفاضلة، حتى لا يكاد المرء يجد لذلك المجتمع مثيلاً . حسب وصف أبي حيان . في مجتمعات بلاد الكفر والخلاعة والإباحية في عصرنا الراهن، حيث تعتبر الإباحية الجنسية فيها دينا، والفضيلة والعفة والشرف أموراً عفا عليها الزمن، وقيما من مخلفات عصور الظلام التي تجاوزتها البشرية، منذ زمن بعيد.

يحدث **أبو حيان** . أخزاه الله . بأنه كان في بغداد خمسة وتسعون غلاماً جميلاً يُغَنوُّن الناس، وأنه كان بها **صبي موصلي** مُغَنٍّ، ملأ الدنيا عَيَارة وخسارة. وقد افتتن أصحابُ النسك والوقار، وأصنافُ الناس من الصغار والكبار، بوجهه الحسن، وثغره المبتسم، وحديثه الساحر، وطرفه الفاتر، وقده المديد، ولفظه الحلو، ودلِّه

الخلوب ... يسرقك منك، ويردك عليك ... فله حالات، وهوايته ضلالات، وهو فتنة الحاضر والبادي.

كما يحدث أبو حيان عن **غلام آخر اسمه** "**علوان**". كان إذا حضر وألقى إزاره، وحل أزراره، وقال لأهل المجلس: اقترحوا واستفتحوا فإني ولدكم، بل عبدكم، لأخدمكم بغنائي، وأتقرب إليكم بولائي ... لا يبقى أحد من الجماعة أحد إلا وينبض عِرْقُه، ويهش فؤاده، ويذكو طبعه، ويَفْكَهُ قلبه، **ويتحرك ساكنه**، ويتدغدغ روحه ...

باختصار، أبو حيان، في هذه الصورة القذرة السافلة التي رسمها، يتهم المجتمع الإسلامي برمته، بالشذوذ والعهر والفجور، والاستهتار والوقاحة في ممارسة الشذوذ. ولعمر الحق، إن أشد المجتمعات الكافرة المعاصرة إيغالا في العهر والمثلية والتهتك والإباحية، لتتعفف عن أن تمارس شذوذها بهذه الطريقة الجماعية الوقحة المستهترة، حتى لكأن المجتمع الإسلامي في ذلك العهد، كان خاوياً مقفراً من كل فضيلة، لا فيه من يأمر بمعروف، ولا فيه من ينهى عن منكر! وكأن بغداد، حاضرة الخلافة الإسلامية آنئذ، لم يكن يشغلها في حياتها من شاغل غير المخانيث: فهم سلوتها، وهم مادة متعتها، وهم غذاء روحها، وهم متنفس شهوتها. فالشذوذ الجنسي كان فيها عاماً طامّاً، حتى لكأنّا بالمخانيث قد صاروا فيها

سادة الموقف، وأهل الحل والعقد، والقابضين على مقدرات البلاد والعباد!!

تباً لأبي حيان والسيوطي وأمثالهما من المؤرخين والأدباء الكذابين الذين تزكم رائحة أكاذيبهم المنحطة السافلة كل الأنوف التي لم تضعف حاسة الشم لديها.

وهذا الدس الحاقد من أبي حيان خاصة، يجعل المرء ميالاً إلى تصديق التهمة الكبرى في حقه، وهي أنه كان إسماعيلياً في حقيقة أمره، لكنه كان يخفي هويته تقيةً، حتى يستطيع أن يلعب دوراً قذراً سافلاً ضد الإسلام وأهله الطيبين.

يعني يريدنا هؤلاء المؤرخون الذين اختلت عندهم موازين الصدق والنزاهة والإدراك، أن نتصور ونصدق أن خليفة المسلمين، في ذلك العصر المبكر من حياة الأمة الإسلامية، يتجرأ على ذلك، ويجاهر به متحدياً سافراً، دونما حاجة إليه ولا ضرورة، في عصر تحكم الرأي العام فيه المفاهيم والأفكار والأحكام الإسلامية. على حين أننا نشاهد الحكام في أيامنا هذه، وهم على ما هم عليه من عهر وفسق وفجور، يتقربون إلى الناس بإظهار حبهم للدين، واحترامهم لمشاعر المسلمين، رياء ونفاقاً. علماً بأن التزام الناس بعقائد الإسلام وقيمه في ذلك العصر، كان أقوى بكثير مما هو عليه في عصرنا الحاضر، وأيامنا هذه.

ومما يؤسف له أشد الأسف، أن كثيراً من الحكايات والاخبار والوقائع المختلفة المدرجة في الكتب والمصادر التاريخية الإسلامية، قد وجدت لها سوقاً ورواجاً عبر الأجيال كلها، ومضت وكأنها مسلمات أو بدهيات، لا يمتري في صدقها أحد.

نعود بعد هذا الاستطراد، الذي نحسبه ضرورياً في هذا المقام، إلى قصة من القصص التي عجّت بها كتب المؤرخين، وفهارس المحدثين، وكتب الأدباء والمفسرين، تلكم هي **حكاية المغيرة بن شعبة مع امرأة داعرة يقال لها أم جميل**، أرملة من أرامل البصرة، لمّا كان المغيرة والياً عليها، في خلافة عمر بن الخطاب.

تذهب الحكاية إلى أن أم جميل هذه، كانت أرملة من بني هلال، لزوج يقال له الحجاج بن عبيد. وكانت، حفظها الله!، تغشى بيوت الأمراء والأشراف، يعني كبار الصحابة، بمن فيهم حاكم الولاية المغيرة بن شعبة. وكان بعض النساء، كما تقول الروايات، يفعلن ذلك في زمانها. وكانت دار المغيرة مواجهة لدار صحابي آخر، كبير القدر، يقال له أبو بَكْرة الثقفي. وكان المغيرة يُناغيه، وكان أبو بكرة يُنافره عند كل ما يكون منه. وكان لا يفصل الدارين، إحداهما عن الأخرى، غير زقاق ضيق صغير. وكان في دار أبي بَكرة كُوَّة، يعني شُبّاكاً صغيراً، تشرف على كوة مقابلة لها في دار المغيرة.

وذات يوم من عام ١٧ هـ، وبينما كان أبو بكرة في داره، وعنده جماعة يتحدثون في مشربته . يعني عِلِّيَته . إذ فتحت الريح باب الكُوة التي في داره. فقام ليغلقها، فإذا كوة المغيرة هي الأخرى مفتوحة، وهو يواقع إحدى النساء، كما تزعم الرواية. فقال أبو بكرة لأصحابه: "تعالوا فانظروا إلى أميركم يزني بأم جميل!" فقاموا، فنظروا إليه وهو على تلك الحال، فقالوا لأبي بكرة: "ومن أين قلت إنها أم جميل، وكان رأساهما من الجانب الآخر؟" فقال لهم: "انتظروا، فلما فرغا، يعني المغيرة وأم جميل، قامت المرأة. فقال أبو بكرة: "هذه أم جميل"، فعرفوها.

يعني أن أم جميل المزعومة هذه، كانت من الشهرة في ميدان الدعارة السافرة . في هذا الوقت المبكر من حياة الصحابة الأطهار، وقيادتهم للدولة والمجتمع . بحيث يعرفها القاصي والداني، تصول وتجول، طوّافة على بيوت الصحابة الأجلاء، الذين أصبحوا، بفضل هذه الروايات، زمرة منحطة سافلة، لا تأمر بمعروف، ولا تنهى عن منكر، ولا تحافظ على حرمات الله، ولا تصون حدوده، غارقة إلى الأذقان في مستنقع من الفساد والإباحية الجنسية، لا تضع لهذه المومس وأمثالها حداً، ولا تقيم عليهن حَدًّا، مما لا يكاد يجد له المرء مثيلاً، حتى في أحط المجتمعات العلمانية القائمة على حرية التداول الجنسي، والتسيب الأخلاقي. إذ ما حاجة رجل في منزلة المغيرة بن شعبة، وفي مثل سِنِّه ومقامه، في ذلك الوقت، ترصده العيون

وتحصي عليه أنفاسه، وترقب كل حركاته وسكناته، ما حاجته إلى أن يقيم علاقة مع مومس مكشوفة، وجودها أصلاً غير مسموح به في ظل حكم إسلامي رشيد، قوّام على حماية المجتمع برمته، من شرور الرذيلة والفواحش والفساد، وفي كنف مجتمع إسلامي قائم على الطُّهر والعفاف، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟!!.

ثم ما حاجة رجل، دع عنك كونه حاكماً، كالمغيرة بن شعبة، تزعم الروايات الأخرى بأن زوجاته قد بلغن العشرات بل المئات، وأن سراريه وجواريه، التي أصابها من غنائم الفتوح، قد بلغن المئات أو الآلاف، نقول: ما حاجة رجل مثله، يرتع في غابة من الحريم، إلى مومس، يعرفها القاصي والداني، تُلوِّث سمعته، وتُحطِّم مركزه في الدولة، وتحرقه في المجتمع؟!!

ثم تمضي الروايات التاريخية العتيدة في سرد القصة كما يلي:

فلما خرج المغيرة، وقد اغتسل ليصلي بالناس، منعه أبو بَكْرة أن يتقدم. وكتبوا إلى عمر في ذلك. فولّى عمر أبا موسى الأشعري أميراً على البصرة، وعزل المغيرة، وأرسل إليه مع أبي موسى كتاباً يقول فيه: "أما بعد، فإنه بلغني نبأ عظيم، فبعثت أبا موسى أميراً، فسلّم ما في يدك والعَجَلَ".

وارتحل المغيرة والذين شهدوا عليه وهم **أبو بكرة، ونافع بن كلدة، وزياد بن أبيه، وشِبْل بن معبد البَجَلي**. فلما قدموا على عمر بن الخطاب في المدينة شرع في استجوابهم.

ولا يفوتنا هنا أن نلاحظ أن المتهم الثاني في دعوى الزنى هذه، وهي أم جميل، قد غُيِّبَتْ عن مسرح القصة تغييباً كاملاً، لا باعتبارها شاهدة، ولا باعتبارها متهمة، ولا باعتبارها مطلوبة للتحقيق والاستجواب. وتحصر القصة الاستجواب والتحقيق والمحاكمة، في طرف واحد من طرفي الدعوى، وهو المغيرة وشهود الإدعاء الأربعة الذين استدعاهم عمر من البصرة إلى المدينة، للإدلاء بشهاداتهم في هذه القضية. علماً بأن من بدهيات القضاء عند المسلمين، وحتى عند الكفار، أن يتناول الاستجواب والتحقيق، واستحضار الأدلة والبيانات، كلا طرفي القضية، على حدٍ سواء.

قال المغيرة: سَلْهم، يا أمير المؤمنين، كيف رأوني: مستقبلهم أم مُسْتَدْبِرَهم؟ وكيف رأوا المرأة وعرفوها؟ فإن كانوا مُستقبليّ فكيف لم يستتروا، وإن كانوا مُستدبريّ فكيف استحلوا النظر في منزلي إلى امرأتي؟!

فبدأ عمر، بعد أن فرغَ من استجواب المغيرة، بأبي بَكْرة، فشهد على المغيرة بأنه زانٍ. ثم دعا شبل بن مَعْبد فشهد بمثل ذلك. ثم دعا نافع بن كِلْدة فشهد بمثل ذلك أيضاً. أما الشاهد الرابع، وهو زياد بن أبيه، فإن عمر ما يكاد يراه مقبلاً عليه حتى ينظر إليه

ويقول: "أرى رجلاً أرجو ألا يفضح الله به واحداً من المسلمين". وبالفعل، كما تقول الروايات، فإن زياد بن أبيه لم يشهد بمثل شهادة من سبقوه، وإنما وصف حركات، كالتي تحصل عادة عند المواقعة. فقال له عمر: "هل رأيت كالميل في المُكْحِلة"؟ فقال زياد: كلا. قال عمر: فهل تعرف المرأة؟" قال زياد: كلا، ولكن أُشَبِّهُها".

ولا يفوتنا هنا أيضاً أن نلاحظ الطعن المبطن في نزاهة عمر وعدالته. فهو قد أوعز للشاهد الرابع، الذي بشهادته يكتمل نصاب شهادة القذف، أن لا يقول الحق، حتى يضمن رد القضية، وتبرئة ساحة المغيرة، ولو على حساب إدانة الشهود الثلاثة الأوائل، وهم أيضاً من أجلّة الصحابة، بالقذف والتشهير، ومعاقبتهم جميعاً، حسب الرواية، بإقامة الحد عليهم.

وهذا اتهام صارخ لعمر بن الخطاب بالتحيز في قضائه بين الصحابة، والانحراف عن جادة الحق والعدل، علماً بأن أعداء الإسلام، قبل أهله ومحبيه، يدركون تمام الإدراك أن عمر بن الخطاب، لم تكن تأخذه في الله لومة لائم، لا في حكمه، ولا في قضائه. وذلك امتثالاً لقوله صلى الله عليه وسلم: "والله لو أن فاطمة بن محمد سرقت لقطعت يدها".

وعند ذلك، أي عندما أدلى زياد بشهادته، هلّل عمر وكبّر. ثم أمر بالثلاثة الذين شهدوا على المغيرة بالزنى أن يقام عليهم حد

القذف، وهو ثمانون جلدة، مستشهداً بقوله تعالى: "فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِالشُّهَدَاءِ فَأُوْلَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ".

وفي ختام الحكاية تذهب الروايات إلى أن عمر بن الخطاب استتاب نافعاً، وأبا معبد البَجَلي، وأبا بكرة، وأنه أعاد المغيرة، بعدما بُرّئت ساحته، إلى ولاية الكوفة.

واضح من هذه القصة، أن واضعيها أرادوا أن يشوهوا صورة كوكبة من أعلام الصحابة وكبارهم، تشويهاً لا يصح معه أن يتخذهم الناس أئمة وقادة وقدوة صالحين. فهذه الحكاية المزعومة عن المغيرة ابن شعبة تذهب إلى اتهام عمر بن الخطاب، بأنه تواطأ على الفاحشة، وأنه ليس بالفاروق كما تتوهمون. بل هو قد أطاح في هذه القضية، بالحقيقة والعدالة والفضيلة إطاحة تامة، متجاوزاً كافة الخطوط الحمر التي رسمتها شريعة الإسلام!

والمغيرة بن شعبة، وهو الخليفة المُصَغّر في ولايته، يترك الحبل على الغارب لعاهر تجوس خلال الديار، تغشى هي وأضرابها من الساقطات، بيوت الأمراء والأشراف، فتمارس الفاحشة مع الصحابة الأجلاء، بشكل مستهتر، لا تُرعى فيه حرمة لله، ولا يُحسب فيه حساب أحد من الناس، ولا من رب الناس!. فهي تصم الصحابة، من عسكريين ومدنيين، بالفساد والانحراف الذي بلغ حد الانحلال الأخلاقي، أمام بَغِيّ داعر، تتقلب في أحضان الولاة والأمراء والأشراف، وتتعطل في حقها وحق أمثالها، جميع

الإجراءات الوقائية والعقابية، لحماية المجتمع من شرور الدعارة والداعرين، في هذا العصر المبكر من حياة الصحابة الكرام، القائمين على حدود الله، والوقافين عندها، كما تتعطل في حقها وأمثالها حدود الله التي شرعها لقطع دابر الفساد والمفسدين.

والشهود الأربعة يتصيدون المغيرة في عملية تجسس وتآمر واضحة، رَأْسُها المدبر أبو بَكْرة، بسبب ما كان بينه وبين المغيرة من نفور وحساسيات، كما تزعم الروايات. فهم يتجسسون على عورات المسلمين في داخل بيوتهم، ويتفرجون على ممارسة الفاحشة، ولا يغضون من أبصارهم، ويوظفون حزازاتهم الشخصية في افتراء الأكاذيب، وتلفيق الاتهامات، كي ينال بعضهم من بعض بالإفك المبين، والباطل المشين، ما طاب لهم أن ينالوا.

ثم إنهم يكذبون في شهاداتهم: فهم يزعمون أنهم رأوا كالميل في المكحلة، وهذا متعذر تماماً لمن كان في مثل موقعهم. ثم هم كلهم يعرفون أم جميل، فهي عندهم أشهر من نار على علم، فمن أي هبطت عليهم هذه المعرفة السافلة المخزية؟!

والأنكى من ذلك كله، **أن هذه الحكاية المزعومة قد اتخذت مصدراً لأخذ أحكام فقهية منها عند الفقهاء المسلمين كافة،** قديمهم وحديثهم. فهي تزعم أن عمر بن الخطاب، وعلى مرأى ومسمع من كبار الصحابة في المدينة، قام بجلد الشهود حين لم يكتمل نصاب الشهادة في هذه القضية، وهو أربعة شهود.

وهذا افتئات عظيم على حكم الله في مسألة قذف المحصنين والمحصنات، وهو تطاول على آية القذف، وتجاوز لدلالتها القطعية التي لا يحتمل منطوق النص غيرها. فالآية الكريمة حين تقول: "وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً"، إنما تدل دلالة واضحة وقاطعة على أن الذين يقذفون المحصنات، وهم الذين يمثلون الطرف المدعي الذي يصدر عنه الإتهام في هذه القضية، مطلوب منهم أن يثبتوا دعواهم بالبينة التي حددتها الآية بأربعة شهود، غير المدعي، كما يفيد منطوق الآية الكريمة: "**ثم لم يأتوا بأربعة شهداء**". فهم، يعني المُدَّعون، مطالبون بأن يأتوا بأربعة شهداء. إذ لا يصح أن يكون المدعي نفسه هو أحد شهود الإثبات، بل عليه أن يقدم البينة على دعواه. والبينة في موضوع القذف هي الشهادة، ونصاب الشهادة أربعة. فإن قصّر المدعي، أو عجز عن تقديم البينة الكاملة المعتبرة في هذه القضية، عوقب بإقامة الحد عليه. أما الشاهد، فلا يوجد في آية القذف هذه، لا من قريب ولا من بعيد، ما يدل على جواز إنزال عقوبة القذف به، إن عجز المدعي أن يأتي بشهود آخرين معه. فالمؤاخذة في هذه الحال إنما تقع على المُدَّعي، وليس على الشاهد.

وهذا هو الحق المبين الموافق لناموس العدالة في الإسلام. فالشاهد لا يعتبر مذنباً حتى يعاقب على شهادته، إلا إذا ثبت أنه شاهد زور. والنقص في نصاب الشهادة ليس دليلاً على أن الذين

أدلوا بشهاداتهم كانوا كاذبين، حتى تنتقل العقوبة من القاذف إلى الشاهد.

ولقد تسربت هذه الرواية، أعنى رواية جلد الشهود في قصة المغيرة، مع الأسف الشديد، إلى سائر كتب التفسير والفقه والحديث، حتى اختلط حابل القاذفين بنابل الشاهدين. فبات أمراً مسلماً به عندهم، أن الشاهد ينبغي أن يقام عليه حد القذف، من غير أن يثبت أنه شاهد زور، لا لسبب، إلا لأن المدعي قد عجز عن تأمين كامل نصاب الشهادة في هذه القضية.

ومما يؤسف له أيضاً، أن أئمة الحديث، انسياقاً وراء هذه الأكاذيب الفاحشة، راحوا يسقطون كل رواية، فيها واحد من هؤلاء النفر الثلاثة، باعتباره ساقط العدالة، لأنه مجلود في حد من حدود الله تعالى!!

أضف إلى ذلك، أن الإسلام قد حرّم على الشاهد أن يكتم شهادته، حيث قال تعالى: "ومن يْكتُمْها فإنه آثم قلبُه"، ولم يُقِّيد هذا النهي بوجود شهود آخرين في نفس القضية. فهذه ليست مسؤولية الشاهد، بل هي مسؤولية المُدّعي. فكيف يصح أن يعاقب شاهد قام بواجبه الشرعي على أتم وجه، ويقام عليه الحد، على ذنب، هو بريء منه براءة الذئب من دم ابن يعقوب؟!!.

وعلى ذلك، فإنه حين لا يكتمل نصاب الشهادة في موضوع القذف، فإن الدعوى لا ترد فقط، بل يعاقب المدعي (القاذف) بإقامة

حد القذف عليه. أما الشهود فلا بأس عليهم، وليس في دين الله لهم عقوبة، وليس للقضاء أن يعاقبهم من غير أن تقوم البينة على كذبهم وبهتانهم. وإلا اختلت موازين العدالة، وتعطل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأن مداره زجر المخالفين وردعهم. وهذا لا يتحقق إلا بالبينة. فإن خاف الشاهد على نفسه فكتم الشهادة، ضاع الحق، وفسدت الأمور، واستحقت الأمة لعنة الله عليها، مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم: "**لعن الله قوماً ضاع الحق بينهم**". وعليه فإن حكاية جلد الشهود التي ضللت علماءنا، كلها كذب في كذب، وافتراء ما بعده افتراء، وتضليل وبهتان عظيم، انطلى على المسلمين وهم في غفلة ساهون!!.

من هذا الاستعراض لقصة المغيرة مع أم جميل واضح أن القصة مختلقة من أساسها، قد نسجها خيال الوضاعين الحاقدين على خلفاء الرسول، وعلى صحابته، وعلى دينه، وعلى شريعته. ويبدو أن الوضاعين في تاريخنا، لم يكونوا أفراداً عاديين متناثرين زماناً ومكاناً، بل كانوا يشكلون حركة، غاية في التنظيم والإبداع والوعي على الأهداف، أجنداتهم مؤتلفة، منسقة متكاملة، تشكل جداول أو روافد عديدة، تنحدر من مسارب عديدة، تصب كلها في مجرى واحد، غايته ضرب الفكرة الإسلامية في أصولها ومحاورها ومنطلقاتها، وضرب رموزها الحقيقيين، وتشويه تاريخها. وما كانت الحركات الباطنية، فيما بعد ذلك، إلا استمراراً لحركة الوضاعين

هذه، وتنظيماتهم السرية، داخل المجتمع الإسلامي. فهم حين تنبه المسلمون لخطورتهم، وبدأت الدولة الإسلامية، والغيورون على دينهم، يقعدون لهم كل مرصد، تبنوا فلسفة باطنية، تتيح لهم تجنيد الكوادر السرية، ومواصلة أعمال التخريب، في منأى عن مراقبة الدولة والمجتمع، وبمفازة من تتبعهم وملاحقاتهم. **فالقرامطة، والحشاشون، والفاطميون، والإسماعيليون، وإخوان الصفا، والنصيرية العلويون، والصوفيون، والبهائيون، والقاديانيون، والدروز، ومن لف لفهم من غلاة الشيعة الإمامية الإثنا عشرية، كلهم، في الماضي والحاضر، لم يكونوا غير امتداد لحركة الوضاعين الدساسين المحرفين الحاقدين، التي شكلت خُرّاجاً كبيراً متقيحاً في جنب الأمة الإسلامية، ظلت تعاني من صديده ونتنه حتى يوم الناس هذا.**

قواعد الدرايـة

الدراية، بمعنى دراسة متون الأخبار والروايات والأحاديث لتمحيصها والوقوف على صحتها، لقبولها أو ردِّها، كانت أمر معروفاً في التراث الإسلامي. وقد تحدث عنها وكتب فيها الكثيرون. ووضعوا لها في مؤلفاتهم كثيراً من القواعد الجليلة المفيدة، لا أقول إنها وصلت درجة الكمال، بل أقول إنها وصلت مرحلة متقدمة جداً.

بيد أن الذي يؤسف له أشد الأسف، أنها ظلت حبراً على ورق، ولم يطبقها واضعوها، أو جامعوها، أو شارحوها، على أي جانب من جوانب التراث، إلا في القليل النادر. ولم تكن تشكل في يوم من الأيام علامة فارقة حقاً لدى الدارسين، أو الخائضين في أي جانب من جوانب التراث، من حديث أو تفسير أو فقه أو سيرة أو تاريخ. وظلت الرواية، أو التوقف عند الأسانيد، هي سيدة الموقف لدى جمهرة المشتغلين بالتراث. وهذا ما فتح الباب واسعاً للأكاذيب والمفتريات، والأباطيل والضلالات، والأساطير والخرافات، والأخطاء والجهالات، أن تُعشِّش وتفرِّخ في ربوع التراث، وأن تأخذ دور العراقة والتركيز، فتنقلب الأمور بها رأساً على عقب، وتصبح الأخطاء والمغالطات والجهالات والمفتريات والتاويلات الفاسدة، هي **عملة التداول الصعبة**. وتسري في التراث، مسرى الدم في العروق، من جيل إلى جيل، ومن مؤلف إلى آخر، وكأنها بدهيات العقول، أو

مسلمات الأمور، حتى لقد بلغت، في كثير من الأحيان، حد القداسة بامتياز.

ونحن اليوم نريد أن تتخطى النخبة الواعية المخلصة من أبناء الأمة الإسلامية، على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم الحالية، هذا الواقع الأليم الأثيم في التراث، وأن تتبنى الدراية لها شرعة ومنهاجاً، في كافة شؤونها الفكرية والثقافية، حتى ينكشف الباطل، ويعود الحقُّ إلى نصابه. رائدهم في ذلك الحق وحده، لا شيء قبله، ولا شيء بعده؛ وأن يكون الحق أعز عليهم من أي مقولات مذهبية أو دعاوى عقائدية أو مسلمات فكرية ورثوها عن أسلافهم من قبل، دونما تمحيص ولا إجالة نظر، وأن يكون الحق كذلك أعز عليهم من أي إنسان، كائنة ما كانت منزلته، فهم إنما يعرفون الرجال بالحق، ولا يعرفون الحق بالرجال.

وعليه، فإننا حين نتحدث عن الدراية فإننا لا نعني أن تكون كلمة الفصل في حق متونها لمن هب ودب من المتطفلين على التراث، أو الخائضين فيه ممن يريدون أن يزببوا قبل أن يحصرموا. بل لابد أن يكون الباحثون المحققون فيه على درجة عالية من الأهلية، من حيث:

أ. التفوق العقلي.

ب. والتسلح بمنهاج الدراية.

ج. والإطلاع الواسع على جوانب التراث المختلفة إطلاعاً عميقاً مستنيراً.

د. وأن يتحلوا بالتجرد والنزاهة والموضوعية، حتى لا يُدخل عليهم في أحكامهم، التي قد تكون أحياناً بالغة الحساسية والخطورة، من باب الهوى أو التعلق بالرواسب والقناعات القديمة أو التيارات المعاصرة.

هـ. وأن يتحلوا بالجرأة والشجاعة في مواجهة المخالفين، مهما كثرت أعدادهم، وتعددت رواياتهم، طالما كان الدليل المعتبر هو الحَكَم الوحيد للفصل في الاختلافات أو الخصومات الفكرية، وليس كثرة المؤيدين أو قلة المعارضين لهذا الرأي أو ذاك. وذلك كله كيلاً ينحرف خط الدراية الصادق عن مساره، فتتحول الدراية إلى عملية اقتراع حسابية أو تأويل فاسد يغالط في الواقع، ويكابر في المحسوس، ويتنكر للبدهيات والمسلمات القطعية، من أجل تمرير الأخطاء التراثية، أو استبقائها، بدعوى أنّا وجدنا آباءنا على أمة وأنا على آثارهم محافظون. بذلك نعود من حيث بدأنا، نؤبد الأكاذيب والأساطير والخرافات والجهالات والأخطاء، جملة وتفصيلاً، بدعوى أن لها عند أسلافنا السابقين واللاحقين، قبولاً وملاذا آمناً، وتأويلاً حسناً جميلاً.

ولقد أصبحنا نرى، في أيامنا هذه، عدداً لا يستهان به من الكتاب والباحثين ممن باتوا يحسون بهذه المشكلة الكبرى في التراث، أعني غياب الدراية في مختلف جوانب التراث بشكل عام، وفي مجال السنن والأحاديث بشكل خاص. لكنهم راحوا يتناولون في أبحاثهم ومؤلفاتهم **قصاصات** منها أو مفردات من هنا وهناك في مواضيع شتى غير مترابطة، مقصودة لذاتها، لإثبات خطئها أو بطلانها، فيفيضون في نقدها أونقضها على أساس بعض قواعد الدراية التي اعتمدوها، وذلك دون أن يجعلوا همهم الأول أن يبلوروا منظومة شاملة متكاملة من قواعد الدراية التي من شأنها أن تشكل منهاجاً فكرياً مبنياً على الثوابت والقطعيات التي لا يصح أن يختلف فيها أو عليها، وذلك كي يساهموا مساهمة فعالة شاملة في عملية تطهير التراث مما اختلط به من أخطاء وضلالات.

فهذا هو المطلوب الفعلي الحقيقي لإحداث ثورة فكرية مشهودة في عالم التراث. فإن التزموا بذلك النهج المتكامل القويم فإنهم حينئذ لا يقدمون للمحتاج سمكة يسد بها رمقه مرة واحدة، بل يعلمونه كيف يصطاد السمك، ليقضي حاجاته، ويشبع جوعاته بشكل متواصل في كل حين.

وإنسجاماً مع منهاجنا هذا في تناول الأمور فإن **غايتنا من إيراد أمثلة كثيرة من المرويات التراثية لم يكن بهدف الوقوف**

عندها لذاتها، بل لما انطوت عليه من دلالات لإثبات قواعد صحيحة، أو نقض دعاوى أو أطروحات أو مقولات باطلة. ولذلك كان الاختلاف على بعض الأمثلة منها لا يؤثر في قليل ولا كثير على مسار البحث وغايته ونتائجه.

وفيما يلي موجز ما اجتمع لدينا من قواعد للدراية، تصلح لمحاكمة مختلف المتون، وليس الأسانيد، في سائر ميادين التراث، من فكر وثقافة، ومن حديث إلى تفسير، ومن فقه إلى تاريخ، إلى غير ذلك من مختلف جوانب التراث. وهي قواعد ينبغي تطبيقها على أي متن من المتون، وعلى أي دعوى أو أطروحة أو مقولة هامة أو لازمة أو ضرورية، يراد منا أن نتقبلها بقبول حسن، فنصدقها ونعتمدها في جملة ما قام البرهان عندنا على صحتها وصدقها من أطروحات وروايات.

I. تعارض المتن مع قطعي القرآن

وذلك شريطة أن يكون التعارض قطعياً، لا مجال فيه للعام والخاص، والمطلق والمقيد، والمجمل والمفصل، بل يتنزل فيه النقيضان على محور واحد، فلا يكون هنالك أي مجال للتأويل أو التبرير. أما التأويل الفاسد الذي يكون همه تمرير النقيضين، وجعلهما ينامان سفاحا في فراش واحد، فهو آفة كبرى من الآفات التي أحاقت بالتراث عبر العصور، فأبقت على الأباطيل، تسرح وتمرح في التراث،

بلا حسيب ولا رقيب. وهذا ما لا يقبله عقل سليم، ولا دين قويم. وذلك مثل ما نقل عن ابن حزم قوله: "لم نجد في البخاري ومسلم، في كتابيهما، شيئاً لا يحتمل مخرجاً إلا حديثين".

مثال ذلك، كل حديث ينفي أن يكون لعمل الإنسان في الحياة الدنيا أي دور في تقرير مصيره يوم القيامة، مثل حديث: "لا يدخل أحد منكم الجنة بعمله"، لقوله تعالى: "وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى"، وقوله تعالى: "ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ"، وغيرهما من الآيات الكثيرة جداً في كتاب الله تعالى التي تقرر، بشكل واضح صريح قطعي، أن مصير الإنسان في اليوم الأخر إنما هو رهن بما قدمت يداه، "فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ*وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ"؛ "فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ*فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ*وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ*فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ*وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ*نَارٌ حَامِيَةٌ".

II. تناقض المتون بعضها مع بعض أو التناقض داخل المتن الواحد

وذلك أيضاً شريطة أن يكون التعارض قطعياً، لا مجال فيه للعام والخاص، والمطلق والمقيد، والمجمل والمفصل. والأحاديث التي أوردناها في موضوع الشفاعة في هذا الكتاب، فيها الأدلة الوفيرة الكثيرة على ما نحن بصدده. فمنها ما يثبت الشفاعة للرسول وحده ويعتبرها من خصوصياته لا يشاركه فيها أحد، ومنها ما

يناقضها فيسقطها في حقه إسقاطاً تاماً. وقسم منها يجعلها له في جملة شفعاء آخرين، خلافاً لأحاديث أخرى يغطي فيها الشفعاء الأخرون ساحة الشفاعة تغطية كاملة حتى ما يبقى للرسول صلى الله عليه وسلم فيها حصة، إلى غير ذلك من الأحاديث المتناقضة التي وردت في موضعها من هذا الكتاب.

III. تعارض المتون مع الواقع المدرك المحسوس

مثل حديث "من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر".

وحديث: "الحبة السوداء شفاء من كل داء، إلا من السام"، يعني الموت.

وحديث: "اختتن إبراهيم عليه السلام، وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم".

وحديث: العسل شفاء من كل داء".

وحديث: "يا أبا ذر، أتدري أين تغرب الشمس؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال صلى الله عليه وسلم: فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش"، علما بأن الشمس لا تغيب أبداً عن الكرة الأرضية، فلا هي تغرب تحت العرش، ولا هي تشرق من تحت العرش!

IV. تعارض المتون مع الحقائق العلمية القطعية وقانون السببية وسنن الله في الكون والإنسان والحياة

وذلك مثل أحاديث العزل التي تذهب إلى أن الرجل، سواء عزل عن المرأة أم لم يعزل، فالنتيجة واحدة. مع أن الحقائق العلمية المبنية على الاختبارات البيولوجية، وعلى ملاحظة الواقع المدرك المحسوس، تدل بشكل قاطع، على أن الحمل لا يمكن أن يحصل أبدا، في جميع الأحوال، إلا إذا التقى ماء الرجل ببويضة المرأة. فإذا حيل بينهما بأي وسيلة من الوسائل، استحال الحمل.

ومثل حديث أن التثاوب من الشيطان، خلافاً للحقائق العلمية التي تقرر أن التثاؤب هو حركة بيولوجية فطرية لا إرادية، لا علاقة لها بملَك أو شيطان.

ومثل حديث إن الشمس تغرب تحت عرش الرحمن وتشرق من تحته.

V. المتون حاملة الخرافات والأساطير والسخافات = أخبار موضوعة من خرافات مصنوعة

الخرافة هي الظواهر المزعومة التي يستحيل حدوثها. وأما الأسطورة فهي القصص والحكايات التي نسجها خيال الوضاعين، مما يستحيل أن يكون لها واقع في عالم المحسوسات والمدركات.

ومن الأمثلة على ذلك:

ما ورد في البخاري ومسلم، أنه ذكر عند الرسول صلى الله عليه وسلم رجل فقيل: ما زال نائماً حتى أصبح، ما قام إلى الصلاة، فقال صلى الله عليه وسلم: **بال الشيطان في أذنه**".

وما ورد في البخاري، عن أبي هريرة، أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: إذا سمعتم **صياح الديكة** فاسألوا الله من فضله، فإنها رأت ملكاً. وإذا سمعتم **نهيق الحمار** فتعوذوا بالله من الشيطان، فإنه رأى شيطاناً". يعني أن الدواب العجماوات ترى ما لا يقوى الإنسان على رؤيته من كائنات الغيب!!

وحديث البخاري عن أبي هريرة، أنه كان يحمل مع النبي إداوة لوضوئه وحاجته. فبينما هو يتبعه بها فقال: من هذا؟ قال: أنا أبو هريرة. فقال النبي: أبغني أحجاراً استنفض بها، ولا تأتني بعظم ولا بروثة. قال: فأتيته بأحجار أحملها في طرف ثوبي حتى وُضِعت إلى جنبه، ثم انصرفت. حتى إذا فرغ مشيت فقلت: **ما بال العظم**

والروثة؟ قال: هما من طعام الجن. وإنه أتاني جنٌّ من نصيبين، ونعم الجن، فسألوني الزاد، فدعوت الله لهم أن لا يمروا بعظم ولا بروثة إلا وجدوا عليها طعاماً".

وإذا كان هذا هو حال طائفة من الجن بعد أن دعا لهم الرسول صلى الله عليه وسلم بتوفير الزاد، فصارت أرواث الدواب وعظامها أواني لطعامهم، إن لم نُقل جزءاً من طعامهم، فكيف كانت حالهم قبل بعثته صلى الله عليه وسلم بالآف أو ملايين السنين؟وكيف كانوا يحصلون على الزاد قبل أن يتعرفوا على محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم؟

ثم إنه بمقدور أي إنسان على ظهر البسيطة أن يلاحظ أن عظام الدواب وأرواثها، الملقاة هنا وهناك في شتى بقاع العالم، لا يظهر عليها أي نوع من أنواع الزاد، في أي لحظة من لحظات العمر.

ثم إذا كان جِنٌّ نصيبين على هذه الدرجة من الفضل والإيمان، كما امتدحهم الحديث، **فهل يكون تكريمهم بوضع الزاد لهم فوق النجاسات القذرة المنتنة المتعفنة؟!**

كفى بذلك سخفاً وإنحطاطا، وكفى به تحقيراً لقيم الإسلام، ولسيد المرسلين!!

والأنكى من ذلك أن **بعض أدعياء الفقه في زماننا** قد اعتمدوا هذا الحديث الخرافي البائس، وبنوا عليه حكماً شرعياً، بأن

أبوال الدواب وأرواثها ليست بنجسة. بل هي طاهرة بامتياز، لأنها طعام إخواننا الجن وشرابهم. فلو كان فيها أدنى نجاسة لما اقترب منها إخواننا الأبرار من الجِنَّة الأطهار.

ولقد غاب عن علم هؤلاء الجهلة **أن فكرة أكل البراز وشرب البول، هي من الأفكار الإسرائيلية التوراتية.** فقد ورد في سفر الملوك، وفي أشعياء في التوراة قوله: فقال لهم رَبْشافي: هل إلى سيدك وإليك أرْسلنَا سيدي لكي اتكلم بهذا الكلام؟ أليس إلى الرجال الجالسين على السور ليأكلوا عَذَرَتَهم (يعني برازهم)، ويشربوا بولهم معكم؟ كما ورد كذلك في حزقيال، في التوراة قوله: وتأكل كعكا من الشعير على الخرء الذي يخرج من الإنسان، تخبزه أمام عيونهم. وقال الرب: "**هكذا يأكل بنو إسرائيل خبزهم النجس بين الأمم الذين أطردهم إليهم**".

التزاوج بين الإنس والجن

ومن الأمثلة الكبرى على الخرافة والتخريف **حكاية التزاوج بين الإنس والجن.** فقد فهم بعض القاصرين من قوله تعالى في وصف جنات النعيم: "فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلاَ جَانٌّ"، أن نكح النساء، مثلما هو أمر يشترك فيه الجن والأنس يوم القيامة، فَلِمَ لا يشترك فيه الإنس والجن في الحياة الدنيا.

وبنوا على ذلك فقها نكاحيا جنيا إنسيا لا يصلح إلا للتندر والفكاهة والمساخر. فقد سئل المرحوم الشيخ الضرير عبد العزيز ابن باز، مفتي المملكة العربية السعودية في أواسط القرن العشرين، عن رأيه في التزاوج بين الإنس والجن، فقال غفر الله له: هو ممكن وجائز. يعني أنه ممكن الحصول، وجائز شرعاً إذا حصل. ولم يكن الشيخ ابن باز بدعا في ذلك بين مشايخ السلفيين، فقد سبقه إلى ذلك الشيخ **ابن تيمية في كتاب** "**مجموع الفتاوى**" **حيث قال:** "**التزاوج بين الإنس والجن وصرعهم للإنس قد يكون عن شهوة وهوى وعشق، كما يتفق للإنس مع الإنس. وقد يتناكح الإنس والجن ويولد بينهما ولد.** وهذا كثير معروف. وقد ذكر العلماء ذلك وتكلموا عليه، وكره أكثر العلماء مناكحة الجن".

أنا أريد أن أنكح جنية، دلوني على الطريق يا مشايخ السلف الموهوبين الذين فتح الله عليكم بما لم يفتح بمثله على أحد من العالمين، جزاكم الله خيراً، كما أني أريد جنيّةً صغيرة يلعب بها أحفادي بدل القطط والكلاب !!

ومنها ما ورد في صحيح مسلم، عن أبي هريرة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **سيحان وجيحان، والفرات والنيل**، كل من أنهار الجنة. علماً بأن هذا الحديث الخرافي مأخوذ بحرفيته من التوراة. ومنابع هذه الأنهار معروفة على سطح الكرة الأرضية،

ومدركة محسوسة لدى البشر كافة، في كل زمان ومكان، فلا علاقة لها بالجنة ولا بالنار، ولا عذر للتائيهن في الأنهار!!

وفي صحيح البخاري، عن عمرو بن ميمون، أنه قال: رأيت في الجاهلية **قردة، اجتمع عليها قردة، قد زنت**، فرجموها، فرجمتها معهم". خفة واستهتار بعقول البشر!!.

وفي صحيح البخاري ومسلم، **أن الله خلق الإنسان** [يعني آدم] **على صورته**. وهذا أيضاً هو ما ورد حرفياً في التوراة في سفر التكوين. علماً بأن الله تعالى يقول عن نفسه: " لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ"، يعني لا آدم ولا غير آدم من المخلوقات كافة هي على صورة الله.

ومثل ذلك، أحاديث رؤية الله سبحانه وتعالى يوم القيامة. ومنها ما ورد عند البخاري ومسلم: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر**، لا تُضامون في رؤيته". حتى لقد جمع الدارقطني في كتابه "رؤية الله" أكثر من ثلاثة مئة حديث عن الرؤية، منها أكثر من مئتين أسندت إلى الرسول صلى الله عليه وسلم مباشرة، والروايات الباقية أسندت إلى الصحابة والتابعين. مع أن الله تعالى يقول في صريح قرآنه: "لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ"، فالمسألة محسومة أصلاً في كتاب الله العزيز. أما المتأولون المغالطون فيزعمون أن الآية تتعلق برؤية الله في الدنيا. أما في الأخرة فللرؤية هناك شأن آخر. وهذا منهم تعسف في التأويل، فهو تخصيص بلا مخصص. والأحاديث التي

اعتمدوها في هذا الموضوع هي أحاديث آحاد، لا تقوم بها حجة في أمور الغيب. ثم إنها تخالف قطعي القرآن، وتخالف حقيقة أن الله تعالى غير محدود، فلا يمكن أن يحيط به ويبصره مخلوق محدود في دنياه وأخراه.

أضف إلى ذلك أن رؤية الله بحد ذاتها هي من خرافات بني إسرائيل، فقد ورد في سفر الخروج في التوراة الهرطقة التالية: **ويكلم الرب موسى وجهاً لوجه، كما يكلم الرجل صاحبه**". وكما ورد في الإنجيل، انسياقاً مع هرطقة التوراة، قوله: **طوبى لأنقياء القلوب فإنهم يعاينون الله يوم القيامة.**

ومثل ذلك **حديث النزول،** وهو أن الله تعالى ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر، يقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له".

حتى لقد ذهب ابن الجوزي، إلى أن هذا الحديث المزعوم، قد رواه عشرون صحابيا. أما ابن القيم فزاد عن ذلك واعتبر أن عدد رواة الحديث ثمانية وعشرون صحابياً. وفي موضع آخر، زعم ابن القيم أنه ورد في نزول الله إلى السماء الدنيا، كل ليلة، أكثر من سبعين رواية.

وقد أفضنا في رد هذا الحديث فيما سبق، مظهرين جهل واضع الحديث بعلم الفلك، وجهل من قبلوه كذلك. فثلث الليل الآخر في منطقة يقابله ثلث النهار الآخر في منطقة أخرى. والليل في

جهة من جهات الكرة الأرضية يقابله نهار في جهة أخرى. فأي ثلث من الليل هو الذي ينزل الله تعالى فيه، وفي أي جهة من جهات الكرة الأرضية الأربع تحصل عملية النزول؟!!

ومثل ذلك، ما روى مسلم في صحيحه، عن جابر، أنه أُتي النبي صلى الله عليه وسلم **بضب** فأبى أن يأكل منه، وقال: لا أدري، لعله من القرون التي مسخت". طالما كانت هذه هي حال الضب فلماذا أباح الرسول صلى الله عليه وسلم للمسلمين أن يأكلوه؟

ومثل ذلك، الحديث الذي رواه مسلم أيضاً في صحيحه: "إن **عرش إبليس على البحر**، فيبعث سراياه فيفتنون الناس، فأعظمهم عنده أعظمهم فتنة".

ومثله، حديث مسلم عن أبي ذر، أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن **الكلب الأسود**، فأجابه بأنه شيطان.

ما دخل الألوان في تصنيف الكلاب؟ اختلاف ألوان الحيوانات هو نتاج المنظومة الوراثية عند الحيوانات في علم الوراثة كما خلقها الله تعالى، ولا علاقة للشيطان أو للإنسان في ذلك.

ومثل الحديث الذي رواه ابن الجوزي مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم، أن **سفينة نوح** طافت حول البيت سبعاً، ثم صلّت عند المقام ركعتين. فهل يا ترى كانت تقرأ الفاتحة وما تيسر من قصار السور أم من طوالها في كل ركعة؟!!.

VI. المتون التي تكذبها حقائق التاريخ

طلب الفقر والضعف والمسكنة

A. مثلما روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم، عند الترمذي وابن ماجة، أنه كان يدعو قائلاً: "**اللهم أحيني مسكينا، وأَمِتْني مسكينا، واحشرني في زمرة المساكين يوم القيامة**".

ومثلما أفرد له البخاري في صحيحه باباً بعنوان "**فضل الفقر**"، حيث كان مما أورده في ذلك الباب، حديث عمران بن حصين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "اطلعت على أهل الجنة **فرأيت أكثر أهلها الفقراء**". كما أورد الترمذي حديثاً عن عائشة أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال لها في جملة توجيهات أخرى: "**إياك ومجالسة الأغنياء**"، وحديثاً آخر عن أسامة بن زيد أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "**قمت على باب الجنة فكان عامة من دخلها المساكين**، وأصحاب الجد محبوسون" [الجد يعني المال والغنى]، وحديث البخاري والنسائي عن الرسول صلى الله عليه وسلم: "**إنما تنصر هذه الأمة بضعفائها**، بدعوتهم وصلاتهم وإخلاصهم"، وفي رواية أخرى لهذا الحديث عند أبي داود والترمذي والنسائي عن أبي الدرداء أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "**أبغوني ضعفاءكم**، فإنما ترزقون وتنصرون بضعفائكم".

ولو أنا رجعنا إلى قطعي القرآن وإلى حقائق التاريخ الثابتة لوجدناها تكذب هذه المسكنة وهذا الفقر وهذا الضعف تكذيباً واضحاً قاطعاً، لامرية فيه:

فحياة المسكنة والفقر والضعف، لا يصح أن يطلبها الرسول من ربه، لأن الله تعالى يقول: "الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ"، فالفقر الذي هو عنوان الضعف والمسكنة هو من وعد الشيطان. فلا يمكن، والحالة هذه، أن يطلب الرسول صلى الله عليه وسلم من ربه أن يحقق وعد الشيطان فيه.

كما أن الله سبحانه وتعالى قد امتنّ على رسوله صلى الله عليه وسلم فقال: " وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى"، كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يستعيذ بالله دوماً من **الكفر والفقر وغلبة الدين،** كما أنه قال لسعد بن أبي وقاص: "إن الله يحب العبد **الغني** التقي الخفي" وقوله لعمرو بن العاص: "**نعْم المال الصالح** للرجل الصالح". وفي صحيح البخاري أن والدة أنس بن مالك، خادم الرسول صلى الله عليه وسلم، . حينما طلبت من الرسول أن يدعو لإبنها أنس قال: "**اللهم أكثر ماله وولده،** وبارك له فيما أعطيته"، كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف**"، "**واليد العليا خير من اليد السفلى**".

ولهذا كله كان ينبغي أن ترد سائر الروايات التي تمجد أو تقدس الفقر والضعف والمسكنة، لمعارضتها لقطعي القرآن وصحيح السنة النبوية المطهرة، ولما يجب أن تتحلى به الأمة الإسلامية، في كل مكان وزمان، من قوة مادية وقوة روحية وقوة معنوية لمواجهة المشكلات التي تواجهها في الداخل، والتحديات التي تجابهها في الخارج.

لكن الوقائع التاريخية الثابتة، زيادة على ذلك، تستدعي أن ترد أحاديث الفقر والضعف والمسكنة بلا تردد ولا هوادة:-

١. فالرسول صلى الله عليه وسلم كان، قبل البعثة وبعدها، في مكة زوجاً لخديجة، رضي الله عنها. وخديجة كانت، في عرف عصرنا، مليونيرة. وكان الرسول صلى الله عليه وسلم هو مدير أعمالها. فما كانت المسكنة، والحالة هذه، تعرف إليه سبيلاً. ثم لما توفيت خديجة رضي الله عنها، ورث صلى الله عليه وسلم ثروتها كلها. وكانت تشكل أموالاً طائلة، استخدمها الرسول في سبيل الدعوة. حتى إنه في أثناء حصار الشعب، كان صلى الله عليه وسلم قد رتب أموره مع المهربين الذين كانوا يزودونهم سراً بكافة ما يحتاج إليه هو والمسلمون المحاصرون معه في الشعب، من زاد أو طعام أو لباس، على ظهور الجمال، دون أن تحس بهم قريش، أو تعلم من أمرهم شيئاً. وعليه فإن المسكنة، والحالة هذه أيضاً، لم تكن تعرف إليه سبيلاً.

٢. وحينما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة صار رئيس دولة، له مخصصاته المالية في بيت مال المسلمين، كما صار هو المتصرف الأوحد في الأموال التي ترد إلى بيت المال. وقد فرض الله تعالى له، في صريح قرآنه، حصة في الغنائم، وهي الأموال التي تغنم من الكفار عن طريق الحرب والقتال، كما قال تعالى: "وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ"، كما شرع الله تعالى له نصيباً في الفيء، وهو المال الذي يغنم من الكفار بدون حرب أو قتال، كما قال تعالى: "مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ". فمن كانت هذه هي حاله فكيف، بالله، يعيش عيش المساكين، أو الفقراء المعدمين، أو الضعفاء والشحادين؟! كلا، إنه كان يعيش عيش الأغنياء، ولم تكن تعرف الحاجة أو العوز إلى بيوته، في عاصمة دولته، سبيلاً. والأحاديث التي تزعم أنه كانت تمر عليه الليالي أحياناً وليس في بيته كسرة خبز يسد بها رمقه، والأحاديث التي تزعم أنه كان أحياناً يتحزم بالحجارة على بطنه لدفع غائلة الجوع عن نفسه، كلها كذب وهراء، وجهالة وافتراء. فلقد كانت عنده الإمكانية المادية أن يجمع في عصمته تسع زوجات دفعة واحدة، وأن يفتح لكل واحدة منهن بيتاً مستقلاً تعيش فيه عيشاً كريماً. ولقد

توفي صلى الله عليه وسلم وهو في أكمل حالاته، موسراً بما فيه الكفاية.

٣. أن الدولة الإسلامية هي صاحبة رسالة إلى العالم أجمع، وهي، بهذه المثابة، في مواجهة دائمة مع قوى الكفر، في محيطها أولاً، وفي سائر أنحاء العالم ثانياً. والمواجهة تتطلب قوة مادية، إلى جانب القوة المعنوية والقوة الروحية. فعلى المسلمين، تحقيقاً للقوة في حياتهم، أن يلتزموا بقانون السببية، وسنة الله في التدافع بين خلقه، في إعداد القوة بمعناها الواسع، حتى يتحقق فيهم قوله تعالى: "وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ" وقوله تعالى: "وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً". والقوة المادية لا وجود لها عند الفقراء والمعدمين والمساكين ... فهي تحتاج إلى غنى وثروات مادية طائلة. فكيف، بالله، تستطيع دولة الإسلام أن تواجه العالم، بكفره وقواه المادية، بكتائب الفقراء والمساكين والشحاذين، الذين لا يكاد يجد الواحد منهم قوت يومه، ولا يتجاوز سقف تفكيره لقمة عيشه، بدعوى أن له في رسوله أسوة حسنة في الفقر والمسكنة، مردداً قول الشاعر:

دليلك أن الفقر خير من الغنى وأن قليل المال خير من المُثري
لقاؤك مخلوقا عصى الله بالغنى ولم تَرَ مخلوقاً عصى الله بالفقر

فهلا كان الدعاء المتوازن التالي بديلاً عن ذاك الدعاء المارق الذميم: "اللهم لا ترزقني رزقاً يطغيني، ولا تبتليني بفقر

يضنيني، وأعطني في الآخرة حظاً وافراً، وارزقني في الدنيا معاشاً واسعاً كريماً"!

٤. أن المسكين لا يستطيع أن يحمل رسالة للعالمين. لأن سقف تفكيره وهمومه تنتهي عند لقمة عيشه. فلا يستطيع، والحالة هذه، أن يفكر في غيره، أو أن يحمل همه، أو يرعى شؤونه.

سن زواج عائشة

B. ومن القصص التي تكذبها حقائق التاريخ، **قصة عقد زواج الرسول على عائشة وهي ابنة السادسة**، وزواجه منها وهي ابنة التاسعة. والمصادر التاريخية تجمع على أن أسماء بنت أبي بكر كانت تكبر أختها عائشة بعشر سنين، وأن أسماء قد ولدت قبل الهجرة النبوية إلى المدينة بسبع وعشرين عاماً. أي أن عمرها كان عند بدء البعثة النبوية سنة ٦١٠م يساوي (١٤) عاماً. وهذا بدوره يعني أن عمر عائشة آنئذ كان (٤) سنوات. ومؤدى ذلك، أن النبي صلى الله عليه وسلم حينما عقد عليها نكاحه في السنة العاشرة للبعثة، كان عمر عائشة (١٤) عاماً. ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم قد هاجر إلى المدينة بعد ذلك بثلاث سنوات، يعني ان عائشة كانت، عند الهجرة إلى المدينة، قد بلغت السابعة عشرة من عمرها. ولما بنى بها الرسول صلى الله عليه وسلم في أواخر العام الأول

للهجرة كان عمرها ثمانية عشر عاما بالتمام والكمال، وليس تسع سنين كما ورد عند البخاري وغيره من أصحاب السنن والمؤرخين الغافلين.

حتى لقد انطلت حكاية سن زواج عائشة على الشيعة كذلك. فقد أورد الصدوق القمي في كتابه "من لا يحضره الفقيه" رواية عن أبي عبد الله (جعفر الصادق) قال الراوي فيها: سئل عن رجل تزوج جارية بكراً لم تدرك. فلما دخل بها افتضّها فأفضاها. فقال: إن كان دخل بها حين دخل بها ولها تسع سنين فلا شيء عليه". وانسياقاً وراء هذه الغلطة الفاحشة في التراث راج عند الشيعة زواج القاصرات زواجاً أورثهم مآسي لها أول وليس لها آخر. والعياذ بالله تعالى!

VII. الروايات التي تطعن في الله

١. مثل حكاية المعراج، التي تجعل الله سبحانه غير محيط علمه بشؤون مخلوقاته، فيفرض عليهم خمسين صلاة في اليوم والليلة، وهذا مستحيل عليهم. ولولا أن موسى تدارك الأمر، وصححه المرة تلو المرة، لظل التكليف الإلهي ظالما للعباد، منافياً للعلم والحكمة والصواب!! نستغفر الله العظيم من هذه الضلالات، فهو العليم الحكيم الخبير القادر القاهر فوق عباده، سبحانه وتعالى عما يصفون.

٢. ومثل الحديث الذي يتحدث عن ميقات ليلة القدر، حين يسأل الرسول صلى الله عليه وسلم متى هي ليلة القدر؟ فيجيب "كُنْتُ أعلمها وأُنسيتُها"! فمن الذي نسّاه إياها وقد عصمه الله رب العالمين؟!

٣. ومثل الحديث الذي يذهب إلى أنه، "يقال للولدان المعتصمين بباب الجنة يوم القيامة: أدخلوا الجنة فيقولون: حتى يدخل آباؤنا وأمهاتنا. فيأتون الله عز وجل فيقول: ما لي أراهم محنبطين؟ [يعني مُحْرنين] أدخلوا الجنة. فيقولون: يا رب آباؤنا وأمهاتنا. فيقول عز وجل: "أدخلوا الجنة أنتم وآباؤكم". وهذا اتهام صريح لله سبحانه بأنه يمارس الخفة المتناهية، بل الولدنة المثيرة للسخرية في أحكامه! سبحانه وتعالى عما يصفون!!.

VIII.الروايات التي تطعن في الرسول وفي سائر الأنبياء

١. مثل حديث إرضاع الكبير الذي أحل فيه الرسول صلى الله عليه وسلم، حسب زعمهم، للمرأة أن ترضع رجلاً كبيراً حتى يصبح من محارمها متعامين عن حدود عورة المرأة، وحرمة إبدائها على غير زوجها أو محارمها. فهذا طعن فاحش في الرسول، وأنه بهذه الرخصة يكون قد فتح باب الدعارة على مصراعيه. نستغفر الله العظيم، من هذه الإفك المبين!

٢. ومثل حديث دخوله على أم حرام، زوجة عبادة بن الصامت، وهي ليست من محارمه، وفي غياب زوجها عبادة. فأطعمته، وأخذت تفلّي رأسه، حتى نام في حِجْرها.

٣. ومثل حديث أم سُلَيْم، وهي ليست من محارم الرسول كذلك. حيث كان صلى الله عليه وسلم يدخل عليها، ويختلي بها، بدعوى أنه كان يحن عليها.

٤. وكالحديث الذي يزعم أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "**أيما رجل وامرأة توافقا فعشرة ما بينهما ثلاث ليال. فإذا أحبا أن يزدادا تزايدا، أو يتتاركا تتاركا**". إن نسبة مثل هذا الحديث الداعر للرسول صلى الله عليه وسلم هو طعن فاحش في حق الرسول، ووقاحة وبهتان عظيم في مقام سيد المرسلين.

٥. وكالحديث الذي يزعم أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: إذا رجع الرجل من سفره فإنه يستحب له أن يدخل على أهله نهاراً، ولا ينبغي أن يأتيهم ليلاً، في حال غفلتهم.

ثم يكمل الحديث الآخر السبب وهو: أن الرسول صلى الله عليه وسلم رجع من غزاة له، وقال لأصحابه: لا يطرقن أحدكم أهله ليلاً. فطرق اثنان، فوجد كل واحد منهما مع امرأته رجلاً.

يعني أن الرسول صلى الله عليه وسلم بهذا التشريع، قد أراد أن يتستر على ارتكاب الفواحش، بل ويشجع النساء على ممارسة الفاحشة ليلاً تحت جنح الظلام في غياب أزواجهن، وفي ظل

حمايتهن من مداهمة أزواجهن لهن ليلاً، وهن عن ذلك غافلات. والعياذ بالله!!

٦. والأنكى من كل هذه المطاعن الزائفة هو الزعم في أكثر من حديث بأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد التحق بالرفيق الأعلى وهو لم يكمل بعد تبليغ رسالته. وذلك مثل الحديث الذي يزعم أن الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو في حالة نزاع، طلب من الحاضرين حوله أن يأتوه بقلم وقرطاس ليكتب لهم كتاباً لن يضلوا بعده. وقد اختلف الحاضرون في تلبية طلب الرسول، فقبض ولم يكتب شيئاً. يعني أن أمراً غاية في الأهمية والخطورة، يتوقف عليه هدى الأمة وضلالها، قد فات الرسول صلى الله عليه وسلم أن يكتبه قبل موته.

٧. ومن أنماط الطعن في الرسول صلى الله علهي وسلم ما رواه البخاري ومسلم عن أنس قال: "جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! أصبت حدًّا فأقمه عَلَيّ. وحضرت الصلاة فصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما قضى الصلاة قال: يا رسول الله! إني أصبت حَدًّا فأقم علي كتاب الله. قال صلى الله عليه وسلم: "هل حضرت معنا الصلاة؟ قال: نعم. قال صلى الله عليه وسلم: قد غفر لك".

فهذا النمط من الطعن يعني أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يتواطأ على الفواحش والموبقات، بتعطيل حدود الله في حقها، وبالتستر على مرتكبيها، لقاء ركعتين من الصلاة.

وفي هذا تشجيع للفسقة والفجرة أن يعيثوا في الأرض فساداً، وترخص مذهل في التجاوز عن إقامة حدود الله في الأرض، رغم اعتراف الفاعلين بفعلهم في الدنيا طلباً للنجاة من العذاب في الأخرى.

فجريمة هتك أعراض المسلمين مثلاً، حسب مرتكبها أن يصلي ركعتين في أحد المساجد حتى يغفر له ذنبه، وينجو من العقاب في الدنيا، ومن العذاب في اليوم الآخر!! فطوبى للمجرمين إذن وحسن مآب!!

IX. أحاديث الآحاد الصحيحة، في موضوع الفتن وأشراط الساعة والمستقبل

سبق أن تناولنا موضوع أحاديث الآحاد من حيث أنه لا تقوم بها حجة في العقائد والمغيبات، لا مجتمعة ولا منفردة. غير أننا هنا نريد أن نلحق بها أحاديث الآحاد التي تتعلق بأخبار الغيب النسبي في الحياة الدنيا، وذلك مثل الأحاديث التي تتحدث عن الفتن، وأشراط الساعة، والأحاديث التي تحمل تواريخ محددة لوقائع أو أحداث ستقع في المستقبل الدنيوي غير المنظور.

فهذه الأحاديث كلها، جملة وتفصيلاً، شأنها شأن سائر أحاديث الآحاد في موضوع العقائد والمغيبات، مردودة، حتى ولو كانت غير ساقطة من حيث سلامة متونها، لأنه لا تقوم بها حجة لا في العقائد ولا في أمور الغيب، سواء كان الغيب مطلقاً يتعلق بأخبار اليوم الأخر، أم كان نسبياً يتعلق بأخبار الحياة الدنيا في المستقبل غير المنظور.

ولا بد أن نفرق هنا بين أخبار المستقبل التي ليس لها أية مقدمات أو علامات في عالم الشهادة، وبين الاستنتاجات أو التنبؤات أو نتائج الاختبارات التي قد يتوصل إليها العلماء والمفكرون والباحثون، من خلال وقائع وأحداث وظواهر طبيعية، وسنن كونية، أو اجتماعية أو سياسية في عالم الأحياء. فالنوع الأول من أخبار المستقبل إنما يستمد مصداقيته من الإيمان بصدق مصدرها بغير ما بيِّنة أو دليل تفصيلي، بينما يستمد النوع الثاني مصداقيته من صحة المقدمات . أعني الملاحظات والتجارب . التي بنيت عليها، أو انبثقت منها استنتاجاته أو تنبؤاته.

أما أخبار المستقبل التي ليس لها مقدمات في عالم الشهادة فهي مثل قوله: "إذا كانت سنة خمسين ومئة فخير أولادكم البنات"، فلا يستطيع أحد، والحالة هذه، حين صدور هذه الرواية المزعومة، أن يقرر مبلغها من الصدق والصواب.

ومثل قوله: "عند رأس كل مئة سنة يبعث الله ريحاً باردة يقبض الله فيها روح كل مؤمن".

ومثل قوله: "إذا كانت سنة ثلا ثين ومئة كان الغرباء: قرآن في جوف ظالم، ومصحف في بيت قوم لا يقرأون فيه، ورجل صالح بين قوم سوء".

ومثل قوله: "إذا أتت على أمتي ثلاث مئة وثمانون سنة فقد حلت لهم الغربة (يعني العزوبة)، والترهب على رؤوس الجبال".

وأما أخبار المستقبل المبنية على ظواهر طبيعية أو سنن كونية كأحوال الطقس، وتحديد مواعيد للخسوف والكسوف الكلي أو الجزئي، للشمس أو القمر، بعد مئة وخمسين سنة مثلاً فهي مبنية على حسابات فلكية توصل إليها العلماء بالملاحظة والاستقراء والاستنتاج، يستطيع بها أي دارس لعلم الفلك أن يقرر مبلغها من الصدق والصواب.

والعلم، أصلاً، في جوهره، قائم على ذلك. فالمعلومات التي يقدمها تبدأ بالفرضيات ثم بالنظريات، ثم تنتهي بالقوانين. وهذه كلها لا علاقة لها بالغيب الذي نحن بصدده.

A. أحاديث الفتن

غير أننا ينبغي أن نلاحظ هنا أن كثيراً من أحاديث الفتن، هي أحاديث سياسية الطابع، قد وضعت لتحديد مواقف معينة من

الصراع السياسي أو العسكري بين المسلمين في عهود تاريخية معينة، أو لإضفاء الشرعية على أيٍّ من هذه المواقف. وذلك:

١. مثل حديث "**تقتل عمارا الفئة الباغية**"، لإظهار أن الحق هو إلى جانب علي، وليس إلى جانب معاوية.

٢. ومثل حديث عن ابن عمر قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة، ومر رجل مُقنَّع، قال: "**يقتل هذا مظلوماً**"، فنظرت إليه، فإذا هو عثمان بن عفان رحمه الله.

٣. ومثل حديث المِسْوَر بن مَخْرَمة الوارد في مسند عبد الرحمن بن عوف قال: قال عمر بن الخطاب لعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما: ألم يكن مما أنزل علينا "**جاهدوا كما جاهدتم أول مرة**"؟ قال: بلى، أسقطت مما أسقط من القرآن. قال: نخشى أن يرجع الناس كفاراً قال: ما شاء الله. قال: لئن رجع الناس كفاراً ليكونُنّ أمراؤهم بنو فلان، ووزراؤهم بنو فلان".

٤. ومثل حديث: "**يهلك أمتي هذا الحي من قريش**"، وذلك لإظهار أن خلافة بني أمية سوف تكون وبالا على المسلمين، ومهلكة لهم.

٥. ومثل حديث: "**لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان،** تكون بينهما مقتلة عظيمة، ودعواهما واحدة"، في إشارة إلى الحرب الأهلية التي دارت رحاها بين المسلمين في معركة الجمل أولاً، ثم في معركة صفين ثانياً. أما وحدة الدعوى التي

يشير إليها الحديث، فهي الصراع على السلطة، كما ورد ذلك في حديث آخر، عن عبدالله بن عمر، في صحيح البخاري. إذ حينما سأله رجل أن يحدثهم عن القتال في الفتنة، قال: هل تدري ما الفتنة؟ ثكلتك أمك! إنما كان محمد صلى الله عليه وسلم يقاتل المشركين، وكان الدخول في دينهم فتنة، وليس كقتالكم على المُلْك".

٦. ومثل الحديث الذي أورده البخاري ومسلم، عن الأحنف بن قيس، قال: خرجت وأنا أريد هذا الرجل. فلقيني أبو بَكرة فقال: أين تريد يا أحنف؟ قال: قلت: **أريد نصر ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم [يعني علي بن أبي طالب]**. فقال لي [أبو بكرة]: يا أحنف إرجع، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "**إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار**". فقلت: يا رسول الله! هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: "إنه قد أراد قتل صاحبه". علماً بأن هذه العلة تناقض قوله تعالى: "وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُواْ الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ". فقتل المسلم وقتاله في هذه الحالة واجب، وهو مطلب شرعي وليس سبيلاً إلى نار جهنم كما يزعم الحديث.

٧. ومثل الحديث الذي أورده البخاري عن أبي بَكرة، أنه قال: "لقد نفعني الله بكلمة أيام الجمل (يعني معركة الجمل)، إذ لما بلغ

النبي صلى الله عليه وسلم أن فارساً ملّكوا عليهم ابنة كسرى قال: "**لن يفلح قوم ولَّوا أمرهم امرأة**". وذلك للتدليل على أن الفئة التي كانت تتزعمها امرأة في معركة الجمل (يعني عائشة)، هي الفئة الخاسرة التي لا يجوز أن يظاهرها أحد من المسلمين في نصرة أو قتال.

٨. ويؤكد هذا المعنى الحديث الذي رواه البخاري كذلك، عن عمار بن ياسر، حيث قام على منبر الكوفة وقال: "**إن عائشة قد سارت إلى البصرة.** والله إنها لزوجة نبيكم صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة. ولكن الله تبارك وتعالى ابتلاكم، ليعلم إياه تطيعون، أم هي!!.

٩. لما وضعت الحرب الأهلية بين علي ومعاوية أوزارها، ثم جرى اغتيال علي رضي الله عنه بعد ذلك، وجرت المصالحة بين معاوية والحسن بن علي حينما **بايع الحسنُ معاوية، وسمي ذلك العام بعام الجماعة**، بعد ذلك وضع حديث آخر لإضفاء المشروعية على هذه العملية. فلقد أورد البخاري في صحيحه حديثاً عن الحسن قال: "ولقد سمعت أبا بكرة قال: بينما النبي صلى الله عليه وسلم يخطب إذ جاء الحسن، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إبني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين".

١٠. ولإضفاء الشرعية على خلافة يزيد بعد أبيه معاوية، وضع الحديث التالي الذي أورده البخاري عن نافع قال: لما خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية، جمع ابن عمر حَشَمَه وولده، فقال: إني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: " يُنْصَب لكل غادر لواء يوم القيامة". وإنا قد بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله، وإني لا أعلم غَدْرا أعظم من أن يُبايَع رجل على بيع الله ورسوله ثم يُنصب له القتال. وإني لا أعلم أحداً منكم خلعه، ولا بايع في هذا الأمر غيره، إلا كانت الفيصل بيني وبينه.

B. أشراط السّاعة بمعنى علاماتها

أما أحاديث أشراط الساعة بمعنى علاماتها فكثيرة، ولا يصح منها شيء أبداً لثلاثة أسباب:

أولها: أنها أحاديث آحاد في أمور غيبية فلا تقوم بها حجة.

وثانياً: أنها كلها تخالف صريح القرآن، حيث يقول تعالى في أمر الساعة: "يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي، لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ، ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً. يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا، قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ"، وقال تعالى: "إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ"، يعني أن الله سبحانه وتعالى قد استأثر وحده بعلم الساعة، ولم يعط أحداً من البشر أية علامة على

وقوعها، فلا يجليها لوقتها إلا هو. وحينئذ يكون وقوعها، بالنسبة للإنسان، أمراً مفاجئاً، ليس له أية علامات أو مقدمات، مصداقاً لقوله تعالى: "لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً".

ولذلك فكل حديث ينطوي على علامات أو تواريخ للساعة فهو مردود لأنه يعارض قطعي القرآن، وذلك مثل حديث: مقدار الدنيا سبعة آلاف سنة، ونحن الآن في الألف السابعة.

وثالثاً: بالإضافة إلى كون أحاديث الساعة تخالف القرآن إجمالاً في قوله تعالى: "لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً"، فإن كثيراً منها يخالف القرآن تفصيلاً، لأنه يحمل علامات محددة، تجعل الإنسان قادراً من خلالها أن يرصد موعد الساعة، أو موعد اقترابها:

١. مثل حديث "**لا تقوم الساعة حتى يكثر الهرج**. قالوا: وما الهرج يا رسول الله؟ قال: "القتل القتل".

علماً بأن القتل بين البشر، بحق وبغير حق، هو ظاهرة طبيعية، منذ قابيل وهابيل، تقل أحيانا وتتفاقم أحيانا أخرى. فهي متصلة الحلقات، لا تتخلف حتى يرث الله الأرض ومن عليها. فهي . والحالة هذه . لا تشكل علامة لا على الساعة ولا غيرها.

٢. ومثل حديث "**لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى**"، فإن عبادة الأوثان، بأشكال مختلفة، هي أيضاً ظاهرة طبيعية لدى البشر، منذ أقدم العصور. وهي مستمرة كذلك إلى أن يرث

الله الأرض ومن عليها. فهي، والحالة هذه، لا تشكل علامة لا على الساعة ولا غيرها.

٣. ومن العلامات المزعومة **ظهور الأعور الدجال** الذي يملك من المعجزات ما لا يملكه إلا رب العالمين وحده، كما بّينا ذلك فيما سلف من هذا الكتاب.

٤. ومن العلامات المزعومة **نزول عيسى عليه السلام**، علماً بأن الله سبحانه وتعالى قد ذكر في صريح قرآنه أن جميع الخلائق والأنبياء ميتون، وأنه لا بعث لهم إلا بعث القيامة. فهم بموتهم تطوى صفحاتهم، ولا يبقى لهم أي دور يلعبونه في الحياة الدنيا. أضف إلى ذلك أن محمداً صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء والمرسلين، فلا دور لأحد من الأنبياء والمرسلين بعده أبدا.

٥. ومن العلامات المزعومة كذلك **ظهور المهدي** وما يلعبه من أدوار، علماً بأن هذا المهدي المزعوم، ليس نبياً ولا رسولاً، حتى يكون صاحب رسالة من رسالات السماء، ويؤدي دوراً في هداية الناس وإصلاح المجتمعات.

٦. ومن العلامات المزعومة كذلك **طلوع الشمس من مغربها**، علماً بأنه لو حصل ذلك فإن نظام الكون سوف يكون قد تغير، وتكون القيامة قد قامت فعلاً، فلا تشكل تلك الظاهرة علامة على الساعة، بل تكون حدثاً من أحداث الساعة نفسها.

٧. ومن العلامات المزعومة كذلك: "**لا تذهب الدنيا حتى يمر الرجل على القبر فيتمرغ عليه** ويقول: يا ليتني مكان صاحب هذا القبر؟ الظلم الفاحش في حياة البشر ظاهرة موجودة في كل عصر ومصر، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فهي لذلك لا تشكل أي علامة من علامات الساعة.

٨. ومن العلامات المزعومة كذلك: "لا تذهب الدنيا حتى يأتي على الناس **يوم لا يدري القاتل فيم قَتَل، ولا المقتول فيم قُتِل؟**

وهذه ظاهرة قديمة قدم قابيل وهابيل إلى أن تقوم الساعة. فهي لذلك لا تشكل أي علامة من علامات الساعة.

٩. ومن العلامات المزعومة كذلك: "**لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس**". فأين هو دور المهدي والمسيح في إصلاح العالم إصلاحاً جذرياً شاملاً، قبل قيام الساعة، كما بشرت بذلك مئات الأحاديث عند أهل السنة وأهل الشيعة على حد سواء؟!!

وجود الأشرار بين البشر، كذلك، ظاهرة لا تتخلف حتى تقوم الساعة، فوجودهم في أي زمان وفي أي مكان لا يدل بالضرورة على أن ذلك من علامات الساعة.

ومثل هذه العلامات المزعومة، في كتب الحديث والسنن والمسانيد، كثيرة.

ومما يخدع بسطاء الناس، في مثل هذه الأحاديث، أنها أحياناً تربط علامات الساعة بظواهر كونية أو طبيعية أو اجتماعية، أو سياسية ماثلة دوما أو متكررة في حياة البشر.

فالقتل على الهوية، والظلم الفاحش، والحروب، والفتن، والزلازل والعواصف والفيضانات، والقحط والجفاف، والخسوف والكسوف، كلها ظواهر ماثلة دوماً في حياة البشر، وفي نظام الكون. وهي متواصلة منذ بدء الخليقة حتى يرث الله الأرض ومن عليها. فهي لذلك لا تشكل أية علامة فارقة، في المستقبل القريب أو البعيد، على اقتراب الساعة أو على حصول فتن معينة لم يسبق لها مثيل في تاريخ البشر، حتى تكون عقوبة من الله تعالى، على ذنوب معينة ارتكبها جمهور من الناس.

فقد جاء أشراطها:

أما قوله تعالى: "**فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا. فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ**" فليس فيه إشكال يبرر التخبط الذي وقع فيه المسلمون في فهم الآية، من حيث التوفيق بين وجود أشراط للساعة وبين وقوع الساعة بغتة، يعني بدون مقدمات أو علامات.

فالآية الكريمة تقرر أمرين واضحين لا مجال للالتباس فيهما:

الأمر الأول: أن أشراط الساعة قد جاءت، وليس هي مما سيقع في قابل الأيام، **فقد جاء أشراطها.**

والأمر الثاني: أن الساعة لا تأتي إلا بغتة، يعني بشكل مفاجئ تمام المفاجأة، فليس لها أية علامات.

ولو فهمت أشراط الساعة في الآية على أنها علامات للمتسقبل لتعارضت تعارضاً كلياً مع البغتة في أمر الساعة، لأن البغتة تعني حصول الشيء بدون مقدمات أو علامات، وذلك حتى يشكل حصولها مفاجأة تامة للناس كافة.

فأشراط الساعة في الآية لا يصح أن تفهم على أنها علامات، **بل معناها موجبات وقوعها.** وهذه الموجبات قد اكتملت بانتهاء دور الرسل ورسالات السماء في حياة البشر، بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم برسالة الإسلام.

فكان هو خاتم الأنبياء والمرسلين، ورسالته خاتمة رسالات رب العالمين، وناسخة لشرائع السابقين الأولين، وهي نبوة ورسالة للبشر أجمعين إلى يوم الدين. **فليس هنالك من مبعوث إلهي جديد تنتظره البشرية بعد محمد صلى الله عليه وسلم حتى يكون ذلك مبرراً لتأخير العد التنازلي لقيام الساعة.**

رجوع المسيح علم للساعة:

وأما قوله تعالى في حق عيسى عليه السلام: "**إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُمْ مَّلاَئِكَةً فِي الأَرْضِ يَخْلُفُونَ، وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلاَ تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ، وَلاَ يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ، وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِالْحِكْمَةِ وَلأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُواْ اللَّهَ وَأَطِيعُونِ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ، فَاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ، هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ**" نقول إن قوله في حق عيسى عليه السلام بأنه **علم للساعة** في هذه الآيات لا علاقة له، من قريب أو من بعيد، بخرافة رجعة المسيح عليه السلام لإصلاح الكون بعد محمد صلى الله عليه وسلم، **بل هو محصور في دعوة بني إسرائيل ابتداء للإيمان بنبوته، واتباعه في رسالة ربه إليهم.** ومن جملة القضايا الكبرى التي كانت موضع خلاف بينه وبين بني إسرائيل قضية قيام الساعة، وأن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون.

ولتقريب صورة قيام الساعة إلى أذهان المنكرين لها، ولإقامة الحجة عليهم، فقد جعل الله سبحانه وتعالى في حياة السيد المسيح نماذج أو أمثلة يبين فيها قدرته على تغيير المعادلات والسنن القطعية الثابتة التي لا تتخلف في عالم مخلوقاته.

فعيسى عليه السلام قد **ولد من أم بلا أب**، وهذا خروج عن سنة قطعية ثابتة في حياة البشر. وهو كذلك قد **كلّم الناس وهو في المهد**، كلاماً خارجاً عن نطاق النواميس البشرية، من حيث القدرة عليه، ومن حيث مضمونه. وهو كذلك كان يخلق من الطين كهيئة الطير، ثم ينفخ فيه فيصبح طيراً حياً حقيقياً. وهذا خروج عن سنة الله الماضية في تفرده بالخلق والإيجاد.

وهو كذلك قد **أحيى الموتى**، وهذا خرق لسنة الله القاطعة في الموت والحياة. وهو كذلك كان **يبرئ الأكمه والأبرص** من غير دواء. وهذا خروج عن سنة الله في الأسباب والمسببات. فهذه النماذج التي ضرب الله بها مثلاً على قدرته على أن يغير بعض المعادلات والقوانين والسنن الثابتة القطعية التي لا تتخلف في واقع حياة البشر، فيها الدليل القاطع والبرهان الساطع على أن الذي غيّرها في واقع حياة البشر لقادر على أن يغيرها، لو أراد، في أي لحظة من اللحظات، في أي جانب من جوانب الكون والإنسان والحياة، كلياً أو جزئياً. وذلك هو **علم الساعة** التي كان يكذب بها بنو إسرائيل أنبياءهم السابقين واللاحقين، على مر الدهور والسنين.

ولتوكيد هذا المعنى قال تعالى في نفس الموضوع، وفي نفس السياق: " **وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُمْ مَّلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ**". وفي هذا إشارة أخرى إلى قدرة الله تعالى لو أراد أن يغير معادلاته في خلقه، فيحول هؤلاء المخاطبين برسالة عيسى عليه

السلام، المكذبين بدعوته في موضوع الساعة، من بشر إلى ملائكة مستخلفين في الأرض، لو أراد ذلك لفعل. فهو وحده خالق الأكوان وخالق سننها. فلو أراد أن يغير من خلقها أو من سننها شيئاً، ساعة يشاء، لفعل. فهو وحده القادر الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

أتى أمر الله فلا تستعجلوه:

وأما قوله تعالى: "**أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ**"، فلا علاقة له بالساعة أو بالقيامة، لأن الآية الكريمة تخبرنا بأن أمر الله قد أتى بالفعل، وليس هو مما سيأتي في المستقبل القريب أو المستقبل البعيد حتى يحمل على معنى الساعة.

لقد كان المشركون في مكة، وعلى نحو من التحدي الصارخ والاستهتار الفاضح بوعيد الله لهم، يقولون للرسول صلى الله عليه وسلم: هات ما عند ربك من العذاب إن كنت من الصادقين! فكانوا يضطهدون المسلمين ويعذبونهم حتى الموت أحياناً، كما فعلوا مع آل ياسر. ولم يكن أحد من المسلمين بقادر، في تلك المرحلة، على أن يحمل السلاح في وجوههم، دفاعاً عن دينه ونفسه وأهله، حتى هاجروا إلى المدينة. فأمروا عندها بأن يواجهوا السيف بالسيف حتى يقضي الله أمراً كان مفعولا حين قال: "**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ**". **فكان معنى "أتى أمر الله فلا**

تستعجلوه" **يعني اقترب عذابه،** فلا تكونوا في عجلة من أمره، وهو لكم – يا معشر المشركين– في الدنيا على أيدي المؤمنين الذين سوف يكتب الله لهم النصر عليكم، فيذيقونكم من العذاب الأدنى في الحياة الدنيا دون العذاب الأكبر يوم القيامة، لعلكم توقنون.

الدخان:

وأما قوله تعالى: "**فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ، يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ**" الذي يعتبره رواد أشراط الساعة، أي علاماتها، إحدى العلامات الكبرى من علامات القيامة، فالدخان هو من أحداث الساعة نفسها وليس من أشراطها. فهو في ذلك مثل زلزال الأرض ودكها ورجّها رجّا، ومثل أن تُبَسَّ الجبال بسّا وتكون كالعهن المنفوش، وأن يخسف القمر، وأن تجمع الشْمس والقمر. أو كما لخصها قوله تعالى: "**يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ**".

الدابـة:

وأما الدابة التي زعم رواد أشراط الساعة أنها من العلامات الكبرى على قيام الساعة في قوله تعالى: "**وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لاَ يُوقِنُونَ**"، فهذه الدابة ليست من علامات الساعة الكبرى أو الصغرى، القريبة أو البعيدة، كما يتوهمون. بل هي من أحداث

القيامة نفسها وليست من علاماتها المزعومة. فالدواب إذا تكلمت فلن يكون ذلك في الحياة الدنيا، لأن كلامها حينئذ يعتبر من الخوارق والمعجزات التي تصاحب النبوات. وبعد رسالة محمد صلى الله عليه وسلم التي هي خاتمة الرسالات والنبوات فإنه لا يبقى هنالك مجال للخوارق والمعجزات، حتى تكون علامة للساعة على امتداد الحياة الدنيا.

كما أن الدابة المشار إليها ليست هي ناقة صالح، كما ظنها أو توهمها بعض الدارسين أو الباحثين في أشراط الساعة. فسياق الآية واضح فيه أنه إذا وقع القول عليهم، يعني قامت قيامة طائفة من المكذبين منهم في جملة قيامة الآخرين، فإن الله سبحانه وتعالى سوف يخرج لهم دابة من الأرض تكلمهم، تقريعاً وتسخيفاً لهم على تكذيبهم بآيات الله، وإنكارهم للبعث والنشور، وتؤكد الآيات اللاحقة هذا المشهد حيث يقول تعالى: "**وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ**" (يعني يجمعون ويساقون). ثم توضح الآيات هذا المعنى بعد ذلك في قوله تعالى: "**وَوَقَعَ الْقَوْلُ بِمَا ظَلَمُواْ فَهُمْ لاَ يَنطِقُونَ**"، (يعني غير قادرين على الدفاع عن أنفسهم). فالآيات، في هذا الموضوع، في سياقها وسباقها إنما تتحدث عن البعث والنشور، وعما سيلاقيه الكفرة والمشركون المكذبون بيوم الدين، مما لم يكن يخطر لهم على بال.

فخروج الدابة والحالة هذه هو حدث من أحداث يوم القيامة، وليس هو علامة من علاماتها المزعومة. فهو حالة من حالات القيامة لتقريع المكذبين بيوم الدين وتعذيب نفوسهم قبل تعذيب أجسادهم.

يأجوج ومأجوج:

وأما حكاية يأجوج ومأجوج التي حسبها البعض من علامات الساعة الكبرى فهي قصة تنتمي إلى الماضي وحده، ولا علاقة لها بالمستقبل، لا من قريب ولا من بعيد. فهي قد عبرت تاريخ الماضي البعيد على مرحلتين، ثم انقضى أمرها ومناسبتها، كما يتضح من استعراض الآيات القرآنية التي تحدثت عنها في تلكما المرحلتين:

ففي سورة الكهف قال تعالى في حق ذي القرنين وفي حق المستغيثين به من شر قوم يأجوج ومأجوج: "ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً * حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُمْ مِّن دُونِهَا سِتْراً * كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْراً * ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَباً * حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْماً لاَّ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً * قَالُواْ يذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَى أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً * قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً * اتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُواْ حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَاراً قَالَ اتُونِي أُفْرِغْ

عَلَيْهِ قِطْراً * فَمَا اسْطَاعُواْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُواْ لَهُ نَقْباً * قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّاً *". وأما في سورة الأنبياء فقد قال تعالى إكمالاً لقصة يأجوج ومأجوج: "حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ * وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُواْ يوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ*"

واضح من سياق هذه الآيات أنها تتحدث عن مرحلتين:

أولاهما: أن قوما من غير قوم ذي القرنين (لا يكادون يفقهون لغته) قد استغاثوا به من شر جيرانهم المفسدين في الأرض، يأجوج ومأجوج، فلبى دعوتهم وأقام بين الفريقين سداً مانعاً لا يقدر قوم يأجوج ومأجوج على تجاوزه أو اختراقه.

وثانيهما: هي مرحلة قهر وتصفية يأجوج وماجوج على يد ذي القرنين، وذلك بدك السد، وفتح بلاد يأجوج ومأجوج على مصراعيها. فذلك كان هو الوعد الحق الذي أذهل يأجوج ومأجوج، وجعلهم يتساقطون من كل مرتفع في بلادهم، مسرعين لا يلوون على شيء، تحيط بهم الندامة على كفرهم وظلمهم وغفلتهم. ولكن هيهات هيهات، فقد فاتهم قطار الهدى فندموا يوم لا ينفع الندم، ولات ساعة مَنْدَمْ!!

أضف إلى ذلك كله أننا لو أجرينا مسحاً جغرافياً وجيولوجياً على كامل سطح الكرة الأرضية فإننا لن نجد ليأجوج ومأجوج أي

وجود، لا كشعب يعيش في ركن من أركان الأرض. ولا كسد يقبعون خلفه يحميهم من عاديات غيرهم من الشعوب والأمم.

فيأجوج ومأجوج تاريخ مضى وانقضى منذ أمد بعيد، كما مضى وانقضى عهد الإسكندر ذي القرنين، سواء بسواء.

والقرآن الكريم حينما أورد قصتهم مع ذي القرنين لم يكن ذلك لأنهم سوف يظلون مخلدين على ظهر البسيطة حتى تقوم الساعة فيخرجون ومن كل حدب ينسلون. فالخلود على هذه الأرض إلى قيام الساعة ليس لأحد من العالمين، كما قال تعالى: "وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد".

خلاصة القول في أمر أشراط الساعة بمعنى علاماتها هو أنه ليس للساعة علامات، بل هي لا تأتي إلا بغتة، والأحاديث التي وردت بخصوصها، إجمالاً وتفصيلاً، كلها ساقطة من حيث الدراية. علاوة على أنها كلها أحاديث آحاد لا تقوم بها في موضوع غيبي كهذا، أية حجة شرعية. ومع ذلك فقد تطاول في الأمر كثير من المحدثين، وراحوا يكفرون من ينكر أشراط الساعة أو علاماتها كما يتوهمون.

فهذه الأحاديث، أعني تلك التي تحمل أخبار المستقبل القريب والبعيد والفتن وأشراط الساعة تحمل في طياتها أهدافاً تخريبية هدامة:

فهي أولاً قد صممت لإسقاط أي دور للأمة الإسلامية في صناعة تاريخ العالم، أو تعديله، أو تصحيح مساره. فهذه الأحاديث، جملةً وتفصيلاً، تقول **بالجبرية التاريخية (Historical Determinism)**، فما يقع في هذا العالم من أحداث، عامة أو خاصة، كبيرة أو صغيرة، هي قضاء من الله وقدر، لا يستطيع الإنسان، مهما فعل، أن يغيرها أو يدفعها أو يبدلها أو يؤثر في مسارها شيئاً، وليكن شعارنا دوماً، والحالة هذه:

دَعِ المقادير تجري في أَعِنَّتِهَا ولا تَبِيتَّن إلا خاليَ البال

وهذه الفلسفة الجبرية في تاريخ الشعوب والأمم لا تكاد تختلف عن فلسفة كارل ماركس الشيوعية حين قال بالحتمية التاريخية. فزعم أن الصراع بين الناس داخل مجتمعاتهم وخارجها سوف يحكم عليهم بأن تمر مجتمعاتهم في مراحل حتمية هي: الشيوعية البدائية، ثم العبودية، ثم الإقطاع، ثم الرأسمالية، ثم الاشتراكية، وأخيراً الشيوعية العالمية التي سوف تكون هي خاتمة المطاف، حيث تتوقف عندها عجلة الصراع بين البشر، أو قل عجلة الزمن أو حركة التاريخ. وهذا لا يكاد يختلف عما ذهب إليه دعاة أخبار الغيب والفتن وأشراط الساعة حين تكتمل علاماتها، فتتوقف عجلة الزمن ويتوقف التاريخ وتقوم القيامة.

وهي ثانياً تدخل في روع الأمة بأن حكامها، عبر التاريخ، مهما بغوا وطغوا في البلاد، وأكثروا فيها الفساد، فإن ذلك هو قدرها الذي لا راد له، ولا معقب عليه، ولا مؤثر فيه. فالثورة عليهم، والحالة هذه، تعتبر تمرداً على الله في قضائه وقدره.

وهي ثالثاً تصرف الأمة عن التفكير الجاد في القيام بأية محاولة حقيقية لتغيير واقعها الفاسد، طالما كان هذا الفساد في ماضيها الغابر، وفي حاضرها الماثل، وفي مستقبلها القادم، هو قضاء من الله وقدر، عليها أن تتلقاه بالرضى والقبول والتسليم، حتى يكون الرسول صادقاً في نبوته وأخباره عما سيلحق بالأمة من فساد وفتن ومظالم وانحرافات عن صراط الله المستقيم، في قادم أيامها ومستقبل حياتها حتى تقوم الساعة.

إزاء ذلك كله، ما على المسلم إلا أن يستسلم للأقدار وينتظر ما يحمله له المستقبل القريب أو البعيد، من فتن وأزمات، ومحن ونكبات، ليس له أي دور في مواجهتها، ولا عليه أية مسؤولية في التصدي لها. حسبه أن يقف إزاءها مغلول العقل والإرادة والخيار، انصياعاً وامتثالاً لإرادة الواحد القهار، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته!!

X. خرافة تجديد الدين كل مئة سنة على يد مبعوث إلهي

الحديث الذي رواه أبو داود والحاكم والبيهقي: "**يبعث الله على رأس كل مئة عام من يجدد لأمتي دينها**". حكاية تجديد الدين هذه، هي فكرة تخريبية هدامة صممت لإضفاء الشرعية على العبث والتحريف في دين الله. فالإسلام، متمثلاً في كتاب الله وسنة نبيه، لا يتغير بتغير الزمان والمكان ولا يتبدل، وفي الالتزام به حياة الأمة، وفي العبث أو التفريط به هلاكها، كما قال صلى الله عليه وسلم: "تركتكم على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، كتاب الله وسنتي، لا يحيد عنها إلا هالك". ثم أن الحديث يزعم أن الله يبعث على رأس كل مئة عام من يجدد دين الإسلام. وهذا زعم باطل وبهتان عظيم. فمحمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم من بعثهم الله إلى الناس كافة بديانة سماوية خاتمة، فلا مجال بعد ذلك لمبعوث إلهي غيره أن يعدلها أو يبدلها، أو يزيد فيها أو ينقص منها شيئاً.

أما ما ذهب إليه المتأولون من أن المقصود في الحديث إنما هم المصلحون، فذلك مردود لثلاثة أسباب:

أولها: أن الحديث لا يجعل دور المصلحين هو تقويم اعوجاج الأمة فكرياً، وتقويم انحرافها سلوكياً، بل هو يتحدث عن تجديد الدين نفسه، وهذا غير وارد أبداً.

ثانيها: توقيت ظهور المجددين المزعومين على رأس كل مئة عام لا واقع له في تاريخ الإسلام، ولا أمة الإسلام، ولا حياة المسلمين.

ثالثها: باستقراء التاريخ الإسلامي خلال أربعة عشر قرنا نلاحظ أن **الحركات التي رفعت ألوية التغيير والتجديد في الأمة الإسلامية، عبر العصور، كانت كلها، بلا استثناء، منحرفة خاطئة، أو ضالة مارقة،** مثل الفلاسفة، والمعتزلة، والصوفية بجيمع طرقها، والقرامطة، والحشاشين، والإسماعيلية، وإخوان الصفا، والفاطميين، والدروز، والحركات الشيعية عموماً بمختلف أسمائها ومسمياتها، والوهابية، والبهائية، والقاديانية، والنورسية والتبليغية، ومن لف لفهم. فهذه الحركات الإصلاحية المزعومة قد ضلت وأضلت، وعاثت في الدين فساداً ما بعده فساد، تحت شعار التجديد والتغيير والإصلاح والتصحيح وما شاكل ذلك من المعزوفات الكاذبة.

XI. أحاديث تصفير عدادات الذنوب بأبخس الأثمان

وهذه قد عالجناها في موضوع "التخبط / فرقة المعتزلة نموذجاً" حديث رقم (١٥).

XII. أحاديث ترتب عقوبات كبيرة جداً على مخالفات صغيرة جداً

وذلك مثل:

١. "**أيما عبد أبق من مواليه فقد كفر،** حتى يرجع إليهم". [أبِق يعني هرب].

هذه ليست جريمة تخرج الإنسان من الإيمان. فالعبد الآبق هو طالب حرية، وهي أمر مشروع في الدين، حتى لقد فرض الله لتحرير الأرقاء حصة من ثمانية في زكاة أموال المسلمين. قال تعالى: "إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ"، يعني أن الله سبحانه قد جعل تحرير العبيد عبادة يؤديها المسلمون من أموالهم، فكيف يجوز أن نعتبر أن من حاولها من العبيد كافراً حتى يعود إلى أغلال سيده؟. لكن للمولى حق مالي عند العبد. فعلى العبد، والحالة هذه، أن يرتب أمر تحريره بالمكاتبة مع مولاه. فإن أخل بذلك، فذنبه لا يتجاوز ذنب من يتهرب من سداد دين. وليس في ذلك كفر وإيمان، بل فيه تقصير في تسديد حق، ليس غير.

٢. **الذي يمر بين يدي المصلي:** "لو يعلم المار بين يدي المصلي ما عليه لكان أن يقف أربعين خير له من أن يمر بين يديه".

زاد الراوي: "لا أدري، قال أربعين يوماً، أو شهراً، أو سنة". حتى لو أننا أخذنا العقوبة عند حدها الأدنى، وهو أن يظل واقفاً على رجليه أربعين يوماً، فإن مثل هذه العقوبة لا تتناسب ابداً مع ذنب المرور بين يدي المصلي.

٣. **حديث لعن البهائم**، إذ بينما كان الرسول صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره، وامرأة من الأنصار على ناقة، فضجرت،

فلعنتها. فسمع ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: خذوا ما عليها، ودعوها فإنها ملعونة".

يعني أن الرسول صلى الله عليه وسلم عاقب الأنصارية بتحرير الناقة منها، وإطلاق سراحها تمشي بين الناس . كما يكمل الراوي . ما يعرض لها أحد.

فهل يا ترى اعتبر الرسول . حسب زعم الحديث . أن البهيمة هي بمقام المملوكة، إن أهنتها أو لعنتها، وجب عليك تحريرها؟!.

٤ . حديث الكلمة تودي بصاحبها إلى النار.

فعن أبي هريرة، أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "إن العبد ليتكلم بالكلمة، ما يتبين ما فيها، يهوي بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب".

نحن نعلم أن الكلمة التي تودي بصاحبها إلى الجحيم هي الكفر، أما أي كلمة أخرى غيرها، وخاصة إذا كانت غير مقصودة، كما يزعم الحديث، فلا يمكن أن تكون عقوبتها مثل عقوبة كلمة الكفر؟ إن هذا لأمر عجيب!

XIII. أحاديث ترتب عقوبات فظيعة على جرائم وهمية

أ- حديث الوشم ووصل الشعر

في صحيح مسلم وصحيح البخاري، أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "**لعن الله الواصلة والمستوصلة، والواشمة**

والمستوشمة، والنامصات والمتنمصات، والمتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله تعالى".

فهل هذه الأعمال التجميلية التي تقوم بها النساء، أحيانا، هي من قبيل تغيير خلق الله تعالى؟

لو سلّمنا جدلاً بذلك، فماذا سنقول عندئذ في الأحاديث التي تطلب الختان، وقص الشارب، وتقليم الأظافر، وحلق العانة، وحلق شعر الإبط، أو تغيير لون شعر اللحية والشارب والرأس بالحناء الملّونة الحمراء؟ وماذا سنقول في قوله تعالى: "مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ"؟

أليس في ذلك كله تغيير لخلق الله، كما يزعمون، أكثر مما في الوشم، ووصل الشعر، ونتف الحواجب؟ تناقضات لا تستقيم معها أمور اللعن والتحريم.

ونحن حينما نرد دراية هذا الحديث وأمثاله من الأحاديث المعللة، يعني الأحاديث التي بني التحريم أو التحليل فيها على علة صريحة في نصها، كالأحاديث التي تحرم التصوير بدعوى أنه عملية خلق كخلق الله أم مضاهاة بخلق الله، وكالأحاديث التي تجيز الحج عن الغير بدعوى أن الحج هو بمثابة الدين المادي الذي يجزئ فيه سداد ذوي القربى عن أقاربهم، نقول: إننا حين نرد تلك الأحاديث بالدراية فليس ذلك معناه أنا رددناها ردّاً عقلياً كما قد يتوهم المتسرعون. فنحن إنما رددناها لأن العلل التي جعلتها مناطاً

للتحليل أو التحريم لا واقع لها، او تتناقض مع واقع الأحكام التي بنيت عليها تناقضاً كلياً لا مجال لتأويله أو تبريره أو تمريره.

فالواصلات والمستوصلات، يعني من يقمن بتطويل شعورهن، والواشمات والمستوشمات، يعني من يقمن بتطبيع جلودهن بألوان ثاتبة في مواقع مختلفة منها، والنامصات والمتنمصات، يعني من يقمن بنتف شيء من شعر وجوههن أو حواجبهن، والمتفلجات للحسن، يعني من يعملن على توسيع المسافات بين بعض أسنانهن، كل أولئك ليس في أي من أعمالهن التي حلّت عليهن اللعنة المزعومة بسببها أي تغيير في خلق الله تعالى. فتوصيل الشعر الطبيعي بشعر مستعار ليس فيه أدنى شبهة تغيير في طبيعة الشعر، والوشم بمعنى تلوين الجلد في مواقع متفرقة لا يغير من طبيعة الجلد شيئاً، وتوسعة المسافات بين الأسنان أو حتى زراعة الأسنان كما تمارس في هذه الأيام لا تغير من طبيعة الأسنان ولا من طبيعة اللثة شيئاً.

فهذه اللعنات التي تطارد هؤلاء العاملات على تغيير خلق الله تعالى هي لعنات كاذبة، لأن التغيير الحاصل في هذه الأحوال هو تغيير صوري شكلي لا يمت إلى تغيير الطبيعة البشرية بسبب. فزعم هذا الحديث، بأن الوصل والوشم والنمص والتفلج هو تغيير في خَلْق الله تعالى هو دعوى ليس لها في الواقع أي دليل، ولا لها إلى الصدق والصحة أي سبيل.

وعليه، فطالما كانت علة التحريم هنا هي هذا التغيير الخلقي المزعوم الذي يلحق بالطبيعة البشرية فقد سقط التحريم سقوطاً مدوياً. لأن العلة التي بُني عليها هي علة وهمية، لا وجود لها في عالم الواقع.

وما ينطبق على هذا الحديث المزعوم، ينطبق على أمثاله من أحاديث أخرى. فإذا لم يكن للعلل فيها واقع، أو لم تكن العلل مطردة إطراداً كاملاً في الأشباه والنظائر كافة، فإن علينا أن نردها، وأن نرد كل ما انطوت عليه من أحكام، بلا هوادة ولا تردد ولا انتظار. فهذا هو الباطل بعينه والعياذ بالله تعالى!

ب. أحاديث التصوير والمصورين

أ. عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون". ويروى أنه قال كذلك: "إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة. **يقال لهم: أَحْيوا ما خلقتم!**".

ب. وفي حديث آخر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين **يضاهون بخلق الله**".

ج. وفي حديث آخر كذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من صوّر صورة في الدنيا كُلِّف يوم القيامة **أن ينفخ فيها الروح، وليس بنافخ**".

د. وفي حديث آخر كذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "قال الله عز وجل: "**ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقاً كخلقي.** فليخلقوا ذَرَّة، أو ليخلقوا حبة، أو ليخلقوا شعيرة".

هـ. وفي حديث آخر أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "كل مصور في النار، يجعل له بكل صورة نفساً، فتعذبه في جهنم".

فهذه الأحاديث كلها مجتمعة ومنفردة ترتب عقوبة أخروية فظيعة، لا يصلى مثلها إلا الكافرون، وذلك على **جريمة وهمية،** لا واقع لها من قريب أو بعيد في حياة الناس. فمن المعلوم بداهة أن **التصوير ليس هو عملية خلق شيء من عدم على غير مثال سبق من مخلوقات الله، وليس هو مضاهاة بخلق الله، بمعنى أنه عملية خلق شيء من عدم ولكن على مثال سبق من مخلوقات الله، بل هو عملية تصوير مجردة بحتة لمخلوق من مخلوقات الله تعالى.** والإنسان بكل ما أوتي من قوة وعلم وتكنولوجيا، هو أعجز من أن يخلق ذبابة أو أصغر منها، ولو اجتمع البشر كلهم لذلك. **فالتحدي الذي تحمله هذه الأحاديث للمصورين، لا واقع له في عالم البشر.** وما يترتب عليه من تهديد ووعيد وعقوبة في الدار الآخرة، ما هو إلا تيه وشطحات خيالية، لا يجوز أن تنطلي على أحد من العقلاء! فطالما أن التحريم قد بني على أساس وهمي باطل، فالتحريم نفسه، والحالة هذه، يكون باطلاً. لأن **ما بني على الباطل فهو باطل،** ولا ريب.

أما التصاوير والتماثيل التي تصنع من أجل التقديس أو العبادة فهي حرام قطعاً، ولكن ليس لأنها وليدة عملية خلق أو مضاهاة بخلق، بل لأنها ضرب من ضروب الشرك، وشكل من أشكال الوثنية، التي شن الإسلام عليها حرباً لا هوادة فيها.

XIV: أحاديث فضائل الشعوب والمدن والبلدان

وذلك مثل الأحاديث التي تتحدث عن الفضل الذي اختص الله به بعض الشعوب كأهل الشام واليمن، وبعض الأقطار كالشام واليمن ومصر، وبعض المدن كمكة والمدينة وبيت المقدس. وهذه الأحاديث لا تصح، جملة وتفصيلاً، باستثناء البيت الحرام في مكة، والمسجد الأقصى في بيت المقدس. وهذه هي الأسباب:

١. **بالنسبة للشعوب:** لم يختص الله سبحانه وتعالى بالفضل أو بالفطرة شعباً دون سائر الشعوب، فكلهم مخلوقات لله، لا فضل لشعب على آخر ولا لجنس على آخر، ولا للون على آخر. **والمعادلة الوحيدة التي وضعها الله سبحانه للتفاضل بين الأنام هي التقوى، يعني الالتزام بشرع الله.** فأهل الشام واليمن مثلاً ليسوا بأفضل جنساً أو عنصراً أو فطرة من أهل العراق أو السودان أو تركيا أو أندونسيا مثلاً.

٢. **بالنسبة للمدن والبلدان:** فهذه كلها مخلوقة لله تعالى كذلك، وليس هنالك من مبرر شرعي، أعلمنا الله به، لتفضيل بعضها على بعض، كطبيعته الجغرافية مثلاً، أو موقعه على خارطة العالم. فبلاد الشام واليمن ومصر مثلاً ليست بأفضل عند الله من بلاد الجزائر ونجد ونيجيريا والحبشة وقبرص وتركستان والهند مثلاً. وكذلك فإن دمشق وصنعاء وحضرموت مثلاً ليست

عند الله بأفضل من بخارى وسمرقند وقرطبة واشبيلية واستانبول وبغداد مثلاً، ولا كذلك أي بلد في هذا العالم بأفضل من أي بلد آخر على ظهر كوكبنا الأرضي، سواء كان ينتمي إلى نصف الكرة الشرقي أم كان ينتمي إلى نصف الكرة الغربي.

ولو كان الموقع الجغرافي سبباً في تفضيل سكانه على غيرهم من الشعوب والقبائل والأمم لوقعت البشرية برمتها في تيه وضلال ما بعده تيه ولا ضلال.

فلو كانت بلاد الشام، كما ورد في أحاديث كثيرة وضعها الأمويون، هي خير أرض الله في كونه، وأن الله قد اختص من سكن فيها بفضل يتفوق به على سائر الناس، فمعنى ذلك أنه لو ارتحلت أية مجموعة من الأشرار والمجرمين، من أي بقعة في هذا العالم، واستقرت في بلاد الشام، فإنهم بمجرد سكناهم في تلك الديار، وليس لأي اعتبار آخر، سوف يصبحون من خيار الناس، وممن يشع خيرهم على العالمين، بعد أن كانوا من شرارهم ومن عوامل شقائهم وتعاستهم.

هذا مع العلم بأننا لو نظرنا إلى بلاد الشام، في أيامنا هذه، فإننا نجد أن سكانها هم أخلاط شتى من البشر، فمنهم المسلم السني، ومنهم العلوي، ومنهم الدرزي، ومنهم المسيحي، ومنهم عبدة الشيطان، وقبل ذلك وبعد ذلك ففيها أكبر تجمع لليهود في العالم، وهو ما يسمى بدولة إسرائيل.

فإين هو الخير والبركة في أهل الشام أفراداً وجماعات؟ وأين هو الفضل الذي يغمر أصحابها أو سكانها أو المقيمين فيها ممن أفاضت الأحاديث المزعومة بذكرهم وبدينهم وبأخلاقهم، وبأنهم معقد الأمل والرجاء إذا أطلت الفتن وأدلهمت الخطوب، وحشد الكفر رجاله وأعوانه؟!!

٣. **هنالك استثناء واحد** فقط لهذا كله، وهو ما تتمتع به **مكة وبيت المقدس** من مكانة خاصة في دين الله. وهذه المنزلة ليس مردها لأسباب جغرافية، بل لأسباب دينية تاريخية. فمكة هي مكان البيت العتيق الذي أقامه سيدنا إبراهيم بأمر ربه ليكون أول بيت وضع للناس. أما بيت المقدس فهو مكان المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله. فذلكما المكانان هما وحدهما اللذان جعل لهما الإسلام اعتباراً خاصاً، ومنزلة متميزة. ولا يوجد غيرهما، على ظهر البسيطة، أي بلد آخر يتمتع عند الله بمرتبة خاصة تميزه عن سائر بلدان العالم وأقطاره.

XV. أحاديث الطب النبوي

أرسل الله سبحانه وتعالى نبيّه محمداً صلى الله عليه وسلم هادياً ومبشراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً. فالطب

النبوي، إن جاز التعبير، إنما كان ميدانه العقول والقلوب، أي الفكر والتفكير والسلوك. يعني الانضباط التام في شتى مناحي الحياة بمنظومة فكرية إلهية، تكفل للإنسان السعادة في الدارين. فهذه هي رحمة الله للعالمين، التي حمل رسالتها نبينا الكريم، صلى الله عليه وسلم. أما العلوم الدنيوية من طب وصيدلة، وفلك وفيزياء وكيمياء، وأحياء وإلكترونيات واتصالات، وغيرها، فلم تكن تشكل جزءاً، ولو يسيراً، من مضمون هذه الرسالة. فهذه علوم دنيوية متروك تحصيلها للناس كافة، مسلمهم وكافرهم، على حد سواء. ولا علاقة للإسلام بها، من قريب أو بعيد، إلا من حيث تشجيع الأمة الإسلامية على تحصيلها وتطويرها، من أجل رفعة شأنها، وتعظيم قدرتها على مواجهة التحديات المادية في الداخل، وتعظيم قدرتها على مواجهة التحديات التي تشكلها قوى الكفر في الخارج. وعليه فإن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يبعث طبيباً يداوي علل الأجسام وأمراضها البدنية، فتكون له عيادة طبية يرتادها المرضى آناء الليل وأطراف النهار.

وكان من الجهل الفظيع لدى بعض المحبين لنبيهم أن يسلكوه في عداد أطباء الطب البشري، أو ربما خطر ببال بعضهم أن يسلكوه في عداد الأطباء البيطريين، خاصة حين كان يسأله بعض الأشخاص عن الجَرَب إذ يصيب إبلهم!

ولذلك ينبغي أن نرد، دراية، كل حديث أو رواية توهم بأنه صلى الله عليه وسلم كان يمارس الطب، وأن له في ذلك مدرسة طبية، أو تراثاً يمكن أن نطلق عليه الطب النبوي الشريف. وإذا صدف أن كانت له، باعتباره مسؤولاً رجل دولة، بعض التوجيهات الطبية، فما كان ذلك إلا في حالات وجود أمراض سارية مُعْدية، يخشى صلى الله عليه وسلم أن تتفشى في جماهير رعيته، كالطاعون. فكان لا بد، والحالة هذه، أن تتخذ إجراءات وقائية عامة تشبه العزل أو الحجر الصحي في أيامنا هذه. وذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم: "إذا حل الطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا حل بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا منها". فهذا عزل أو حجر صحي واضح لا جدال فيه، لاتقاء العدوى، وليس علاجاً لمرض الطاعون، كما قد يتوهم الجاهلون والمتوهمون.

والأحاديث التي وضعها الكذابون والنصابون والدجالون في هذا الباب، وخاصة منهم رواد الكذب الأبيض، من أهل الترغيب والترهيب، أكثر من أن تعد أو أن تحصى.

وهذه بعض النماذج منها:

١. "إن في الحبة السوداء شفاء من كل داء". الواقع المدرك المحسوس لدى البشر كافة يكذب هذا الحديث المزعوم. فلو كان صحيحاً لما كانت البشرية، في أي يوم من الأيام، في حاجة إلى الطب، ولا إلى الأطباء، أصلاً وفصلاً.

٢. من تصبح بسبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سُمٌّ ولا سِحْر".
وهذا أيضاً يكذبه الواقع المدرك المحسوس تكذيباً لا مرية فيه.

٣. "الكمأة من المنِّ الذي أنزله الله عز وجل على موسى، وماؤها شفاء للعين".
وهذا أيضاً يكذبه الواقع تكذيباً قاطعاً.

٤. "العسل شفاء من كل داء".
وضحنا بطلانه في بحث التخبط / فرقة المعتزلة نموذجاً رقم (١٣).

٥. "إن كان في شيء من أدويتكم خير ففي شَرْطة مَحَجم، أو شَرْبة من عسل، أو لَدْعة بنار".

وهذه الثلاث إن صلحت علاجاً في بعض الحالات فإنها لا تصلح في الآلاف المؤلفة من الحالات الأخرى.

٦. في صحيح مسلم، عن جابر، أن الرسول صلى الله عليه وسلم بعث إلى أبي بن كعب طبيباً، فقطع منه عِرْقاً، ثم كواه عليه".
لاحظ هنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد بعث طبيباً إلى أبي بن كعب، ولم يكن الرسول هو الطبيب المداوي، كما يزعم الكذابون.

٧. "الهريسة تشد الظهر".

٨. الذي شكا إلى النبي صلى الله عليه وسلم قلة الولد أمره صلى الله عليه وسلم أن يأكل البيض والبصل.

٩. "كلوا التمر على الريق فإنه يقتل الدود". رددنا عليه سابقاً.

ماء زمزم شفاء من كل داء

١٠. في مسند أحمد وسنن ابن ماجة عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: "**ماء زمزم لما شرب له**"، وفي رواية تكمل هذا الحديث عند الحاكم في المستدرك قوله: "**فإن شربته تستشفي به شفاك الله، وإن شربته ليقطع ظمأك قطعه الله، وأن شربته مستعيذاً به أعاذك الله**". فهذا تخريف وتجديف ليس له من الحقيقة نصيب، ولا من الواقع شاهد أو دليل.

والغريب العجيب أن **الشيخ ابن القيم يتحدث في كتابه "زاد المعاد" عن قدسية ماء زمزم وما يتمتع به من خصائص خارقة للخيال**، فيقول: "ولقد جرّبت أنا وغيري من الاستشفاء بماء زمزم أموراً عجيبة، واسستشفيت به من عدة أمراض فبرأت بإذن الله. وشاهدت من يتغذى به الأيام ذوات العدد قريباً من نصف الشهر أو أكثر، ولا يجد جوعاً، ويطوف مع الناس كأحدهم. وأخبرني أنه ربما بقي عليه أربعين يوماً، **وكان له قوة يجامع بها أهله**، ويصوم ويطوف مراراً". تهريف وتأليف، ليس له من الواقع حليف**!!**

المهم عند الشيخ ابن القيم، كما في حكاياته عن العشاق والمحبين، أن يظل المتزمزمون على حظ وافر من القدرة على ممارسة الجنس والسلام**!!** رحمه الله وغفر له**!**

١١. ختام هذه العينات، حديث منحط قذر يشبه الذي وضعه: "من أخذ لقمة من مجرى الغائط والبول، فغسلها، ثم أكلها، غفر له".

XVI. أحاديث الطعن في القرآن

ومثل هذه الأحاديث كثير في مصادر أهل السنة ومصادر أهل الشيعة، على تفاوت في درجة الكذب والبهتان. وقد أوردنا عدداً منها في ثنايا هذا الكتاب:

منها الحديث الذي يزعم أن سورة الأحزاب حينما نزلت كانت أطول من سورة البقرة.

ومنها الحديث الذي يزعم أن بعض الآيات قد نسخت تلاوة، وليس حكماً، من كتاب الله تعالى مثل: "**الشيخ والشيخة إذا زنيا**".

ومنها الحديث الذي يزعم أن بعض الآيات قد أسقطت من كتاب الله تعالى مثل: "حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى" التي كان نصها: "**حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى، وصلاة العصر**".

ومنها حديث المسور بن مخرمة الوارد في مسند عبد الرحمن بن عوف قال: قال عمر بن الخطاب لعبد الرحمن بن عوف: ألم يكن مما أنزل علينا "**جاهدوا كما جاهدتم أول مرة**"؟ قال: بلى، أسقطت مما اسقط من القرآن.

ومنها الحديث الذي أورده البخاري في صحيحه قال: قدم أصحاب عبد الله على أبي الدرداء، فطلبهم فوجدهم، فقال: أيكم يقرأ على قراءة عبد الله؟ قال: كلنا. قال: فأيكم يحفظ؟ وأشاروا إلى علقمة، قال: كيف سمعتَه يقرأ "**والليل إذا يغشى**"؟ قال علقمة: "**والذكر والأنثى**". قال: أشهد أني سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ هذا، وهؤلاء يريدونني على أن اقرأ "وما خلق الذكر والأنثى"، والله لا أتابعهم. يعني أن الصحابي أبا الدرداء، والراوي علقمة، والقارئ عبد الله **يزعمون أن عبارة** "**وما خلق**" **قبل عبارة** "**الذكر والأنثى**" **غير موجودة في القرآن**، وأن أبا الدرداء يقسم بأنه سمع الرسول صلى الله عليه وسلم يقرأ الآية بدون عبارة [وما خلق].

أما أحاديث أهل الشيعة في هذا الميدان فحدث ولا حرج، فلقد بلغت الذروة في كذبها وافترائها وبهتانها. فزعم بعضها أن القرآن الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة جبريل كان يتضمن سبعة عشر ألف آية، يعني أضعاف المصحف الحالي.

وكلمة الفصل بهذا الصدد واضحة قاطعة، لا لبس فيها ولا غموض. فكل حديث يزعم أن في القرآن زيادة أو نقصا أو نسخاً أو تحريفاً في بعض آياته، إنما هو بهتان مبين، يكذبه قول رب العالمين: "إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ".

الأحاديث المردودة دراية في هذا الكتاب ليست مقصودة لذاتها، بل لما ترتب عليها من قواعد ومزاعم باطلة

إن الأمثلة الكثيرة من الروايات والأحاديث التي ردَدْناها دراية في ثنايا هذا الكتاب ليست مقصودة بذاتها لبيان زيفها وبطلانها، وإنما كان الهدف من وراء ذلك هو كشف بطلان القواعد والمزاعم التي ترتبت عليها، وشاعت عند المسلمين على مدى القرون والأزمان، وحلت عندهم محل البدهيات في الأذهان، وكان لها أضرار فاحشة، وعواقب وخيمة على تفكير الأمة، وعلى إيمانها بالعقائد والمغيبات، وعلى فهمها للأحكام الشرعية. وقد حاولنا أن نرسم، إلى جوار هذه المقولات الباطلة العوجاء، خطوطا شرعية مستقيمة، حتى يتضح ما انطوت عليه، أو بنيت عليه من عوج فظيع، وانحراف عن الجادة خطير.

قد يختلف معنا بعض المشتغلين بعلوم الحديث أو بدراسته في تأويل بعض الأحاديث التي أوردناها في هذا الكتاب. ولكن ذلك لا يقدم ولا يؤخر في مسار البحث شيئاً. فالأحاديث التي أوردناها متضافرة على إثبات أطروحات الكتاب سلباً أو إيجاباً. وإنكار بعضها أو رده أو تضعيفه أو مواجهته بتأويل بعيد لا يؤثر على حجية الأدلة في مواضعها مطلقاً. فهي من الكثرة والشمول بحيث لو

رفض بعضها لكان في باقيها الغَناء كل الغَناء، والحجة فوق الحجة، ولو كره المغالطون والمكابرون.

ولم يكن المقصود من إيراد هذا الكم الهائل من الأحاديث أن ندخل في مباطحة أو مناطحة بشأنها للفوز بكأس العالم. ما نريده هو أن نتناولها بنزاهة وموضوعية أنّى توجهت ركائبها، ضمن الدلالات والقرائن اللغوية والشرعية، مع مراعاة السياق والسباق لغة وشرعاً، حتى يكون الرفض أو القبول مبنياً على أسس وضوابط لغوية وشرعية وعقلية. فمركز التنبه ينبغي أن يكون أولاً وآخراً، هو كفاية الدليل لقبول الدعاوى أو رفضها وليس الدوران حول دليل، وجوده وغيابه، سيان للرفض أو القبول.

وهذه أهم الدعاوى أو الأطروحات التي تناولناها لتقويم الإعوجاج:

١. **الدعوى بأن أحاديث الآحاد التي صحت عند المحدثين وعلماء الحديث سنداً أو رواية** فقط، **هي حجة بنفسها في العقائد والأحكام.** فأثبتنا بالأدلة القاطعة والبراهين الساطعة، ومن خلال الأمثلة الحديثية الكثيرة المتنوعة، الساقطة دراية، بطلان هذه الدعوى في العقائد والغيبيات، ثم من بعد ذلك في سائر الأحكام.

وبينّا أن أحاديث الآحاد، حتى ولو كانت متونها لا مأخذ عليها ولا مطعن فيها، فإنها لا تفيد غير الظن. والظن لا تقوم به حجة في العقائد وأخبار الغيب، كما أرشدت إلى ذلك آيات كثيرة في كتاب الله تعالى، تنهى عن الظن، وتشدد على طلب البرهان والسلطان والعلم واليقين في موضوع العقائد وأخبار الغيب.

ونظراً لما لهذه الدعوى من آثار هدامة وأخطار فاحشة على منظومة الفكر الإسلامي، وعلى أهل الإسلام أنفسهم، فقد أسهبنا في موضوعها، وأوليناها اهتماماً خاصاً يتناسب مع خطورتها. فهي، علاوة على أنها قد مهدت السبيل للمعتقدات الباطلة الكافرة من إسرائيلية وإنجيلية وهندوسية وأرسطوطاليسية وما شاكلها، كي تتوغل في عقول المسلمين وقلوبهم، وتصبح جزءاً لا يتجزأ من عقيدتهم، فإنها قد دفعت أربابها إلى تعطيل القرآن في أية آية من آياته تناقض هذه الكفريات والضلالات. وليس ذلك فحسب، بل دفعتهم إلى تكفير أي مسلم عاقل فاضل لا يأخذ برأيهم، ولا يدين بمذهبهم، ولا يقدم الأحاديث الكاذبة على آيات الكتاب القاطعة.

فأنت مثلاً لو أنكرت **رجعة المسيح** اهتداء بقوله تعالى: "ما كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ"، بمعنى أنه ما دام محمد هو خاتم الأنبياء والمرسلين فلا يصح أن يخلفه لا عيسى ولا موسى ولا غيره، فأنت عندهم كافر، لأنك أنكرت أحاديث آحاد تقول برجعة المسيح، وهي حجة قاطعة بنفسها في

العقائد والمغيبات، فتجاوزها كفر لا مِرْية فيه. أما في المقابل، فتجاوز النص القرآني من أن لا رجعة لنبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم فلا زندقة فيه ولا زيغ ولا ضلال!!

ولو أنك أنكرت **المهدي المنتظر** باعتبار أنه ليس نبياً ولا رسولا ينتظر خروجه في آخر الزمان، ليؤدي في حياة البشر دوراً معجزاً حاسماً ضد الكفر والشرك والفقر والظلم والفساد، في شتى أرجاء المعمورة، في بضع سنين لا تتجاوز عدد أصابع اليد الواحدة، لو أنك أنكرت ذلك لاعتُبْرت عندهم كافراً، لأنك، والحالة هذه، تكون قد أنكرت مجموعة كبيرة من أحاديث الآحاد التي تعتبر حجة قاطعة في موضوع المهدي المنتظر. **أما أن يدير القوم قفاهم للآية القرآنية القاطعة** في أن لا رجعة لنبي أو رسول بعد محمد، فكيف بغير محمد ممن لا هو رسول ولا نبي، فذلك عندهم برد وسلام، لا كفر فيه ولا زندقة ولا مروق من الدين.

ولو أنك أنكرت **الأعور الدجال** الذي يملك من المعجزات ما لم يملكها أنبياء الله مجتمعين منذ آدم حتى محمد، بل لا يشاركه فيها أحد غير رب العالمين، لاعتبروك كافراً، لأنك تكون قد أنكرت مجموعة كبيرة من أحاديث الآحاد التي تعتبر عندهم حجة قاطعة في موضوع الدجال.

أما الرد الواضح الدامغ بأن الله سبحانه وتعالى لا يزود بالمعجزات إلا الأنبياء والمرسلين وحدهم كي يبرهنوا بذلك على

صدق دعواهم، ويقيموا الحجة على البشر، ويدفعوا المخاطبين إلى اختيار طريق الهدى والصراط المستقيم، ولا يزود بها الدجالين، الأعور منهم والبصير، بمعجزات فظيعة تساعدهم على إغواء الناس وإضلالهم عن سواء السبيل، نقول أما هذا الرد فإنهم إذا سمعوه وضعوا أصابعهم في آذانهم، واستغشوا ثيابهم، وأصروا واستكبروا استكباراً.

ولو أنك أنكرت **نزول الله كل ليلة إلى السماء الدنيا** ليعرض خدماته على البشر، ولسماع أدعيتهم وطلباتهم، على اعتبار منك أن الله سبحانه وتعالى سميع عليم، لا يحده في سمعه ولا في علمه مكان ولا زمان، فهو خالق الزمان والمكان، وهو خالق السماء الدنيا وغيرها من السموات والأرضين، يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها، عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، نقول لو أنك أنكرت خرافة نزول الله تعالى إلى السماء الدنيا استناداً إلى هذه الآيات البينات القاطعات لاعتبروك كافراً مارقاً من الدين، لأنك أنكرت أحاديث النزول التي فيها وحدها الحجة الدامغة عندهم.

ولو أنك أنكرت **الشفاعة** بناء على الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة التي تحملها عشرات الآيات القرآنية لاعتبروك كافراً، لأن

أحاديث الآحاد التي تثبت الشفاعة عندهم تعد بالعشرات، إن لم تكن بالمئات. فالحجة فيها وليست في كتاب الله تعالى.

وهكذا دواليك. فالمغالطة والمكابرة والتعصب الأعمى، إلى جانب إسقاط المرجعية القرآنية، والتسليم المطلق بمقولة أن أحاديث الآحاد هي حجة بنفسها في العقائد والأحكام، كل ذلك قد أدى بمعتنقيها، وبالمتلقّين عنهم، والمقلدين لهم، إلى أوخم العواقب، حتى لقد وصل الحال بأحد مشاهيرهم أن يؤلف كتاباً بعنوان: "**قدوم كتائب الجهاد لغزو أهل الزندقة والإلحاد، القائلين بعدم الأخذ بحديث الآحاد، في مسائل الاعتقاد**". فهذه اليافطة تعني أن المخالفين لهم هم مرتدون زنادقة ملحدون، يجب شن الحرب عليهم وإبادتهم.

وحسبنا في هذا المقام أن نشير إلى أن كتاب ربنا قد حرّم علينا أن نجادل أهل الكتاب . المقطوع بكفرهم . إلا بالتي هي أحسن. فكيف، بالله، جاز في دين هؤلاء القوم أن يُجَهِّزوا كتائب الجهاد لإعلان الحرب على المؤمنين الصادقين المعتصمين بحبل اليقين لمواجهة الوهم والظن والخرص المشين، ويستبيحوا دماءهم، لا لشيء إلا لمخالفتهم إياهم في قاعدة ساقطة باطلة؟! إن هذا لهو الغرور الكاذب، والضلال البعيد، والعدوانية المتوحشة التي لا تحل حلالاً ولا تحرم حراماً!!

نعود ونكرر بأن هؤلاء القوم، ومن سار على دربهم من مختلف المذاهب والمشارب، قد هان عليهم أن يجعلوا من الأكاذيب والضلالات وفواحش الكفريات الإسرائيلية والإنجيلية والهندوسية والفلسفة اليونانية قبلة أنظارهم ومهوى أفئدتهم، كما هان عليهم أن يجعلوا كتاب ربهم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وراءهم ظهريا. فهم إذا تعارض حديث آحاد مع نص قرآني قطعي الدلالة تعارضاً كلياً فالحجة والغلبة عندهم هي لحديث الآحاد، وليست لقرآن رب العباد. وهذا، علاوة على ما ينضح به من ضلال وبعد عن الحق والصواب، فإنه يخلق جواً من الإرهاب لتعطيل منهاج الدراية في تمحيص الروايات والأخبار، كما كان يفعل الصحابة الأبرار، وذلك من أجل تسريب شتى المقولات والمعتقدات الباطلة من إسرائيلية وإنجيلية وشركية ووثنية إلى عقائد المسلمين، حتى يصبح كل من ينكر أية أكذوبة منها زنديقاً كافراً مارقاً من الدين! والعياذ بالله تعالى!!.

لا بد من ثورة في التراث وثورة في العقول، حتى تستقيم الأمور، ويعود الحق إلى نصابه، ويظهر الإسلام على الدين كله، ولو كره الذين أضاعوا البوصلة، وأصبحوا في كل وادي يهيمون، ويقولون على الله ما لا يعلمون.

وهذا يقتضي أيضاً أن نقف بحزم، وبلا هوادة، ضد كل من خاض في التراث من المتعالمين والمتطفلين والمتخلفين عقلياً

وعلمياً. فهؤلاء **يجب أن تكشف عوراتهم** حتى لا تنطلي مزاعهم أو تأويلاتهم الفاسدة على أحد من خلق الله. كما ينبغي أن يدرجوا في خانة واحدة مع الدساسين، ولا نبدي لهم اي تقدير أو تبرير.

وأما بالنسبة لأحاديث الأحكام التي صحت رواية فإنها، وإن كانت لا تفيد غير الظن، فهي مع ذلك **حجة بنفسها شريطة أن تصح دراية**. فما لم تصح فيها الرواية والدراية معاً، فلا حجة فيها أبداً.

٢. **الدعوى بأن أحاديث الآحاد الصحيحة رواية**، في العقائد والمغيبات، وعلى الرغم من ظنيتها، فإن علينا أن نصدق بها تصديقاً غير جازم، لا يصل إلى درجة الاعتقاد، كما ذهب إلى ذلك المرحوم الشيخ تقي الدين النبهاني.

ولقد أثبتنا بالأدلة الشرعية القطعية الدامغة بطلان هذه المقولة، **وأن القاعدة الصحيحة بهذا الصدد هي: لا نصدق ولا نكذب ولا نعتقد**. ونترك أمرها وراء ظهورنا، لأن الظن في موضوعها يسقط حجتها في مسائل العقيدة والمغيبات، وتظل حجتها سارية المفعول في أحاديث الأحكام الصحيحة سنداً ومتناً.

٣. **دعوى أن الصحيحين**، صحيح البخاري وصحيح مسلم، من بين سائر كتب الحديث وسننه ومسانيده، **تشكلان مرجعية قطعية معصومة**، لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها،

أثبتنا بطلانها بالأدلة القطعية الدامغة. فالصحيحان، كغيرهما من سائر كتب الحديث كالموطأ، ومن سائر كتب السنن والمسانيد الأخرى، هي جهود بشرية، فيها أخطاء كثيرة، كبيرة وصغيرة، بسيطة وخطيرة. **فليس هنالك من كتاب معصوم غير كتاب الله تعالى، وليس هنالك من أحد معصوم غير رسول الله صلى الله عليه وسلم.**

فلا يصح، والحالة هذه، أن نتقبل الروايات الآحادية، من أي مصدر حديثي كان، من غير أن نخضعها لامتحان الدراية. وليس في هذا الميدان أية استثناءات. أما الزعم بأن الأمة قد أجمعت على حجتها، وتلقتّها بالقبول والتسليم فما هو إلا حديث خرافة، لا واقع له إلا في أذهان من غشيتهم الأوهام، والتبست عليهم الأفهام.

٤. **لا عبرة بكثرة الأحاديث أو قلتها في الموضوع الواحد** إذا وقف الأمر عند حدود الرواية لا يتخطاها إلى الدراية. فأحاديث الشفاعة والدجال والمهدي ورجوع المسيح مثلاً قد يصل تعدادها إلى المئات. لكنها، لما كانت ساقطة دراية، أصبحت أصفاراً مكررة. **فالعبرة . كل العبرة . هي في سلامة الحديث سنداً ومتناً حتى يشكل دليلاً صحيحاً مقبولاً في موضوعه.**

٥. **ما يسمى بالفرق الإسلامية والفرقة الناجية والطائفة الظاهرة المنصورة من** أهل سنة، وأهل شيعة وأهل تصوف، وخوارج، ومعتزلة **كلهم**

عملياً في المصيبة سواء. فأحاديث الآحاد في العقائد والأحكام التي صحت عندهم سنداً، وغابت عنها الدراية متناً، هي الطامة الكبرى، وهي المستنقع الآسن الذي تردى الجميع في لججه. والأمثلة التي سقناها في ثنايا هذا الكتاب، مما صح عند هذه الفرق جميعها، لَمِمّا تقشعر منها الأبدان، ويصيب بالأسى والأسف كل ذي بصيرة وبرهان.

أما الفرقة الناجية أو الطائفة الظاهرة المنصورة، فليس لها من وجود إلا في أحلام المتواكلين وخيال الحالمين، ممن لا يتحالفون مع سنن الله في خلقه، وسننه في كتابه العزيز، حيث يقول: "إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ". فهذا هو **قانون السببية** إلى جانب **سنة التدافع** الذي لا يحيد عنهما إلا هالك. أما أسرى القدرية الغيبية، أصحاب العقلية الإنجيلية المهدوية، الذين ينتظرون ناصراً ومخلصاً لهم من وراء الغيب، كالمسيح والمهدي المنتظر، فلسوف يطول انتظارهم إلى أبد الآبدين، حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

ومن استعراض نماذج من أحاديث الفئة الظاهرة يتبدى واضحاً لأولي البصائر والألباب، أنها أحاديث أموية سفيانية بامتياز، صممت ووضعت لإضفاء الشرعية على حركة التمرد التي قادها معاوية بن أبي سفيان ضد الخلافة الشرعية لعلي بن أبي طالب. وليس ذلك فحسب، بل وللتأكيد على حتمية انتصار تلك

الحركة، لأنها إنما قامت انتصاراً للحق المبين ولشريعة سيد المرسلين. وزيادة على ذلك، فهي دعوة عارمة للأمة كي تقف إلى جانبها في صراعها مع المخالفين والمناوئين لها، وأن تراهن على نصرها، وأن تعلق على ذلك النصر المبين كل الآمال الطويلة العريضة. فالعاقبة هي لها وحدها، وليس لخصومها إلا الخزي والعار، والهزيمة والدمار.

فقد أورد البخاري ومسلم في صحيحهما عن **معاوية بن أبي سفيان**، عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: "**لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون**".

كما أوردا في صحيحيهما كذلك، وعن **معاوية بن أبي سفيان نفسه**، عن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين. ولا تزال عصابة من المسلمين يقاتلون على الحق، ظاهرين على من ناوأهم إلى يوم الدين**".

كفى تيها وغفلة لدى المتعلقين بخيوط العنكبوت! وحسبنا أن نلاحظ أن معاوية بن أبي سفيان هو مصدر هذه الأكاذيب والمفتريات الأموية السفيانية، لإظهار أنه ومناصريه هم وحدهم على الحق أبدا، وأن الحق هو إلى جانبهم كذلك أبدا، وأن النصر سوف يظل حليفهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وإذا كان الزعم بوجود طائفة ظاهرة منصورة ناجية عبر التاريخ الإسلامي صحيحاً، فأين هي تلك الطائفة المزعومة؟ حسبنا أن نكرر بأن الانحراف والكفر والضلال الذي كانت تمثله الفرق المختلفة عبر العصور، ما زال يجد له سوقاً رائجة، وانتشاراً واسعاً لدى جماهير غفيرة من الأمة حتى اليوم. فأين هي، من ذلك، الفرقة الظاهرة المنصورة على الباطل وأهله؟!! كفى بنا هلوسة وشططاً!!.

٦. الدعوى بأن لا يكتب المسلمون شيئاً من أحاديث الرسول، ومن كتب شيئاً غير القرآن فليمحه، وحدثوا **عن بني إسرائيل ولا حرج**، هي دعوى تخريبية فاحشة، فتحت الباب واسعاً للدساسين الحاقدين، من اليهود والنصارى، الذين تظاهروا باعتناق الإسلام وبصحبة الرسول صلى الله عليه وسلم، أو بصحبة بعض مشاهير صحابته من بعده، كي يعيثوا في الدين دساً وفساداً وإفساداً، حتى تمكنوا من أن يدخلوا على المسلمين من الضلالات الإسرائيلية الفاحشة، ومن الدعاوى الإنجيلية الباطلة، ما أفسد عليهم دينهم وعقائدهم وولاءهم المطلق لخاتم الأنبياء والمرسلين، ولشريعة رب العالمين، الناسخة والمهيمنة على سائر شرائع السابقين الأولين. هذا علماً بأن السنة، في جانب الأحكام الشرعية العملية كانت مطبقة تطبيقاً شاملاً عاماً في كافة أرجاء الدولة الإسلامية،

ومتداولة بين جماهير المسلمين، في مختلف الأماكن والأزمان، تداولاً متواتراً قبل أن يظهر المحدثون على مسرح جمع الأحاديث بزمن طويل.

٧. مثلما أن للرواية قواعدها التي صارت تعرف باسم "**علم مصطلح الحديث**"، فكذلك **يجب أن يكون للدراية قواعدها القطعية** التي تشكل منهاجاً متكاملاً في تمحيص المتون، كي لا يترك المجال سائباً للمتطفلين، والمتعالمين، وأصحاب النوايا السيئة، وكي لا يكون قبول الأحاديث أورَدُّها يدور مع الهوى أو المصلحة أو مسايرة الزمن حيثما دارت، فقد أفردنا لقواعد الدراية فصلاً خاصاً في هذا الكتاب.

٨. قواعد مسخ الإسلام وتقزيمه

أوردنا أمثلة كثيرة على الأحاديث التي تقزّم الإسلام وتمسخه، وتجعله قاصراً على أجزاء منه، مثل حديث "بني الإسلام على خمس"، ومثل حديث "حُبِّب إلي من دنياكم الطيب والنساء، وجعلت قرة عيني في الصلاة"، ومثل "من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه"، ومثل: "من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه"، ومثل: "من قال سبحان الله وبحدمه، في يوم مئة مرة، حطت خطاياه، ولو كانت مثل ربد البحر"، وغيرها كثير. بينما الإسلام كُلٌّ لا يتجزأ. والذي يُفَعِّل جزءاً منه ويعطل أجزاءً أخرى، سواء كانت من التكاليف الخاصة أم العامة فإنما مثله كمثل الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض، والعياذ بالله تعالى.

٩. دعوى التفاضل بين الناس بالقرابة والنسب والجنس في الإمامة وحكم البشر

وهذا يتجلى في جعل الإمامة في قريش ما بقي في الدنيا اثنان، كما يتجلى في إعطاء أئمة الشيعة الأثنا عشر حقاً إلهياً في حكم البشر.

ومما يزيد الطين بلة أن أهل الشيعة قد جعلوا من أئمتهم معصومين، كأن الوحي لم ينقطع بوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، بل ظل يتنزل عليهم آناء الليل وأطراف النهار، حتى أوصلهم

إلى درجة العصمة المطلقة أو يزيد، كما زعم الخميني بأن لأئمته منزلة رفيعة لا يكاد يبلغها نبي مرسل ولا ملك مقرب. ويكأن الله تعالى لم ينزل في محكم كتابه: "مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ"، وقوله تعالى: "إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عَندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ".

١٠. دعوى اعتزال الناس والالتحاق بقطعان الغنم في أيام الفتن

هذه الدعوى ونظيرتها فريضة السكوت على الحكام الظالمين في جميع الظروف والأحوال، إنما صممت لتوطيد أركان الحكم الظالم الغاشم بعدم جواز الثورة عليه، أو المشاركة في أي ثورة ضده. وهذا هو المقصود بالفتن وأيامها وأشراطها المزعومة.

١١. الدعوى الإنجيليية الهدامة بأن أحداً لا يدخل الجنة بعمله

نظراً لخطورة هذه الدعوى فقد أفرزنا لها مبحثا خاصاً في هذا الكتاب. وخطورة هذه الدعوى لا تقتصر على الإسلام وحده، بل إنها لتمتد إلى الشرائع السماوية كافة. فهي، إذ تسقط معادلة الجزاء والعمل في أن كل نفس بما كسبت رهينة، وأن من يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره، فإنها تجعل الأخيار والأشرار يوم القيامة في العاقبة والمصير سواء.

وهذا بدوره يعني أن الشرائع، بما انطوت عليه من تكاليف آمرة وأخرى ناهية، لا لزوم لها في حياة البشر. وبالتالي فإن إرسال الأنبياء والمرسلين، عبر التاريخ، كان عبثاً في عبث، طالما كان الانقياد لرسالاتهم وعدم الانقياد لها سيان، في العاقبة والمصير.

١٢. دعوى تصفير عدادات الذنوب بأبخس الأثمان، ودعوى ترتيب عقوبات فاحشة على مخالفات بسيطة

طالما كانت الذّرة من فعل الخير والذّرة من فعل الشر هما قاعدة الحساب التي تقرر مصير الإنسان في اليوم الآخر، فإن الإسلام. انسجاماً مع هذه القاعدة، وحتى يكون منطقياً مع نفسه في تشريعاته. قد جعل لكل فعل من أفعال الخير، ولكل فعل من أفعال الشر وزناً معيناً يلائمة ويتناسب مع حجمه وخطورته، وتكاليف أدائه أو عناء اجتنابه، مثلما فعل حين جعل الجهاد في سبيل الله هو ذروة سنام الإسلام، ومثلما جعل بعض تكاليفه فرائض وبعضها مندوبات، وبعض المخالفات كبائر وبعضها صغائر.

فالأحاديث التي ترتب ثواباً عظيماً على فعل خير غاية في السهولة والبساطة هي أحاديث فاقدة للتوازن **في موضوع الترغيب.** فهي بذلك تشكل طعناً فاحشاً في حكمة الله وتقديره. فكثير جداً من أحاديث الترغيب هذه، فيها من الترخص المذهل، ما يجعلها ذريعة أو ملاذاً آمناً للتسيب والاستهتار، والتحلل من الالتزامات الشرعية

التي تقع في رأس سلم الأولويات. وقد ضربنا في ثنايا هذا الكتاب الكثير من الأمثلة تحت عناوين **تصفير عدادات الذنوب**، وما تركنا من حاجة مستزيد إلى مزيد. وبينّا أن مدارها في كثير من الأحيان هو أن بعض العبادات الفردية البسيطة التي تندرج في معظمها تحت أبواب النوافل، كفيلة أية واحدة منها، بأن تمحو الذنوب والخطايا، ولو كانت مثل زبد البحر، وأن تدخل فاعلها الجنة مع الأبرار والصالحين، وأن تسقط عنه الفرائض كلها، سواء كانت فرائض فردية، أم كانت فرائض جماعية عامة، كمحاربة الظلم والفساد، وكإقامة حكم الله في الأرض، وحمل رسالة الإسلام إلى العالم، والجهاد في سبيل الله.

وأما الأحاديث التي ترتب عقوبات فاحشة على مخالفات بسيطة أو تافهة أحياناً فهي كذلك أحاديث فاقدة للتوازن **في موضوع الترهيب**، وهي، والحالة هذه، تشكل طعناً فاحشاً في حكمة الله وتقديره.

وكثير من أحاديث الترهيب هذه فيها من المشقة والمعاناة والإحباط ما يولد في النفس البشرية شعوراً عميقاً باليأس من قدرتها على الالتزام المتواصل باجتناب المحظورات التي تضمنتها أحاديث الترهيب. وهذا ما يدفعها إلى أن تتشكك في حكمة الله الذي فرض عليها من الأحكام ما لا تطيق، ومن العقوبات ما لا يليق. وهذا الشك إذا تعاظم فإنه يؤدي إلى الإحباط والتحلل من الالتزامات

الشرعية جملة وتفصيلاً، وربما أدى بصاحبه إلى الكفر، والعياذ بالله تعالى!

ولقد أسهبنا في ضرب الأمثلة على ذلك في البند الحادي عشر في مبحث قواعد الدراية. وكذلك بعض الأمثلة التي ذكرناها في البند السابع في موضوع "الأحاديث التي تنقض الشفاعة في بعض أهل الكبائر"، وتجعل مصيرهم إلى النار . البند السابع، وكحديث الكلمة لا يلقي المسلم لها بالاً تدخله الجنة أو النار، وحديث دخول النار في هرة ودخول الجنة في كلب.

١٣. دعوى الشفاعة

لقد أسهبنا في بحث موضوع الشفاعة من جميع جوانبها حتى تكون أنموذجاً باهراً مفصلاً في كيفية محاكمة الدعاوى أو المقولات أو المعتقدات الباطلة. وذلك لما لدعوى الشفاعة من خطورة وهدم وتخريب في دين الله. ولقد فعلنا ذلك ونحن نعلم أن الشفاعة هي لدى جميع الفرق والمذاهب الإسلامية، وعند جمهرة العلماء، مسلمة من المسلمات الاعتقادية، ثبتت عندهم بما يسمى بالتواتر المعنوي المزعوم. فلا مدخل عندهم فيها ولا جدال في وجوب الإيمان والتسليم بأمرها. وكل من ينكرها فهو عندهم كافر بامتياز، لأنه يكون قد أنكر عقيدة قطعية، أو أمراً معلوماً من الدين بالضرورة.

ولقد أوضحنا أن الشفاعة والدعوى الإنجيلية بأن الإنسان لا يدخل الجنة بعمله، هما وجهان لعملة واحدة. ففيهما من الهدم والتخريب في دين الله ما لا يطيقه عقل سليم ولا دين قويم.

١٤. دعوى أن التواتر المعنوي طريق موصل إلى اليقين

أفردنا لهذه القاعدة المزعومة فصلاً خاصاً في هذا الكتاب بينّا فيه أن التواتر المعنوي لا يمت إلى التواتر الحقيقي بصلة. وما هو في الحقيقة غير مغالطات وخلط أوراق، لا تسمن ولا تغني من جوع، ولا يشكل أي حجة في المطلوبات اليقينية.

وبعد، فلا بد من ثورة فكرية حقيقية عارمة

نعود ونكرر أنه من هذا الاستعراض المأساوي لغياب منهاج الدراية عن مختلف جوانب التراث، في الأصول والفروع، وفي العقائد والأحكام، وفي أخبار الغيب النسبي والغيب المطلق، يتبدى واضحاً كفلق الصبح، لأولي البصائر والألباب، أن تحقيق أية نهضة حقيقية على أساس الإسلام، باعتباره منظومة فكرية شاملة تنظم علاقة الإنسان بربه، وعلاقته بنفسه، وعلاقته بسائر الناس، نقول إن تحقيق ذلك يستحيل إلا من خلال ثورة فكرية مشهودة ذات بعدين:

البعد الأول: هو عبارة عن ثورة تطهيرية، لتحرير ما يلزمنا لزوما حتمياً من التراث، وتنقيته مما يكون قد علق به، أو اختلط به، أو شوَّه معالمه من الأخطاء والأباطيل، والخرافات والأساطير، وكافة أنواع الموبقات والضلالات، في الأصول والفروع، وفي العقائد والأحكام، حتى تعود المنظومة الفكرية الإسلامية محجة بيضاء، ليلها كنهارها، لا يحيد عنها إلا هالك.

البعد الثاني: هو ثورة فكرية: وهذه الثورة لها محوران:

المحور الأول: إيجاد طريقة أو منهاج في التفكير تصحح به موازين الإدراك لدى الأمة. إذ بهذه الطريقة يستطيع الإنسان أن

يحسن استقراء مفردات الواقع أو جزئياته، في عملية ربط صحيحة، حتى يصل إلى التعميمات أو الكليات. وهذا ما يسمى بالأسلوب الاستقرائي في التفكير (Inductive Method of Thinking). وهذا هو الجانب التركيبي في عملية التفكير.

كما أن الإنسان يستطيع بهذه الطريقة كذلك أن يحسن تطبيق العموميات أو الكليات على مفردات الواقع وجزئياته، في رحلة عكسية. وهذا ما يسمى بالأسلوب الاستنتاجي في التفكير (Deductive Method of Thinking). وهذا هو الجانب التحليلي في عملية التفكير.

وباجتماع كلا الأسلوبين، الإستقرائي والاستنتاجي، التركيبي والتحليلي، وتفعيلهما جنباً إلى جنب، في مسار تكاملي، فإن منهاج الدراية، والحالة هذه، لا يكون محصوراً في نقد المتون والمقولات والأطروحات المتداولة، بل إنه ليتعدى ذلك، في حركة إنشائية ارتقائية واعدة إلى إبداع مقولات أو أطروحات جديدة، في موضوعات كذلك جديدة، وفي مختلف ميادين المعرفة، سواء كانت في مجال التراث أم كانت خارج مجاله، وسواء كانت متعلقة بالعلوم أم متعلقة بالإنسانيات وغيرها.

المحور الثاني: مثلما أن الإنسان، كي يفكر تفكيراً صحيحاً بنّاء، لا بد له من طريقة منتجة في التفكير، فكذلك **هو في حاجة لازمة لزوما حتمياً إلى مادة فكرية تزوده بالطاقة اللازمة للتفكير، وبالمرجعية المعتمدة للتقرير**. وهذا يعني أنه، إلى جانب تطهير عقلية الأمة وتقويم موازين الإدراك لديها، يجب أن يعاد تشكيل بنيتها الفكرية التحتية من جديد، على أساس المنظومة الفكرية الإسلامية، بعد أن تكون قد أصبحت سائغة نقية طاهرة من التلوث الفكري بجميع أشكاله وألوانه.

صحيح أن هذا متعذر في الجزئيات، وهو أصلاً غير مطلوب على سبيل اللزوم، ولكنه ميسور وواجب في الكليات والمحاور الأساسية التي تشكل القواسم الفكرية المشتركة، التي لا يصح الاختلاف فيها أو عليها. لأنها تستند في ثبوتها ودلالتها إلى الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة، وليس إلى الأدلة الظنية ثبوتا أو دلالة. والظنيات، كما هو معلوم، من شأنها أن تترك الباب مفتوحاً للاختلاف والتناقض، وذلك على النقيض من القطعيات. فإن هذه تسد منافذ الفرقة والاختلاف، والشقاق والنزاع، وتهدي إلى الحق والسداد والرشاد.

فجمع الأمة على القواسم المشتركة القطعية الثبوت والقطعية الدلالة هو الذي يضمن وحدتها الفكرية الحقيقية، ووحدة مواقفها أمام التحديات العظام، والمشكلات الجسام، داخلية كانت أم خارجية. كما أنه هو الذي يزودها دوماً بالبوصلة التي تحدد لها مرجعيتها وقبلتها الفكرية على مدى العصور، وكر الدهور، وبذلك تصبح أمة متميزة بالدراية، بعد أن كانت رهينة الرواية، بعجرها وبجرها.

وفي الختام، نعود ونؤكد في هذا السياق، المرة تلو المرة، أن باب الدراية مفتوح، لم يملك أحد مفاتيح إغلاقه في الماضي، كما لا يملك أحد مفاتيح إغلاقه في الحاضر أو في المستقبل. **ولكنه مفتوح لمن ترامت أطراف معارفهم، واتسع نطاق مداركهم، واستقام منهاج تفكيرهم**، يدورون مع الحق أنّى توجهت ركائبه، لا تأخذهم فيه لومة لائم، لا قداسة عندهم لكتاب غير كتاب الله تعالى، ولا عصمة عندهم لأحد غير سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم. وليس باب الدراية مفتوحاً لمن هب ودبّ **من طلاب الشهرة الرخيصة**، الذين لا يعني إنكار الذات عندهم شيئاً، أو **المتطفلين** الذين يريدون أن يزببوا قبل أن يحصرموا، أو **المتعالمين** الذين لا يملأ جوفهم إلا الجهل المركب، أو **من يقولون أحياناً كلمة حق يريدون بها باطلاً**. فسبيل هؤلاء جميعاً هو سبيل المفسدين، سواء كان ذلك منهم بحسن نية أم بسوء طوية.

وآخر دعوانا أن يكلأ الله هذه الأمة برعايته وعنايته حتى تستأنف مسيرتها على طريق التغيير الجذري الحقيقي الشامل القويم، فتغير ما بها من حال، ويتحقق فيها قوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ"، كما يتحقق فيها قوله صلى الله عليه وسلم: "تركتكم على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يحيد عنها إلا هالك".

الفهرس

فهرس متفرقات انتقائية لتسهيل المراجعة